شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة مكة المكرمة

مخطوطة

المنهج السديد شرح كفاية المريد

المؤلف

محمد بن يوسف بن عمر (السنوسي)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة مكة المكرمة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المنهج السديد

شرح

كفاية المريد

تأليف

محمد بن يوسف السنوسي

(ت ١٨٩٥هـ)

مكتبة الألوكة
www.alukah.net

المنهج السديد في شرح كفاية المريد

وزارة الحج والأوقاف
مكتبة مكة المكرمة
الرقم العام
الرقم الخاص
تاريخ الإيداع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

قال الشيخ الامام العالم المحقق المعمر ابو عبد الله سيدي محمد بن يوسف السنوسي الحسني رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وبامثاله بمنه وفضله امين * * الحمد لله العلي في جلاله الواسع الجود في سلطانه ونواله المخرج من شاء من ظلمة الباطل ومضيق الجهل الى نور الحق وسعة مجاله نحمده سبحانه على ما منحنا من النعم المتكاثرة واوسع ونشكره جل وعلا على ما اورد القلب من موارد الايمان حتى نستقي منه ونسقي ونكرع والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي فاض من شمس طلعته السعيدة على افق القلوب اضواء المعرفة والهداية حتى ابصرت الاعين العمي ارشادها ونزهت الطرف فيما يحصل في الاخرى اسعادها يفضل من يمنح الهبات من هنالك منحا جزيلة لا انقطاع لها ولا نهاية وفضل الله وسلم عليه من رسول انكشف بنور مبعثه على ابصار البصائر ما كان بها من العمى الشديد في خنادس ليل الغواية وارتجت ببركته عوالم الارض تسبيحا وتحميدا وعبادة لفاطرها المعبود بالحق وحده بعد ما كادت اعماها الباطل وحملها السفه على ان صرفت لغيره تعالى وجه العناية ورضي الله تعالى عن اله واصحابه الذين نطالع لهم علم الهدي استقوا فيه الى ابعد المدي واقصى الغاية ثم ساقوا الى ذلك لعظيم شغفتهم وشدة غيرتهم لله تعالى وكمال نصيحتهم بمصابيح علومهم ومرهفات سيوفهم من سبقت له في الازل من الله تعالى شرف الولاية **وبعد**

فافضل العلوم كلها باطباق دليل المعقول والمنقول وتقاضد

شهادة

شهادة علم الفروع والاصول هو المتعلق بتوحيد الله تعالى وصفاته المبني القلب مما اركب فيه من وجل غياهب الشكوك والاوهام المنقذ له من التلف في عمة الجهل وما تراكم من ظلماته ثم اثبات النبوة التي هي الاصل الذي ينبني عليه علم جميع الشرايع والاحكام وهي الاساس الذي ثبت ما تفرق من قواعد عقايد الاسلام ثم به يرقي العبد في الايمان باليوم الاخر واستحضار اهواله وثوابه وعقابه الى اعلا درجات الايقان وينهض لمعالم الامور وما يحصل له الفوز في الاحرى وينجافيا عن دار الغرور وعن كل ما هو فان والله ذو الفضل ما الفيته من المختصرات المغنية عن كثير المبسوط لا تستظوم الشيخ الفقيه الامام قدوة المتقين الولي العلامة علم الاعلام السيد ابي العباس احمد بن عبد الله الجزايري اعلا الله تعالى درجته بلا محنة في دار السلام واطال بقاه مع السلامة والعافية في الدين والدنيا وبارك في عمره لاهل الاسلام اذ هو منظوم مشتمل على طريق هداية الخواص والعوالم لانه قد ضم فيه الى حلاوة النظم المستميلة للطباع تقرير الادلة البرهانية للعقايد على التمام ثم رشحها بخطابات تصوفية تهز النفوس النائمة لتعظيم جناب الحق ويدخل فيها الضعيف مع القوي في سلك الانتظام وتلك سنة الله تعالى في تقرير الادلة في كتابه العزيز ثم سنة مصطفاه الرسول وما اثر عنهما من طريقه ونصحهما من دلالة لتضمنها الهداية العامة والتالة البقية لكل موفق يروم الى الحق الوصول ثم في هذا المنظوم بعد بيان العلم الشريف التحريض في اخره على حسن العمل وذكر ما يبعث العاقل على الجد فيما يحصل رضي المولى جل وعلا والظفر بالفوز الاسنى بعد حلول الاجل **وقد** دعاني الى شرح هذا النظم المبارك بعث مولفه رضي الله تعالى عنه بنسخة منه بخطه

شبكة الألوكة www.alukah.net

الى ويمكتوب معه اري امتثاله واجبا على يستدعي فيه مني حفظه الله
تعالى على سبيل النصيحة والشوق الى المشاركة في الثواب ان امنع عليه
شرحا يشد عراه ويجلي على منصة كمال الظهور محاسن معانيه
لمن قصده من الطلاب فاجبته الى ذلك طلبا لرضاه ودعايه
الصالح ورجاء للدخول فيمن لا ينقطع عمله الصالح بعد الموت
وتعرضت بذلك ايضا لاستنظار دعوة صالحة تنالني مني مقبول
يفضي له بنيل فايدة من جهتي اجدها عدة في حياتي ويوم الحسرة
والفوات وسميته بما اشار المولف اليه رضي الله عنه من
التسمية المباركة المطابقة ان شاء الله تعالى وهي السمية بالمنهج
السديد في شرح كفاية المريد والله تعالى المسوله ان يخلص
لي النية فيه ويجعله في الاخرة عملا مقبولا واياي يوفقني
للاصابة في كل ما اقول به معقولا ومنقولا وان يجعل النفع به وباصله
عاما لكافة المومنين واياي بمنه وكرمه منازل المتقين
بعناية اعظم شفيع عنده افضل النبيين وامرسلين سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين قال
المولف رحمه الله تعالى ورضي عنه :: ص
الحمد لله وهو الواحد الازلي سبحانه جل عن سيه وعن مثل ش
بدا رحمه الله تعالى بحمد الله جل وعلا اقتدا بالقران العظيم
وبنبينا عليه الصلاة والسلام في خطبة وامتثالا لما روي عنه
صلى الله عليه وسلم من قوله كل امر ذي بال لا يبتدى فيه
بحمد الله تعالى فهو اجزم وورد الحديث بالفاظ مختلفة متضمون
الجميع ان كل ما لا يبتدي بحمد الله تعالى فهو ناقص البركة غير تام بالمعاني
وان تم بالحسن والاقتداء ايضا في ذلك بالصحابة والتابعين
الى هلم جرا والحمد هو الثنا قولا بجميل الصفات سوا كانت من
باب الانعام او كانت من الصفات المختصة بالمحمود والشكر هو

لاستمطار

الثنا

الثنا مطلقا بجميل فيما اذا كان الثنا على جميع الانعام والاحسان
بالقلب وساير الجوارح غير اللسان وقد كثر قول الناس فيهما
والاختلاف قديما وحديثا هل هما مترادفان ام متباينان بالعموم
في جانب الحمد والخصوص في الشكر ام بينهما عموم
وخصوص وهو الصحيح كما بسط واستدل بعضهم على الترادف
وقولهم الحمد لله شكرا فجعلوا الشكر مصدرا موكدا للحمد
في المعنى وفيه نظر لانا قد نمنع ان يكون مصدرا موكدا
للحمد بل هو مصدر نوعي مخصص لمطلق وهو الحمد وذلك
مستلزم للتباين ومما يشهد لعدم الترادف وقوله عليه
الصلاة والسلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده
اذ راس الشيء ليس مرادفا للكل وانما جعله راس الشكر لانه
لما كان ثنا باللسان فهو اسبغ للنعمة وادل على مكانها وافاقة
قدرها بخلاف الثنا بالقلب او بساير الجوارح غير اللسان
فانها ليست بصريحة الدلالة على الشكر لما فيها من الاحتمال
فكان في الاقتصار عليها في الشكر بعض كفر للنعمة اي تغطيه
لهما والحمد مرفوع على الابتدا وخبره المجرور بعده واصله
النصب وانما عدل عنه الى الرفع ليكون ما بعده جملة اسمية
دالة على ثبوت مضمونها بخلاف النصب فانه يكون مع عامله
المقدر فعليه دالة على التجدد وعدم الثبوت لان الفعل دال
على اقتران مدلوله بزمان والزمان لا ثبات له فما قارنه كذلك
والتعريف بال لام في الحمد للجنس وبعضهم يعبر عنه بتعريف
الحقيقة ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة
الحمد ويحتمل ان يكون التعريف فيه للاستغراق اذ كل كمال
انما هو في الحقيقة لله تعالى سوا كان قديما او حادثا اما القديم
فهو له جل وعلا صفة وقيام صفة الكمال بذاته العلية المنزهة عن مماثلة

فرد بجميل الوصف المختص بالمحمود كما مر
وشمل ما عنه منلا ونيز به الشكر فيما اذا كان
الثنا على الجميع

موضوع لواجب المنفرد بايجاد جميع الكاينات جملة وتفصيلا بلا
واسطة ولارادته في جميع الممكنات التعلق بلا معارض في المضي
والنفوذ المتصف بما لا يحاط به ولا يدرك كنهه من الكمالات المتزهة
عن كل نقص وعز وجود مثل في الافعال وفي الذات وفي الصفات
فهو اسم جامع لمعاني الذات والصفات والافعال وما سواه من
الاسماء مختص بمعنى خاص ولهذا قيل فيه انه الاسم الاعظم
والى التعريف بمسمى هذا الاسم الاعظم اشار المولف رحمه الله
تعالى بقوله وهو الواحد الازلي الى آخره فالضمير عايد على
اسم الجلالة يعني ان الله تعالى المستحق لجميع المحامد وهو
الواحد اي المنفرد فلا ثاني له في ذاته ولا في صفة من صفاته
ولا شريك له في فعل من الافعال واشار بقوله الازلي الى وجوب
وجوده تعالى اذ الازلي هو القديم ولا شك ان القديم لا يكون
وجوده الا واجبا اي لا يقبل العدم اذ لو قبل العدم لاحتاج وجوده
الى فاعل اذ لا يترجح احد الجايزين على مقابله الا بالفاعل المختار
وكل فعل لفاعل فهو حادث فليس بازلي ضرورة فظهر ان كونه
تعالى ازليا يستلزم وجوب وجوده فلا يقبل تعالى العدم
ازلا وابدا وتقديم المولف رحمه الله تعالى الواحد على الازلي
اما من باب تقديم الدليل على المدلول او عكسه اما الاول فوجهه
انه لما وصف المولى جل وعلا بوجوب الوحدة له تعالى في ذاته
وفي صفاته استنتج من ذلك وجوب الازلية له تعالى اذ نفي الازلية
يستلزم عدم وجوب الوحدة له تعالى في ذاته اذ هو من حادث
الا ويجوز وجود مثله ولهذا قال تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فاذا وجوب الوحدة
للشيء يستلزم ازليته اذ لا يجتمع وجوب الوحدة للشيء مع وجود
حدوثه وما استلزم امرا فهو دليل عليه فصح قولنا ان تقديم

الحوادث واما الحادث فهو له تعالى ملكا وخلقا اذ لا خالق لجميع الحوادث
سواه جل وعلا وبهذا انفرد انقسام الحمد الى اربعة اقسام كلها
مختصة به تعالى على ما سبق الاول حمده تعالى بنفسه وبهذا انفرد
انقسام الحمد الى اربعة اقسام كلها مختص به تعالى فحمده تعالى لنفسه
اي ثناوه ازلا وابدا على ذاته العلية وصفاته السنية وكلامه
القديم الذي ليس بحرف ولا صوت ولا مثل له الثاني حمده
ايضا بكلامه القديم لخواص عبيده من انبيايه ورسله وملايكته
وسايره الصالحين من عباده الثالث حمد عبيده له جل وعلا بما
يخلقه في السنتهم وقلوبهم من كلام وعبارات الرابع حمد المخلوقات
بعضهم لبعض بما يخلقه ايضا جل وعلا في قلوبهم والسنتهم من
ذلك والاخفا ان هذه الاربعة كلها مضافة على الحقيقة الى
الله تعالى اما القسمان الاولان فلا اشكال لانهما راجعان الى صفة
كلامه القديمة به تعالى ولا مشارك له تعالى ولا مماثل له فيها كما ان
ذلك حكم ذاته وسايره صفاته واما القسمان الاخيران فهما مضافان
له تعالى بمعنى انهما ملكه وخلقه لا شريك له تعالى في ملكهما وخلقهما
البتة كما ان ذلك حكم سايره الحوادث لوجوب انفراده جل وعلا بالايجاد
والاختراع لكل حادث لا فاعل له سواه ولا فرق في ذلك بين
الجواهر والاعراض ولا بين ما تعلقت به قدرتنا الحادثة وبين ما لا
تتعلق به اذ لا اثر للقدرة الحادثة في الثر ما وانما لها تعلق الكسب
بلا تاثير اصلا فقد اتيناك بهذا وجه اضافة الحمد
الى الله تعالى على سبيل الاستغراق واسم الجلالة الذي اضيف اليه
الحمد قيل يمسك عن الكلام في معناه اجلالا وتعظيما او لتوقف
الكلام فيه على اذن الشرع والاكثر على خلافه ثم اختلفوا هل هو مشتق
او جامد الى غير هذا من الخلاف ثم اختلفوا على القول بالاشتقاق
هو مشتق والكلام في ذلك كثير قليل الجدوى وبالجملة فهو اسم

المولف الواحد على الازلى من باب تقديم الدليل على المدلول
فان قلت انما يكون الوحدة دليلا على الازلية اذا كانت
تلك الوحدة واجبة اما مطلق الوحدة فلا تدل على الازلية
بدليل ان الجوهر الفرد لو قدر انفراده بالوجود بحيث لم يخلق
الله تعالى سواه مثلا لكان واحدا مع انه حادث ليس بازلي
والمصنف انما ذكر الوحدة فى وصفه تعالى على الاطلاق ولم
يقيدها بالوجوب فلم جعلتها فى كلامه دليلا على الازلية
التى ذكرانزها قلت لانسلم ان المصنف ذكر الوحدة
فى وصفه تعالى على الاطلاق بل لما ذكرها على طريق الحصر والاختصاص
بذاته تعالى لتعريفه المبتدا والخبر علمنا ان الوحدة التى
وصف بها مولانا جل وعلا هى الواجبة اذ هى المحصورة والمختصة
به تعالى اما مطلق الوحدة من غير تقييدها بالوجوب فلا يصح
فيها الحصر والتخصيص به لصحة ان يتصف بها غيره جل وعلا
واما الثانى وهو ان يكون تقديم الواحد على الازلى فى كلام
المولف من باب تقديم المدلول على الدليل وهو عكس ما سبق كانه
يقول هو الواحد ودليله كونه ازليا ووجهه ان القدم لا يقبل
الاثنينية والتعدد اذ لو قبل التعدد لما امكن ان توجد منه
الاعداد مخصوص لاستحالة دخول ما لا نهاية له تحت الاعداد
فى الوجود مخصوص فهو جايز لصحة ان يوجد اقل منه او اكثر وكل جايز
فهو حادث فيلزم ان يكون هذا العدد المخصوص من القديم حادثا
لاحتياجه الى فاعل يرجح وجوده على ما يقابله من الجايزات
وايضا لو وجد للقديم ثان مماثله للزم ان يختص كل واحد منهما
بعارض يتميز به عن مثله والا لزم ان يكونا شيا واحدا وذلك العارض
المميز لا يكون الا جايزا لاستحالة ان يختص احد المثلين بصفة واجبة
عن مثله وكل جايز فهو حادث فذلك العارض يلزم حدوثه ويلزم

منحدوثه حدوث الذات المتصفة به لملازمتها له فتبين من هنا كله ان الله
الازلي لا يكون الا واحدا فصح اذا ان يستدل بازليته على وحدته تقول
سبحانه جل عن شبه وعن مثل لفظ سبحانه منصوب على المصدر وعامله
محذوف وتقديره سبحته او اسبحه بمعنى تنزهته وبعدته او انزهه
وابعده عما لا يليق به وجل بمعنى عظم وهو معطوف باسقاط حرف
العطف على لفظ العامل فى سبحانه ثم متعلق فعلى التنبيه والاجلال
فى كلام المولف يحتمل ان يكون واحدا او هو الشبه والمثل فكانه
قال سبحانى انزهه وابعده عن الشبه والمثل جل فى نفسانى عظم
ان يكون له واحد وهو الشبه والمثل منهما والمقصود من زيادة
الاجلال بعد التنبيه على هذا الوجه التنبيه على ان تنزهه تعالى
عن الشبه والمثل امر واجب لله تعالى اقتضته جلالته وشرف
ذاته جل وعلا لا انه عرضي مستفاد من تنزيه منزه او جعل
جاعل او التنبيه على عموم تنزهه وتعاليه عن الشبه والمثل
فكانه قال انزهه تعالي واسبحه عن الشبه والمثل وجل فى ذاته
العلية عنهما ازلا وابدا حين تسبحى وقبله وبعده ويحتمل ان
يكون متعلق فعلى التنبيه اعم من متعلق فعل الجلالة فيكون
عطف فعل الجلالة على فعل التنبيه من عطف الخاص على العام
فكانه قال اسبحه عن كل نقص وجل خصوصا على نقيضه وجود
الشبه والمثل ويحتمل على هذا الوجه ان لا يقدر جل وعلا معطوفا
على ما قبله بل يجعل مستانفا من باب الاستيناف البياني جواب
السوال من يسال عن دليل تسبيحه لله تعالي وتنزيهه له عن كل نقص
فكانه قال اسبحه عن كل نقص لانه تعالي جل ان يكون له شبه او مثل
ووجه الدلالة فيه على ذلك انه لو اتصف بذلك تعالى بنقص جل
وعلا عن ذلك لكان محتاجا الى من يكمله ويرفع عنه ذلك النقص
فيكون عاجزا مفتقرا وهذه سمات الحوادث فيكون شبيها لها مثيلا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كيف وقد تبينت جلالته تعالى عن الشبه والمثل قال الله تعالى يا ايها
الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد وقطع تعالى الشبه بينه
وبين الخلق لوجوب الغنى المطلق له تعالى وتنزهه عن صفة الفقر
الواجب لكل مخلوق ويحتمل على عدم العطف ان لا يكون فعل الجلالة
مستانفا استيفافا بيانيا بل يكون بدلا من العامل المقدر نسيخ
بدل البعض او بدل اشتمال لأن تنزيهه تعالى عن كل نقص مشتمل على
جلالته عن الشبه والمثل فان قلت عطف المؤلف
المثل على الشبه يلزم منه التكرار لان الشبه هو المثل قلت
يحتمل ان لا تكرار بان يكون المؤلف استعمل لفظ الشبه في مطلق
المشاركة له تعالى ولو في صفة واحدة من صفات الوهيته
واستعمل المثل في معنى المماثل وهو المشاركة له في جميع صفات
الالوهية فيكون عطف المثل على الشبه من باب عطف الخاص على
العام اعتناء منه رحمه الله تعالى بالتنزيه عن وجود المماثل في جميع
الصفات لانه ادل على النقص وأوغل في الدلالة على صفة النقص
وانتفاء الالوهية ويحتمل ان يكون قصد بعطف المثل على الشبه
التنصيص على تعميم نفي وجود الشبيه في نوعي القديم منه والحادث
فاشار بقوله عن شبه الى نفس مشاركة الحادث له تعالى في بعض
صفات الوهيته جل وعلا لانه الحادث على تقدير ان يفرض مشاركته
معه تعالى في صفة من صفات الالوهية لا يمكن ان يعرض ذلك الاشتراك
بينهما على سبيل المماثلة التي تقتضي الاشتراك في جميع ما يجب
وما يستحيل وما يجوز اذ من جملة ما بتنا فيه ضرورة صفة القدم
فانها واجبة للرب جل جلاله ومستحيلة على كل حادث واشار بقوله
وعن مثل الى نفي وجود قديم مشارك له في جميع صفاته اذ لا يتصف
الا بواجب والمماثلة تستدعي الاستواء في كل ما يجب وما يستحيل
وما يجوز ويحتمل ان يرجع قول المؤلف غفر الله تعالى له عن شبه الى

امتناع النظير في الافعال والاحكام ويكون فيه حذف مضاف تقديره
وعن ضرب مثل له تعالى كما نبه يشير الى قوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال
قيل معناه لا تشبهوا احاله تعالى في افعاله واحكامه بغيره اذ ضرب
المثل تشبيه حال بحال وذلك منع لما عليه الجاهلية والمبتدعة
من التحكم في افعاله تعالى واحكامه بمجرد التحسين والتقبيح المستندين
الى محض التخيل والهوى واستحسنت الجاهلية لعمى بصيرتها العبادة
لبعض مخلوقات الله تعالى كالملائكة والكواكب ونحوها وسبب ضلالتهم
في ذلك ضرب المثل له تعالى بحال الملوك له من عبادة جل وعلا وذلك
اذ خدمة بعض عبيدهم ممن هو مقرب عندهم هي وخل في تعظيمهم
واجلالهم وحض الاربة منهم لحذ مستهم لهم مباشرة طمعا اقالة
او اليلهم فيما عبد وا من دون الله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى ولهذا اوجبت المعتزلة على الله تعالى بعثة الرسل وفعل الصلاح
والاصلح واوجبوا تعليل الافعال والاحكام بالاغراض واسندت
الى العباد خلق افعالهم وخصصت ارادته بما امرهم به اعني ذلك
مما هذا وابه ومستندهم في جميع هذه الضلالات قياس افعاله تعالى
واحكامه على افعال غيره واحكامه المثل له تعالى بغيره ومن المحال
والجور العظيم ان يوزن احكام الرب الغني الواحد ذي الجلال بميزان
اهل الزيغ والاعتزال وهذا المعنى في كلام المؤلف قريب جدا
وتنكير المؤلف الشبه والمثل الاقرب فيه انه للتعميم على حد قوله
تعالى علمت نفس ما احضرت فان قلت التنزيه عن المثل يقتضي
نفي المثل له تعالى وذلك معارض لقوله تعالى وله المثل الاعلى
في السموات والارض قلت المثل المثبت له تعالى غير المثل
المنفي عنه جل وعلا فالمثل المنفي بمعنى المماثل والمقيس عليه
والمثبت بمعنى الصفة بدليل قوله تعالى للذين لا يؤمنون بالاخرة
مثل السوء ولله المثل الاعلى اي لهم صفة النقص وهي الحاجة الى الولد

لا النظير في الذات
والصفات او غايره ما يطلق الشبيه
على فاعل المبارك ذكره يرجع فواوه
مثل الى امتناع النظير

المنادية بالموت واستبقا الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث واودهن اى
جيات حشية المعرة او الفقر والاملاق ولله المثل الاعلى الوصف الاعلى وهو
الوجود الذاتي والغني المطلق والوجود الفايق والتزاهة عن صفات
المخلوقين وتبارك الله رب العالمين فليس يحصى الذي اولاه من نعم
اجلها نعمة الايمان بالرسل شي اشار بهذا البيت وبما قبله الى وجوب
استحقاقه تعالى الحمد باعتبار ذاته العلية وصفاته الازلية وباعتبار
افعاله الجميلة وسوابغ نعمه الجميلة اما باعتبار ذاته وصفاته فلا
حقا انا له في ذلك الكمال المطلق الازلي العديم الشبيه والنظير
والي ذلك اشار المولف بقوله وهو الواحد الازلي الى اخره
واما باعتبار نعمه واحسانه فلا شك ان له النعم التي لا تحصى
دينية ودنيوية عاجلة واجلة والى ذلك اشار المولف بقوله
فليس يحصى الذي اولاه من نعم الخ ولما كان الاستحقاق الثاني
متوقفا على الاستحقاق الاول رتبه عليه بالفا فقال فليس يحصى
اذ لولا الاول لتيسر تعالى ووحدانيته في كمال ذاته وصفاته المقتضيه
استبداده تعالى بايجاد جميع الكاينات جملة وتفصيلا بلا واسطة
لما صح عنه ايجاد شي من الكاينات لما دل عليه برهان التمانع من ان وجود
الشريك له تعالى في اثر ما يستلزم العجز العام فلا تستند اليه نعمة ولا
غيرها على ذلك التقدير الفاسد فيكون المولف اشار بترتيب هذا البيت
على ما تقدم الى معنى قوله تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم
هل من خالق غير الله هذا ان جعلت مضمون هذا البيت مرتبا
على قوله وهو الواحد الازلي واما ان جعلته مرتبا على قوله
اول البيت الحمد لله فيكون ح قد استعمل الحمد بمعنى الشكر وعليه
بما يقتضي وجوبه وهو اولاه الرب الكريم من النعم التي لا تحصى
فكانه قال الشكر لله لما اولاه من نعم لا تحصى فالفا على هذا الوجه
الثاني دخلت على المسبب وهو كثير كقوله تعالى والسارق والسارقة

فاقطعوا

فاقطعوا ايديهما وعلى الوجه الثاني دخلت على السبب وهو قليل
كقولك لا يغفر لك فجهل ابدا فهو مشرك والتنكير في كلام المولف للنعم
يحتمل ان يكون للتعظيم او للتكثير او لهما على حد قوله تعالى تسلية
لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك قوله اجلها نعمة الايمان بالرسل انما كانت هذه اجل
النعم لانها الكفيلة بالسعادة الاخروية الابدية وستغني المولف
بها عن نعم الايمان والمعرفة بالله تعالى لاستلزامها لها بخلاف العكس
وبالجملة فالنعم على الانسان وان كانت لا تحصى فهي منحصرة في
جنسين دنيوي واخروي والاول موهبي وكسبي والموهبي قسمان
روحاني كنفخ الروح فيه واتزافه بالعقل وما يتبعه من القوى
كالفكر والفهم والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة
فيها والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية
النفس عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي الحسنة وحصول الجاه
والمال والثاني وهو الاخروي ان يغفر المولى الكريم لعبده ما فرط
ويرضى عنه ويثيبه في اعلى عليين مع الملايكة المقربين والنبيين
والمرسلين ابدا الابدين نعمة سبحانه ان يمن علينا بهذا النوع الاخير
وبما يكون وصلة الى نيله بلا محنة بجاه نبيه سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم ولا شك ان هذا النوع الاخير وما يوصل اليه هو
اعلا النعم وافضلها لانه ما سواه يشترك فيه المومن والكافر ولا
طريق الى هذا النوع الاعلى ولا مدخل اليه الا من ناحية الايمان
بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فلهذا خصه المولف
رحمه الله تعالى بالذكر وبالله التوفيق لا رب غيره

من ذا من الخلق يقضي شكر واهبها ... لو كان يشكر طول الدهر لم يصل

هذا البيت شبه الاحتراس من المولف رحمه الله تعالى كما عسى ان يتوهم من انه

لما حمد الرب تعالى على ما اولى من النعم الخارجة عن حد الحصر فقد ادى شكر تلك
النعم فدفع المؤلف هذا الوهم بالاقرار بالعجز عن شكر تلك النعم وتعذر
الوصول الى اداء حقها ولو كان يشكر طول الدهر فكيف بلحظة منه ويحتمل
ان يكون هذا البيت من الاستيناف البياني المبني على تقدير السؤال
فكان سائلا لما سمعه يصف النعم بالكثرة الخارجة عن حد الحصر
سال هل احد من الخلق يقضي شكر واهبها فاجابه المؤلف بهذا
الاستفهام الانكاري المتضمن اذ لا احد يقدر على ذلك اذ شكرها
على تقدير ان يقع يتضمن زيادة نعمة اخرى عليها اذ الشكر انما وقع
بمحض خلق الله تعالى اذ لا خالق سواه جل وعلا وقد قال تعالى
والله خلقكم وما تعملون وكذلك لو شكر على هذه النعمة الزايدة
لاستلزم ايضا زيادة نعمة اخرى وهلم جرا الى ما لا نهاية له وقد انشد
الطيبي في شرح المصابيح في هذا المعني قول

اذا كان شكري نعمة الله نعمة • علي له في مثلها يجب الشكر •
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله • وان طالت الايام واتسع العمر • خ والفضل
فان مس بالنعماء عم سرورها • وان مس بالضراء عقبها الاجر •

فليس اذا المنة الا لله تعالى اولا واخرا وليس للعبد الضعيف
المغمور بالنعم ظاهرا وباطنا الا العجز الدايم ويحتمل ان يكون هذا
البيت مرتبا بشبه النتيجة على البيت الذي قبله ووجه استنتاجه
عنه انه يقول اذا تقرر ان النعم لا يمكن حصرها وتعذرت احاطة
العلوم الحادثة بها لزم من ذلك العجز عن شكر اذ شكر النعم يستدعي
معرفتها فشكر ما لا يمكن ان يحيط به العلم الحادث متعذر ونظير هذا
في التنبيه على العجز عن حقيقة الشكر بطريق العجز عن حصر النعم
المشكورة قوله تعالى وان تعدوا نعمة لا تحصوها اي لا يمكن ان
تضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع
سبحانه وتعالى هذا الكلام لتعداد النعم قبله والزام الحجة

على تفرده

---

٢ بما يستحقه ذا العبادة
تنبيها على ان وراء ما عده وتعالى
من النعم تعالى لا تحصى ولا تعد على ان حق
عبادته جل وعلا غير متعذر وعليها
ذيل تعالى على ذلك الكلام بقوله ان الله لغفور
رحيم باظهار الرفق منه جل وعلا و شكره

ما يحيط مع سلام طيب حفلا

ون
على تفرده جل وعلا بخلقه حيث لم يكلفهم من العبادة والشكر ما لا يقدر
عليه فقوله ان الله غفور رحيم معناه غفور حيث تجاوز عن تقصيركم
في اداء شكر تلك النعم التي لا تحصى وهو رحيم لا يقطعها لتفريطكم في
شكرها ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها وجواب لو من قول
المصنف ولو كان هو قوله لم يصل اي الى قضاء شكرها واداء حقها
والله الموفق للصواب ثم الصلاة على خير الورى ابدا
لما شكر المؤلف الله تعالى على نعمه التي تفوق الحصر وكان من شكرها من
اظهر على يده نعمة من النعم لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر
الناس لم يشكر الله ولا نعمة اعظم ولا اوسع ولا اكمل من نعمة بعث سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم اخذ المؤلف يؤدي شكر هذه النعمة
العظمى بثنائه على هذا السيد صلى الله عليه وسلم وطلبه من
المولى جل وعلا كثرة الصلاة والسلام عليه اي كثرة الانعام عليه
وكثرة الامن له ويحتمل ان يكون السلام بمعنى التحية فكانه سئل ان
يسمع الله تعالى سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم سلامه
بكلامه القديم ويسمع الملايكة ذلك ووصف السلام بالطيب لانه
يطيب به القلوب وتكمل به اللذات ومعنى كونه حفلا اي كثيرا مبالغا
فيه من حفل بالشيء واحتفل به اذا بالغ فيه واكثر منه واعتنى به وانما
عدل المؤلف رضي الله عنه في الصلاة والسلام المطلوبين لنبينا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عن اسمه العلم المشهور الى وصفه
الخاص وهو خير الورى لما في هذا الوصف الخاص من الايما الى انواع
النعم المطلوبة له صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة والسلام
وانما طلب من المولى الكريم تبارك وتعالى ان تكون من اعلا النعم
كلها واطيبها واكثرها واشرفها اذ لا ينبغي في النعم المطلوبة من المولى
العظيم الكريم لمن جعله تعالى تبارك وتعالى بمحض فضله خير
الورى الا ان تكون فوق ما يحيط به العقول من المقامات وفوق ما تقدره

خ مبالغة

9

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاوهام من المنازل والكرامات وفوق ما تسمعه الاذان من رتب التقريب
والرفعة وانواع التخصيصات وضروب اللذات وفوق ما تحول فيه
جميع الابصار دنيا واخرى من اجناس المستحسنات الاترى ان من طلب
من ملك من الملوك كسوة لعبد من عبيده قد تفضل عليه برتبة
الوزارة والتقدم على سايرالرعية والاتباع فانه رضي طالب الكسوة
لهذا الوصف حال طلبها فيه بعد الطلب الصريح لذات الكسوة
الطلب بطريق من الايما ان تكون من اشراف الكسوة واجملها *
وابهاها منظرا اذهي المناسبة لتلك الصفة المذكورة وكان
المصنف ابقاه الله تعالى ما فاته من بيان النوع الصلاة بالتصريح
المذكور في الصلاة التامة التي عملها النبي صلى الله عليه وسلم لتشبيهه
الصلاة فيها بالصلاة على خليل الله تعالى والد من سايرالانبياء والرسل
أو اليه هنا بالوصف المذكور وبهذا يستبين لك ان صلاته في هذا
المكي البيت على النبي صلى الله عليه وسلم هي من اعلى الصلوات
التامة وابلغها مع سندة الايجاز وهذا البيت مناسب لقوله
فيما سبق اجلها نعمة الايمان بالرسل اذ الموصل الى تلك النعمة
الجليلة والمعروف لها بنبينا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام
اذ الايمان به يتضمن الايمان بالله تعالى وبملايكته وكتبه وساير
رسله عليهم الصلاة والسلام فلهذا خصه المولف رحمه الله تعالى
بالتنابه وكثرة الصلاة والسلام وبعد فالعلم بالتوحيد مفترض
• بالاحتلام وعقل غير مختبل • وبالمحيض وسن حده ذكروا •
• وليس من الحق الانبات داخلل • ش اعلم ان الاحكام الشرعية
منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعيه وعمليه ومنها ما يتعلق
بالاعتقاد وتسمى اصليه واعتقاديه قال التفتازاني
في شرح عقيدة النسفي ان العلم بالاول من هذين القسمين يسمى
بعلم الشرايع لانه لا يستفاد الا من جهة الشرع ويسمى ايضا بعلم الاحكام

لانه

لانه لا يسبق الفهم عند الاطلاق الاحكام الا اليها ويسمى العلم المتعلق
بالقسم الثاني علم التوحيد والصفات لان ذلك اكثر مباحثه واشرف
مقاصده قال وقد كانت الاوايل من الصحابة رضي الله تعالى عنهم
لصفاء عقايدهم يتركه صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وقرب العهد بزمانه
ولقلة الوقايع والاختلافات وتمكنهم من المراجعة الى الثقات مستغنين
عن تدوين العلمين وترتيبهما ابوابا وفصولا وتقرير مقاصدهما نوعا
واصولا الى ان حدثت الفتن بين المسلمين وبغى على ايمة الدين فظهر
اختلاف الاراء والميل الى البدع والاهواء وكثرة الفتاوى والواقعات
والرجوع الى العلماء في المهمات فاشتغلوا بالنظر والاستدلال
والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والاصول وترتيب
الابواب والفصول وتكثير المسايل بادلتها وايراد الاسئلة باجوبتها
وتبيين الاوضاع والاصطلاحات وتبيين المذاهب والاختلافات
وسموا ما يفيد معرفة الاحكام العملية على ادلتها التفصيلية بالفقه
ومعرفة احوال الادلة اجمالا الى احادتها الاحكام باصول الفقه ومعرفة
العقايد عن ادلتها بالكلام لان عنوان مباحثه كان قولهم الكلام
في كذا اولا ما مسالة الكلام كان اشهر مباحثه واكثرها نزاعا
وجدالا حتى ان بعض المتغلبة قتل كثيرا من اهل الحق لعدم قولهم
بخلق القران اولانه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات
والزام الخصوم وكانه لمتكلف للفلسفة اولانه اول ما يجب من العلوم
التي يهتم اما تعلم وتعلم بالكلام واطلق عليه هذا الاسم لذلك
ثم خص به ولا يطلق على غيره تمييزا اولانه انما يتحقق بالمباحثة
وادارة الكلام من الجانبين وغيره قد يتحقق بالتامل ومطالعة
الكتب اولانه اكثر العلوم خلافا ونزاعا واشد افتقاره الى
الكلام مع المخالفين والرد عليهم اولقوة ادلته صار كانه هو
الكلام دون ما عداه من العلوم كما يقال للاقوى من الكلامين

شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا هو الكلام اولا بتنايه على الادلة القطعية المويد اكثرها بالأدلة
السمعية كان اشد العلوم تاثيرا في القلب وتعلقا فيه فسمي كلام
المتشقق من الكلام وهو الجرح ثم قال بعد كلام وبالجملة هو اشرف
العلوم لكونه اساس الاحكام الشرعية ورئيس العلوم الدينية
ولكون معلوماته العقايد الاسلامية وغاية الفوز بالسعادة
الدينية والدنيوية وبراهينه الحجج العقلية المويد اكثرها بالأدلة
السمعية وما نقل عن السلف من الطعن فيه والمنع عنه فانما
هو للمتعصب في الدين والقاصر عن تحصيل اليقين والقاصد
الى افساد عقايد المسلمين والخايض فيما لا يفتقر اليه من غوامض
المتفلسفين والاكيف يتصور المنع عما هو اصل الواجبات واساس
النوعيات قوله بالاحتلام اي حاصله اذ هذا الواجب
كغيره من الواجبات يشترط في وجوبه البلوغ والعقل ثم البلوغ
لكونه خفيا جعل الشرع عليه علامات احدها الاحتلام والثاني
السن واختلف فيه فقيل ثمانية عشر وقيل سبعة عشر وقيل
خمسة عشر وهو قول بن وهب والثالث الانبات وهو عبارة عن
اسوداد شعر المحل وقد اختلف فيه هل هو معتبر ام لا ففي كتاب
السرقة من المدونة وقد اصغى مالك الى الاحتلام حتى كلمته في الانبات
قال ابن القاسم احب الي ان لا يحكم بالانبات وقال يحيى بن عمر يحكم به فيما
بينه وبين الناس وهذه الثلاث العلامات مشتركة بين الذكر
والانثى وتزيد الانثى عليها بالحيض والحمل واما العقل فيطلق في
اصطلاح الفلاسفة على معان لا يحتاج لذكرها هنا ويطلق
في اصطلاح اهل العرف على صحة الفطرة وعلى كثرة التجربة
وعلى الهيئة المستحسنة للانسان في حركاته وسكناته ويختلف
المتكلمون في العقل الذي هو مناط التكليف ما هو فقال بعض
المعتزلة العقل ما يعرف به قبح القبيح وحسن الحسن وهذا ابتناء

على فساد

على فساد اصلهم ان الحسن والقبح وصف تمكن تعلقه لامر جهة الشرع وسياتي
ان شاء الله تعالى ابطاله ومنهم من قال بنا على هذا الاصل الفاسد ايضا
العقل ما يميز به خير الخيرين وشر الشرين وفيه احتراز عن البهايم
فانها وان ميزت بين الخير والشر فلا تميز بين خير الخيرين وشر الشرين
وقال الخوارج العقل ما عقل به عن الله تعالى امره ونهيه
قال الامدي في ابكار الافكار وفيه تعريف العقل بالعقل كيف ويخرج
عنه العاقل الذي لم تبلغه الدعوة من الشرع بامر ولا نهي او بلغه
غير انه لا يعقل امره ولا نهيه فانه عاقل وله عقل مع انه ما عقل
امر الله تعالى ولا نهيه واما اهل السنة فمنهم من قال ان العقل
هو العلم ولذا يقال لمن علم شيا عقله ولمن عقل شيا علمه وهو اختيار
الاستاذ ابي اسحاق الاسفراني قال الامدي اي وهو غير سديد فانه
اذا اراد به كل علم لزم ان لا يكون عاقلا من فاته بعض العلوم وان
اراد بعض العلوم فهو من التعريف المجهول وما ذكره من الاستدلال
غير صحيح لجواز ان يكون العلم مغايرا للعقل وهما متلازمان ومنهم
من قال انه غريزة يتوصل بها الى المعرفة فان اراد بالغريزة العلم لزمه
ما لزم الاول وان اراد بها غير العلم فقد لا نسلم وجود امر من وراء العلم
يتوصل به الى المعرفة وهو ما تقدم الدلالة عليه والذي اختاره
القاضي وتبعه امام الحرمين ان العقل بعض العلوم الضرورية
كالعلم باستحالة اجتماع الضدين ونحو لا واسطة بين النفي والاثبات
وان الموجود لا يخرج عن ان يكون قديما او حادثا وقد احتج امام الحرمين
على صحة اختيار القاضي بطريقة جامعة مانعة عنده فقال
العقل موجود اذ لو كان نعم نفيا محظ لما اختص به ذات دون
ذات واذا كان موجودا فاما ان يكون قديما او حادثا لا جايز ان
يكون قديما اذ لا قديم غير الله تعالى وصفاته كما هو معلوم في مسالة
حدوث العالم ولا وجود للاله ولا لشيء من صفاته في شيء من المحدثات

شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا يجب كون شيء منها عاقلا فان حكم الذات لا يكون ثابتا الا بما قام بها وعلى هذا
فقد بطل قول الحشوية بان العقل قديم واذ تقرر ان يكون حادثا فهو اما
جوهر او عرض لا جايز ان يكون جوهرا اذ الجواهر متماثلة فلو كان بعض
الجواهر عقلا لكان كل جوهر عقلا لان ما ثبت لاحد المثلين ثبت
للاخر وايضا لو كان جوهرا لما ثبت به للعاقل حكم لان الاحكام انما
تثبت للجواهر لا بها واذ كان عرضا فلا يمكن ان يكون عبارة عن
مجموع الاعراض فاذا هو بعض الاعراض فاما ان يكون من العلوم
او من غيرها لا جايز ان يكون من غير العلوم والا لصلح ان يتصف
بالعقل من لم يعلم شيئا كيف وما من شيء من اجناس الاعراض الا ويمكن
تقدير العقل مع عدمه ما عدا العلوم وما يضحها واذا كان
من العلوم فلا جايز ان يكون كل العلوم لاتصاف الانسان بالعقل
مع تقريه عن معظمها واذا كان بعض العلوم فاما ان يكون ضروريا او نظريا
اذ العقل شرط في العلم النظري فلو كان العقل نظريا لكان دورا ايضا
فقد يتصف بالعقل من لم ينظر ولم يستدل ايضا واذا كان ضروريا
فلا يمكن ان يكون مجموع العلوم الضرورية فان العلم بالمحسوسات
من جملتها وقد يتصف بالعقل من لم يدرك شيئا منها فاذا هو بعض
العلوم الضرورية وهو كل علم ضروري يمتنع خلو الموصوف
بالعقل منه ولا يشاركه فيه من ليس بعاقل كالعلم بان النفي والاثبات
لا يجتمعان واذ الموجود لا يخرج عن كونه قديما او حادثا ونحوه
وعلى هذا اما امكن الاتصاف بالعقل دونه ولو في حالة ما قلا
مدخل له في مسمى العقل كالعلوم العادية ونحوها لجواز تغيرها

قوله غير مختبل بفتح الباء معناه غير مختبل والمختبل
في اللغة هو مختبل العقل من جن او حزن والخبل بفتح الباء الجنون
وختبله واختبله افسد عقله او عضو ووصف المولف رحمه الله تعالى
العقل بهذا الوصف ليس بتكرار بل فايدته التحرز من حمل

العقل الذي هو شرط في التكليف على غير المعنى المراد منه هنا من سايير
المعاني التي يطلق عليها بحسب الاصطلاح العرفي كالتودة وكثرة
التجربة ونحوهما فان العقل بحسب تلك المعاني لا يقال في فاقده
انه مختل بخلاف العقل الذي هو شرط التكليف فانه من فقده نسب
عرفا الى الحمق والاختبال ولا شك ان الحمق والاختبال مشهورة معانيهما
ومحالهما منضبطة عند اهل العرف فعرف المولف رحمه الله تعالى
لما فيه من الاشتراك والخفاء بذكر الضد الجلايه وشهره محاله
ولا شك ان كثيرا من المعاني انما تتبين باضدادها

بل كلما بلسان الشرع تتقبله فرض تعلمه واذ جهلت سل

يعني ان المراد في العلوم ليس خاصا بعلم التوحيد بل هو عام لكل ما
كلفنا الشرع بفعله من صلاة وصيام وزكاة وحج ونحو ذلك مما هو
كثير فيجب على المكلف ان يعلم كيفية تلك الافعال ولا تم يودي بها على
حسب ما علم وقد ظهر بهذا ان العلم هو قاعدة الاعمال واساسها
وعليه بناؤها ومنه اقتباسها وبهذا ينبيك محل شرف العلم وعظم
رتبته في الدين ومن هذا المعنى ما نقل عن سفيان بن عيينه انه سأل
عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله تعالى حين بدا به فقال فاعلم
انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال
اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم
وقال واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاتقوا الله
ما استطعتم وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه
ثم امر بالعمل بعد فقول المولف غفر الله تعالى له بل بكل اضراب انتقال عن
تخصيص الفرض بعلم التوحيد الى تعميمه بكل ما يقدم عليه شرعا

قوله فرض تعلمه واذ جهلت سل هذا التقسيم اراد به ان
المكلف اذا اراد ان يقدم على عمل لم يعلم احكامه بتفصيل فيه فان كان
ممن له قدرة على استنباط علم ما يحتاج اليه من الكتاب والسنة او كلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العلما فليبذل جهده في ذلك حتى يعلم حكم ما يحتاج اليه وحيث يفعله واذ
لم تكن فيه اهلية الاستنباط وجب ان يرجع في علم ما يحتاج اليه الى المعدول
من علما زمانه الا ان مراد المولف بالعلم المكلف به في باب التوحيد
اليقين الذي لا يحتمل النقيض بوجه ومراده بالعلم المكلف به في
باب الاعمال غلبة الظن وبالله تعالى التوفيق ∴

• فهاك نظم فصول من قواعده • من رام بالنظم حصر الكلام لم ينل •
• لعل قارئه بالنظم يحفظه • فقد حوى جملا تنبيه عن خلل •
• ومنه يفهم ما يكفيه معتقدا • فليشتغل بعد بالتكليف من عمل •

فايدة اتيان المولف رحمه الله بالفا من قوله فهاك دون الواو انه لما هز
النفوس بطلب علم التوحيد وتقدم بقوله فيما سبق وبعد فالعلم
بالتوحيد مفترض تطلبت النفوس الوجه الذي يحصل منه هذا
الفرض بسهولة فقال المولف رحمه الله ناصحا لمن اراد ذلك فهاك
نظم فصول من قواعده اي خذ وتناول ولا شك ان النظم
مما يلايم النفوس لا سيما وهذا النظم هو من اعذب بحور الشعر وهو
من بحر البسيط المبني من مستفعلن فاعلن ومثلها لانه متمن الدايرة
وهذا النظم هو من عروضه الاولى وضربها الاول وهما محفوفان حذف
منهما الثاني الساكن وهو الف فاعلن فصار فعلن وقافيته مطلقة
من المتراكب لان فعلن تليه بعد الحبن ثلاثة احرف متحركة بعدها ساكن
وهي فاصلة صغرى وساير احكامه مقررة في فن العروض قوله
من رام بالنظم حصر الكلام لم ينل هذا اعتذار منه رضي الله عنه
من عدم استغنايه في هذا النظم جميع قواعد علم التوحيد لان من في
قوله من قواعده للتبعيض وذلك لا يستلزم عدم الاستغنا
ولا شك ان البعض الذي ضمنه هذا النظم هو الضروري المفترض
على الاعيان ولم يترك الا ما ليس بفرض اصلا او هو فرض على الكفاية
وعلى هذا فالضمير في قوله من قواعده يعود على علم التوحيد المطلق لا

المقيد بكونه فرضا على الاعيان لان الظاهر انه لم يخل شيء هذا ان جعلت
من في قوله من قواعده للتبعيض واما ان جعلتها لبيان الجنس وكون
اعتذاره انما هو عن عدم استيفا الجزييات الداخلة تحت القواعد
لا عن عدم استيفايه قواعد علم التوحيد المفترض فلك حينئذ ان تعيد
الضمير من قواعده على علم التوحيد المقيد بكونه فرضا قوله
لعل قارئه بالنظم يحفظه هذا اعتذار اخر عن توجه سوال اقتضاه
الكلام السابق وحاصله انه لما اعتذر عن عدم استيفايه قواعد
الفن وجزييات قواعده على حسب ما قد مناه من الوجهين بان
النظم لا يتيسر معه ذلك توجه عليه عند ذلك سوال بانه اذا كان
المانع لك من الاستيفا النظم فما بالك ارتكبته ولم تركته الذي
تيسر معه جميع اغراض المتكلم فاجاب رضي الله عنه
بانه انما ترك النثر ايثارا لتحصيل النفع وحرصا على تسهيل الخير
لما رجى من حفظ قاريه له بسبب النظم الملايم للنفوس فيحصل بذلك
جميع ما فرض عليه من قواعد التوحيد والا فانا ان هذا اغرض حسن
وتصحيح بالقد اذ المقصود انما هو وضع ما يعين على احراز ذخاير
العلوم لا ايداعها في كثرة الاوراق على وجه يعسر معه الغرض منها
وكمال النفع بها حفظا وفهما هو غاية الامل المحبوب ولا شك ان
النظم اسير شيء للحفظ والحفظ اعون شيء على الفهم واحفظ لدوام
الذكر وانور الباطن لاسراجه بسراج العلم ولقد كثر الناس في مدح
الحفظ والحض عليه وذم الانكار على مجرد الكتب ولقد احسن
من قال في هذا المعنى ابياتا

∴ ✻ ❜ ✻ ∴

∴ عليك بالحفظ بعد الجمع في كتب ∴ فان للكتب افاتا تفرقها ∴
∴ الماء يفرقها والنار يحرقها ∴ والفار يخرقها واللص يسرقها ∴

شبكة الألوكة www.alukah.net

والضمير المضاف اليه من قول المولف رحمه الله قادئه الظاهر عوده على
نظم بمعنى المنظوم وفي قوله فهاك بنظم والباقي قوله بالنظم سببية
تتعلق بالفعل بعدها ويحتمل ان يعود الضمير في قوله قاريه على
علم التوحيد كما عاد عليه الضمير من قواعده والالف واللام
في من قوله بالنظم يحتمل ان تكون للعهد الذكري والمعهود النظم
الذي امر بتناوله في قوله فهاك نظم فصول ويحتمل ان تكون
للحقيقة والله تعالى اعلم فقد حوى جملا تنبيه على جعل هذا الكلام
يحتمل ان يكون مرتبا على قوله فهاك نظم فصول فتكون الفاء دخلت
على السبب الباعث على ما امر به من تناول هذا النظم وعلى الاغتباط
بتحصيله فكانه رضي الله تعالى عنه قال تناول هذا النظم
وخذه واغتبط به فقد حوى اي جمع بحسب دلالة التضمن والمطابقة
مما يحتاج اليه من علم التوحيد جملا كثيرة عظيمة القدر تنبئ بحصرها حفظا
وفهما بحسب دلالة الاشارة والالتزام على جمل اخر كثيرة عظيمة
القدر فالتنكير في جمل من الموصفين للتكثير والتعظيم على احد
قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك قوله
وسنه يفهم ما يكفيه معتقد اهذا امنه نفعه الله تعالى وبلغه
قصده بترغيب احر على سبيل النصيحة في تناول هذا النظم
فذكر انه محتو على ما تحصيله حفظا وفهما يوجب الاكتفاء به
فيما فرض من علم التوحيد اذ لم يترك فرض من علم التوحيد الا ما ليس
تحصيله فرضا على الاعيان وفيه ايضا احتراس عما يتوهم من قوله
من رام بالنظم حصر الكلام ينال انه اخل في هذا النظم ببعض ما يجب
تعليمه من علم التوحيد فرفع ذلك الوهم بهذا الكلام المولف
بفتح القاف اسم مصدر بمعنى اعتقاد ونصه على التمييز المنقول

من

من الفاعل اي ما يكفيه اعتقاده قوله فليشتغل بعد بالتكليف من عمل
هذا الكلام مرتب على قوله ومنه يفهم ما يكفيه والفاء جواب لشرط
محذوف تقديره فاذا حصل قاريه ما يكفيه اعتقاده فليشتغل
بعده بالتكليف اي بعلم المكلف به على حذف المضاف والتكليف
في لفظه بمعنى المكلف بدليل بيانه له بقوله من عمل الاذ من هنا
لبيان الجنس واستعمال المصدر بمعنى المفعول به جاء في اللسان
شايع كعكسه فمن الاول هذا الدرهم ضرب الامير اي مضروبه
ومنه قوله تعالى هذا خلق الله اي مخلوقه ومن الثاني ابا كل المفتون
اي الفتنة واسأل في نفع الجميع به اذ لا يضيع فضل كل ذي امل
قدم المولف اجاب الله تعالى دعاءه المعمول للاذ بالحضرة ودعاء
اقتضى اخلاص الوجهة الى الله تعالى بقطع التشوف في نيل الغرض
المطلوب عن كل ما سواه ونودعا مرجوا القبول بفضل الله تعالى
واراد بالجميع نفسه وقاريه ونفسه وقاريه وغيرهما من ناظر وسمع
ونحوهما ولهذا افتتح المصانيع بالنون الموذنة بالاشتراك في هذا
الدعاء ويحتمل ان تكون النون للعظمة لا على طريق التعظيم والكبر
المنهي عنه بل على طريق الاستشفاع الى المولى الكريم جل وعلا بكرمه
السابغة واحسن ما يستشفع به الى الكريم في نالة النعم المتجددة ما تفضل
به من النعم السابقة فكانه يقول اسال الله الذي عظمني بما لا اطيق
نيله بنفسي ولا باحد من المخلوقات الا بفضله الجاعل سبحانه
من تنوير القلب بنور الايمان الذي هو اجل النعم كلها على الجملة
والتفصيل اولا وتعليم ما شاء من علم احكامه الشرعية التي بعث
بها نبينا عليه الصلاة والسلام ثانيا ثم الطاعة سبحانه الجوارح التي
خرقتها دسكونها بيده الى العمل بما شاء من ذلك ثم لم يكلف سبحانه بهذه

النعم الجليلة مع عظمها حتى اقام في مقام اغاضب فيه انبيائه ورسله
عليهم الصلاة والسلام وهو مقام دعا الخلق الى توحيده وحمده
بما يليق بجلاله من علي الصفات وتنزيهه عما لا يليق به من النقايص
وفي السماة ومن احسن قولا ممن دعا الى الله تعالى وعمل صالحا
وقال انني من المسلمين فانظف الله سبحانه اللسانية هذه العقيدة
المباركة المحتوية على علم التوحيد ومعرفة صدق رسله على
وجه لم يمكن سه اكثر الالسنة وكم له سبحانه من نعم من هذا الجنس
ومن غيره لا يفي العد ببعض ما علم منها على مرور الازمنة +
فاسأله سبحانه بما عودني من نعمه الجليلة ان يكمل لي الفرض
بايصال النفع لي ولعباده المومنين بما انعم علي من نعمة هذا النظم
المبارك المحتوي على اشرف العلوم وافضلها ومن لي بهذه النعمة
الجليلة لولا فضله وكرمه قوله اذ لا يضيع فضل كل ذي
امل هذا منه بلغه الله تعالى امله حسن الظن بالمولى الكريم وتقوية
لرجاينل ما طلب منه وقد قال جل وعلا انا عند ظن عبدي بي فليظن
ما شاء وذكر المولف فضلا للتعظيم ونصبه على المفعول من اجله
واتى به احترازا على اذ يتوهم من قوله اذ لا يضيع الخ ان احابته
تعالى لمن يجيبه حتم عليه فنبه على اذ ذلك محض فضله جل وعلا
اذ لا يجب عليه تعالى فعل من الافعال فكل نعمة منه فضل وكل نقمة
منه عدل لا يسال عما يفعل فتبارك الله رب العالمين والظاهر ان كل
ذي امل مفعول يضيع على حذف مضاف اي امل كل ذي امل والله
تعالى اعلم **فصل في بيان حكم التقليد في قواعد التوحيد**
التقليد هو اخذ من قول الغير بغير دليل فيخرج منه اخذ ما اتى
به الرسول عليه الصلاة والسلام بعد ما عرف الاخذ الله تعالى

وعرف

وعرف بالدليل صدق الرسل

قد انكر البعض تقليدا بلا نظر ... ولا دليل على التوحيد لم يقل
وقيل يكفي وبعض الناس رجحه ... وقيل ذو الغرم عاص غير ممتثل
وقيل ان قلد القرآن صح له ... مقلد الحق ذو حق بلا هزل
وقيل لا ادري هذا التوقف له ... على الدلالة بالتصديق للرسل

حاصل ما ذكر في التقليد في اصول العقايد اربعة اقوال الاول انه
لا يصح فيها التقليد وهو مذهب الجمهور وبعضهم يحكي الاجماع
عليه ودليل هذا القول انا مكلفون بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسله
وما يحصل للمقلد لا يسمى علما ولا معرفة اذ المعرفة والعلم بمعنى
واحد وهو الجزم الذي لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه والمعتقد
التقليدي يحتمل النقيض والتزلزل عند تشكيك وقد كثر
في الكتاب والسنة الامر بالتفكر والنظر فيما يحصل المعرفة بالله
تعالى وكثر ذم من قلد في اصول الدين اباءه او غيرهم ولهذا
قال الاستاذ ابو اسحاق رضي الله تعالى عنه لا بد للمكلف
في كل عقيدة من عقايد الايمان من دليل واحد فاكثر وحديث
ما ثبت من عذاب القبر في حق من اجاب فيما سئل عنه من عقايد
الايمان بقوله لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته دليل
ايضا على وجوب المعرفة في الايمان وتحريم الاكتفاء فيه بالتقليد
وهذا القول هو الذي رجحه اكثر ائمة اهل السنة كامام الحرمين
والشيخ الاشعري والقاضي والاستاذ زاد القاضي بان التقليد
لا يصح اذ يومر به بدلالة السبر العقلي لانه اما اذ يومر المكلف
بتقليد من شاء او ممن يغلب على ظنه ان الحق معه او مبني هو على
الحق عند الله تعالى والاقسام الثلاثة باطلة اما الاول والثاني
فلانه يودي الى صحة تقليد عامة الكفار والمبتدعة لاخبارهم
واما الثالث فلانه لا يعرف من على الحق عند الله تعالى الا بعد النظر

شبكة الألوكة www.alukah.net

الصحيح واذا عرف الحق بالنظر الصحيح استغنى عن التقليد فيبطل
بذلك ما يحتج به المقلد فيه اصلا القول الثاني من الاقوال الاربعة
ان التقليد الجازم المطابق في عقايد الايمان كاف وان كان عريا عن
الدليل وقد رجح هذا القول ابن رشد وزاد ان النظر مستحب لا واجب
وما اليه حجة الاسلام الغزالي والشيخ ابو الحسن الاشعري رحمه الله تعالى وابي
جمرة القول الثالث الفرق بين من فيه قابلية لفهم النظر فيحرم
عليه التقليد ويجب عليه النظر الصحيح فان تركه كان عاصيا
وبين من لا قابلية فيه لفهم النظر فهذا لا يجب عليه النظر ويكفيه
التقليد لان ايجاب النظر على من لا قابلية فيه لفهمه من باب
تكليف ما لا يطاق وقد رفعه الله تعالى بفضله عن هذه الامة
فقال قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقد مال الى هذا
القول جماعة من ائمة اهل السنة القول الخامس الفرق في ما يستند
اليه المقلد بين ان يكون مامون الخطا كالقرآن فانه لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وفي معناه الرسول عليه الصلاة
والسلام فانه مامون من الخطا للعصمة الواجبة فهذا يصح تقليده
اذ الاستناد اليه يوجب الوصول الى الحق القطعي ما توجبه
البرهان العقلي وبين ان يكون غير مامون الخطا كاحد العلماء فهذا
لا يصح الاستناد اليه في العقايد بل لا بد من النظر الصحيح لعدم
الامن على عقايده اذا استند فيها اليهم من الخطا والبدعة بل ومن
الكفر الصريح لعدم وجوب العصمة لاحاد العلماء من الخطائي
اقوالهم وافعالهم وهذا القول ضعيف جدا لانه لا يعرف
حقيقة القرآن والرسول ليقلدهما الا بعد النظر الصحيح المبلغ
الى معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وذلك مناف للتقليد
وايضا ففي القرآن واقوال الرسول من الظواهر في اصول العقايد
ما يجب صرفه عن ظاهره والبقاء فيه على الظاهر يوجب التجسيم

والتشريك

والتشريك وانواعا من البدع والكفر والعياذ بالله تعالى ولا يعرف
صرف تلك الاقوال عن ظاهرها الا بالنظر الصحيح فاذ الاستناد
في عقايد التوحيد الى التقليد المحض لظواهر الكتاب والسنة
لا يأمن من فيه من الخطا والبدعة والكفر كما لا يأمن من ذلك في الاستناد
الى احاد العلماء فبطل اذن هذا التفريق الذي سلكه هذا
القايل وقد عزا هذا القول ابن دهاق الى الحشوية طايفة من
المبتدعة والى تضعيف هذا القول اشار المولف رحمه الله تعالى
بقوله وقيل لا اذ يرى الخ والى القول الاول اشار المولف بقوله
قد انكر البعض تقليد ابلا نظر واشار بقوله ولا دليل على التوحيد
لم يقل الى جواب عن سوال يرد على هذا القول وهو ان يقال اذا كان
التقليد منكرا والنظر لا بد منه تعذر تحصيل هذا الواجب على
اكثر الناس لعسر النظر القويم عليهم والشريعة السمحة تقضي بخلاف
ذلك قال الله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال لا يكلف الله
نفسا الا وسعها وربما توهم ان هذا القول يودي الى تكليف ما لا
يطاق في حق كثير من الناس ولذلك عسر النظر القويم على الاكثر ما كان
فيه الناس قبل بعث نبينا عليه الصلاة والسلام فانهم مع كثرتهم
ووجود كثير من ارباب العقول في ذلك الزمان كانوا غلا سفلة
القايمين بعلوم المنطق وتحرير الادلة والخوض في دقايق تلك العلوم
كثير لم يهتدوا الى الحق ولم يعرفوه بل ضل اكثرهم وعبد غير الله تعالى
والحد في ذاته وصفاته وقال بما لا يرضى ان يقوله عاقل من
الهذيان فاجاب المولف رحمه عن هذا السوال بانه لا عسر في النظر
على هذا القول الا لو كانت الادلة على عقايد التوحيد لم يبينها
الشرع غاية البيان وكلف العقل ان يهتدي اليها وحدها كيف وما من
دليل من ادلة عقايد التوحيد الا وهو منقول مبين في الكتاب
والسنة باوجه من البيان متكاثرة بحيث يستوي في فهمها النبي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والغبي والقوي والضعيف فلا عذر لاحد اذا ترك النظر الواجب
لسهولته على كل عاقل اعظم سهولة فهذا معنى قول المولف ادام الله
النفع به ولا دليل على التوحيد لم يقل فلا في كلامه لنفي الجنس ودليل
اسمها مبني معها على الفتح ولا يصح عاطفة ودليل مخفوضا معطوفا
على نظر لفساد المعنى حج وايا يكلف له ما يصح ادى الى التطويل
مع فوات النكتة التي اشرنا وما احسنها من نكتة وان اكثر
الناس اذا سمع الامر بالنظر في ادلة التوحيد تقاعس واعتذر
بالعذر الكاذب وهو ان النظر في ذلك عسير بحيث كاد الاعمى
يراها ولا سابقة القضا والعقد فان قلت اذا كان
الرجوع في ادلة التوحيد الى المنقول منها في الكتاب والسنة
ونحوهما كما ذكر ذلك عين التقليد لتقيد المكلف في ذلك باقوال
الغير وصار هذا القول الرابع الذي يقول بتقليد القرآن
دون غيره قلت سأضرب عليك مثلا يتبين لك به
الفرق بين هذا القول والقول الرابع وذلك انا لو فرضنا عالما
عارفا بالنجوم والهيئة نظر في اول ليلة من الشهر فعرف من
علم النجوم مقدار بعد الهلال من الشمس وفي اي موضع هو
فيه فنظر اليه وهو في غاية الخفا بحيث لولا معرفته بالعلم اللايق
به لم يره فجا بعد ذلك من ليس بعارف بعلم النجوم فاخذ يبحث
بنظره على الهلال على غير استقامة لعدم معرفته بالموضع
الخاص بالهلال حتى يقصده فيه الرؤية فلا شك ان مثل هذا
يعسر عليه الاطلاع على الهلال والغالب انه يخبط خبط عشوا
بلا فايدة فلو لا ذهب هذا الجاهل الى ذلك العارف الذي راى
الهلال بعينه ليكتب منه علم رويته فلا يخلو احاله من وجهين
الاول ان يكتفي باخبار ذلك العارف له بان الهلال قد ظهر وانه
راه ببصره ولا يزيد بانه سأله ان يرى ببصره ما راي فلا شك ان

هذا

ان هذا مقلد في ظهور الهلال لذلك العارف ولا يصدق عليه انه
عالم بظهوره ولهذا لو سئل عن ظهور الهلال تلك الليلة لكان
جوابه ان يقول سمعت فلانا العارف يقول انه قد ظهر ولا علم
عندي بتحقق ما ذكر وغاية امره اني اجزم بما ذكره هذا العارف لتقتي
بمعرفته وعدالته الوجه الثاني ان لا يكتفي بمجرد اخبار ذلك
العارف بظهور الهلال بل يريد ان يسأله ان يرى ببصره ما راه
فاراه العارف الموضع الخاص بالهلال فراه رؤية واضحة
بلا تعب وانكشف له من ظهور الهلال بالمعاينة ما انكشف
للعارف فلا شك ان هذا وان استند في الرؤية يدل الى العارف
فلا يصح ان يقال مقلد في ظهور الهلال للعارف بل هو مشارك
له في العلم الضروري بذلك ولهذا لو سئل هذا عن ظهور الهلال
تلك الليلة لم يصح ان يجيب بمثل ما اجاب به الاول فيقول كذا قال
فلان العارف بل يجيب بانه قد راه وتحققه وعلمه علم يقين وجوابه
انه كجواب العارف لو سئل عن ذلك سواء والفرق بين هذين
الوجهين يتبين لك الفرق بين ما ذكر في القول الاول
وبين القول الرابع فاذا عرفت هذا فنظير البصر البصيرة فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ونظير الموانع
من السما التي تبصر فيها الادلة التوحيد البرهانية فان من
نظر فيها ببصيرة لاحت له منها ادلة التوحيد مشرقة اي اشراق
والذي اخذ ينظر ببصره في اقطار السما متكلا على مجرد صحة بصره
من غير ان يلتفت الى العارف يستعين به في ذلك نظير من استعمل
ببصيرته وحده ليدرك به ادلة عقايد التوحيد الخفية التي
كلفنا الشرع بها من غير ان يستعين في ذلك بادلة القرآن والسنة
وما قرره علما الحق من ذلك ولا شك ان الغالب على مثل هذا
الخيبة من حاوله وان اتفق ان يصل الى غرضه فبعسر وتقريب

ونظير من اكتفى برؤية العارف عن رويته من ياخذ العقايد من القرآن
مسلمة من غير ان ينظر ببصيرته في وجه حصولها من مواضعها
التي هي براهينها المبينة بالقرآن غاية البيان والى جواز ما عليه هذا
القاصر اشار القول الرابع ونظير من بحث العارف عن موضع الدلالة
حتى راه ببصره في موضعه من بحث القرآن واحد من علماء الحق حتى
اراه موضع كل عقيدة من براهينها فراها فيها مجلوة واضحة في
غاية الوضوح والى هذه الحالة اشار المولف في القول الاول
فقد بان لك الفرق بين الاول والرابع ولا خفاء لكل عاقل ان هذا
الذي ابصر ببصيرة العقايد من براهينها عارف متيقن وليس
وليس بمقلد وان كان انما اهتدى الى البراهين التي ابصر منها
اهلة بعقايد التوحيد بما سمع منها في القرآن ولم يبصرها بالبصرة
في مواضعها من براهينها التي يهتدي اليها بالقرآن ايضا كان يكتفي
في توحيده تعالى بقوله عز وجل ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق
كل شيء فاعبدوه وابى ان يستعمل ببصيرته حتى يرى في هذه العقيدة
العظمى نتيجة في موضعها من قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا وبنى على هذا جميع العقايد فلا شك ان هذا مقلد
وليس بعارف فقد استبان لك من هذا ان قوله المولف غفر الله له
ولا دليل على التوحيد لم يقل كما فيه الجواب عن سؤال مقدر على ما قررناه
اولا فيه ايضا تسهيل الطريق والارشاد الى ما يخرج به المكلف عن
التقليد بسهولة وهو الانتقال الى فهم الادلة المعقولة المعزوة منها
في القرآن العزيز ونحوه وبالله التوفيق

ثم الخلاف انما لم يكن بينا ... يقضوا مقلده منهما يميل بما
لانه من لم تكن قطعا عقيدته ... على شفا جرف هار من الخطل
لان توحيدنا اصل النجاة غدا ... وعند من قد مضى من مسلم الملل
فلا يليق بنا الا اليقين به ... على سبيل الهدى لا غير من سبل

يعني

يعني ان بعض المشايخ قيد الخلاف السابق في التقليد بان يكون مع كونه
مطابقا للحق جزما واطمانينة نفس بحيث لو فرض ان من قلده هذا
المقلد من اهل الحق رجع عما قلده فيه لم يرجع ذلك المقلد برجوعه
بل يثبت هو على الحق الذي قلده فيه واما لو كان لا طمانينة معه في
تلك العقايد التي قلد فيها بل هو فيها على حالة لو رجع من قلده
فيها الى شيء اخر ولو الى الكفر الصريح والعياذ بالله رجع برجوعه
فهذا لا يجري الخلاف في عدم الاعتداد بتقليده وايمانه غير
معتد به اتفاقا ولا شك ان الغالب من حال المقلد المحض هذه
الحالة الثانية وهي الرجوع برجوع مقلده والثبات بثباته وقل
ان تتفق الحالة الاولى الا لمن سما عن درجة التقليد المحض الى
فهم بعض الافكار الصحيحة الجميلة التي تطمئن معها النفوس والحجة
وطريق التقليد المحض طريق وعر مظلم لا ينبغي بذي همة يحتاط
لدينه ويرحم نفسه ان يسلكه فانه طريق غير مامون في الحال ولا في
العاقبة نسالة سبحانه الهداية الى حسن النظر في جميع امورنا والثبات
على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة بفضله واحسانه
قوله لان من لم تكن قطعا عقيدته اشار بهذا الى سبب طرح
هذا التقليد الذي لا ثبات معه بل يرجع المقلد برجوع مقلده
كونه لا جزم معه بحقه ولا قطع في العقايد بل قلبه متزلزل فيها وعقايد
الايمان لا بد فيها من القطع قال تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا
وقوله على شفا جرف هار تمثيل لحال هذا المتزلزل الذي لا ثبات معه
فكانه على طرف الايمان وشفا جرف الكفر ان يحال من كان على حرف جرف
متداع للسقوط فهو بصدد ان ينهار به ويهلك هلاكا لا احر له وقوله
لان توحيدنا اصل النجاة غدا الى اخره هذا من المولف غفر الله له تعالى
عنى استدلال طالب القطع في عقايد التوحيد وعدم الاكتفاء فيها
بالظن ولا بالاعتقاد الذي ليس بثبات كما يكتفي به هذين في فروع

الشريعة واشار بهذا الكلام الى قاعدة معروفة عند العلماء وهي ان كل
ما هو من معالي الامور فانه لا ينال بالطرق السهلة يريد وذا درك
المعالي رخيصة ولابد دون الشهد من ابر النحل ولفظ الشيخ الامام
ابي عبد الله محمد بن احمد المقري فيها في كتاب البيوع من قواعده الاصولية
قاعدة شاذ العظيم ان لا يحصل بالطرق السهلة ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة بالمكاره فاذا اشرف الشيء في نظر الشرع كثرت شروطه وتشدد
في تحصيله كالنكاح لما كان سببا للاعفاف والتناسل والتواصل
والتناسب وتذكرة للذة التمتع في دار الخلود الى غير ذلك من
فوايده شرط الصداق والولي والبينة في العقد والدخول
والاشهار بخلاف البيع وكالنقدين لما كانا مناط الاعواض ورؤوس
الاموال وقيم المتلفات منع بيع واحد منهما نسيئة من جنسه ولا بالاخر
ولا بجنس باكثر منه بخلاف العروض وكالطعام لما كان حافظا لجنس
الحيوان وبه قوام بنية الانسان المخلوق لعبادة الرحمن فيه يستقيم
على العادة ويستعين على العبادة ويسعى في اسباب تحصيل السعادة
لم يبع قبل قبضه ولا بطعام نسيئة ولا بما كان اصلا في ذلك منه
بجنسه متفاضلا قال القرافي وعلى هذه القاعدة صنع ومتحمل
يتخرج اكثر مسايل المقاصة في الديون اه قلت ويقتضي
هذه القاعدة النفيسة اجاب بعض شيوخنا رحمه الله تعالى عن اشكال
وجه الى بلد فانه تلزمه ان من مازونة وحاصله ان الفقها
شترطون في كون الزكاة مبيحة للحيوان المأكول النية واذا لو ضرب
بالة الذبح حيوانا مأكولا بغير نية الذكاة فاتفق ان صادف
بذلك الضرب محل الذبح وحصل منه في ذلك الحيوان صورة الذكاة
الشرعية من غير قصد اليها لكان ميتة لا يحل اكله ووجه الاشكال
فيه ان الفقها قسموا الافعال باعتبار طلب النية وعدمه الى
ثلاثة اقسام فقالوا ان الفعل اذا تمحض للتعبد وجبت فيه النية

باتفاق

باتفاق كالصلاة واذا تمحض للمعقولية لم تجب فيه النية باتفاق كقضا
الدين واذا كانت فيه شايبتان كالزكاة والوضوء فيه احتياجه الى النية
خلاف ولا خفا ان فعل الزكاة متمحض للمعقولية لانهم يعللون اما باسقاط
النفس بسرعة او باستخراج الفضلة المحرمة ولم يقل احد منهم ان
الزكاة متمحضة للتعبد فيأتي على هذا ان لا تجب فيه النية باتفاق
كيف والاتفاق على طلب النية فيها فاجاب بعض شيوخنا
على هذا الاشكال بان محل تقسيم الفقها السابق انما هو باعتبار نية
الامتثال للطلب ومطلق النية بمعنى قولهم ان ما كان معقول
المعنى لا تجب الزكاة النية باتفاق لا تجب فيه نية الامتثال
والقربة والنية الواجبة في الزكاة خارجة عن هذا المعنى
اذ هو بمعنى مطلق القصد الى هذا الفعل فلما بلغ هذا الجواب
الى السايل وجه سوال اخر بان هذا الفعل المباح الذي عقل معناه
جعل اقوى من الواجب الذي عقل معناه فاذا اداء الدين وطهارة الثوب
مثلا تحصل براءة الذمة منها واذا لم يقصد الى فعلهما اصلا وهما
واجبان اذ لو قصد بغسله الثوب ازالة وسخ تعلق به مثلا
فاتفق ازالة مع ذلك نجاسة كانت في الثوب ولم يقصد زوالها
لصح ذلك منه ولم يطلب بغسل اخر فقد اجزا في هذا الفعل الاتفاق
والزكاة المباحة لا يجزى فيها الفعل الاتفاقي فاذا مراده في التقسيم
ان ما كان معقول المعنى لا نية فيه باتفاق العموم في النية كانت
نية امتثال او غيرها وتخصيص العموم بالبعض على خلاف
الاصل فاجاب عند ذلك بعض شيوخنا رحمهم الله تعالى بمقتضى
القاعدة السابقة فقال ما معناه لا شك ان مقتضى الاصل
في الزكاة ما ذكر ثم من عدم افتقارها الى النية اصلا لكن انما عدل
فيها عن الاصل واوجب الشرع فيها النية لاجل تعظيم ذلك الحيوان

الماكول والاعتبار به اذ هو مشارك للانسان الذي يباح له في جنسه الاقرب
وهو الحيوان فضلا تلافه لمنفعة الانسان من الامور العظام التي ثمانها
ان لا تنال بسهولة فلهذا ضيق الشرع في استباحة اكله وجعله لا ينال
الا بوجه مخصوص ليستشعر العبد تعظيم الشرع له واعتناءه به فيتحرز
من العبث به وقتله كنوما اتفق ويحسن القتله فيه وليحمله ذلك
على شكر هذه النعمة العظمى من حيث ان هذا الحيوان وان كان عظيما
عند الله سبحانه وتعالى معتنا به فمع ذلك اجاز سبحانه اتلافه
لنفع الانسان فيدوب العبد عند استشعاره هذا المعنى جلاء
من المولى الكريم جل وعلا ويظهر في قلبه ولسانه وسايراركانه
تشكر هذه النعمة العظمى ان كان فيه شيء من الحرية واذا عرفت هذا
فقوله المولف رحمه الله تعالى لانا نقيد نا اصل النجاة غدا الخ
قوله فلا يليق بنا الا اليقين به اشارة الى هذا المعنى يعني
ان التوحيد واراد به الايمان الذي هو علم ما يجب في حق الله تعالى
وما يستحيل وما يجوز ومثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة
والسلام لما جعله الله تعالى امارة على امر عظيم متناه في الشرف
وهو الفوز بالخلود في الجنان والتنعم فيها بانواع المأكول والمشروب
والحور والولدان الى غير ذلك مما لم يخطر ببال على قلب بشر ولا ابصرته
عين ولا سمعته الاذان واعظم من ذلك مشاهدة مالك الملك
المختص بالجلال والجمال المولى الكريم المنعم بجميع النعم الظاهرة والباطنة
الرحيم الرحمن وبالسلامة من غضبه تعالى الذي لا طاقة لاحد به
الذي من جملة انواع عذابه ومجاورة اعدايه في طبقات النيران
وجب ان يكون التوحيد الموصل الى ما ذكر اجلا الامور العظام واد
لاشرف فوق شرفه وذلك موجب للاعتناء به في غاية الاعتنا
على ما هو المستقر في النفوس العظيم انه لا ينال بالطرق السهلة فكيف

بما هو

بما هو اعظم من كل عظيم وهو اصل كل سعادة فلا يكفي اذا فيه الظن
الذي يكفي مثله في فروع الشريعة كما قال تعالى ان الظن لا يغني من
الحق شيا ولا يكفي ايضا فيه الاعتقاد التقليدي الذي ليس معه انشراح
الصدر ولا مخالطة بشاشة الايمان للقلب بحيث صار صاحبه امعة
تابعا للناس ان تبعوا على الايمان بالمولى الكريم نعمت معهم وان رجعوا
رجع معهم بل لا بد في نيله لما علم من عظيم شرفه من الجزم وطمانينة النفس
وانشراح الصدر لذوق مطاعم الشريعة التي لا صبر عليها لكل عاقل ذي
همة او نفس ابية وهذا معنى قوله على سبيل الهدى اي لا يليق به
الا اليقين في حال كونه على سبيل الهدى وهو انشراح الصدر لنور
الايمان ومخالطة بشاشته للقلوب كما قال تعالى فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام فجعل سبحانه وتعالى امارة الهداية
وطريقها انشاح الصدر لما خالطه نور الايمان وقال تعالى هذه سبيلي
ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني فجعل سبحانه سبيل نبيه عليه
الصلاة والسلام وسبيل من اتبعه الدعا الى دينه على بصيرة ولا معنى
للبصيرة في الدين الا كون القلب ابصر من براهينه وقوله وعند من قد
مضى من مسلمي الملل فيه حذف تقديره اصل النجاة عندنا وعند
من مضى وحاصله ان يقول اجتمعت الملل كلها ملتنا وسايرالملل على انه لا نجاة في الاخرة الا بالتوحيد وبالله تعالى التوفيق

فسأل الله فيضا من هدايته من لم ينله الهدى لم ينج من زلل

اشار بهذا الكلام الى تحقيق مذهب اهل السنة في ان الهداية وحصول
المعرفة في القلب انما هو بمحض خلق الله تعالى وتفضله بذلك وان
النظر الصحيح لا اثر له في حصول المعرفة اصلا بل الله سبحانه هو
الخالق للنظر وللعلم الحاصل بلا واسطة وهو القادر سبحانه
ان يخلق كل علم بلا نظر يسبق لجميع ما اتفق عليه اهل الحق وانما

اختلفوا في عكس هذا وهو خلق النظر الصحيح بدون خلق العلم عقيبه والفرض
ان الناظر ذاكر لنظره ولم يعقب نظره آفة تضاد النظر من نوم وغفلة ونحوهما فقال
القاضي وامام الحرمين لا يمكن ذلك وجعلا التلازم بين النظر الصحيح والعلم
بعده عقليا كالجوهر مع العرض وان كان لا اثر لاحدهما في الاخر وان كلا منهما مخلوق
لله تعالى بلا واسطة وقال الشيخ ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه ذلك ممكن وجعل
وجود العلم بعد النظر الصحيح انما هو عادي فقط لا عقلي ولو خرق الله
تعالى العادة لصح ان يوجد نظر صحيح تام ثم لا يخلو العلم بعده مع نفي الآفات
كلها فانما يجب الرجوع في الهداية والمعرفة الى الله تعالى اذ لا خالق لهما سواه جل
وعلا ولا اثر لقدرة الناظر ولا للنظرة في شيء من ذلك على كل مذهب فلهذا قال
المولف فرض من لم ينله الهدى اي لم ينج من ذلك اي لم ينج لا بقدرته ولا بنظره
اذ لا اثر لهما في شيء اصلا ولا شريك مع مولانا جل وعز في خلق كل كائن
جملة وتفصيلا ونبه بهذا على مذهبين فاسدين ليتجنب الموفق منهما احدهما
مذهب المعتزلة قالوا ان النظر الصحيح هو الذي ولد العلم ومعنى التوليد
عندهم حدوث حادث عن مقدور بالقدرة الحادثة التي اتصف بها العبد هي
الموثرة عندهم في افعالهم اما مباشرة حركاتهم وكفاتهم الاختيارية القائمة
بذواتهم واما توليدا كالافعال التي تنشا عن هذه الحركات التي تباشرها قدرة
العباد كالحركة الحز والسهم وما يكون بعدهما من جرح وقتل ونحوهما وقالوا
في العلم النظري مثل هذا ان الناظر هو الذي حصله في الوجود بقدرته
الحادثة لكن بواسطة تحصيله النظر الصحيح بقدرته بلا واسطة
واذ مولانا جل وعز انما خلق للعباد قوة وقدرة على النظر فقط اما نفس
النظر والعلم بعده فهما من العبد بما خلق الله تعالى له من القدرة فجعلوا ان
ذلك لله تعالى رأيهم هذه القدرة المخلوقة في العباد شريكا لمولانا جل وعلا
في التاثير والاختراع واذ العباد قادرون على ان ينيلوا الهداية والمعرفة
لانفسهم تعالى عما يقولوا الظالمون علوا كبيرا المذهب الثاني للفلاسفة

ان

ان النظر الصحيح موجب للعلم اي هو العلة في حصوله على سبيل الاستقلال وهذا
المذهب مثل الذي قبله في اثبات الشريك مع مولانا جل وعلا واسناد الهداية
والعلم الى غيره الا ان الفرق بينهما ان المعتزلة نسبوا وجود العلم النظري لقدرة
العبد على طريق التولد والفلاسفة نسبوه لنظره فقط ولا فرق بين ضال
مشرك بالله تعالى وغيره فخرج لك من هذا التعريف ان في الربط الذي بين
النظر الصحيح والعلم الحاصل عقيبه اربعة مذاهب لاهل الحق احدها
مذهب القاضي وامام الحرمين ان الربط بينهما على طريق التضمن اي اللزوم العقلي بمعنى
انه ما خلق الله تعالى النظر الصحيح ولم يخلق آفة تضاده كالنوم ونحوه
فانه يلزم عقلا ان يخلق جل وعلا العلم بالمنظور فيه من غير ان يكون لقدرة
الناظر ولا لنظره الصحيح اثر في هذا العلم اصلا بل كل ذلك مخلوق لمولانا
جل وعز بلا واسطة ولا معنى للكسب والاكتساب المضاف لقدرة العبد الا كون
تلك القدرة تتعلق بما يخلق الله تعالى عندها من نظر وعلم وغيرها من
غير ان يكون لها تاثير في شيء من الافعال البتة المذهب الثاني مذهب الشيخ الاشعري ان
الربط بينهما على طريق العادة كالشبع مع الاكل اي جرت عادته سبحانه ان يخلق
العلم عند النظر الصحيح كما جرت عادته ان يخلق الشبع عند الاكل ويصح التخلف
لو خرق سبحانه العادة ومذهبان لاهل البدعة والشرك والضلال احدهما
مذهب المعتزلة ان الربط بين النظر الصحيح والعلم بطريق التوليد بمعنى
ان الناظر هو الذي حصل لنفسه العلم بقدرته التي خلق الله تعالى له
لكن بواسطة تحصيله النظر الصحيح الثاني مذهب الفلاسفة ان الربط بينهما بطريق
الايجاب بمعنى ان الناظر هو الذي حصل لنفسه العلم بمجرد نظره الصحيح
اذ هو علة مستقلة لحصوله فاضاف كل من الفريقين نور العلم والهداية
لغير جل وعلا وذلك لجهلهم وموت قلوبهم وتكذيبهم بمقتضى قوله تعالى
اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات

ليس بخارج منها وقوله عز وجل الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والادلة
على ذلك عقلية ونقلية كثيرة وفي بيت المولف هذا ايضا حث على عمايتهم في
البيت السابق وهو قوله قد انكر القوم تقليد البلا نظر اذ النظر انما طلبه هؤلاء
القوم لكونه هو الذي يوثر في حصول العلم واليقين والالم يكن لطلبه
فايدة فدفع هذا التوهم الفاسد بما ذكر في هذا البيت وفيه اشارة الى ان
فايدة طلب النظر الصحيح انما هو لاجل انه باب من ابواب الله تعالى اجرى
الله سبحانه العادة ان يخرج عنده المسببات من معروف الهداية والمعرفة وبشان
العبيد المضطرب اذا عرفوا ان من عادة الملك سيدهم اخراج المعروف
المضطر اليه من باب من ابوابه اختار هو لذلك انهم يومرون بالتوجه الى تلك
الابواب المعتادة ويدون هناك ايدي الضراعة للملك لعله يتفضل
باخراج المعروف الذي اجرى به العادة هناك ومن المعلوم قطعا ان الباب
لا اثر لها اصلا في ذلك المعروف ولا غيره وافهم مثل هذا في جميع الاسباب
العادية من اكل طعام للشبع وليس ثوب للستر ونزول مطر للنبات
وتقريب نار لنضج طعام ونحو ذلك مما لا ينحصر كل ذلك لا اثر له في شيء
مما قارنه لا بطبعه ولا بقوة اوسر اودع فيه كما يعتقده كثير ممن ضل
واشرك وابتدع وانما تلك الامور امارات وابواب يقضها سبحانه وتعالى
بمحض اختياره لما شاء ان يخلق عندها وقصد تلقيها قصد الله تعالى
ان يخرج لنا من المعروف ما عودنا اخراجه عندها وليس لها في شيء البتة
فاحسن تدبر هذا الفصل فقد ضل فيه اكثر من ينتمي الى الاسلام والسنة
بزعمه فضلا عن غيره قال ابن دهاقه في شرح الارشاد عند ما تكلم على
الاسباب للعادية وقد تبع الفيلسوف في اعتقاد التاثير لها وفيما
قارنها اكثر عامة المومنين قال ولا اختلاف في كفر من نسب لها التاثير بطبعها
واختلف في كفر من جعل لها تاثيرا بقوة اوسر اودعه الله تعالى فيها ولو شا
لنزع تلك القوة منها ولم يجعل لها اثرا في شيء فمعتقد هذا مبتدع وفي كفره
قولان وانما الموحد السني هو الذي لم يسند لها اثرا البتة في شيء مما قارنها

لا بطبعها

لا بطبعها ولا بسر فيها اصلا وانما هي كالابواب والامارات على ما سبق تقريره وانما اطلنا
في هذا الموضع وان كان لو اختصر لكفى دون هذا من الكلام لفساد عقائد
اكثر الناس ممن يشار اليهم فضلا عن غيرهم في هذا الباب وسيأتي لهذا مزيد تقرير
في المواضع التي تليق به من هذا الكتاب وبالله التوفيق

فصل
في اول الواجبات والاستدلال بالنظر في المخلوقات

من واجب اول القصد الى نظر ✓ صحيح معنى بلا نقص ولا خلل

قال اختلف المتكلمون في اول واجب على المكلف العاقل فقال الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني
رضي الله عنه معرفة الله تعالى اذ هي اصل المعارف الدينية وعليها يتفرع وجوبكل واجب
الثاني ان النظر الموصل اليها اول واجب وهو قبلها وهو مذهب القاضي
ابي بكر رضي الثالث انه اول جزء من النظر لانه السابق في الوجود على ما
بعده الرابع ان اوله القصد الى النظر الصحيح لانه قبل النظر وغزى للقاضي
ايضا واختاره ابن فورك وامام الحرمين رضي الله عنهما ومعنى القصد الى النظر
توجيه القلب اليه بصرفه عن كل شاغل يشغل عنه ومن اعظم انواع عمارة
القلب بالدنيا في حال تعلم النظر والتفكر عن سماع الحق او تفهم ما يوصل
اليه لاحتقاره اهل السنة المنتصبين لذلك او حسدهم على ما اتاهم
الله تعالى من فضله والحياء المانع عن السوال عما يضطر اليه وفي الحديث
الصحيح لا ينال العلم مستحي ولا متكبر وبالجملة فلا ينتفع بالنظر الا من
قصده وفرغ قلبه وسمعه اليه كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد الخامس ان اول واجب التعليق السادس
اول واجب النطق بالشهادتين السابع اول واجب الشك وقال به
ابو هاشم من المعتزلة ولا يخفى ضعف هذا القول فان الشك في
وجوده تعالى وفي صفاته كفر والكفر محظور الادلة فكيف يكون
مطلوب الحصول لا سيما على اصول المعتزلة القائلين بقبح الكفر لذاته
فيستحيل عقلا على اصولهم طلبه الا ان يتاول هذا القول باد مراد قايله
منه المجاز من باب التعبير بالملزوم عن اللازم اي الواجب اول الاتي بالمكلف

بلازم الشك في امر عظيم مضطر الى معرفته وهو القصد الى تحصيله
بالنظر الصحيح فيرجع هذا القول على هذا التاويل الى القول الذي
اختاره امام الحرمين واما القول السادس فهو ضعيف ايضا لانه
ان اوجب اول النطق بالشهادتين وكان في القلب ما يضادها
من شك ونحوه فهو ايجاب للنفاق الذي هو ازدل الكفر اذ النطق
الذي لا يواطئه القلب كذب ونفاق بدليل قوله تعالى اذا جاءك
المنافقون الى قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
وان كانا انما يوجب النطق بالشهادتين بعد الجزم بمعناهما في
القلب اما تقليدا او نظرا لزم حينئذ ان لا يكون النطق اول
واجب بل تحصيل ما في القلب هو اول واجب واما القول الخامس
فهو ضعيف ايضا لان التقليد لا يحصل المعرفة الواجبة بدلالة
نصوص الكتاب والسنة وقد قدمنا دليل القاضي رضي عن ابطال
التقليد وهو قوي جدا فعليك بذكره هنا واما القول الثالث
فلا يخفى ضعفه ايضا لان جزء النظر لا يستقل بافادة المعرفة فلا
يسند اليه الوجوب على الانفراد كما لا يسند الوجوب لصوم نصف
اليوم او ربعه مثلا وكذا القول الثاني ضعيف ايضا لانه
اما ان يريد اول واجب باعتبار الواجبات التي هي مقاصد ولا شك
ان النظر ليس من المقاصد وانما هو وسيلة الى المعرفة التي هي اول المقاصد
الواجبة فكان يلزمه ان يقول اول واجب المعرفة واما ان يريد اول
واجب باعتبار ما يشتغل به المكلف وسيلة كان او مقصدا فلا شك
ان النظر ليس اولا باعتبار ذلك اذ الذي يشتغل به المكلف اولا
انما هو القصد الى النظر بتوجيه القلب اليه وتخليته عن كل ما
يشغل عنه فكان يلزمه على هذا ان يجعل اول واجب القصد الى
النظر كما اختاره امام الحرمين فلم يبق من هذه الاقوال السبعة سالما من التضعيف

سوى القول

سوى القول الاول والذي يقول اول واجب المعرفة والقول الرابع
الذي يقول اول واجب القصد الى النظر فاذا تاملت هذين
القولين وجدتهما غير مختلفين في المعنى لان احدهما اراد الاولية
باعتبار المقاصد فلهذا قال اول واجب المعرفة والاخر اراد الاولية
باعتبار ما يشتغل به المكلف ويطلب به على الاطلاق فلهذا
قال اول واجب القصد الى النظر **قوله** بلا نقص ولا خلل اشار المؤلف
بهذا الكلام الى سبب فساد الدليل وذلك ان الدليل الفاسد
تارة يكون فساده لحيد الناظر فيه عن الوجه الموصل الى المعرفة
بان يسلك هو شبهة لا توصل الى المعرفة كما يحيد من اراد ان
يصل الى موضع من الامكنة المحسوسة عن الطريق الموصل اليه
فيسلك هو لجهله المركب طريقا لا يوصل الى ذلك الموضع المقصود
وهذا كنظر الفلاسفة والمبتدعة فانهم اخطاوا الانظار الصحيحة
المبلغة الى المعرفة وسلكوا المحنتهم والعياذ بالله تعالى ضدها
وتارة يفسد النظر لعدم تمامه او لاخلال بجزء من اجزايه وان
كان الناظر قد ابتداه اولا على وجه السداد كما تفسد الصلاة مثلا
وان كان صاحبها قد ابتدأها على وجه السداد بالخروج عنها قبل
التمام فاشار المؤلف رضي الله تعالى عنه بالنقص الى الوجه الثاني
من وجهي الفساد وبالخلل الى الوجه الاول ويحتمل ان يكون قد
استعمل الخلل فيما هو اعم من ذلك فيكون من عطف العام على الخاص
وبالجملة فالمدلول عليه من كلام المؤلف ادام الله بقاه ان الواجب
على من اراد ان يصل الى المعرفة ان يقصد الى الطرق الموصلة اليها
خوفا من الشبهات والطرق المختلفة التي لا توصل الى الحق بل
الباطل معها اكثر ثم اذا ظفر بتلك الطرق الصحيحة فليستبصر
وليصابر نفسه ويحبس عقله على التنقل بالفكرة في ذلك الطريق
الصحيح من جزء الى جزء حتى يأتي على اخر اجزاء ذلك الطريق لا ينقص منها جزء

واحدا فانه ان فعل ذلك وانتهى الى اخر ذلك الدليل الصحيح فان
المولى الكريم قد اجرى العادة بمحض فضله ان يدخل من من عليه
بذلك الى بستان المعرفة يقتطف من ثمارها ما شاء ثم ليسلك
طرقا باقى معارف الايمان على هذا النحو واحدا بعد واحد حتى يأتى
على جميعها ينتقل من بستان عقيدة الى بستان اخرى كل ما مر بواحدة
ذاق طعم ثمارها واشرق فى باطنه وظاهره ساطع انوارها فاذا
حصلت له جميع عقايد الايمان على هذه الصفة فقد ظفر بكميا السعادة
الابدية وفاز باكسير النجاة من الخلود فى سخط الرب الكريم الذى
لا طاقة ولا صبر لمخلوق على ذلك العقول العظيم فليستعمل حينيذ
جوارحه الظاهرة والباطنة فى شكر هذه النعمة العظمى الى الممات
مع اعترافه بالعجز والاقرار على كل احواله فى نعم المولى وهيهات ان
يقدر على شكر ادنى شئ منها حقيقة وهيهات واعلم انه قد اختلف
المتكلمون فيمن عدل عن النظر الصحيح ووقع فى شبهة بعد اتفاقهم
على ان تلك لا تفيد المعرفة هل تفيد الجهل المركب ولا تفيده وما
يوجد معها من الجهل فانها فى بلا ملازمة وثالثها ان كان فاسد
المادة صحيح الصورة افاد الجهل لمن لم يشعر بفساد مادته كمن اعتقد
صدق قول القايل كل انسان صهال وكل صهال فرس فان ذلك يفيده
اعتقاد جهالة وهو ان كل انسان فرس وان كان فاسد الصورة
لم يفد شيا كان صحيح المادة اولا كقول القايل مثلا كل انسان حيوان
وبعض الحيوان فرس فان اعتقاد صدق هاتين المقدمتين لا يفيد
المعتقد كون الانسان فرسا ولا كونه غير فرس لان الحكم بالفرس
فى الكبرى انما وقع على بعض الحيوان والحيوان اكثر افرادا من الانسان
يصدق عليه وعلى غيره فاحتمل دخول الانسان فى هذا البعض الذى
حكم عليه بالفرس فيكون فرسا ويحتمل ان لا يكون داخلا فى هذا البعض
فلا يلزم الحكم عليه بالفرس ولا بغيره فاذا هذا الدليل الفاسد الصورة

لا يفيد

لا يفيد معتقده جهلا ولا غيره والكلام متسع فى ادلة هذه الاقوال
وقد استوفيناها فى غير هذا التاليف والكتب الحكمية انسب لها من
هذا الموضع ثم ليس تحتها كبير طايل فترك التعرض لها اولى
فانظر ان كنت ذا عقل وتبصرة هل ترى غير خلق الواحد الازل
كم اية فى كتاب الله ترشدنا للفكر فى خلقه طوبى لمن تمثل
فبعضها قد اتت فى اللفظ مجملة وبعضها بينت اجمال محتمل
هذا ان الكلام يحتمل ان يكون المؤلف قصد به تقوية باعث المكلف
على القصد الى النظر الصحيح المامور به وتنشيطه لذلك وذلك
بان يبين ان الطرق الموصلة الى معرفة الله تعالى سهلة التناول
لقربها وكثرتها جدا بحيث انه مهما فتح المكلف بصره او بصيرته او
من ادراكاته لا يقع على الجملة والتفصيل الا عليها اذ كل ما سواه
تعالى فهو فعله ومخلوق له بلا واسطة لا شريك له تعالى فى شئ
من ذلك البتة وما من مخلوق الا وقد غمره من الاحوال اللازمة له
واثار الافعال التى تدرك بادنى تامل ما ينسى كل ناظر فيه النظر
السديد عما وجب له من الحدوث والفقر اللازم وعما وجب لسيده
الموجد له من الوجود ازلا وابدا والتنزه عن المثل والنظير وسعة
العلم والقدرة وغير ذلك من الكمالات الواجبة له جل وعلا فلهذا
قال المولف ابقاه الله تعالى فانظر الخ وهذا كما اذا كثرت افعال
عارف بصناعة من الصنايع وظهرت للوجود على وجه لا يخفى كالعالم
بصناعة البنا مثلا نفرضه بنى معظم مدينة او جميعها وحده ثم
جا من يريد ان يتوصل الى معرفة قدر علم ذلك الصانع واقتداره
على ضبط تلك الصنعة فيقول له ادر نظرك فى المدينة ان كنت
ذا عقل هل ترى فيها بنا غير ذلك العارف المتوحد فى الصناعة
فاين ما تحركت وفتحت بصرك لم تعثر الا على فعله الذى ينبيك
عن عظيم قدره بخلاف ما لو كان مع ذلك العارف شريك او شركا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في المعرفة والفعل بحيث فعل كل منهم البعض فانا الذي يريد التوصل
الى معرفة قدر احدهم في الصناعة والمعرفة لا يتمكن من ذلك
حتى يطلع على عين صنعه الخاص به وربما كان هذا الفعل المستدل
به بعيدا عن موضع الناظر بحيث لا يصل اليه الا بتعب عظيم
من اعمال الرحلة واهلاك النفس والمال في طلبه لك فلا شك
ان التوصل الى معرفة من كان من الصناع على هذه الصنعة عسير
جدا وقد لا يتاتى لها الا القليل من الناس لعجز الاكثر عن التوصل
الى طريق المعرفة هذا في الافعال المسندة الى المخلوق بطريق
المجاز فكيف وكل الكائنات على الجملة والتفصيل هي افعال لمولانا
جل وعز حقيقة بلا واسطة ولا معاناة ولا تغير في ذاته او صفة
من صفاته لاجل فعلها ولا معاونة فيها بالنسبة اليه جل وعلا
ولا اثر لكل ما سواه تعالى في شيء من ذلك البتة فاذا اينما دار
المتحرك بظاهره او باطنه فليس يقع تحركه الا بحركة مخلوقة
لمولانا جل وعلا قائمة بذات مخلوقة له تعالى جابلة في انواع
مخلوقاته وكلها تنبئ بلسان الحال الذي هو افصح من لسان المقال
عن احوالها الناقصة وعن احوال سيدها الكاملة ابدا لا تحتمل
كذبا ولا خلفا وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
انه كان حليما غفورا والى هذا اشار المؤلف بقوله فهل ترى غير
خلق لواحد الازلي فكان المؤلف رضي الله تعالى عنه انشط بهذا
الكلام المكلف من عقال التكاسل عن النظر الصحيح والاستبعاد لنيله
فكانه يقول له ايها المكلف نهض لما امرت به من النظر وابشر بنيل
الغرض فان هذا المقصد الشريف مع تناهي شرفه وكونه كيميا
السعادة الاخروية ليست اسبابه نيله بفضل الله تعالى غريبة
الوجود متوعرة الحصول بحيث يحتاج طالبها الى رحلة وتقدير
بالنفس والمال كما ألف ذلك في طلب الكنوز والكيميا الدنيوية

بل

بل اسباب نيل هذا المقصد العظيم متيسرة قريبة على كل موفق اذ ذات
الناظر الباحث عليها وكل ما يشاهده من الكائنات يسعفه بمقصوده
من ذلك ويدله على مطلوبه واما قوله كما راية في كتاب الله ترشدنا
الخ ففيه بعد ما نشط او لا للنظر عقلا بيان سهولة مؤنته
التنشيط له شرعا لحض مولانا جل وعلا عليه جملا وتفصيلا في غير
ما اية في كتابه العزيز ثم فيه مع ذلك الدفع عز من كسل عن النظر
من الحشوية وقال لجهله وشيطنته التقليد هو الواجب والنظر
في الادلة محرم واحتج على ذلك بحجج واهية الاولى ان النظر بدعة
اذ لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة التشاغل
به وكل بدعة رد قال عليه الصلاة والسلام من احدث في ديننا ما ليس
فيه فهو رد الثانية نهيه عليه السلام عن الجدال كما ثبت في مسالة القدر
الثالثة قوله عليه الصلاة والسلام عليكم بدين العجائز ولا يخفى هو
سهم في حججهم الثلاث اما الاولى فلا يخفى انهم مفترون كاذبون
فيما ادعوه من البدعة وكيف يكون النظر في ادلة التوحيد بدعة
والقران مفعم بالحض عليه والامر به في غير ما اية والاجماع على ان ذلك
محكم لا نسخ فيه فجميع ما تعرض له اهل الحق من الادلة وقدروه في
كتبهم نقطة من بحر ما ذكر من ذلك في القران العظيم غاية الامر
انهم بدلوا العبارة ووضعوا الفاظا اصطلحوا عليها لقصد التقريب
تعليما او تعلما وذلك لا حجر فيه في جميع العلوم باتفاق العلماء المعتد
برايهم واما الثانية فلا يخفى سفاهة عقولهم فيها اذ لا يشك عاقل
في ان الجدال المنهي عنه انما هو ما يكون على سبيل التعنت
واللجاج لقصد ابطال الحق او تصحيح الباطل كما قال تعالى وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق وقال في كفار قريش بل هم قوم خصمون
وقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم واما الجدال بالحق لاظهاره
ولقمع الباطل فلا يخفى انه مامور به متداول بين السلف والخلف

شبكة الألوكة www.alukah.net

مكررة في القران تكريرا يخرج عن الحصر معلوم من دين الانبيا مع امتهم
ضرورة وقد قال تعالى في كتابه العزيز وجادلهم بالتي هي احسن
وقال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ومجادلة نبينا
عليه الصلاة والسلام لابن الزبعرى مشهورة وحكاية مجادلة الرسل
لامتهم في غيرما سورة من الكتاب العزيز لا تخفا على مومن على ان
النظر في ادلة التوحيد الذي هو محل النزاع ليس هو عين الجدال
ولا يستلزمه فلو سلم ذم الجدال على العموم مثلا لما لزم منه
ذم النظر اصلا كيف ومولانا جل وعلا قد مدح اهل النظر
والفكر في مخلوقاته ووسمهم بانهم من اولى الالباب فقال جل
من قايل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولى الالباب الى قوله ويتفكرون في خلق السموات والارض
فما ارذل عقول هولا الجهلة حيث حكموا بتحريم اعلى شي واحسنه
ولم يستحوا من فضيحتهم البادية لكل عاقل مسدد والله تعالى ولي
التوفيق بفضله واما الثالثة فالحديث احاد فلا يعارض الادلة هـ
القطعية التي دلت على وجوب النظر وعلى تقدير تسليم صحته فيحتمل
ان يكون المراد منه التفويض والانقياد لاحكام الشرع من غير
معارضة لها بمجرد تحسين او تقبيح عقليين او خروج عن طاعة من تجب
طاعته لمجرد حمية او غضب ويحتمل وهو الاظهر ان يكون المراد منه
التمسك عند ثوران البدع وكثرة الاختلاف في اصول الدين بما
كان مشهورا من العقايد حتى انه وصل الى الصغير والكبير والذكر
والانثى بحيث لو سئلت عنه عجوز من عجايز المسلمين لوجدت مصممة
عليه منكرة لضده فمن هذا النوع انكار المعتزلة الشفاعة للعصاة
في انقاذهم من النار وحكمهم عليهم بالخلود في النار كالكفار ابد
الآبادي لا شك ان من المشهورين بين المسلمين حتى انه من دين العجايز
فضلا عن غيرهن الاقرار بالشفاعة في انقاذ العصاة من النار

والابتهال

والابتهال الى الله تعالى في نالة هذه الشفاعة والجزم بان كل مومن
لابد له من دخول الجنة وان قتل او زنا او سرق وكذلك مما اشتهر
من دين الامة ذكرهم وانشاهم ان ما شا الله كان ومالم يشا لم يكن
وان من يضلل الله فلا هادي له ومن يهد الله فلا مضل له وان
جميع الكاينات مخلوقة لمولانا جل وعلا بلا واسطة وقد خالف
في جميع هذه العقايد المبتدعة فزعموا ان ارادة الله تعالى
خاصة بالطاعات المامور بها فقط وان الضلالة والهداية
بيد العبد وان افعال العباد الاختيارية هم اخترعوها لانفسهم
بما خلق الله تعالى لهم من القدرة على ذلك ونحو هذا مما هو كثير في
مثله قال عليه الصلاة والسلام عليكم بدين العجايز اي عليكم في
امر الدين بما اشتهر بين المسلمين حتى انه صار دينا للعجايز هم
فكيف بغيرهم والله تعالى اعلم **قوله** فبعضها قد اتت في اللفظ
مجملة يعني مثل قوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شي ونحوها **قوله** وبعضها بينت اجمال محتمل
يعني مثل قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
وكذلك قوله جل وعلا قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في
يومين الاية وكذلك قوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
الاية وكذلك قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها ونحو ذلك مما هو كثير وبالله التوفيق
فانظر لخلقته السبع الطباق وفي عوالم الارض من سهل ومن جبل
اذ قال سبحانه في امره لهما ان ايتيا اتيا في الحين عن عجل
فافهم مضمن باقيها وكن فطنا لما اقتضاه خطاب الله امتثل
قد امسكا في هواد وزما عمد كما اتى ذا في الذكر الحكيم تلي
لاخفا ان النظر في ملكوت السموات والارض للاستدلال والاعتبار

هو من افضل القربات وانفع شئ للقلب وابعث على الانضاف بعلى هو
الصفات ففى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لاعبادة
كالتفكر وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه
اذ رفع راسه نظر الى السما والنجوم فقال اشهد ان لك ربا خالقا
اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له واعلم ان المقصود الاصلى من النظر
فى هذه العوالم معرفة عقايد الايمان منها ليكون المكلف مستيقنا
لها ذا بصيرة فيها حتى لا يقول بقلبه ولا لسانه دينا واخرى سمعت
الناس يقولون شيأ فقلته والوجه الذى يسهل عليه الانتفاع هو
بالنظر فيها ان يستحضر قبل النظر المطالب التوحيدية فى ذهنه
وينوى استفادة اليقين لها من الفكرة فى العوالم ان لم يكن
حصل له قبل او تجديد ذكر اليقين للنفس ان كان قد حصل لها قبل
لان التفكر لطلب ما هو مجهول وغير مستحضر اولا فى الذهن قليل
الثمرة والجدوى فينبغى اذن ان يقصد الى ان يستفيد او لا بنظره
فى العوالم وسيلة المقاصد التوحيدية كلها وهى معرفة الحدوث
لكل ما سوى الله تعالى ثم ينظر بعد ذلك فيما يفيد معرفة ما
يجب لمولانا جل وعلا من الصفات وما يتنزه عنه من اضدادها
المستحيلات وما يجوز فى حقه تعالى من الاختراع لكافة الممكنات
واذا فرغ من ذلك سهل عليه اليقين فى عقد النبوات الا ان
القسم المستحيل لا يحتاج له الى نظر يخصه بل النظر الذى استفاد
به معرفة ما يجب له تعالى هو بعينه يستفيد به ما يستحيل
عليه تعالى اذ المستحيل ضد الواجب فاذن المطالب التى هى
يقصد ان يستفيد معرفتها من الفكرة فى العوالم خمسة عشر
مطلبا وهى معرفة الحدوث لكل ما سوى الله تعالى ثم معرفة
وجوده جل وعلا وقدمه وبقايه ومخالفته لجميع الحوادث
وقيامه بنفسه بمعنى انه غنى عن المحل والمخصص ووحدانيته

بمعنى

بمعنى انه لا ثانى له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله وقدرته
وارادته المتعلقين بجميع الممكنات وعلمه المتعلق بجميع الواجبات
والجايزات والمستحيلات وحياته التى لا تتعلق بشئ وسمعه وبصره
المتعلقين بجميع الموجودات وكلامه المنزه عن كونه بالحرف والصوت
المتعلق بما يتعلق به علمه من المتعلقات فهذه اربعة عشر مطلبا
والخامس عشر معرفة جواز اختراعه تعالى لكافة الممكنات بمعنى ان لا
ترجيح لبعضها عن بعض سواء كان صلاحا او اصلح او غيرهما الا بمحض
اختياره وارادته فقط فهذه المطالب الخمسة عشر هى التى ينبغى
ان تكون نصب عين المكلف اولا ولها يتوجه بفكرته فى العوالم ان
يستفيد ها منها وليقدر العاقل فى نفسه هذه المطالب الشريفة
بمثابة الاهلة الخفية التى يجب البحث عن رويتها لكونها هى
اعلاما لاعياد وافراح عظيمة وليقدر العوالم التى هى الادلة
لمعرفة هذه المطالب بمثابة السما التى تبصر تلك الاهلة
فيها ونور البصيرة العقلية التى بها يجول فى العوالم ليبصر
القلب فيها تلك الاهلة التوحيدية بمثابة البصر الذى
به يجول فى افاق السما لينظر عينه الهلال الحسى وكما تتوفر
الدواعى على البحث على رؤية الهلال الحسى الذى هو علم فى العادة
على موسم الفرح والسرور كاهلة الاعياد ونحوها فهذه المطالب
التوحيدية هى والله اولى واحق ان تتوفر الدواعى على البحث
على رؤية البصيرة لها ومن فتح له فى رؤية شئ منها فى ادلة
العوالم اراه لا حيد اذ برؤية البصيرة لهذه الاهلة الايمانية
التوحيد منتشعشعة فى كل افق من افاق العوالم يجى موسم
عيد ذلك الراى لها وتترادف عليه بشاير الفرح والسرور
وما اعظمه والله من عيد وفرح وسرور على ما فتح له فى هذه
الرؤية الفايقة لانه ظفر من هذه الرؤية بانوار المعارف

شبكة الألوكة www.alukah.net

الايمانية التي هي ثمن ما لا يحاط به من نعيم فراديس الجنان ومبشرة
بالنجاة مما لا طاقة لمخلوق عليه من غضب الله تعالى والخلود في النيران هذا كله ينبغي ان يستحضره المكلف ولا في ذهنه قبل
الجولان بفكرته في العوالم ليستكمل اشتياقه وتجتمع فكرته وتتراح
شواغله ويعظم ثوابه بحسن النية والاحتفال والتعظيم لما عظم الله
ولا شك ان ابراز المعاني المعقولة في قوالب المحسوسات التي بها
تالف النفس هو اعون شيء على نهوض النفس وموافقتها للعقل على ما
يجب واما وجه استفادة تلك المطالب التوحيدية من الفكرة
في العوالم فسيأتي ان شاء الله تعالى بيانه على التفصيل في الفصول
التي ترجم بها المولف رضي الله تعالى عنه لافادة تلك المطالب
والكلام المجمل في بيان ذلك ان نقول لا شك ان النظر في العوالم
من سموات وارض وغيرها يدل قطعا انها امور ممكنة وجه كل
واحد منها بوجه مخصوص من وجوه متنوعة وانحاء مختلفة مع
جواز ان يكون على خلاف ذلك قطعا اذ من الجايز مثلا في السموات
ان لا تتحرك اصلا او تتحرك على خلاف حركتها او يتحرك بعضها
دون بعض وتستوي في الحركة او تتفاوت في الحركة على خلاف ما هي
عليه او تكون على مقدار خلاف المقدار الذي هي عليه وان تكون
اسفل او اعلى من المكان الذي هي به بل يجوز ان تكون في مكان
الارض والارض في مكانها وان تكون عارية من النجوم اصلا
او يكون فيها اكثر او اقل مما وجد فيها وان تستوي تلك النجوم
في المقدار والضوء والمحل والبعد وان تختلف على خلاف ما هي عليه
الى غير ذلك من الممكنات التي لا حصر لها فيعلم ان جميعها حادث
لاستحالة القدم على الممكنات ثم يجب ان تكون مستندة في
وجودها الى موجد اخر لاستحالة ان يوجد ممكن لنفسه ثم يجب
ان يكون هذا الموجد واجب القدم والبقا اذ لو جاز عليه العدم

ازلا

ازلا وابدا لوجب افتقار وجوده الجايز على هذا الفرض الى موجد
فيكون حادثا ثم ننقل الكلام الى موجده ويلزم فيه مثل ما لزم
في الاول ويلزم التسلسل وهو محال وذلك يحيل وجود الاله تعالى
واستحالة وجوده توجب استحالة وجود العوالم التي استند
اليه والفرض انها محققة الوجود فتعين ان موجدها واجب
الوجود لا يقبل العدم ازلا وابدا ثم ما يجب ان يكون هذا الموجد
للعوالم مباينا في ذاته وصفاته لجميعها والا لزم ان يكون حادثا
مثلها ويعجز مثل عجزها فلا يوجد شيء من العوالم وهو باطل
بالمعاينة ويجب ان يكون قايما بنفسه اذ لو كانت ذاته صفة
من الصفات لاستحالة ان يوجد شيء من العوالم لاستحالة قيام
صفة القدرة والارادة والعلم والحياة بذاته حينيذ اذ الصفة
لا تقوم بالصفة ونفي واحد من هذه الصفات يمنع وجود العالم
فكيف بنفي جميعها وكذا لو افتقر وجوده الى فاعل لكان مستحيل
الوجود على ما عرفت فيما سبق فيلزم ان لا توجد العوالم التي استند
وجودها اليه كيف وهي موجودة ضرورة ويلزم ان يكون واجب
القدرة والارادة والعلم والحياة لتوقف وجود العوالم على اتصافه
موجدها بوجود هذه الصفات له وان يكون واحدا اذ لو كان
معه ثان يشاركه في الالوهية للزم ان لا يوجد شيء من العوالم
للزوم عجزهما معا اتفقا او اختلفا اما مع الاختلاف بان يريد
احدهما وجود جايز والاخر عدمه فظاهر لاستحالة نفوذ ارادتيهما
معا لما فيه من اجتماع النقيضين فلا بد اذن من عجزهما معا او
عجز احدهما ويستلزم عجز الاخر للمماثلة واما مع الاتفاق
فيستلزم ان يكون كل جوهر فرد وعرض قد استند الى قدرتيهما
معا وارادتيهما معا لوجوب العموم لقدرة الاله وارادته
وذلك يوجب ان ينقسم بينهما كل جوهر وعرض ليؤثر كل واحد منهما

في بعضه وذلك محال فيلزم من الممانع عند الاتفاق ما لزم منه
عند الاختلاف ويجب ان يكون سميعا بصيرا متكلما اذ لو انتفى واحد
من هذه لزم الاتصاف بضده وهو نقص وذلك محال لاستلزامه ان
يحتاج الى من يكمله برفع ذلك النقص وذلك يستلزم الحدوث المؤدى
الى استحالة وجوده اصلا فلا يوجد شئ من العوالم لتوقف
وجودها على وجوده ثم يجب ان تكون هذه العوالم وكل ممكن بالنسبة
الى هذا الموجد سواء لا يترجح منها فعل ولا ترك بحسب ذاتيهما كانا
صلاحا او اصلح او غيرهما اذ لو ترجح وجود ممكن منها لكونه اصلح
حتى يجب ان يوجده خالق العوالم للزم ان لا يقع في العوالم رضد
ذلك كيف ومن المقطوع به ضرورة ان الاصلح للكافر ان لا يوجد
اصلا وقد وجد بل الاصلح لجميع المكلفين ان يوجدوا في الجنة
ابدا ولا يكلفوا بتكليف اصلا وقس على هذا سائر ما لا يحصر والمشاهد
المحقق في جميع ذلك وقوع ضد الصلاح والاصلح فوجب اذا استوا
الممكنات بالنسبة اليه تعالى لا يترجح وجود شئ منها ولا عدمه الا
بمحض ارادته تعالى بلا سبب ولا غرض ولا تعليل اصلا وسيأتي
لذلك كله مزيد بيان في فصوله ان شاء الله تعالى اذا عرفت هذا
كله فانظر الذي حض الله تعالى عليه في ما آية هو النظر الذي يكون
لاستفادة هذه المطالب النفيسة وما يتبعها من المعاني
والاعتبار وهو مقصود المولف ايضا بقوله فانظر لخلقة السبع
الطباق اي ذات الطباق لان الطباق مصدر فالوصف به لا بد فيه
من تاويل ومعنى كونها طباقا ان بعضها فوق بعض من طابق النعل
اذا خصفها طبقا فوق طبق قوله اذ قال سبحانه في امره لها اذ هذه
ظرف زمان ماض بمعنى حين فلا بد لها من متعلق ولا يصح تعلقها
بقوله انظر لما يلزم عليه من المحال وهو طلب ايقاع النظر المستقبل
في الزمان الماضي ولا بالمصدر في قوله خلقه لما يلزم عليه من الفصل

بين

بين معمولات المصدر الذي هو الموصول ومعمولاته كالصلة وبين
المصدر باجنبي وهو المعطوف في قوله وفي عوالم اخر اذ هو معمول لا
نظر فتعين اذن ان يقدر لهذا الظرف عامل محذوف يدل عليه
المصدر على طريق الاستيناف البياني كان سائلا سئل عند سماع
قول المولف لخلقة السبع الطباق فقال كيف خلقها او في اي
زمان خلقها فقال المولف مجيبا له خلقها اذ قال سبحانه في امر
دحيها اي لنوعي عالم السموات وعالم الارضين ومعنى امره سبحانه
للسموات والارضين بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما
فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما اراد هما وكانتا في ذلك كالمامور
المطيع اذا ورد عليه امر الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى
التمثيلي ويسمى ايضا استعارة تمثيلية وفايدة هذه الاستعارة
التنبيه على سرعة انقياد الكاينات لقدرة مولانا جل وعلا وارادته
وتنزهه تعالى عن ان يكون ايجاده للكاينات بمعاناة او معالجة
وقوله تعالى طوعا او كرها مثل ايضا للزوم تاثير قدرته فيهما
وانا متناعهما من الانقياد لقدرته وارادته مستحيل قال
الزمخشري فان قلت لم ذكر الارض مع السما وانتظمهما في الامر
بالاتيان والارض مخلوقة قبل السما قلت خلق جرم الارض اولا
غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السما كما قال تعالى والارض بعد
ذلك دحاها فالمعنى ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل
والوصف اي ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا يا هلك وايتي
يا سما مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما
تقول اتى علمه مرضيا وجا مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتاتي
كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه
الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسما وكون السما
سقفا للارض وتنصره قراة من قرا ايتيا واتيا من المواتاة

وهي الموافقة اي لقوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالنا
وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيتي ولا تمتنعا قوله
فافهم مضمن باقيها يعني بافي الاية التي نص فيها سبحانه على
وقوع هذا الامر منه للسموات والارض من قوله جل وعلا قل اينكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله ذلك تقدير العزيز
العليم قوله وكن فطنا لما اقتضاه خطابه تعالى يعني في هذه
الاية من الدلالة على وجوب وجوده جل وعلا واتصافه بالقدرة
التامة العامة والارادة النافذة في جميع الممكنات والعلم
الشامل لكل ما دق وجل من المعلومات وتنزيهه تعالى عن شريك
في ملكه اذ وجوده يوجب الفساد وتعطيل الوجود لما شوهد
من هذه العوالم المتكاثرة ذوات النظم المحكم والعجائب
التي تتعذر احاطة العقول بادناها فضلا عن اعاليها الى
غير ذلك من صفاته جل وعلا التي تقتضيها دلالة الاية
بالمطابقة او الالتزام قوله وامتثل يحتمل ان يكون المامور
بامتثاله ما دلت عليه هذه الاية بطريق الالتزام في قوله
تعالى قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين من الامر
باخلاص العبادة للمولى العظيم الذي انفرد بخلق العوالم
كلها علويها وسفليها منافعها ومضارها كلما سواه على الجملة
والتفصيل انما هو فعله وملكه لا شركة لكل ما سواه بايجاد
او اعدام او تقديم او تاخير او نفع او اضرار او تدبير في ذرة
كيف يصح ان يكفر او يعصى او يترك بغيره من نفس او شيطان
او هوى من هذا فعله وملكه ويحتمل ان يكون المراد امتثال
امر مولانا جل وعلا بالتفكر والنظر في مخلوقاته والتدبر
لايانه في قوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء وقوله جل من قايل قل انظروا ماذا في السموات

وقوله

وقوله تبارك اسمه افلا يتدبرون القران قوله قد امسكان
هوادون ما عمدا لضمير يعود على عالم السموات والارض والعمد
بضم العين والميم وبفتحهما جمع عماد او عمود وهي الاساطين كالسوار
ونحوها يرفع عليها الجرم الثقيل في الهوى خوف سقوطه لو بقي
وحده في الهوى هكذا اجرى الله سبحانه العادة في كثير من الاجسام
مع القطع فان ذلك العماد لا اثر له لا بطبعه ولا بقوة اودعت
فيه في امساك ما عليه من الجرم وثباته في حيزه لاستحالة التاثير
من كل ما سواه جل وعلا وانما الممسك ما فوق ذلك العماد الله
جل وعلا وحده على الاستقلال بلا شريك معه في ذلك لا عماد
ولا غيره اصلا لكن اجرى الله سبحانه وتعالى العادة بمحض الاختيار
انه انما يخلق هذا الثبات في الهوا للاجرام الثقيلة اذا كان تحتها
عماد فهو يخلق الثبات اختيارا عند هذا العماد لا به ولا شركة للعماد
ولا اعانة له بوجه من الوجوه البتة في ثبات ما فوقه في حيزه المراد
وانما له مجردا لدلالة العادية فقط على خلق من تعالى عن الشريك
والوزير والوكيل والمعين والالة والمعالجة ثبات الجرم الثقيل فوقه
فالقصد منا الى هذا العماد لرفع ثقيل فوقه انما هو قصد الى
باب من ابواب الله تعالى اجرى عادته تعالى بمحض اختياره ان يخرج للسائلين
عنده معروف رفع هذا الثقيل وثباته في الحيز المراد ولا اثر فيه
لذلك الباب ولا شركة فيه لذلك ايضا كما ان هذا حكم سائر الاسباب
العادية من طعام لشبع وماء لري ونار لاحراق او نضج طعام وماء
لنبات وثوب لستر ومسكين لقطع ونحو ذلك مما لا ينحصر فاحسن
الاعتقاد في هذا الفصل فقد ضل فيه من لا يعد كثرة ما يشار له
علما ودينا فضلا عن غيرهم ففول المولف حفظه الله تعالى قد
امسك في هوادون ما عمد يعني به ان المولى جل وعلا قد خرق العادة
في هذين العالمين فخلق فيهما مع تناهي ثقلهما التماسك والثبات

في حيزيهما المرادين من غير عماد يكون تحتهما فقد اخرج سبحانه معروف
الثبات فيهما غير مصاحب لبابه المالوف في غيرهما فلم يفارق
هذان العالمان غيرهما من سائر الاجسام الثقيلة الا في عدم
مصاحبة ثباتهما للباب العادي ومصاحبة سائر الاجسام الثقيلة
لها واما اضافة ذلك الثبات والتماسك الى الله تعالى وحده
من غير شريك ولا اله ولا معين فقد اشترك فيه الجميع من غير فرق
البتة واذا تاملت هذا الثبات والتماسك في كونه وجد في
بعض الاجرام عند عماد وفي بعضها بدونه مع جواز ان يكون ثبات
الجميع عند العماد وبدونه او بتعاكس الامرين المعتمد منها فيكون
غير معتمد وبين غير المعتمد منها فيكون معتمدا اذ الاجسام كلها
متساوية في حقيقة الجرمية فما جاز على بعضها جاز على الاخر ذلك
هذا الاختصاص الجايز على احتياج جميع العوالم الى موجد لها مخصص
لكل واحد منها بما شاله من الجايزات واجب الوجوب ليس بجسم ولا
جثماني موصوف بالقدرة التامة والارادة العامة والحياة
الكاملة والعلم الشامل واجب له كل كمال من سمع وبصر وكلام على
ما يليق بجلاله منزه عن وجود شريك له في ذاته او صفاته او افعاله
فتبارك الله رب العالمين لا اله الا هو قوله كما اني ذاك في النظم
الحكيم تلى يعني كما اني هذا الامساك لهما في القران عاما وخاصا
فالعام كقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
ولين زالتا ان امسكهما من احد من بعده والخاص كقوله جل من قايل
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وقوله ويمسك السما ان تقع
على الارض الا باذنه ومن تذييله جل وعلا الاية الاولى بقوله
انه كان حليما غفورا اشارة الى انه جل وعلا تفضل بعدم معالجة
الثقلين بالعقوبة حيث امسك السموات والارض وكانتا
جديرتين بان تهدا هدا العظم شركهم بالمولى الكبير المتعال والكاف

في قوله

في قول المولف كما اني يحتمل ان تكون للتعليل وهو ظاهر ويحتمل ان
تكون للتشبيه وما مصدرية على الاحتمالين ومعنى التشبيه على
الاحتمال الثاني انه يقول امسكا في الهوى دون عمد امساكا يشبه في كونه
قطعيا لا ريب فيه اتيانا ذلك متلوا في الذكر الحكيم

ارسى الجبال بها كي لا تميد بنا، ما في الهوا منها لم يحتبس يميل
فانجلى قدرة مولانا التي بهرت، اذ زادها في الهوى ثقلا على ثقل

الباء في قوله بها ظرفية بمعنى في والضمير يعود على الارض ومعنى ارسى
الجبال في الارض خلقها فيها ثابتة متمكنة راسخة واشار بقوله كي
لا تميد بنا اي تميل بنا وتضطرب يمينا وشمالا الى قوله تعالى والقى
في الارض رواسي ان تميد بكم اي كراهية ان تميد بكم او ليلا تميد بكم
ووجه مناسبة سكون الارض عن الاضطراب والميد بمن فيها عند
ارساء الجبال فيها على طريق العادة والجملة من غير نظر الى ما تقتضيه
الحقيقة والتفصيل ان جرم الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت
كرة حقيقية بسيطة الطبع والعادة في مثل ذلك ان تتحرك
بالاستدارة كالافلاك فكان من حق الارض عادة ان تتحرك كذلك
او ان تتحرك بادنى سبب للتحرك فلما خلقت الجبال على وجهها تقاومت
جوانبها وتوجهت الجبال بحسب العادة لثقلها نحو المركز فصارت
لها كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة عادة وقيل لما خلق الله تعالى
الارض جعلت تمور فقالت الملايكة عليهم السلام ما هي بمقر لاحد
على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال واذا تاملت ايضا كيف ان في
الجبال عرض لك فيه ثلاثة امور كل واحد منها يصلح لثبات الارض
معه عادة احدها ان تكون تلك الجبال كلها تحت الارض كالاساطين
والسواري لها الثاني ان تكون مركوزة فيها من فوقها ذاهبة
في باطنها كالمسامير الثالث وضعها ملقاة فوقها غير مركوزة
ولا ذاهبة لكنه لم يقع من هذه الامور الثلاثة سوى الامر الثالث

شبكة الألوكة www.alukah.net

مع جواز وقوع غيره بدلا منه فنستدل بذلك على احتياج تلك
الجبال الى قادر مختار قهار يرجح بعض الممكنات على بعض بمحض اختياره
وارادته وتم باقي الدلالة على ما سبق وهذه الجايزات للثلاثة
للجبال انما هي باعتبار ارساء الارض بها واما اذا نظرنا الى الجايزات
عليها التي اختصت ببعضها على الاطلاق خرج من ذلك اوجه لا
تنحصر كاختصاص بعضها بالصغر وبعضها بالكبر وبعضها بالطول
وبعضها بالعرض وبعضها بالبياض وبعضها بالسواد مع جواز ان
يكون كل واحد منها على خلاف ما هو عليه لغير ذلك من الوجوه التي
يطول تتبعها وكل ذلك ينادي بالاحتياج الى المولى الكريم
الغني عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه لا رب غيره ولا خير الا
خيره ثم اذا تاملت حكمة اختياره جل وعلا خلق الجبال ووضعها
على ظهر الارض وهو الوجه الثالث دون ان يختار في وضعها احد
الوجهين الباقيين الجايزين وجد انه جل وعلا قرن مع هذا الوجه
الجايز الذي رجحه بمحض اختياره مصالح دينية ودنيوية لا
تفي تلك المصالح مع الجايزين الاخرين واما المصالح الدينية
فمنها الاستدلال بمشاهدتها على الاوجه المخصوصة التي سبقت
الاشارة الى بعضها فوق الارض على ما يجب له تعالى وما يستحيل
وما يجوز على ما سبقت الاشارة اليه في وجه الجايزات بالاستدلال
وهو من اعظم المصالح ولهذا حض سبحانه على التامل في كيفية خلقها
بقوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السما كيف رفعت
والى الجبال كيف نصبت ومنها الاوي اليها بقصد العبادة في
كهوفها وخلواتها او اتباع شعفها بقصد الفرار بالدين المشرف
من الفتن كما ورد الحديث في ذلك وكم من متعبد فيها للافتقار
والابدال وكم من ماوى فيها للمنقطعين لله تعالى اهل النجدة
في الدين الاقويا الرجال نفعنا الله تعالى ببركتهم وحشرنا بفضله

في زمرتهم

في زمرتهم واما المصالح الدنيوية فمنها المساكن والحصون التي يتحصن
بقاني اعاليها واسافلها والاوي اليها بايداع الذخاير ونحوها مما
والاستناد عند المخاوف وملاحمة العدو والى وعرها والاهتداء عند
خوف التلف في مختلفات الطرق ومنتشع القفار باعلامها الى غير ذلك
مما يطول تعداده واين هذه المصالح لو كانت الجبال كالسواري
تحت الارض والارض كسطح مبسوط فوقها او كانت مسمرة في بواطن
الارض لا يبد ومنها الاطراف رؤسها فسبحان الحكيم العليم الرؤف
الرحيم ذو الفضل العظيم لا اله الا هو ومن هنا تستخرج النكتة
في تنصيص مولانا جل وعز على فوقية الجبال على الارض عند ذكر
خلقها فقال تعالى وجعل فيها رواسي من فوقها ولم يكتف جل وعلا
بان يقول وجعل فيها رواسي فحسب كما اكتفى عن ذلك في اية اخرى
كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وقوله وجعلنا في الارض رواسي
وقوله وجعل فيها رواسي لان هذه الايات لم يوت بها لبيان كيفية
خلق لعوالم على التفصيل فناسبها الاختصار بخلاف تلك قوله
ما في الهوا متى لم يحتبس على ما اسم موصول مبتدا خبره الجملة الشرطية
في قوله متى الخ والى بهذه الجملة دليلا على احتياج الارض عادة الى
الجبال التي وقع تماسكها عند وضعها فيها ولما كان هذا الكلام يوهم
ان الجبال هي التي اثرت في ثبات الارض دفع هذا الايهام بقوله فاعجب
لقدرة مولانا التي بهرت الخ فنبه بهذا على ان اسناد ثبات الارض
ومنعها من الميدان الى الجبال ليس على طريق الحقيقة وانما هو
على طريق المجاز كسايل الاسنادات التي تقع للاسباب العادية
في قولنا الطعام يشبع والماء يروي والنار تحرق والثوب
يستر والسكين تقطع ونحو ذلك مما لا يحصر اما اسناد ثبات
الارض ومنعها من الميدان على سبيل الحقيقة فليس ينفع نسبته
لشيء سوى مولانا جل وعز اذ لا خالق سواه تعالى فهو المستقل ٥

بامساك الارض وحده بلا واسطة كما قال تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا لكنه سبحانه وتعالى اختار ان يخلق هذا الامساك
والثبات للارض عند خلقه الجبال ووضعه لها فوق سطحها
ولا اثر للجبال في ذلك التماسك والثبات اصلا لا بطبعها ولا
بقوة اودعها فيها تعالى وجل ان يكون معه شريك في ملكه يؤثر
في اثر ما واستدل المؤلف على ذلك زيادة على ادلة الوحدانية
العقلية والنقلية بدليل خاص لهذا الموضع وهو قوله اذ زاد
ما في الهوا ثقلا على ثقل يعني ان المعتاد في الاجرام الثقيلة اذا
وضعت في الهوا لم تتماسك ولم تثبت فيه فاذا زيد عليها
ثقل اخر كان ذلك احرى وادعى لعدم ثباتها وسرعة نزولها ولا
شك ان الارض من هذا القبيل فالها جرم ثقيل اثبتها الله
تعالى وامسكها في الهوا من غير عمد على خلاف العادة ومنعها
من الحركة والاضطراب عند وضعه الجبال فوقها اختيارا منه
جل وعلا ولا يصح ان يكون للجبال اثر في تماسكها البتة اذ
الذي تقتضيه العادة لو بقيت معها ان يكون اضطراب الارض
وسرعة نزولها الى الاسفل عند وضع الجبال عليها اشد مما
كان لها من ذلك قبل وضع الجبال اذ الجبال قد زادتها ثقلا
الى ثقلها وذلك يستلزم طلب زيادة في التسفل عادة
فاذن الثبات الذي للارض في الهوى لا يصح ان ينسب على
الحقيقة الى الجبال لا عقلا ولا شرعا ولا عادة فالتعجب اذا
والتعظيم انما هو لقدرة مولانا جل وعز الذي حرك بها ما في
الهوا عند قلة ثقله وامسكه وثبته عند زيادة ثقل عليه
ولهذا قال المؤلف ابقاه الله تعالى فاعجب لقدرة مولانا
التي بهرت اي التي غلبت على كل ممكن واثرت فيه على وفق ما اراد
المولى جل وعلا جرى ذلك الممكن على وفق العادة او لا فهي التي

تغلب

تغلب العوايد وتحكم عليها بالتقرير او الخرق لان العوايد لا ثبات
معها عند ارادة المولى العظيم خلافها **فان قلت** انما يصح هذا
الذي ذكرتم اذا ثبت ان جرم الارض ثابت في الهوى ولعله
معتمد على شيء تحته وهو جرم كري فصاعدا ولا قبل وضع الجبال
عليه يضطرب فوق السطح الذي تحته اما وحده او لادنى سبب
على ما عرف من الجسم الكري اذا كان فوق سطح **فالجواب**
ان مرادنا بالارض هنا العالم السفلي الذي هو مقابل للعالم
العلوي ولا خفاء في وجوب فراغ هذا العالم السفلي وانتهايه
الى طرف لا يكون تحته شيء اذ لو كان كل جرم يجب ان يعتمد على جرم تحته
لزم ان يدخل في الوجود من الحوادث ما لا نهاية له وهو مستحيل
على الضرورة واذا وجب عقلا انتهاء هذا العالم السفلي المعبر
عنه بالارض الى طرف لا يكون تحته شيء لزم ان تكون الارض قد
اثبتت في الهوا قبل وضع الجبال عليها ثقلا الى ثقلها فلا يمسك
اذن للجميع الا الله تعالى ولا يصح ان يقال اذ كريتها اوجبت لها الخفة
والثبات في الهوا وحدها اذ لا يشك عاقل ان اصغر حجر صغير
كري من اجزايها اذا رمي به في الهوى لم يثبت فيه ونزل الى الاسفل
سريعا فكيف بجرم الارض على اضعاف مضاعفة منه لا تنحصر فاذن قول
المؤلف اذ زاد علة لقوله قبل في وصف قدرة مولانا التي بهرت
اي غلبت العوايد وحكمت عليها بالخرق لاجل ان العادة اقتضت
خلاف ما اقتضته القدرة ولا غلبة الا مع المنازعة وان كانت
هنا مجازا ويحتمل ان يكون علة لقوله فاعجب وهو اظهر اذ لا يخلو
الوجه الاول من تكلف وما في قوله ما في الهوي موصول اسمي واقع
على الارض والثقل المزيد هو ثقل الجبال التي وضعت فوقها
والثقل الاخر المزيد اليه هو ثقلها في نفسها والله تعالى اعلم ص
فيها من الخلق انواع متنوعة ما لا يحيط به وصف لمجتفل

في البر والبحر بل قد زاد في عدد ما البر منه على شيء بمثله نعم لا قوات كل الخلق قدرها ، مدبر الخلق والارزاق والاجل بذاك بارك فيها فاحتوت نعما ، فضلا من الله جل الله عن مثل

ش لما ذكر المولف حفظه الله تعالى وجه الاعتبار بنفس خلقة الارض وهيئة تماسكها في الهواء مع جبالها الشامخة التي زادت في ثقلها بغير عمد ذكر هنا وجه الاعتبار بما بث فيها تعالى من انواع المخلوقات التي تفوت الحصر وجعل كلا يباين غيره في اوصاف كثيرة مع جواز ان يكون مثله في كل شيء ثم نوع ايضا كل نوع الى اصناف مختلفة وافراد متكاثرة كل حصته بما شاء من بجايزات كتنويعه سبحانه الحيوان مثلا الى انسان مفكر وفرس صاهل وحمار ناهق وطاير وسابح الى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى الذي انفرد بخلق العوالم كلها وتدبير ما ظهر وخفي من شؤونها ثم نوع كل واحد الى اصناف مختلفة وافراد متكاثرة كتنويعه الانسان مثلا الى اصناف من عربي وعجمي وزنجي وصقلبي وغيرها وكل من اصناف الحيوانات صغيرها وكبيرها جليلها وحقيرها قد احتوى على افراد متكاثرة لا ياخذها الحصر مختلفة الالوان والالسنة والامزجة والصفات الخلقية والخلقية قام بخلقها والاحاطة بجميع احوالها خالقها الذي تعالى ان يشغله شان عن شان فتبارك ذو الجلال والاكرام وكذلك غيره من سايرالحيوانات التي لا ياخذها الحصر كبيرها وصغيرها كل قام بتدبيره شانه وما يحتاج اليه لكمال قيام ولقد احسن من قال وقد نسب ذلك للزمخشري انه انشده عند الممات واستدل بذلك على توبته من بدعته المشهورة والله اعلم

بيا من يرى مد البعوض جناحها • في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها في نحرها • والمخ في تلك العظام النحل
ويرى خرير دمايها متسلسلا • في جسمها من مفصل في مفصل

ويرى

ويرى وصول غذا الجنين ببطنها • في ظلمة الاحشا بغير تمثل
ويرى مكان الوطي من اقدامها • في سيرها وخطيطها المستعجل
ويرى ويعلم كل ما هو دونها • سبحانه من مالك متفضل
امنن علي بتوبة امحو بها • ما كان مني في الزمان الاول

قوله في البر والبحر هو بدل من المجرور الاول وهو قوله فيها قوله بل قد زاد في عدد الضمير يعود على البحر يعني ان المخلوقات التي اودع سبحانه في البحر تزيد على ما في البر بانواع كثيرة لا تنحصر بحيث صار ما في البر وان كثر بالنسبة الى ما اودع في البحر كلا شيء وانظر حكمة الله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته ان جعل حيوانات البر لا تثبت حياتها عند انطباق ماء البحر عليها وحيوانات البحر بالعكس مع ان الهواء اللطف من الماء بكثير حيث لا يتوهم ان انطباق الجسم الكثيف هو سبب الغم للروح فلا تستطيع الثبات معه فنوع سبحانه وتعالى على التسبب لواحد العادي الضدين لينبه بذلك على انفراد الاسباب العادية عن التاثير البتة وان ما وجد معها من الكاينات فبمحض خلق الله تعالى بلا واسطة قوله نعم لا قوات كل الخلق قدرها الضمير يعود على الارض يعني انه سبحانه قدر في الارض اقوات اهلها اي ارزاقهم ومعايشهم وما يصلح لهم من نبات وحبوب وشجر وماء وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تبارك وتعالى واكثر سبحانه ذلك فيها كثرة تخرج عن الحصر حتى انه سبحانه وتعالى جعل نفس اجزايها قوتا لبعض الحيوانات كالحيوان الذي يتعيش بطين الارض وترابها فصارت الارض لهذا كانها نفسها اقوات للخلق فلهذا قال المولف حفظه الله تعالى نعم لا قوات كل الخلق قدرها قوله بذاك بارك فيها يعني بسبب ان الارض مقدرة ومهيأة لاقوات كل الخلائق الذين نشروا فيها وقد عرفت كثرتهم وخروجهم عن حد الحصر بارك جل وعلا فيها اي اكثر خيرها وانماه حتى صارت تهتز بانواع النبات

والشجر والدخاير الرطبة واليابسة الظاهرة والباطنة
وبالمياه المعينة الكثيرة المطردة والمساكن الممهدة المتسعة
لتفي باقوات تلك المخلوقات الخارجة عن الحصر حتى لا يقع تزاحم
من جميعهم على نوع واحد من القوت ولا على مسكن واحد من المساكن
ولهذا يموج فيها من لا سبب له ولا ذخيرة من طير وغيره فلا يروح
الى ماواه الا وهو ممتلئ شبعان بعد ان غدا خمص من الجوع وهكذا
كل نوع من المخلوقات له من اقوات الارض قسطه المعلوم فهو
مدركه لا محالة فلم يخل الخلق منذ خلقوا الى ادراك ما قسم لهم من
ذلك الى كثير معاناة تؤدي الى تضييع حق من حقوق الله تعالى
بل لو رزقوا القناعة فكل غني بتوسعة المولى العظيم لا يحتاج
معها ان يزاحم احدا او ينازعه ولا ان يتعب سره فيما كفي مؤونته
قبل ان يخلق في الارض واشار المؤلف بهذا الكلام الى معنى
قوله تعالى في الارض حين ذكر خلقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام سواء للسائلين اي الطالبين المحتاجين للاقوات
والى توسعتها وتكثير بركتها قد قطع سبحانه العذر لمن تعسرت
عليه لعبادة في موضع مخصوص منها فقال يا عبادي الذين امنوا
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون وحكى قول الملايكة لمن توفتهم
وهم ظالموا انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في
الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ص
كذا السموات لا تخفى عجايبها ، يكفيك ظاهرها عن غيبها انتهى
من خمسماية عام كل واحدة ، كذا ارتفاع سموك الكلا
ش لا شك ان عجايب السموات وما اختصت به من نوادر
الاسرار ودخاير الانوار مما علم بالشرع وشوهد بالمشاهدة
فان كان ما غاب عنا لا حصر له لكن ظواهر الاشيا تدل على
بواطنها وما خفي منها دلالة اجمالية وكيف لا تكون معدن

الاسرار

الاسرار ومطلع الانوار وهي الموضع الطاهر الذي لم يعص الله تعالى
فيها طرفة عين الا ما كان من ابليس وقد طرد ولعن بل هي على عظمها
وسعة ارجايها مملوة بانوار ذكر الله تعالى وصنوف لعباداته و
والمعارف التي لا حصر لها لا يطرفها نقص البتة وما عمرها الا
المقربون الطاهرون المطهرون الذين لم تشق قط انفسهم الكريمة
الزكية ولا تتوقا بدا لغير عبادة المولى العظيم والاشتغال بذكره
من غير فترة ولا غفلة ولا نوم ولا سامة ولا اعيا ولا شهوة لهم
في غير ذلك على الدوام وفيهم اكابر الملايكة المتلقون كلاب الله
تعالى ووحيه السفرا بينه وبين رسله كجبريل وميكايل واسرافيل
عليهم جميعهم وعليهم الصلاة والسلام فاعرف شرفها على الجملة
بشرف لساكنين فيها واعتنا المولى العظيم بشانها قوله يكفيك
ظاهرها يعني بالظاهر ما عرف بالشرع او بالمشاهدة وانما
كفى لان فيه غاية العبرة للمعتبرين قوله عن غيبها انعزل
يعني بالغيب ضد الظاهر وهو ما لا طريق الى معرفته لا من
جهة الشرع ولا من جهة المشاهدة وذلك ككثير مما يهذوا
به المنجمون واهل الفلسفة في هيات الافلاك وهيات
حركاتها وحركات انجمها بمحض تخليات هي او هي من خيط العنكبوت
ومعنى الانعزال المامور به في هذا النوع تركه قولا واعتقادا
اذ هو اتباع لما لا طريق الى علمه وقد قال تعالى ولا تقف ما
ليس لك به علم وكم من محذول من الناس مصاب في عقله وفي
دينه ترك ما يعنيه من تعلم العلوم الشرعية والعمل بمقتضاها
وشغل نفسه بتعليم تلك العلوم الواهية التي قدرها
من الاخلاق له من الفلاسفة لقصد الرياسة والاعراب على
الناس بالباطل المحض قوله من خمسماية عام كل واحدة هذا
لا طريق لمعرفته الا من جهة الشرع وقد نقل وصف غلظها

لهذا المقدار في احاديث قوله كذا ارتفاع سموك الكل اى
مقدار ذها بها في سمت العلو بالنسبة الى ما تحتها يعني ان
بعد كل واحدة منها عما تحتها خمسمائة عام وقد اشار
سبحانه وتعالى في القران الى امتداد ذلك البعد فقال جل
من قايل ءانتم اشد خلقا ام السما بناها رفع سمكها فسواها
ولا خفا ان كون غلظ ذوالها ورفع سموكها على هذا المقدار
المخصوص مع جواز غيره مما لا ينحصر من المقادير شاهد
بحدوثها من جهة ملازمتها للحوادث وشاهد بافتقارها
الى قادر مختار خلقها كما شا وكيف شا لان اختصاص احد
الامرين الجايزين بالوقوع بدلا عن مقابله المساوى له
في الجواز لا يمكن ان يقع الا بفاعل قادر مختار مرجح لوقوع
ذلك الجايز على مقابله بمشيته او لو ترجح وقوع جايز بمجرد
حقيقته الجايزة للزم مثل ذلك في كل جايز فتقع الجايزات
المتقابلات كلها وذلك يستلزم اجتماع الاضداد في الوجود
ووقوع ما لا نهاية له وكلاهما مستحيل على الضرورة وتمم
الدلالة لما بقي من الصفات على ما سبق بيانه وبالله التوفيق

الشمس تجري بالبدر في فلك على التعاقب في الاوقات والدول
تجيء ذا بامع الاصباح مشرقة والبدر ليلا وغرب الضوء عن عجل

لا شك ان لكل من الشمس والقمر حركتين احديهما الحركة
اليومية التي بها الليل والنهار وهي من المشرق الى المغرب يحركهما
الله تعالى عند تحريكه الفلك الاعظم الذي الجميع في جوفه والثانية
من المغرب الى المشرق ويتقلهما الله تعالى عند تحريكه فلك البروج
منزلة من منزلة الى منزلة حتى يقطعا جميع الفلك بالسير وهما
مختلفان في هذه الحركة بالبطي والسرعة والقمر اسرع فيها
من الشمس لانه يقطع الفلك كله بهذه الحركة في شهر والشمس

الثامن

انما

انما تقطع الفلك بها في سنة وحركة الشمس على منطقة البروج الاثني عشر
لا تخرج عنها ولا عرض لها بخلاف القمر فانه قد يخرج عنها اذا كان له
عرض ولا خفا في دلالة هاتين الحركتين على حدوث كل من الجرمين
العلويين وعلى افتقارهما الى القادر المختار تبارك وتعالى اذ
من الجايز على هذين العلويين ان يلزما السكون على الدوام ومرة
مرة وان يتحركا على خلاف الحركة المعهودة لهما كان يتحركا على خلاف
منطقة البروج او تكون الحركتان معا من المشرق الى المغرب او
من المغرب الى المشرق او الحركة اليومية من المغرب الى المشرق
والسنوية والشهرية على العكس او يتحركا بين الجنوب والشمال
لا بين المشرق والمغرب الى غير ذلك من اوجه الجواز التي لا تنحصر
فاختصاصهما باحد المتقابلين والمتقابلات من كل نوع من
انواع الجايزات مع جواز الانصاف بغيره يشهد قطعا باختيار
او احتياج محالهما واعراضهما الى الفاعل المختار كما يشهد على
القطع اختصاص كل واحد منهما بمقدار مخصوص ووضع مخصوص
وفلك مخصوص وموضع منه على المخصوص بالافتقار الى القادر
المختار المنفرد بالالوهية والاختراع لما يشا الرب العليم
الحكيم المدبر القهار جل وعلا فقول المولف والشمس تجري تجري البدر
في فلك الظاهر انه اراد به التشبيه بينهما في الحركتين والجامع
بينهما الاتحاد في المنازل والبروج والجهة وان اختلفا بالبطي
والسرعة والمحل واحكام اخر قوله على التعاقب في الاوقات والدول
اي سيرهما على الدوام من غير فترة في الاوقات كالساعات
واجزايها والدول كدولة عالم الليل ودولة عالم النهار
ودول الصيف والشتا والربيع والخريف ذ مع هذه الاوقات
من التغيرات في العوالم الارضية ما يكون مع اختلاف دول
الملوك ونحوهم ويحتمل ان يكون المراد بالدول الدول العرفية

فيكون فيه التنبيه على عظيم قدرة الله تعالى في قهره لهذين
العلويين على سيرهما الخاص الذي قرن به من فضله مصالح
دينية ودنيوية واتقن سبحانه ذلك ومنعهما من الانتقاص
والتغير في السير وغيره بحيث مرت عليهما اوقات ودول
كثيرة وتغيرات عظيمة في العالم وهما لا يتغيران عما اريد
منهما الى ان يجيء الوقت الذي اراد الله تعالى فيه خراب العالم
العلوي والسفلي كما قال تعالى والشمس تجري لمستقر لها قيل هو
الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة قوله
تجري دابا اي عادة عودها الله تعالى اياها قوله مع الاصباح
مشرقة مراده باشراقها عند الاصباح ظهور بعض اثارها
اذ ذاك من بياض فجر وحمرة ونحوهما قوله والبدر يتلو غروب
الضوء عن عجل هذا التلو الذي ذكرهنا هو في حركاتهما اليومية
ومراده بالضوء الضوء الذي اجرى الله تعالى العادة بخلقه
عند كون الشمس فوق الافق ولا اثر للشمس فيه البتة لا بطبعها
ولا بقوة اودعت فيها وقد اختلف في ذلك الضوء الذي هو
يخلقه الله تعالى عندهما او عند غيرهما من الاجرام من نجم وسراج
ونحوهما هل هو جسم او عرض وادلة كل واحد من القولين لا تليق
بهذا المختصر وانما قال المولف والبدر يتلو ولم يقل الهلال لان
البدر انما يقال على جرم القمر عند كماله ولا شك انه في حال كماله
يكون طلوعه من المشرق يتلو سريعا غروب الشمس بخلاف حاله
فيما قبل وفيما بعد ص

وفي النجوم اهتدا ثم زينتها ٭ من لم يفكر بنور العقل لم ينل
مع حفظها سارقا للسمع ذا حيل ٭ من اجل حفظ الاله الوحي للرسل

ش اعلم انه سبحانه وتعالى لما اراد ان يخلق هذه الحيوانات الارضية
وبيتها بنا لا ينحصر خلق لهم هذه الدار الدنيوية واسكنهم

فيها

٣٦

فيها حتى ينقلهم منها الى دار الاخرة وهيا لهم فيها معايشهم ومصالحهم
على وفق ما اراد بعد ان مهد لهم ارض هذه الدار ومدها لهم مدا
افضل منها كثيرا على مقدار حاجتهم حتى لا يحصل بينهم فيها تضايق
وتزاحم ثم نصب عليها هذا السقف السماوي على هيئة هي احسن
هيئات السقوف في لونه وزينته وكيفية وضعه اذ هو كقبة مضروبة
على بسيط الارض لا صدع فيها ولا وصل ولا تفاوت فيها بين الاجزاء
ولما كان اكثر مصالح هذه الحيوانات دينيا او دنيويا اوقفه سبحانه
بمحض اختياره على ان يصرفهم فيها ويحرك ظواهرهم وبواطنهم لنيلها
وكان هذا التصرف لا يتم عادة لاكثرهم الا بضوء يانس به ويبصر
عنده مقاصده وان كان من المعلوم المقطوع به ان لا اثر لضوء ولا
لظلمة في ابصار ولا عدمه ولا في انس ووحشة كما انه لا اثر للارض
في استقرار شيء من الكاينات عليها الا ان العادة اجراها سبحانه
بان هذه المصالح انما يخلقها مع هذه الامور لا بها فلهذا اوقد لهم
سبحانه سراجا وهاجا خلق معه ضوءا عظيما اشرق في الافاق
ودخل معهم في البيوت والكهوف ولم يحجب منفعته جدار ولا سقف
ولا رواق ولم يتعب سبحانه احدا في منفعة هذا السراج الوهاج
وتفضل سبحانه بان منعه من الانطفا بالافواه وعند هبوب
الرياح واضطراب الامواج وتصاعد الهوا العجاج والافلو انفق كل
ما في الارض من مال وجمع كل ما فيها من الادهان وملئت كلها بالسرج
العادية بالليل حتى لم يخل منها مكان ما بلغت منفعة هذا السراج
العظيم الذي تفضل به المولى الكريم ثم لما اراد الله سبحانه وتعالى
ان يريح اكثر الابدان من تعب تصرفها وان يمنعهم من الحركات التي
كانوا فيها اطفا لهم تعالى هذا السراج وغيبه عنهم الى حيث شاء
فتكدرت عليهم الارض والطرقات واستوحشوا مما الفوه قبل ذلك
قريبا من المواضع والتصرفات فخلت منهم ح المحاج وانقطعت الاصوات

المحجة جادة الطريق
صحاح

وخرکل صریعا لجنبه غاییا عن اقرب شی الیه من حسه ونفسه قد ظهر
علی ذاته الخضوع طوعا او کرها للحی القیوم القهار الذی لا تاخذه
سنة ولا نوم رب الارض والسموات ولما اراد سبحانه ان یصرف
کثیرا من الناس باللیل لمصالح دینیة ودنیویة لینتهزوا الفرصة
فیها بالخلوة عن جمهور الناس ویسلموا فیها من شر کل ذی شر انسهم
سبحانه فی دیاجی اللیل بزینة النجوم الزاهرة وعرفهم الاهتداء بها
براو بحرا فی الطرق المختلفات واراح عن قلوبهم بمشاهدتها غمرة
الجهل بما مضی او بقی من اللیل من ازمنة وساعات ثم حفظ سبحانه
وتعالی بما ینفصل عنها من الشهب المحرقة السماء من کل شیطان مارد
یرید ان یتلقف شیئا مما تجول فیه ملائکتها الکرام من المغیبات
قال الله تعالی انا زینا السماء الدنیا بزینة الکواکب وحفظا من
کل شیطان مارد لا یسمعون الی الملا الاعلی ویقذفون من کل جانب
دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب
وقال جل من قایل ولقد جعلنا فی السماء بروجا وزیناها للناظرین
وحفظناها من کل شیطان رجیم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب
مبین ومعنی حفظ السماء من کل شیطان رجیم منعهم منها فلا یقدر احد
منهم ان یصعد الیها ویوسوس اهلها ویتصرف فی امرها او یطلع علی
احوالها کما مکنوا من ذلک فی الارض وعن ابن عباس رضی الله
تعالی عنهما انهم کانوا لا یحجبون عن السموات فلما ولد عیسی علیه السلام
منعوا من ثلاث سموات فلما ولد سیدنا ومولانا محمد صلی الله علیه
وسلم منعوا من کلها وقال تعالی فی سورة الملک ولقد زینا السماء
الدنیا بمصابیح وجعلناها رجوما للشیاطین واعتدنا لهم عذاب
السعیر وفایدة تنکیر المصابیح فی هذه الایة التکثیر والتعظیم
ای بای مصابیح لا توازیها مصابیحکم اضاءة وکثرة والرجوم جمع رجم
سمی به ما یرجم ومعنی کون الکواکب مراجم للشیاطین ان الشهب التی

تنقض

تنقض لرمی المسترقة منهم منفصلة من نار الکواکب لانهم یرجمون
بالکواکب انفسها لانها قارة فی الفلک وما ذاک الا کقبس یوخذ
من نار والنار ثابتة کاملة لا تنقص وفی الحدیث عن ابن عباس رضی الله
عنهما عن نفر من الانصار ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال لهم ما کنتم
تقولون فی هذا النجم الذی یرمی به قالوا یا نبی الله کنا نقول حین رایناها
یرمی بها مات ملک ولد مولود مات مولود فقال رسول الله صلی الله
علیه وسلم لیس ذلک کذلک ولکن الله تبارک وتعالی اذا قضی امرا
من امره سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم بتسبیحهم فسبح
من تحت ذلک فلا یزال التسبیح یهبط حتی ینتهی الی السماء الدنیا ثم
فیسبحوا فیقول بعضهم لبعض مم سبحتم فیقولون سبح من فوقنا فسبحنا
لتسبیحهم فیقولون الا تسالوا من فوقکم مم سبحوا فیقولون مثل ذلک
حتی ینتهوا الی حملة العرش فیقال لهم مم سبحتم فیقولون قضی الله فی
خلقه کذا وکذا للامر الذی کان یهبط به الخبر من سماء الی سماء حتی
ینتهی الی السماء الدنیا فیتحدثون به فیسترقه الشیاطین بالسمع
علی توهم واختلاف ثم یاتوا به الکهان فیحدثوهم فیخطیون ویصیبون
فتحدث به الکهان فیصیبون بعضا فیخطیون بعضا ثم ان الله حجب
الشیاطین بهذه النجوم التی یقذفون بها فانقطعت الکهانة الیوم
فلا کهانة وقد اختلف متی کان هذا الرمی بالنجوم فقیل انما حدث
بعد مبعثه صلی الله علیه وسلم لیلا تلتبس الکهانة بالوحی ولان ذلک
اظهر للحجة واقطع للشبهة واحتج من قال بهذا بکون العرب الی عمرو بن
امیة قد استغربت ذلک حتی فزعوا الی ذلک وسار بعضهم الی عمرو
ابن امیة الثقفی وکان من دهاة العرب فقالوا یا عمرو ایجد انهم الاتری ما حدث
فی السماء من القذف بالنجوم فقال بلی فانظروا فان کانت معالم النجوم
التی یهتدی بها فی البر والبحر ویعرف بها الانواء من الصیف والشتاء
لما یصلح الناس فی معایشهم هی التی یرمی بها فهی والله طی الدنیا وهلاک الخلق

شبکة الألوکة www.alukah.net

الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الامر اراده الله
به هذا الخالق فلو كانوا يعرفون هذا الرجم بالنجوم قبل ذلك ما انكروه
وايضا انكار الجن مما يدل على حدوثها قال تعالى حكاية عنهم وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع الاية وقيل بل كان قديما ويدل عليه حديث ابن عباس
السابق وقد ذكره قوم من قدماء الجاهلية في اشعارهم فوصفوا الرمي
بالنجوم قال بشر بن ابي خازم

والعير يرهقها الغبار وحشها • ينقض خلفها انقضاض الكوكب

وقال اويس بن حجر

وانيقض كالدري يتبعه • نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الجزع

يرد علينا العير من دون الفة • او الثور كالدري يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنته لها
الانس والجن ومنع الاسترقاق اصلا فلم ينكروا اذا اصل الرجم بالشهب
وانما انكروا كثرة ذلك والتغليظ فيه والتشديد ولم يكن قبل
ذلك قيل قوله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في هذا النجم
الذي يرمى به يدل على انه كان منتقدما وفيه نظر لان اولياء الذين
سألهم عليه الصلاة والسلام قد ادركوا زمن ولادته والمدعى ان
الرجم كان من حينئذ ويكون قوله ما كنتم تقولون بمعناه قبل الاسلام
ويدل ايضا قوله تعالى ملئت حرسا شديدا وشهبا على انه كان قبل
ذلك شيء لكنه كثر ذلك واشتد عند مبعثه صلى الله عليه وسلم
لتنقطع تخليطات الشياطين وتلبيساتهم بالكلية فوله من
اجل حفظ الاله الوحي للرسل جمع المولف للرسل يقتضي انه مر على
القول بان الرجم بالشهب كان قديما قبل مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم الا ان يكون اطلق الجمع واراد به الواحد الذي هو رسول الله

صلى الله

الطب بالخرز يداوي به الوجع والرجع استعمل صحح

صلى الله عليه وسلم على طريق المجاز تعظيما لشانه بان جعله عليه الصلاة
والسلام كانه كل الرسل او تنبيها على ان حفظ الوحي اليه صلى الله
عليه وسلم حفظ له ولجميع الرسل تقريره رسالاتهم واخباره عن
ايحاء الله تعالى اليهم ويحتمل ايضا ان يكون اراد بالرسل ملائكة السموات
الذين يوحي اليهم بالامر الذي يريده الله تعالى على العوايد ان يقضيه
في خلقه على ما سبق في الحديث ومن جملة ذلك الامر الوحي الذي يريد
الله تعالى ان تبلغه الملائكة الى رسله من بني ادم وهذا الوجه احسن
لعمومه وموافقته للحديث السابق وفي اقتضار المولف في الكواكب
على الفوايد الثلاث تنبيه على ابطال ما يدعيه جملة المنجمين لها
من السعود والنحوس والاحكام قال قتادة خلق الله تعالى النجوم لثلاث
زينة للسما ورجوما للشياطين وعلامات يهتدي بها فمن تاول
فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به

وعن محمد بن كعب والله
ما لاحد من اهل السموات والارض في النجوم ولكنهم يتبعون
الكهانة ويتخذون النجوم علة ولا يخفى ما في الكواكب من واضح الدلالة
على حدوثها ولزوم افتقارها الى الفاعل المختار من اوجه كثيرة
يطول تتبعها من جملة ذلك مقادير المخصوصة بدلا من سايرها
المقادير الجايزة عليها التي لا حصر لها ثم اختلاف مقاديرها اختلافا
لا يقدر على ضبطه مع جواز استوايها في مقدار واحد وجواز ان يكون
كل واحد منها على مقدار غيره ثم اختلاف محالها مع جواز غيرها من المحال
عليها من المحال عليها وجواز ان يكون كل واحد منها في محل غيره ثم اختلافها
في الاضوا المخصوصة التي تخلق معها والهيات والصور التي يختص
كل واحد بصورة منها مع جواز غير ذلك عليها الى غير ذلك من الجايزات
التي لا تخفى وبالله تعالى التوفيق

من ذا الذي لضروب الخلق يعلمها • على التفاصيل في علو ومسفل
الا الاله الذي بالحق ابدعها • سبحانه دايما في الصبح والاصل

شبكة الألوكة www.alukah.net

لاشك ان العلم القديم يباين العلم الحادث في امور كثيرة من جملتها
تناهي معلومات العلم الحادث وعلم الله تعالى لانهاية لمعلوماته
ومنها ان علم الله تعالى محيط بالمعلومات على الجملة والتفصيل
والعلم الحادث انما تعلقه بذلك القدر اليسير الذي تعلق به
من الموجودات على طريق الجملة لا على طريق التفصيل فعلمنا بما
الشجر مثلا انما هو على الجملة من انه جسم عريض طويل عميق قد اشتمل
على حيوانات كثيرة ولا نعلمه على التفصيل بان نعلم كم عدة ما فيه
من الفطرات وكم يتحرك ويسكن في اليوم او الساعة من الحركات
والسكنات وكم يعلوه من موج يضطرب فوق بسيطه انواعا
من الاضطرابات وكم فيه من يموج بعضه في بعض من انواع الحيوانات
وكم في كل واحد من جوهر فرد في لحم وعظم وعصب وكم يمر على عمر
كل واحد منها في الاوقات وكم يتعاقب على كل جزء من اجزايه من
الاعراض وكم يقطع في حركاته من الاحياز الى غير ذلك مما لا ينحصر
بالعقل من كل وجوه التقديرات ثم انقل نظرك بمثل هذا في سايير
العوالم الارضيات ثم في العوالم العلوية من العرش والكرسي
والجنة والنار والملايكة والسموات الى غير ذلك من العوالم التي
لا شعور لنا بانواعها ولا باسمايها لا جملة ولا تفصيلا من غير ما ذكر
من الكاينات كل ذلك غايب عن علومنا الحادثة ومنكشف لعلم
مولانا جل وعلا جملة وتفصيلا انكشافا لا يتغير ولا يعتريه
زوال ويتنزه عن ان يوقف وجوف انضافه به على خبرة او نظر
واستدلال وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لله تعالى
سبعة عشر نوعا من الخلق السموات السبع والارضون السبع
وما فيهما عالم واحد من ذلك هذا كله اذا نظرت فيما وجد من العوالم
واما اذا نظرت لما سيوجد في المستقبل من ذوات واعراض واحوال
قبل الاخرة وبعدها في القبور وفي الموقف ومواطن الاخرة مجتمع

العوالم العلوية والسفلية وما يوجد في الجنة والنار ابد الاباد
وان كان ذلك معلوما مع عدم نهايته على التفصيل لمولانا جل وعلا
في الازل بلا نظر ولا تامل فانه سيحصل لك بذلك عبرة عظيمة
بجلال الله تعالى وكمال علمه وقدرته ونفوذ ارادته وعلو ذاته وصفاته
وتنزهه عن شريك في ملكه وملكوته وعن ان يدرك العقل كنه ذاته
او صفة من صفاته وتنزهه عن شريك في ذاته او صفة من صفاته وكيف
لا وقد عجزت العقول عن الاحاطة على التفصيل بادنى مخلوق من مخلوقاته
تعالى قوله من ذا الذي لضروب الخلق الخ جمع ضرب بمعنى النوع قوله
بالحق ابدعها الباء للمصاحبة اي ابدعها مصاحبة للحق والمراد الدلالة
على حدوثها وافتقار كل حادث منها الى القادر المختار المنزه عن الشريك
والمعين والواسطة جل الرب الملك القهار قوله والاصل جمع اصيل وهو العشي
ثم الرياح جبال السحب سايقة ، والرعد والبرق يعشي ناظر المقل
واين ما امرن تنهل حاملة ، بحار ما تفيض الودق من خلل
كيما تكون لما في الارض منفعة ، اذ لم تفض دفعة فيها ولم تسل
تعزيل السحب ذاك الودق في سهل ، يحصل الرى في سهل وفي جبل

هذا عالم اخر وهو عالم الرياح ذكره لان فيه دلالة ايضا من اوجه
على وجوب وجوده تعالى ووحدانيته وكمال صفاته فانها مختلفة
بالشدة والضعف والجهات والاوقات والمنافع والمضار وكل
واحد منها يجوز ان يختص بغير الوقت الذي وجد فيه بان يتقدم عنه
او يتاخر وبغير الجهة التي نشا منها بان يهب من غيرها من سايير الجهات
وبغير القوة والضعف الذي يتصف به بان يكون اشد مما هو عليه
او اضعف وان يقترن بكل واحد منها من المنافع والمضار خلاف
ما اقترن به فوجود كل واحد من هذه الجايزات بد لا من مقابله
المجوز يشهد قطعا بحدوث تلك الرياح ووجوب افتقار كل واحد
منها الى الفاعل المختار تبارك وتعالى قال الله تعالى ومن اياته

ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بامره
قيل هذه الرياح التى ذكرها مولانا جل وعز بصيغة الجمع هى الجنوب
والشمال والصبا وهى رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب
ولذا قال عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
وقد عدد سبحانه فى هذه الايات المنافع التى قرن بها بعض خلقه
واختياره وهى بشارة بالغيث واذاقة الرحمة وهى نزول المطر وحصول
الخصب الذى يتبعه والروح الذى مع هبوب الريح وذكا الارض قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت الموتفكات زكت الارض
وازالت المعفونة من الهوا وتذرية الحبوب وغير ذلك هذا كله
داخل فى الرحمة التى ذكر جل وعلا ومن المنافع التى قرن بها تبارك وتعالى
اجرا الفلك فى البحر عند هبوبها وانما زاد جل وعلا بامره فى هذه
المنفعة تنبيها على انه جل وعلا المنفرد باجرا الفلك بلا واسطة
وجعل بعض اختياره علامة خلقه لذلك هبوب رياح مخصوصة
على وجه مخصوص اذ كثيرا ما يخالف الله الارسا والايوا الى السواحل
عند هبوب بعضها او الكسر والغرق والاهلاك عند بعضها
عواصفها قوله جبال السحب سابقة جبال مفعول مقدم لسايقة
واسناد السوق اليها مجاز عقلى لما علم من وجوب اسناد الكاينات
على الحقيقة الى الله تعالى بلا واسطة ولا اثر لكل ما سواه جل
وعلا على العموم فى اثرها وجملة وتفصيلا والسحب جمع سحاب
ماخوذ من السحب الذى هو الجر كان بعضه يسحب بعضا اى يجره
قوله والرعد والبرق يعشى الظاهر ان الجملة فى موضع الحال
ومعنى يعشى ناظر المقل اى بصيره ينظر نظر من يعينه افة هم
فتكون همزة التعدية دخلت على عشا المفتوح العين لا على اعشى
المكسورها والفرق بينهما انه اذا حصلت الافة فى البصر قيل
عشى بكسر عين الكلمة واذا نظر نظر العشى ولا افة به قيل عشى

بفتحها

بفتحتها ونظيره عرج لمن به الافة وعرج لمن مشى مشية العرجان
من غير عرج ولا شك ان الذى يتصف به الناظر عند لمعان البرق ان
ينظر نظر من به الافة لما يعرض لبصره من الضعف عند مشاهدة اتساع
الضوء لا انه يحصل بنظره الآن افة ونظير هذا قول الحطيئة
متى تاته تعشو الى ضوء ناره • تجد خير نار عندها خير موقد
معناه تنتظر الى ناره نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود
واتساع الضوء ويويتى ايضا من قول حاتم
اعشوا ذا ما جارلى برزنه • حتى يوارى جارتى الخدر
ومنه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن معناه يتعامى عن ذكره
اى يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا واسناد المولف حفظه الله تعالى
الاعشا للرعد والبرق معا وان كان موجبه البرق وحده صحيح لاجل
التلازم الذى بينهما فى الغالب فصار من يحس بلمعان البرق
يقصر فى نظره وينظر نظر الاعشى خوفا على بصره من الاختطاف ومن
سمع صوت الرعد يفعل كذلك خوفا على بصره من ان يرد عليه لمعان
البرق بغتة للزومه للرعد عادة او خوفا من صواعق تنزل عند ذلك لانها
كثيرا ما تكون فى بعض الاوقات وبالجملة فاسناد الاعشا الى البرق
من حيث ذاته واسناده الى الرعد بالعرض من حيث دلالته على البرق
او غيره ويحتمل ان يكون اسند الاعشا اليهما بطريق الكل الذى يكفى
فيه ثبوت الحكم للبعض على احد قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان
فان خروج ذلك انما هو من احد البحرين واسند اليهما على طريق الكل
لا على طريق الكلية التى تقتضى ثبوت الحكم لكل فرد على الاستقلال
هذا كله اذا جعلنا يعشى خبرا عن الرعد والبرق معا ويحتمل ان يكون
فى موضع الحال من البرق وان كان الحال من المبتدا ضعيفا ويكون خبر
الرعد والبرق محذوفا تقديره كذلك اى الرعد والبرق فى حال كونه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يعشى ناظر المقل مثل الرياح فى سوق السحب والدلالة عليها عادة
والمقل جمع مقلة وهى شحمة العين التى تجمع السواد والبياض والناظر
موضع البصر منها الذى تراه كانه صورة انسان والرعد والبرق عند
الفلاسفة صوت وناريجدثان عند اضطكاك اجرام الهوا ولذلك
اكثر ما يكونان عند انتقال الزمان من البرد الى الحر والعكس لانه
يأتى البرد فيصادف الهوا حارا او بالعكس فتحدث اصوات الرعد
من تلك الاصوات وتكون النيران لشدة الاضطكاك واما السنيون
فيقولون ان الرعد ملك وقيل صوت ملك يزجر السحاب الى الجهة
التى يريد الله سبحانه وتعالى والبرق صوته وقوله واين ما امرت تنهل
الضمير يعود على السحب ومعنى تنهل تصب ما حملت من الما والظاهر
ان جواب اين محذوف والتقدير اين ما امرت ذهبت تنهل او اطاعت
او انقادت ونحو ذلك والودق المطر قوله كى ما تكون ما زايدة وكى
للتعليل بمعنى اللام وهو علة لافاضتها الودق من خلل

احيا به الارض فاهتزت جوانبها، فاصبحت من صنوف الزهر فى حلل
اما الثمار فاصناف منوعة، شكلا وطعما كذا امر المحبوب جلى
لانها الاصل فى اصل الحياة الى، ان يبلغ المرء منا منتهى الاجل

تعرض المولف حفظه الله تعالى فى هذه الابيات لبعض المنافع
التى اختار سبحانه ان يخلقها عند انزال المطر من غير ان يكون للمطر
فيها تاثير اصلا لا بطبعه ولا بقوة اودعت فيه وانما حكمه فى ذلك
كسايرالاسباب العادية بوجد الله سبحانه ما يشا من الكاينات
عندها لا بها فقول المولف احيى به الارض لا يريد به ان المطر
شبه آلة له جل وعلا او سبب يستعين به على احيا الارض واخراج
نباتها او علة تبعثه على خلق منفعة النبات والثمار عندها
لاستحالة ان يشارك مولانا جل وعلا شيء على العموم فى ايجاد كاين ما
من الكاينات كما استحال ان يكون لفعل من افعاله علة تبعثه

على خلقه

على خلقه بل هو جل وعلا المتفرد بايجاد جميع الكاينات عند كاين آخر من
مخلوقاته لا به ولا لسر فيه ولا يوجد عند عدمه اطلق على
ذلك الكاين الذى اقترن وجود الكاين الاخر به وجودا وعدما
اسم السبب له على طريق المجاز وربما اسند وجوده اليه ايضا على
سبيل المجاز فالباء فى قوله المصنف به للسبب المجازى لا للحقيقى
واطلق وارادبه احداث مولانا جل وعلا القوة النامية فى الارض
ونظريتها بانواع النبات والثمرات على سبيل الاستعارة تشبيها
للمطر بالروح ولهذه الحالة التى وجدت عنده بالحيا التى
اجرى الله تعالى العادة ان يخلقها فى الابدان ونظريتها بالقوى
والحواس عند مشابكة الارواح لها ومعنى اهتزت جوانبها
تحركت بالنبات وانواع الجيوب والثمرات وقوله فاصبحت مساه
صارت قوله من صنوف الزهر فى حلل استعارة حسنة شبه ما
اخرجه الله تعالى فى الارض بلا واسطة عند نزول المطر
من انواع الزهر الكثير الشديد الخضرة المتقارب بعضه من بعض
تقاربا استتر به جرم الارض وتراكم حتى توهم انه سطح واحد
متصل الاجزا على سطح واحد مثل فوق الارض بالحلل وهو جمع
حلة وهى ثوب يكون فوق البدن وقوله اما الثمار فاصناف
منوعا شكلا وطعما اشار الى نحو ما فى الاية وهو قوله عز وجل ومن
كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين اى صنفين اثنين كالصغير
والكبير والحلو والحامض والاسود والابيض ولا خفا ان اختلاف
الازهار والجيوب شكلا وقدرا ورايحة وطعما الى غير ذلك
من الاختلافات مع اتفاق اصولها واسبابها العادية وقبول ذواتها
لغير ما هى عليه مما يشاهد حدوثها وافتقارها الى تخصيص قادر
مختار واجب الوجود منزه والشريك فى ذاته وصفاته وافعاله
قوله لانها الاصل فى اصل الحياة اشار الى بيان المصلحة التى لاجلها

الله سبحانه على سبيل التفضيل لا على سبيل الايجاب انواع الحبوب والثمار
وجعلها انواعا متنوعة حتى يتمكن من تعذر عليه نوع منها ان يجد
نوعا غيره ومن لم يصلح مزاجه عادة لهذا النوع صلح لغيره
ومن لم يظفر بالكثير امكنه الظفر بالقليل وذلك كله لاجل
ما قرن سبحانه وتعالى عادة مع تلك الارزاق من موالات
خلق اعراض الحياة وفرعها في الابدان الحيوانية الى ان يجيئ الزمان
الذي هو منتهى باجال حياتها واوان هدم بنيانها في علمه
جل وعلا فانه حينئذ نهايتها ارواحها ويخلق في اجزائها اعراض الموت
وينقلها الى عالم اخر تسعد فيها او تشقى فقول المولف
رحمه الله لانها الاصل في اصل الحياة يعني بحسب العادية والمجاز
والا فمن المعلوم عقلا ونقلا انه لا اثر للمأكول ولا للمشروب
وقطع ومرض ونحو ذلك مما هو كثير صح اسنادها على طريق
المجاز الى ما جرت به العادة ان يوجد عنده من غير ان يكون
له فيها اثر البتة وبالله تعالى التوفيق

ويولج الليل طورا في النهار كما قد قال يولجه في الليل بالبدل
ان طال ذا صار هذا بعد ذا قصرا واعتدلا فلم يقصر ولم يطل

هذا ان عالما احران وهما عالما الليل والنهار جمعا بين الدلالة على
وجوب وجوده تعالى وتعظيم قدرته وعلمه ونفوذ ارادته وو
جوب وحدانيته كما اشار سبحانه الى ذلك بقوله تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لاولي الالباب وبين الدلالة على اظهار نعمه ومراعاة مصالح
خلقه وفضله منه جل وعلا كما اشار سبحانه الى ذلك بقوله
تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة الى قوله
تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون واشار بقوله المولف ان طال ذا صار هذا

بعد

بعد ذا قصرا الى تغير ادلاج بعض الملوين في الاخر فبين ان معنى الايلاج
احدهما في الاخر هو زيادته تعالى في احدهما ما ينقص من الاخر
من الساعات وبيان ذلك انه اذا دخلت الشمس برأس
الحمل هو الاعتدال الربيع الذي يستوي فيه الليل والنهار
بان يكون في كل واحد منهما اثنا عشر ساعة معتدلة
واخذت في حلول ما بعده من الدرجات صاعدة الى جهة
القطب الشمالي طالبة نقطة سمت الرؤوس سايرة في البروج
الشمالية فان الليل يبدأ في النقص عن كمال اثنا عشر
ساعة معتدلة المقدار الذي انتقص من الليل وهكذا
لا يزال الليل ينتقص كل يوم ويدخل ما انتقص منه في
النهار فيزداد النهار بذلك طولا ويزداد الليل قصرا الى ان
تحل الشمس في راس السرطان الذي هو منتهى الميل الكلي
على راس الحمل هكذا الى جهة القطب الشمالي وهو اربع وعشرون
درجة فاذا انتهت الشمس الى راس السرطان رجعت الى
منحدرة الى جهة القطب الجنوبي وصار يزداد في اليوم كل
يوم جزء مما كان ادخل منه في النهار فيرجع ذلك الجزء ليلا
بعد ما كان نهارا فهو منتقص من النهار موج في الليل ولا يزال
يرجع الى الليل من النهار جميع ما كان اخذ منه شيئا فشيئا الى
ان تحل براس الميزان فيستوفي الليل من النهار جميع ما كان اخذ
منه من كمال مجموع الساعات التي كانت فيه عند الاعتدال وهي اثنتي
عشر ساعة معتدلة ويرجع ذلك الماخوذ كله ليلا بعد ما كان
نهارا فيعتدلان ويرجع زمان كل واحد منهما اثنتي عشر ساعة
معتدلة كما كان عند حلول الشمس برأس الحمل فاذا انتقلت الشمس
عن راس الميزان ومالت منحدرة الى جهة القطب الجنوبي سايرة
في البروج الجنوبية فان النهار يبدأ في النقص عن تكميل الاثنتي عشر الساعات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعتدلة ويزيد الليل بهو على اكمالها الزيادة التي انتقصت من النهار
فيرجع ح الليل اطول من النهار بعد ما كان معتدلا معه لانه اولج فيه
بعض النهار فيرجع ذلك ليلا وهكذا لا يزال النهار ينتاقص
ويدخل ما انتقص منه في الليل الى ان تحل الشمس راس الجدي الذي
هو منتهى الميل الكلي عن راس الميزان الى جهة القطب الجنوبي وهو
اعني طول الليل وقصر النهار وعكس ما يكون عند حلول الشمس
براس السرطان فاذا اخذت الشمس راس الجدي رجعت صاعدة الى
جهة القطب الشمالي في مثل مدارجها التي كانت انحدرت فيها
عن راس الميزان الى جهة القطب الجنوبي وصارت عند صعودها
يزداد في النهار ما كانا اخذ منه الليل شيئا فشيئا فينتقص ذلك
الشيء من الليل ويرجع نهارا ولا يزال الامر كذلك الى ان تحل الشمس
براس الحمل الذي هو نظير الميزان فيستوي النهار ح بجميع
اخذ منه الليل من ساعته المعتدلة فيرجع كل واحد منهما
الى مكانه عليه عند حلول الشمس براس الميزان وهو الاعتدال
بحيث لا يزيد احدهما على الاخر بشيء فاذا ابدات الشمس ايضا
بالصعود في البروج الشمالية رجع الامر الى ما كان اولا من
زيادة النهار ونقص الليل وهكذا ابدا الا ان يريد الله
تعالى خراب هذا العالم ويعطل حركات الافلاك والكواكب
والشمس والقمر وقد استبان بهذا ان ايلاج احد الملوين
في الاخر على هذا القول ليس ايلاجا لجميعه بل لبعضه وليس هو
ايضا عاما في جميع الاوقات بل هو خاص بالافاق المائلة
التي لها عرض بان مالت فيها دايرة راس الحمل والميزان عن سمت الروس
وصعد فيها القطب الذي مالت دايرة راس الحمل والميزان عن
جهة فوق الافق ونزل القطب الاخر الذي مالت الدايرة الى جهة
لمقدارها مالت الدايرة عن سمت الروس واما الافاق المستقيمة

التي

التي لا عرض لها وانتصب للفلك فيها على الاستقامة فان كانت دايرة راس
الحمل والميزان منتصبة فوق الرؤس على نقطتي سمتها والقطبان فيها
على طرفي الافق فان الليل والنهار فيها معتدلان ابدا وقد قيل
في معنى قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ان ذلك
عبارة عن تحصيل ظلمة هذا في مكان ضيا ذلك عند غيبوبة
الشمس عن الافق وتحصيل ضيا ذلك في مكان ظلمة هذا عند طلوع
الشمس فوق الافق كما يضي الرسب بالسراج ويظلم بفقده ٭

وسعة الكل الكرسي في عظم ... كحلقة في فلاة جاب في المثل
ثم الجميع كذا العرش نسبته ... سبحان مالك هذا الملك لم يزل
صنع الاله الذي بالحق اتقنها ... من قاس بالفعل صنع الله لم ينل

اشار بهذا الى ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
ما السموات السبع والارضون السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة
في فلاة من الارض وما الجميع في العرش الا مثل ذلك ولا خفاء بدلالة
هذا الكلام على وصول عظم العرش الى غاية التي لا يعلمها الا الله تعالى
الذي خلقه وخلق سايز العوالم فانه قد قيل ان جرم الشمس
وحدها هو قدر الارض مايتي مرة وستة وستين مرة والله اعلم
ومن المعلوم ان نسبة جرم الشمس الى السما الدنيا التي هي اصغر
السموات كلا شيء يدلك على ذلك ظهور جرمها في جزء يسير جدا
الا نسبة له الى سبعة هذه السما الدنيا وية فيكفي تكون نسبتها
الى السما التي فوقها ثم الى التي فوقها ثم كذلك كذلك مع ذلك جعل الجميع
الارضين السبع وجميع السموات السبع بما فيهن من شمس وقمر
وكواكب وملايكة الى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الارض ثم جعل
جميع ذلك الى العرش كهذه النسبة وانظر ما يدب به كل جزء من اجزاء
هذه العوالم في كل لحظة من الاعراض وما يقترن مع ذلك من
مصالح واعراض ثم كل ذلك معلوم لمولانا جل وعلا في الازل من غير تامل

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا استدلال ولا يعتريه سهو ولا زوال ولا يشغله تدبير ولا شان
عن شان جل الرب الكبير المتعال قوله صنع الاله منصوب على المصدر
وهو من المصادر المؤكدة كقوله تعالى وعد الله وصبغة الله وعامله
محذوف وتقدير صنع ذلك كله الله صنعة الذي لا تقن فيه ولا شريك
معه ولا تعيين في شيء من ذلك ويحتمل ان يكون مصدرا نوعيا
وذلك ان الصنع على ضربين مجازي وحقيقي فالمجازي هو المضاف
الى كسب العباد وما يقارن قدرهم الحادثة التي لا اثر لها في اثر
ما البتة ثم مع كونهم لا يخرجونه اثرا ما من عدم الى وجود لهم معانا ت
وتقبضونات في هذا الفعل المضاف لهم على سبيل المجاز والصنع
الحقيقي هو المضاف الى مولانا جل وعز اذ هو سبحانه المخترع
للكائنات كلها بلا واسطة ولا معانات ولا تعب ولا تتغير
لذلك ذاته ولا صفة من صفاته ولا يتعجبه للفعل من الافعال
غرض ولا سبب فكان المصنف على هذا يقول صنع الله تعالى
هذه العوالم مع كثرتها وعظمتها صنع الاله الذي هو صنع
الحقيق المنزه عن التغير والمعانات والسبب لا صنع المخلوق
الذي هو مجاز اذ لا تاثير لهم في اثر ما فلا صنع لهم اذ الشيء على سبيل
الحقيقة ثم هو مع مجازه مستمر بتغيرات في ذواتهم وصفاتهم
قوله بالحق اتقنها يعني بالحق ما وجب لله تعالى من كمال وجود الذات
وعلى الصفات كعموم القدرة والعلم والارادة والقدم والبقا
والوحدانية ونحو ذلك مما يجب لله جل وعلا اشار بذلك الى دليل
وجوب القرار له جل وعلا اشار بذلك الى دليل وجوب القرار بايجاد
الكائنات كلها والعوالم على كثرتها واختلاف صفاتها وهو
اتقانه تعالى بالحق اي الواجب من الصفات التي لا يعتريها
تغير ولا نقص ولا يجوز عليها شيء من الافات اما غيره جل وعلا
فهو من حيث ذاته عدم محض باطل لا وجود له ولا تحقق

الا بايجاد الله تعالى وتحقيقه لذاته واعراضه فاني يكون لمن هذا
وصفه صنع شيء ما على سبيل الحقيقة الا كل شيء ما خلا الله باطل
فيكون المولف على هذا اشار الى معنى قوله تعالى بعد ان ذكر
خلقه جل وعلا العوالم وتدبيره شونها ذلك بان الله هو الحق
وان ما تدعون من دونه الباطل اي ذلك الوصف الذي حاطم
وصف به المولى العظيم جل وعلا من خلقه تلك العوالم والا
وما يجري فيها وعليها وادراكه كل قوله وفعل بسبب الله هو
الحق الثابت الالهية وان كل ما يدعى سواه فهو باطل معروس
في نقيضه العدم والافتقار الاصلي اللازم الذي لا يمكنه الا
الانفكاك عنه البتة فاني له والمشاركة في شيء من احكام
الالوهية كالاختراع والاثر ما ونحوه ويحتمل ان يريد المولف
بقوله بالحق المصاحبة اي اتقنها مصاحبة للحق وهو الدلالة
على كمال ذاته وصفاته والاول اولى واحسن قوله
اتقنها اي اوجدها ودبر امرها على وفق مراده ارادته وعلمه
فالدني يوزن وجوده على ما اراده الله تعالى من الدني والتقن جل وعلا
ذلك الدني والمراد اتقانا لا يختل عما اراد منه بحيث لو اجتمعت
العوالم كلها ان يبدلوا مراده تعالى تصريفا وذلك الدني عاليا
لما قدروا والعالي باعتبار علوه مثله والمتوسط باعتبار توسطه
مثلهما وكل حادث لا يمكن فيه خلل باعتبار ما اريد منه وذلك
الا لاسناد الكائنات كلها الى الحق الذي لا يصح عليه تغيير ولا
يجوز فيه تبديل اذ لو اراد ان يكون هذا المخلوق ادنى في الخالق
والخالق كان يريد منه ان يكون اعمى واعرج او يريد منه ان يكون
كافرا او فاسقا فخرج ذلك المخلوق كاملا على خلاف مراده
لبطل الاتقان الا ترى ان صانعا لو اراد ان يصنع ثوبا دنيا يلبسه
لمن يليق به فغلبه الحال وخرج ذلك الثوب عاليا على خلاف

مراده لنسبة الخطا وعدم اتقان الصنعة والعلم بها فمعنى الاتقان
اذ اجريان الفعل على وفق الارادة والعلم كان ذلك الفعل في
نفسه قويا او ضعيفا ناقصا او كاملا ضعيفا او رفيعا والى
معنى هذا الاتقان اشار القران في ايات كقوله تعالى من يهدى
الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ومن
يضلل الله فلا هادي له وقال ومن يرد الله فتنته فلن تملك
له من الله شيا وقال ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله
وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال افمن حق عليه
كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار الى غير ذلك مما لا يحصر
فاحسن فهم معنى اتقان الله تعالى للكاينات فانه مما يغلط
في معناه كثير وكل وبالله التوفيق قوله من قال بالفعل صنع
الله لم ينل بعض اذ عجايب صنع تعالى واسرار تدبيره في ملكه
وملكوته مما لا يحيط بها العقول فمن حاولت عقلها بفحله ويصل
الى منتهاها بفكره لم ينل غرضه من ذلك وانقلب عقله اليه
خاسا حسيرا واشار بذلك الى هوس ما عول عليه المجنون
وخاض في شانه والهيئة المهندسون في موافي هيئة الارض
واجرام الافلاك والكواكب وحركاتها بامور ملوها الدفاتر وهولوا
فيها غاية التهويل بعبارات واصطلاحات غير مالوفة اغربوا
فيها على كل سامع وناظر ولا مستند لهم في جميع ذلك الا محض تخيلات
لعقولهم الناقصة وهي في الضعف اوهن من بيت العنكبوت وسبب
محنتهم ومحنة من اولع نحو ايفهم الجهل بمعرفة الله تعالى بالطرق
التي نص عليها في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
الذي من حاد عن سبيل سنته لم يكن لعدم من اقدام عقله شيء من النبوات
صلوات الله تعالى وسلامه عليه صلاة وسلاما دايمين

بدوام

بدوام الحي القيوم الذي لا يتغير ولا يموت ولقد احسن المقصد رحمه الله تعالى
في كتابه الموافق فانه لما ذكر هيئة الارض وهيئة الافلاك واطال
في ذلك على حسب ما مرض عليه المنجمون اعتذر عن ذكر تلك الامور
بان قال اوردناها لنقف على مقصدهم واذا رايته محض تخيلات
او هن من بيت العنكبوت لا يهلك سماع هذه الالفاظ ذوات المخارج
ويحتمل ان يكون المولف رضي الله عنه بقوله من قاس بالفعل صنع الله
لم ينل التنبيه على مذهب المعتزلة الذين ابتدعوا بدعا شنيعة كاعتقادهم
ان العبد يوجد افعاله بما اعطاه الله تعالى من القدرة عليها وارادته
تعالى لا تتعلق بالكفر ولا بالمعاصي وان افعاله معللة بالاغراض
وان مراعاة المصلح واجبة عليه عقلا ونحو ذلك من البدع
التي قالوا فيها ومستندهم في جميع هذه البدع التحسين والتقبيح
العقليات وقياس احكامه تعالى وافعاله على احكام المخلوق
وافعالهم بلا جامع وما احسن قول الشيخ الاشعري رضي الله تعالى
عنه عند مناظرته للجبائي وتبكيته له بالحجة مع التنزل معه على
اصله الفاسد من التحسين والتقبيح العقليين ولقد وقف
حمار الشيخ في العقبة ثم قال رضي الله عنه ان توزن احكام ذي الجلال
بميزان الاعتزال نسئله سبحانه ان يحيينا ويمتنا على معرفته
واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما ذكره الذاكرون وغفل
عن ذكره الغافلون

وكلها في هوان ذا عجب ... بقدرة الله لا تعجب لمنفعل
بل يحمل العرش املاك ثمانية ... وفي الحقيقة قطعا غير محتمل
اذ معه حملوا ان بالثرى وقعوا ... او بالهواء فلا تبعد ولا تحل
بل في السموات املاك بلا عدد ... حتى لموضع كف بالسجود ملي

قد عرفت وجوب انفراده جل وعلا بايجاد جميع الكاينات بلا واسطة

ولا معاونة ولا استعانة بشئ سواه ومن جملة الكائنات استقرار العوالم
من سموات وارضين وعرش وكرسي وجنة ونار وما فيها في احيازها
المعينة لها فيجب ان يكون هذه الاستقرار لها في تلك الاحياز
مستندا الى الله تعالى وحده بلا واسطة كما قال تعالى ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
فان قلت فيه وقال جل وعلا ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه
ومن المعلوم وجب تناهي مجموع العوالم الموجودة من كل جهة الى طرق لا
يكون بعده عالم لاستحالة ان يكون يد خل في الوجود ما لا نهاية له
واذا وجب انقطاع العوالم كلها عند منتهي طرقها تعين ان لا ممسك
لمجموعها سوى الفعال المختار جل وعلا وما وجد تحته عماد عادي
من العوالم الجزئية كوجود نا ممسكين فوق الارض والسقف
وفوق الجدران والعرش فوق حملته ونحو ذلك قطع بان ذلك
العماد لا اثر له البتة لا بطبعه ولا بقدرة فيه في استقرار ما فوقه
في ذلك الحيز الذي هو فيه وانما الله سبحانه هو الذي انفرد بامساكه
وحده بلا واسطة واجرى سبحانه وتعالى العادة بمحض الاختيار
ان يخلق التماسك عند وجود تلك الاعمدة لا بها فاذا اسند
الامساك او المحل لتلك الامور الى الله تعالى فهو على سبيل الحقيقة
واذا اسند الى تلك الاعمدة العادية فهو على سبيل المجاز والى
هذا اشار المولف رحمه الله باسناده امساك تلك العوالم كلها
في الهواء الى قدرة الله تعالى ثم بين ان العرش واذا اسند في الشرع
حمله الى الملائكة فليس باسناد حمله الهم على سبيل الحقيقة
كما استحالة ان يوثر في فعل من الافعال غير مولانا جل وعز بل هو
اسناد مجازي كالاسناد الى سائر العادية وعلاقة المجاز فيها
وجود الفعل عندها لا بها وانما اسناد وجود جميع الافعال كلها على

الجملة

الجملة والتفصيل بطريق الحقيقة الى الله تعالى وحده لا شريك له في اثر من
الاثار البتة والى نفي اسناد الافعال الى غيره تعالى على سبيل الحقيقة
يشير قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم حقيقة اذ الخالق لجميع
الكائنات جملة وتفصيلا سواه جل وعلا وقد اوضح سبحانه الفرق
بين الاسنادين في قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اي ما رميت
حقيقة اذ رميت مجازا ولكن الله رمى حقيقة اذ هو سبحانه الذي
حرك اليد وحده بلا واسطة عند خلقه فيها قدرة حادثة
تقارن الافعال ولا توثر في شئ منها البتة وهو الذي حرك
ما في اليد من اله ضرب ورمي ونحوهما وهو الذي اوصل ذلك الي
المضروب او المرمي بلا واسطة ثم هو الذي خلق عندها لا بها
ما شاء من جرح والم وموت لا اثر في ذلك لضارب ولا لحديد
ولا لمحز ولا لشئ على العموم سواه جل وعلا في تلك الامور المقارنة
لهذه الافعال ليست الا شبيه الابواب والامارات اجرى الله تعالى
سبحانه العادية بمحض الاختيار اذ يوجد عندها بلا واسطة
ولا استعانة بشئ منها البتة ما شاء من الافعال ومارتب
على ذلك من قصاص وثواب وعقاب فكلمة بمحض اختياره تعالي
ولا علة لشئ من احكامه ولا افعاله وكل ما يوجد من تعليل
في ذلك على لسان الشرع فليس المقصود منه عند اهل
السنة حقيقة التعليل بل المقصود منه التجوز باطلاق العلة على
الامارة التي نصبت معرفة بالحكم ودليلا عليه لتلبس الحقيقة التوحيدية
بلسان الشريعة الحكيمة بعثا للمكلف على القيام بحقها ومن معنى ما
سبق في وقوع اسناد وجود الفعل الى الله تعالى على سبيل الحقيقة واذ
وقع اسناده الى غيره بالمجاز قول تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها وقال في اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل
بكم وفي اخرى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا فالمعنى الله تعالى

الا نفس حقيقة اذ هو الخالق جل وعلا لحركاتها وخروجها من اجيارها
المالوفة لها في الابدان ثم هو الذي ينقلها بعد خروجها الى ماشاء
لها من مستقر وحال لا شريك معه في شيء مع ذلك البتة وما اسند
من توفيها الى ملك اوليه او الى اعوانه فهو على طريق المجاز وعلاقته
خلق الله تعالى ذلك التوفي لها عند مجيء الملك واعوانه لقبضها
واخراجه تعالى لها من مقارها عند تحريكه تعالى ايديهم بقصد
جذبها وامانفي الحقيقة فلا اثر لهم قطعا في شيء من الاحوال
الانفس ولا غيرها بل ولا في حركات ايديهم ولا في قبضها او بسطها
والكل خلق الله تعالى والفعل وحده بمحض الاختيار المنفرد بالايجاد
والتدبير بلا واسطة ولا معاونات الرب المالك العزيز الوهاب
فقول المولف بقدرة الله تتعلق بالخبر المقدر في المجرور
قبله وهو قوله في هواء والتقدير وكلها ثابتة في الهوا بقدرة
الله وجملة اذ ذا عجب جملة اعتراضية معترضة بين المتعلق
ومتعلقه وانما لم يوخره عنهما لانه لا معنى للتعجب بعد ما يسند
ثباتها في الهوا لقدرة الله عز وجل للعلم بان قدرته لا يعجزها ممكن
كما اشار اليه اخرا بقوله لا تتعجب فتنقل فضاء التعجب الاول من امساك
العوالم كلها في الهوا انما هو بالنظر الى ذلك الامساك في نفسه لتلك
الاجرام العظيمة الثقيلة المتكاثرة من حيث انخراق العادة فيه
اذ العادة ان الجرم الثقيل لا يتماسك في الهوا فلا تتعجب فتنقل بها
وهو احسن قوله بل يحمل العرش املاك ثمانية هو اضراب
انتقال الى زيادة عالم اخر في العوالم الملك الممسك بقدرة الله
تعالى كانه يقول لم تمسك تلك العوالم وخدع في الهوا بل امسك
معها في الهوا هذا العالم الاخر الذي زاد في ثقلها وما اضيف
اليه من الحمل للعرش فهو مجاز لا حقيقة بل امسك من الجميع
في الهوا عالم الملايكة الذين لا احصر لعددهم والى هذا الاخر اشار

التالي

بقوله بل في السموات املاك بلا عدد الخ وحملة حملة العرش
ثمانية هو نص القرآن في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
وقد اختلف في ذلك فعنه صلى الله عليه وسلم انهم اليوم اربعة
فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرين فيكونون ثمانية
وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخم الارض السابعة والعرش
فوق رؤسهم وهم مطرقون ومسبحون وقيل بعضهم على صورة
الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة
الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك على
خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما
وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك الله
وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم
كم هم ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم
الا الله سبحانه وتعالى وقد روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض
السفلى وروسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفع طرفهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن
تفكروا فيما خلق الله من الملايكة فان خلقا من املاكة يقال
له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقد مكاه في
الارض السفلى وقد مرقدمه من سبع سموات وانه ليتضاءل
له من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث تبارك وتعالى
امر الجميع الملايكة ان يقوموا ويرحبوا بالسلام على حملة العرش
تفضيلا لهم على سايرالملايكة وقيل خلق الله تعالى العرش
من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوايمه خفقان الطير
المسرع الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملايكة
يطوفون به مهللين ومكبرين ومن وراءهم سبعون الف صف قيام

قد وضعوا اليديهم على عوانقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم
مائة الف صف وصفوا الايمن على الشمايل ما منهم احد الا هو يسبح بما لا
يسبح به الاخر قوله وفي الحقيقة قطعا غير محتمل الظاهر ان غير خبر
مبتدا محذوف ومحتمل اسم منصوب على المحل الذي هو رفع الشيء الثقيل
والمعنى ان العرش وان اسند حمله الى الملايكة الثمانية فليس الا على
طريق المجاز اما في الحقيقة قطعا فهو غير محتمل لهم ولا لاحد من المخلوقات
وانما امسكه كما امسك غيره من العوالم الرب قادر منفرد بايجاد جميع
الكاينات قوله اذ معنى حملوا الخ استدلال على وجوب استناد اما لك
جميع العوالم في احيازها على سبيل الحقيقة الى الله تعالى بوجب
انها العوالم الى طريق لا يكون تحت عالم لاستحالة ان تدخل في
الوجود من العوالم ما لا نهاية له واذا وجب قطعا ان لا عماد
تحته لان لا يلزم التسلسل فقد امسك اذا جيبه الله تعالى في الهوا
بلا عماد وكل ما دخل في جوفه فلا يصح ان يعزى له شيء من امساك لما فوقه
اذ لم يزد العالم الا ثقلا يوجب بمقتضى العاده لولا امساك الله تعالى
له بلا واسطة لينهار هو وما فوقه وما تحته ان كان تحته شيء الى اسفل
قوله حتى لموضع كف بالسجود ما اراد بالسجود الخضوع الشامل
للركوع والسجود بالمعنى العرفي واشار بذلك الى ما في الحديث عند صلى
الله عليه وسلم قال اطط السما وحق ان تيط ما فيها موضع راحة
الا وفيها فيه ملك راكع لله او ساجد ومن تفسير الامام الفخري
في سورة البقرة قال عليه الصلاة والسلام اطط السما وحق لها
ان تيط ما فيها موضع الا وفيه ملك ساجد لله وراكع وروي
ان بني ادم عشر الجن والجن وبني ادم عشر حيوانات البر وهولا
كلهم عشر حيوانات البحر وكل هولا عشر ملايكة الارض
الموكلون وكل هولا عشر ملايكة سما الدنيا وكل هولا عشر ملايكة
السما الثانية ثم على هذا الترتيب الى ملايكة السما السابعة ثم

الكل

الكل في مقابلة الكرسي تردد قليل ثم هولا ملايكة السرادق الواحد من
سرادقات العرش الذي عدد بها سماية الف طول كل سرادق وعرضه
وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما بينهما فانها تكون شيا
يسيرا وقدرا صغيرا وما مقدار هو موضع قدم منها الا وفيه ملك ساجد
وراكع او قايم لربه بالتسبيح والتقديس ثم كل هولا في ملايكة اللوح
الذين هم اشياع اسرافيل عليه تردد اه

وانظر لنفسك ايضا هل ترى خللا ... وهل ترى ملكا عضوا غير معتدل
من نطفة بين القرا نشاتنا ... فافهم مضمن باقي الاي وامتثل
لحم وعظم صليب شده عصب ... والنفخ للروح سر عنه لا تسل
سر من الامر جل الله خالقه ... وانما خاض فيه القوم بالجدل
قد ذكر الله في القرآن نشاتنا ... للاعتبار ولكن في تشغل

قد حض سبحانه على النظر في الانفس بقوله وفي انفسكم افلا تبصرون
ولا شك انها شاهدة على القطع بوجوب وجوده تعالى وحدانيته
ووجوب اتصافه تعالى بصفات الالوهية من اوجه كثيرة من ذلك
ان النطفة التي هي اصل منشاتها هو جسم جماد ذكر ما يع يقبل
في نفسه من المقادير والصفات ما لا نهاية له ثم مع ذلك اختص من كل
نوع من تلك الجايزات بمقدر مخصوص منها مع مساوية لغيره في الجواز
والقبول وذلك مما يقطع بدلالته على واحدونها ووجوب احتياجها
الى الفاعل المختار المرجح ما شاء من الجايزات على غيره بمحض الارادة ولا
والاختيار ولا يخفى تمام الدلالة على باقي الصفات وقد بينا
ذلك في اول الفصل هذا ان نظرنا الى وجه دلالتها في نفسها
وحال ابتدايها من غير اعتبار تحولها انتقل اليه واما ان نظرنا
في تنقلها من حال الى حال مع جواز ان لا تنتقل الى تلك الاحوال
اصلا وتبقى على بعضها او تكون على خلافها او تكون المدة التي تحصل
لها الانتقال فيها من طور الى طور اكثر من تلك المدة التي اجرى الله تعالى

العادة بتنقلها فيها اوقل او يكون المكان الذي انتقل فيه غير المكان المعهود
بحسب العادة لتنقلها ثم نظرة بعد ذلك الى ما جعل فيها من العوالم المتكاثرة
من لحم وعصب وعروق وعظام مختلفة الصور والمقادير وانها
رديم وجداول وصهاريج واحواض واعواد وحدم ومركوب
وادراكات مختلفة الحقايق ظاهرة وباطنة كالسمع والبصر والذوق
والشم واللمس والذات والالم والشهوات والخيالات والاوهام وفكر
العقول المقتضية لذخاير العلوم وان بعدة محالها وتقدر نيلها بشد
الرحال واعداد غاية المقدور من رباط الخيل والركاب ودفع جميع
الاهوال حتى انه ربما اقتنصت في بعض جوالانها الرايح المسدد ما
تنالة به كمال السعاده والفوز دنيا واخرى وهو معرفة خالقها
القديم المتعال المنزه عن شريك في خلق العوالم كلها الذوات منها
والافعال والاحوال ثم نظرة الى ما مكنت به من التمتع بما شات من اعراضها
وما جاك واستترفي بطونها بالالسن والنطف ومخارج الحروق وما
في تركيبها وترتيبها ولطايفها ونظرة الى الاطراف وسايرالجلد وح
وتاتي كل واحد منها الى ما خلقت له كالفم اعلى من الانسان في مبدا
الطفولية لعدم احتياجه اليها وليلا يوذي امه لما اريد جعل غذايه
من ثديها بعض ما يريد عليه من لبنها لعدم حمل قواه الاغذية الغليظة
بحسب العادة فلما ترعرع عن ذلك وحملت قواه بحسب العادة
الاغذية الغليظة انبت له سبحانه بعض اضراسه للقطع فحدد
اطرافها اذهو الباب الذي يخلق الله تعالى عنده القطع عادة
وجعل بعضها للطحن فبسط اعاليها اذهو المناسب لذلك بحسب
العادة وجعل هنالك حديا مطاوعا اسكنه في ذلك الموضع
ليتهضن للخدمة على الغور متى اريد منه في ليل اونهار في حضر
او سفر في صحة او مرض وهو اللسان اذهو الذي يجمع الطعام
للطحن والابتلاع ويحليه للنفس بالادراك له الذوق الذي خلقه

تعالى

تعالى فيه وابتدع سبحانه هناك عينا نابعة على الدوام وجعلها اعذب من
كل عذب واحلى من كل حلو يستعان بها على جميع اجزاء المطعوم وتهيئته
لانه يختار على طريق الحلقوم وتحفظ عنده القوة الموصفة في المودعة
في اللسان وينطلق لغرز الاصوات وتقطيعها في مخارجها حتى يجيبها
على اعلى منصة البيان ثم الجم سبحانه هذه العين عن ان يكون نبعها
يوجب المشقة والاضرار بان تفيض في كل لحظة حتى على الفم فيفقد
معها كل نفع ولا يستقر معها العاقل اذ ذاك قرار ثم نظرة الى ما سوى
سبحانه في الاعضاء من الفاصل الانعطاف والتثني وانه لو جساسها
شيء جا العجز واذا استخرج اتاحوا الذال ان اصل في ذلك كل قطرة
هذرة من ماء مستوية الاجزاء واصلها تراب مبانية بحسب
العادة لهذه الاحوال العجيبة كل المباينة كما اشار اليه سبحانه
ويتعالى بقوله عز وجل ولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال ومن اياته ان خلقكم من
تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم اصل ذلك كله العدم المحض
لوجوب الحدوث لكل ما سوى الله تعالى فانك تطلع بهذه
الانظار واذ كنت لم تجل الا في يسير جدا مما اودع في الانفس
من عجايب الفطر وبدايع الخلق على وجوه كثيرة من الدلالة على وجوب
وجوده تعالى وسعة قدرته وعدم تناهي علمه وحكمته وخفي الطافه
وسبوغ نعمه وعموم احسانه تعالى قوله والنفع والنفع للروح
يحتمل ان يكون معطوفا على عصب اي شدة عصب والنفخ للروح
لان الله سبحانه اجرى العادة بانحلال البدن واقتراف بعضه
عن بعض عند مفارقة الروح له ويكون قوله سر خبر اعن مبتدا
محذوف اي هو سر ويحتمل ان يكون مبتدا خبره سره واصل
النفخ اجرا الريح في تجويف جسم آخر واستعير هنا لتشبث
الله تعالى الروح باجزا البدن وادخاله له في تجاويفه وبواطنه

وايجاد اثار الحيوانية عند ذلك من حياة وحركة اكتسابية ولذة
والم وبخو ذلك في ظواهره وداخله وقال البيضاوي رحمه
الله في تفسير لما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف
المتبعث من القلب وينبثق عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا
لها في تجويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن
تنفسا فقوله عنه لاستدال اى عن حقيقته لاستدال وقد اختلف
اهل الحق في جواز الخوض في حقيقته فمنهم من منع لاجل امساك
نبينا عليه الصلاة والسلام عن الجواب حين سالته اليهود
عنه وقد روي ان اليهودي قالوا لقريش سالوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت
فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين
لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة وقال كثير
منهم يصح الخوض فيه ثم اختلف هؤلاء فيه على ثلاثة اقوال
فمنهم من قال انه جسم مشابك للاجسام وجرى الله تعالى
العادة بخلق الحياة في البدن عند مشابكته له والموت
فيه عند مفارقته له وقيل عرض وقيل ليس بجسم وهو
قول الفلاسفة واليه ميل الغزالي والقول بانه جسم هو
مذهب المحققين من اهل السنة ويدل عليه وصفه بالنزع
بالخروج من البدن والعروج الى السماء والنزول والسرخ في
الجنة والاكل والشرب منها والركوع والسجود تحت العرش
وبخو ذلك من الصفات التي تستحيل على الاعراض ولا يمكن
ان تتصف بها الا الاجرام قوله سر من الامر اي هو سر من امر الله
اشار الى الاية وهو قوله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وساق المولف هذا دليلا على ابهام حقيقة الروح
وهل ابنا على احد التفاسير في الاية وقد اختلف المفسرون

في

في معنى من امر ربي فقيل معناه بما استاثر الله تعالى بعلمه وعن ابن
بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل
معناه ان الروح من الامور الابداعية الابداعيات الكائنات
بمجرد من غير مادة وقوله من اصل وقيل معناه انه وجد بامره
وحدث بتكوينه وليس بقديم بناء على ان السوال عن قدمه وحدوثه
وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران ومن
امر ربي على هذا معناه من وحيه كما قال تعالى وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا على ان الروح من الامور المبهمة فالمبهم
منه كنه حقيقته على التمام ويمكن تمييزه على سايل الحوادث ببعض
لوازمه المختصة به كقدرته وادراكه للعلوم النظرية والي
تقريب ببعض لوازمه التي اختص بها اشار الى قوله تعالى
وما اوتيتم من العلم الا قليلا ففيه على هذا اشارة على ان الروح
مما لا تمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتمس
به فلهذا اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام
في جواب رب العالمين بذكر بعض ما اختص به ولم يجب بتقريب
لكنه لتقدره وسمى سبحانه العلم الذي يدرك الروح قليلا
من اجل ان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات
المستفادة من احتساس الحركات ولذلك قيل من فقد حسا فقد
فقد علما ولعل اكثر الاشيا لا يدركه الحس روى انه عليه الصلاة
والسلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مخصوصون بهذا الخطاب
فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجبت انك ساعة تقول ومن
يوتة الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزل ولو
ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية وهذا الذي اتمروا به من
سوء فهمهم وعظم عباوتهم لان غاية الحكمة الانسانية ان يعلم

الانسان من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل اذ يعلم ما ينتظم به
معاشه ومعاده وهو بالاضافة اليه خير كثير وان كان بالاضافة
الى معلومات الله تعالى نزرا قليلا لا بال له ولا نسبة اصلا اذ معلومات
جميع الخلق متناهيات ومعلومات الله جل وعز لا نهاية لها ومن المعلوم
انه لا نسبة بين ما يتناهي وما لا يتناهي قوله انما خصصه بتناهية
فيه القوم بالجدل اى ليس لهم ما يدعونه من حقيقة ادلة برهانية
تنتج القطع واليقين بمدعاهم بل ادلة جدلية وقصورا وقصاري
امرها ان تفيد الظن قوله قد كرر الله في القرآن
نشأتنا راجع لقوله وانظر لنفسك ايضا
هل ترى خللا اى تدبر اصل نشأة الانسان والاطوار التي
نقله سبحانه فيها ليعتبر العاقل بذلك ويحصل
له الموقنة التي تجافى بها عن دار الغرور وينجذب وينيبها
الى دار الخلود ويعمل لما بعد الموت قبل هجومه لكن تشغل
البال وعمارة بالشهوات الوهمية الفانية منعت
الانسان من حسن النظر لنفسه واصغائه بكلية
لنصيحة مولاه الرحيم الرحمان تبارك وتعالى

في كل خلق له قد انطوت حكم	دلت عن دركها فهما بمنعزل
اعني التي ليس يخفى عنك ظاهرها	اذكم هنالك للافكار من جدل
فما ترى ذرة مخلوقة عبثا	بل هي شاهدة للواحد الازل
بدا تنادي ولكن ليس يسمعها	الا ذوا العقل والاحساس للعمل
تقول بلسان الحال اوجدني	رب قدير كما يحاد له مثل
كذا كذا نفسك ما انت موجدها	فانظر بعقل سليم غير مختبل

اشار بهذه الابيات الى معنى قوله تعالى يسبح له ما في السموات
السبع والأرضين ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم انه كان

حليما

حليما غفورا وان المراد من هذا التسبيح والحمد المستندين لجميع الكائنات
تنزيهها للمولى العظيم عما لا يليق به من السمات وثناؤها عليه بما
يجب له تعالى من على الصفات وذلك بلسان حالها الذي هو افصح وأقطع
من لسان مقالها حيث انصف كل واحد منها بلوازم الامكان والحدوث
لا من جهة مقداره المختص به من سائر المقادير الكابرة ولا من جهة
زمانه ومكانه الذين تقيد بهما مع مزاحمة سائر الازمنة والامكنة
لهما في صحة الوقوع والقبول الذاتي على حد السواء من غير ترجيح لبعضها
على بعض من حيث ذاته اصلا ولا من جهة شكله ولونه وسائر صفاته
اذ كل ذلك لا تقتضيه ذاته على الخصوص فكل ذلك يشهد على القطع
باحتياج الجميع الى صانع قديم واجب الوجود لذاته لا يقبل الاثنينية
لا في ذاته ولا في افعاله ولا فيما قام به من على صفاته ويدل على ان هذا
التسبيح والحمد المضافين للكائنات انما هما بلسان الحال والدلالة القاطعة
قول مولانا جل وعلا اثر ذكر تسبيحها وحمدها ولكن لا تفقهون تسبيحهم
ولم يقل ولكن لا تسمعون تسبيحهم ومعلوم ان الفقه انما يقوم بالقلب
لا بالاذن فدل على ان هذا التسبيح الواقع منها ليس هو تسبيحا بالصوت
بحيث تسمعه الاذان وانما هو تسبيح بطريق الدلالة الواضحة القطعية
التي لا يمكن فيها كذب ولا غلط الفاء من اقوال اللسان ولا يفقه ذلك
منها الا القلوب التي صقلت مرآة فكرتها الصقيلة مما يمنع من ابصار
احوال الكائنات بها من صدا المعاصي وغاشية الران فقول المؤلف
حفظه الله تعالى ورضي عنه فمن كل خلق له قد انطوت حكم اى قد استقرت
ادلة حكم اى علوم بوجوب كمالات لمولانا جل وعلا وتنزهه عن مستحيلات
لا تليق بجلاله تبارك وتعالى وجواز جميع الممكنات بحيث لا وجوب عليه
ولا استحالة في ممكن منها على العموم صلاحا كان او اصلح او ضدها هما
وما من علم من هذه العلوم الا وهو حكمة ينشرح بها الصدر ويثلج بها اليقين
ويحصل لذوقه طعم الايمان منه على التبر ظاهرا وباطنا في حادة

الطريق المستقيم الذى هو صراط الذين انعم الله تعالى عليهم من النبيين
والصديقين والشهدا والصالحين لان الحكمة اخص من العلم اذ الحكمة
عبارة عن تحقيق العلم واتقان العمل فكل من لم يتيقن لعمل فليس بحكيم
وان كان عالما ولهذا قال الله تعالى يوتي الحكمة من يشا ومن يوت
الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا اذ لو كانت الحكمة مطلق العلم وان لم يكن
معه عمل متقن لما استلزم ايتاوها والاتصاف بها مطلق الخير
فضلا عن كونه كثيرا بل ربما استلزم الاتصاف بها شرا كثيرا فانظر
الى علم بلعام وابليس واحبار اليهود كما حكى الله تعالى عنهم فى قوله
يعرفونه كما يعرفون ابناهم وغيرهم من اشباههم ومن لا يحصى كثرة
هل افادتهم علومهم شيا من الخير بل لم تفدهم الا شدة العقوبة
واليم العذاب وفى الحديث اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه
الله بعلمه هذا قاله عليه الصلاة والسلام فى مجردين لم ينفعه
علمه فكيف بمن اضره علمه وهو الاكثر بان جعله سلما للكبر والرياسة
الدنيوية وصحبة الظلمة والاكل من حرامهم واعانتهم على باطلهم
وجورهم وانما سمى المولف رضى الله عنه علوم التوحيد المستفادة
من النظر فى الكاينات حكما اشارة الى انها انفع العلوم واد لها على
اتقان العمل لانها مامونة الغايلة لا يخشى منها ما يخشى فى سايز العلوم
لانها تبعث على تعظيم جلال الله تعالى وتعظيم اوامره والخوف من عظيم
غضبه والشوق الى التمتع بما لا نعيم يوازيه من رضاه ورويته جمال
ذاته فلا خفا ان اتقان الاعمال باخلاصها لله تعالى وتصفيتها من
جميع الشوايب هو طوع اليد لمن شرح الله صدره وسدده للنظر
بمعرفته والاهتدا اليها بالنظر فى عجايب مصنوعاته ولهذا حصر سبحانه
الخشية فيهم فقال جل من قايل انما يخشى الله من عباده العلما وبدل
على ان المراد بهم لا العلما اهل المعرفة بتوحيده المستدلين عليه بذلك
بشواهد مصنوعاته ذكره تعالى لهم اثر توفيقه المكلفين على وجه

الدلالة

الدلالة باصناف مخلوقاته وما اودع كل واحد منها من جايز مكوناته
فقال عز وجل الم تر ان الله انزل من السما ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن
الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من
عباده العلما فدل على ان المراد بالعلما الذين وصفهم بالخشية وفى
بطريق الحصر ان يكون لغيرهم خشية العلما بوجوه دلالة العوالم على احدوثها
ووجوب افتقارها الى خالقها والاعتبار باختلاف الكاينات مع جوازها اتفاقا
على ان لها مدبرا مختارا حكيما لا يجانسها ولا يشبه شيا منها واسع
القدرة والعلم نافذ الارادة والحكم واذا ضمنت مضمون هذه الاية
وهو ان علما التوحيد والنظر فى المصنوعات خاشون لربهم الى مضمون
ما ذكر سبحانه فى سورة لم يكن وهو ان الخاشين لربهم هم خير البرية لقوله
تعالى بعد ان ذكرهم وذكر جزاهم ذلك لمن خشى ربه انتج لك من الضرب
الاول من الشكل الاول هذان الكلامان المتواتران المقطوع بصدقهما
ان علما التوحيد والنظر فى المصنوعات هم خير البرية ونظم الدليل
ان يقال العلما بالله العارفون بوجوه الاستدلال بمصنوعاته هم
الخاشون لله بدليل قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما
والخاشون لله هم خير البرية بدليل قوله تعالى ذلك لمن خشى ربه
فينتج العلما بالله العارفون بوجوه الاستدلال بمصنوعاته هم
خير البرية فقوله ولست عن دركها فهما بمنعزل الى قوله بهذا الكلام يبعث
المكلف على ارسال الفكرة فى وجوه دلالة المصنوعات ويدفع استبعاد
حصول الفهم لوجه دلالتها الذى ربما اوهمه قوله قد انطوت حكم
اذ المطوى هو المستتر فساق هذا الكلام لتيسير امر النظر والدلالة
على سبيل وضوحه فلهذا قال ولست يعنى ايها المكلف المامور بالنظر
والفكر فى ادلة التوحيد عن ادراكها يعنى الحكم المنطوية فى ادلة
المخلوقات وفهما منصوب على التميز يعنى لست تدركها بالحواس الظاهرة

بل بفهم القلب ولهذا جعل تلك الحكم منطوية في المخلوقات لانها لا
تبصر بالابصار الظاهرة بل بالبصاير المستنيرة الباطنة فقوله
بمنعزل اى ممنوع من فهمها لوضوحها ونصوع وجوه دلالتها فقوله اعنى
التى ليس يخفى عنك ظاهرها هو تفسير للحكم التى اخبر بانطواء كل مخلوق
عليها وان فهمها متيسر على كل مكلف فقوله فما ترى ذرة مخلوقة عبثا
دليله ظاهر لان العبث لا فايدة فيه والذرة منطوية على فوايد عظيمة
وهى دلالتها باوجه كثيرة على حدوثها وحدوث امثالها من ساير
العوالم ووجوب افتقارها وافتقار ساير العوالم المماثلة لها
في الجرمية والتخصيص بضروب من الجايزات الى فاعل مختار لا مثل له
ولا شريك له واى فايدة اعظم من فايدة المعارف التوحيدية التى هى
امارة على السعادة الابدية فقوله بذا تنادى بالمذكور وهو الشهادة
للواحد الازلى بما يجب له من الصفات واستحالة ما لا يليق بجلاله من السمات
وجواز فعل ما لا نهاية له من الممكنات فقوله بقولها بلسان الحال المجرور
يتعلق بمحذوف يدل عليه لفعل السابق تقديره تنادى بقولها فقوله
كايجاده له مثلى المجرور نعت لمصدر محذوف تقديره اوجد في ايجادا
كايجاده لساير العوالم اذ كلها مماثلة لى في وجه الدلالة على الحدوث
ووجوب الافتقار الى الحى القيوم الذى لا يقبل القدم ولا يتغير ولا يموت
اذ وجه الدلالة في الكل الامكان وقبول التغير وملازمة الحوادث فم
فالذى يفيده العرش من معرفة ما يجب في حق الله تعالى وما يستحيل وما
يجوز تفيده الذرة على سبيل التمام وقد قيل ان ذلك معنى قوله تعالى
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اى لا تفاوت بين المخلوقات في وجوه
الدلالة على معرفة خالقها جل وعلا ولفظ مثلى في كلام المولف مضاف
الى ياء المتكلم مفعول بايجاد وهو المماثل واراد به ساير العوالم كلها
فقوله كذاك نفسك ما ان انت موجدها هو مرفوع خبر انت لان ما
يبطل عملها لزيادة ان معها فان قلت ان هذا البيت تكرار اذ المولف

قد

قد قدم وجه الدلالة بالانفس قلت ليس بتكرار لان المولف رضى الله
تعالى عنه لم يسق ذكر النفس هنا لبيان وجه دلالتها على معرفة خالقها
كما فعل فيما سبق بل لبيان ندائها بلسان حالها لصاحبها ليبصر ما فيها
من اوجه الدلالة المتكاثرة وذلك انه لما اجتمع فيها عوالم كثيرة م
وعجايب لا يقدر ان يحيط العاقل بمعرفتها حتى قيل انها مختصر العوالم
كلها صار احاديث العوالم كلها بالنسبة اخواتها كانها مجتمعة فيها
فكان المولف رضى الله تعالى عنه قرب على الناظر الامر في استفادة ما
تخبر به الكاينات من المعارف بالنسبة اخواتها بان يصرف الوجهة
في ذلك الى نفسه فانه اذا تامل في ذاته عرف بالقطع انه وجد بعد
ان لم يكن فلا بد له اذن من موجد لاستحالة وجود نفسه بلا موجد ولاستحالة
ترجح احد الجايزين على مقابله بلا مرجح ومحال ان يكون هو الموجد لنفسه
لما يلزم عليه من التهافت بان يكون موجدا قبل كونه موجودا الوجوب
سبق الفاعل على فعله فاذا قدر انه الفاعل لنفسه لزم ان يكون موجدا
قبل نفسه وذلك لا يعقل فتعين ان يكون موجده غيره فتفكر في العوالم
كلها من اب وام ونطفة وسماوات وارض وملك وعرش وغيرها فلا تجد شيا
منها يصلح للايجاد اذ هى كلها مثله في الجرمية والاختصاص ببعض
الجايزات اللازمة لذواتها المحوجة الى فاعل غيرها ولو صلح شيء من تلك
الاجرام لايجاد شيء من الذوات لصلح هو ان يوجد ما شاء من الذوات بل يبدا
بنفسه فيزيد في طول ما شاء منها او عرضه او تبديل شكله ولونه او منطقه
للمماثلة بينه وبين غيره اذ الغير من الاجرام ان قدر له الايجاد من
جهة جرميته فالانسان جرم ومع ذلك فهو عاجز عن ايجاد الذوات
والاعراض وان كان من جهة علمه فالانسان عالم بامور ومع ذلك
فهو لا يقدر على ايجادها وتحصيلها لا لنفسه ولا لغيره وان كان من جهة
سمعه او بصره فقد شاركه في ذلك وان كان من جهة قدرته وارادته
فقد قام به مثل ذلك وهو عاجز وبالجملة فقد انعقدت بينه وبين

سايرالعوالم المماثلة الخاصة العامة فلما احس من نفسه العجز الضروري
عن ذلك لزم ان سايرالعوالم مثله في ذلك فتعين اذن ان موجده
لايماثل شيأ من الاجرام ولا من الاعراض التي تقوم بها لا في ذاته ولا
في صفاته وانه واجب الوجود ولا يقبل العدم ولا التغير اصلا اذ لو قبل
العدم والتغير في ذاته او صفاته لكان كسايرالعوالم المحتاجة الى
الفاعل ووجب ان يعجز كعجزها وانه عام القدرة والارادة والعلم
اذ لو اختصت ببعض ما تتعلق به دون بعض لزم حدوثها وافتقارها
الى مخصص وانه حي بحياة قديمة لاستحالة الاتصاف بالقدرة
والارادة والعلم مع نفي الحياة وانه قايم بنفسه بمعنى انه ذات لا
مثل لها وليس هو في نفسه صفة اذ لو كان صفة لما قام به تلك
الصفات التي يتوقف ايجاده للعوالم على اتصافه بها اذ الصفة
لا تقوم بالصفة وانه واحد لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في
ايجاد كاين من الكاينات على العموم اذ لو كان معه ثان يماثله في الهوية
او ايجاد اثر ما لزم عجزه عن ايجاد جميع الكاينات لانه اذا عارضه
ذلك الثاني الذي قدر اقتداره على اثر ما مثل اقتداره جل وعلا
فذلك الاثر الذي تعلقت قدرتهما معا به لا يصح ان يوجد بهما معا
لاستحالة القسمة فيما لا ينقسم ووجوده باحدى القدرتين دون
الاخرى ترجيح بلا مرجح فيلزم اذن عجزهما معا واذا لزم العجز في فعل
واحد لزم عمومه في سايرالافعال فاذن صفة الالوهية لا تقبل
الاثنينية اصلا وانه سميع بصير لجميع الموجودات بلا جارحة متكلم
بكلام قديم ليس بحرف ولا صوت امابدليل الشرع او بان اضداد
هذه نقايص والنقص محال على من شهدت له العوالم بالكمال المطلق
والتنزه عن كل نقيصة ثم يتفكر بعد هذا في ري ذاته فانتهما مصالح
كثيرة دينية ودنيوية بل اصلح شيء له ان يخلق بدا في اعالي الجنة
ويبقى فيها ابدا من غير تكليف ولا اصابة بمرض ولا هم ولا موت ولا

اخرة

اخرة وكل ذلك ممكن مقدور له ولا ناجل وعلا لا مانع له منه اصلا ومع
ذلك لم يفعله تبارك وتعالى فيستدل بذلك على استواء الممكنات
بالنسبة اليه تعالى وانه لا يجب عليه عقلا مراعاة صلاح ولا اصلح للخلق بل
كل من من الله عليهم من مصلحة او نعمة فبمحض فضله لا يستحقون عليه شيأ اصلا
وبهذا تعرف استحالة التعليل والاغراض في افعاله لان الغرض الذي
يقدر باعثا له على فعل من الافعال ان كان مصلحة تعود اليه فهو محال اذ
شهدت العوالم بوجوب الكمال المطلق الازلي لذاته واستحالة التغير
في ذاته او صفة من صفاته فكيف يمكن ان يستجلب كمالا لذاته بفعل
من الافعال وان كان الغرض مصلحة تعود الى خلقه فقد عرفت بالمشاهدة
عدم وجوب رعيها عليه فقد حصل لك بهذا التامل القريب في
نفسك معرفة ما يجب في حق مولاناجل وعز وما يستحيل وما يجوز هذا
ان نظرت الى ذاتك من حيث الكل لا من حيث الاجزا ولو نظرت الى كل جز
من اجزايك على التفصيل لرايت فيه عوالم مختلفة وعجايب ولطايف
كل واحد منها يدل مثل دلالة الكل فتبارك الله احسن الخالقين
ان قلت اطنبت في بحث على نظر، فاكفف لسانك عن لومي وعن عذلي
كم قد ذكرت وفي القرآن تكرير، كم كرر الاي حتى زاد في المثل
لقد احسن الشيخ رضي الله تعالى عنه في قوله اطنبت ولم يقل اطلت فان
التطويل هي الزيادة على المعنى المقصود لغير فايدة والاطناب هو الزيادة
عليه لفايدة ولا شك ان تنويع الشيخ وجوه الانظار في العوالم ليس
بحشو ولا تطويل وانما هو اطناب لافادته تثبيت المعنى في الذهن
وشرح الصدر بتلوين وجوه الاعتبار عليه وتنوير الباطن بتكثير انالة
الفوايد من جميع ضروب العوالم حتى يرتفي المكلف بسبب ذلك الى
ان لا يشاهد شيأ من العوالم الا وكانه يري الله قبله ومعه وبعده
والحاصل ان طرق التعبير عن المعنى المقصود على ما تقرر في فن البيان
خمسة المساواة والايجاز والاطناب والحشو والتطويل فالثلاثة

الاول مقبولة لا تقدح في البلاغة والاثنان الاخيران مردودان ۞
يقد حان في البلاغة فالمساواة اداء المعنى المقصود بعبارة مساوية
له نحو ولا يحيق المكر السيئ الا باهله والايجاز اداوه بعبارة اقل منه
نحو ولكم في القصاص حياة ويشترط في قبول هذا القسم ان يكون نقصه
عن المعنى المقصود لا يخل به بل يكون وافيا فلو كان ايجازا مخلا بالمعنى
المقصود لم يقبل في البلاغة والاطناب زيادة اللفظ على المعنى
المقصود لفايدة كقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه فان المقصود
الاخبار عن هولا بالرافة والشفقة على المساكين ومدحهم بهذه
الفضيلة وذلك مفهوم من الكلام لو اسقط لفظة على حبه فاطنب به
لنكتة زيادة المدح لهم بانهم انتهت بهم الرافة لاجل الله تعالى الى
ان صاروا يبذلون الطعام لوجه الله تعالى وطلبا لرضاه عز وجل مع
حب الطعام وعظيم الاحتياج والاطناب في القران والحديث كثير لا يمكن
حصره والحشو زيادة على المعنى لغير فايدة مع تعين المزيد فيه كقوله
واعلم علم اليوم والامس قبله ۞ ولكنني عن علم ما في غد عمي
فلفظة قبله بعد ذكر الامس حشو والتطويل زيادة اللفظ على
المعنى المقصود مع عدم تعين المزيد فيه كقوله ۞
وقددت الاديم لراهشيه ۞ والفي قولها كذبا ومينا
فقوله كذبا ومينا فيه تطويل بزيادة احدى الكلمتين لا بعينها
بغير فايدة وقول الشيخ كما قد ذكرت الخ هو دليل على ما ذكر قبله
في جواب الشرط وهو قوله فاكتف وحاصل جوابه عن السوال انه
يقول لا لوم عليه فيما عدده من وجوه الدلالة في ضروب العوالم
لان المقام الذي ساق له الكلام هو مقام افادة المعرفة بالله تعالى
التي تتوقف عليها السعادة الاخروية فهو خليق بان يعتنى به غاية
الاعتناء فتكرر فيه العبارات وترد فيه الدلالات ولا يقنع فيه
بالايجاز ولا بالاشارات اذ خيرات الدنيا والاخرة متوقفة على النظر

بهذا

لهذا المقام واين ما ذكرت انا وكررت فيه واعتنيت مما ذكر فيه القران
وكرر واعتنى حتى انه قل ما تخلو اية الا وفيها التنبيه على معرفة الله تعالى
اما بالصريح او بالضمن ولهذا اقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد
ان بعث ثلاثة عشر سنة امرفيها بالصبر فترك الهجرة والقتال ولم
يشتغل فيها الا بتقرير ادلة التوحيد وترديدها عليهم في المحافل وعلى
مر الاوقات بضروب من الترديد حتى اتضحت معرفة الله تعالى وصدق
رسله اتضاحا لم يبق فيه شبهة لمنصف ولا معاند فحينيذ امر بالهجرة والتوجه
بالسيف مع انصار الله لارغام انف كل كافر وجاحد فالاستفهام في قول
المولف رضي الله تعالى عنه كم قد ذكرت لتقليل ما ذكر في جنب ما ذكر القران
من ذلك وقوله حتى زاد بالمثل يعني لم يكتف سبحانه بالقران في تقبيح
الكفر وابطاله بالبراهين القاطعة المكررة في اي كثيرة باوجه مختلفة
حتى ضم الى ذلك ضرب المثل كقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله
اولياء الاية وقوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين الاية وقال يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقال تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون الاية وفي ذلك ارشاد للخلق ان يجعلوا معظم امرهم ۞
واشتغالهم في تعلم التوحيد وتكريره على الذهن مرة بعد مرة الى
الممات لعله يكون ذلك سببا في حسن الخاتمة لما ثبت ان المرء يموت
على ما عاش عليه وبالله تعالى التوفيق لا رب غيره ۞

ان قلت ليس كتاب الله ذا سآم ۞ فليس يخشى الذي يخشاه من ملل
فان الاطناب في ذا الباب مغتفر ۞ كي يوقظ الغافل المغرور بالامل
لان غفلتنا غطت بصائرنا ۞ تخلى بها هم الانعام في الهمل
قلوبنا قد قست من رين ما اكتسبت ۞ من المآثم لا تخشى من الزلل
فنسال الله ربي حسن خاتمة ۞ بلا امتحان لنا في موقف الوجل

هذا اعتراض على المولف فيما اجاب به قبل عن اطنابه في الحث على النظر
ثم جواب عنه وتقدير الاعتراض ان المولف لما اجاب عما يمكن ان يورد عليه

من تكريره لوجوه النظر في العوارض مع تمكنه من الايجاز بالاقتصار على
بعضها بانه قد اقتدى في ذلك بالقران العزيز اعترض على هذا الكلام
بادا الفارق بين كلامه والقران العزيز وذلك ان القران العزيز
معجزة خرقت فيه العادة في امور كثيرة منها انه لا يمل مع كثرة التردد
بل لا يزيد بذلك الا حلاوة وطلاوة وسائر الكلام ليس كذلك بل
يمل وتتنوا عنده الاسماع عند تردده وتكرير الامر الواحد فيه اجاب
المولف عن هذا الاعتراض بما معناه ان المقام الثابت لتردد
الكلام وتكريره انما كان حيث يرد الكلام على نفس مستيقظة
منتشوفة لمعناه مستعدة له غاية الاستعداد فيتمكن ذلك
المعنى فيها عند اول عبارة اكمل تمكن لكمال استعدادها له فاذا
كررت لها العبارة بعد ذلك في عين ذلك سيمت واستثقلت
سماعها لانها يصير لها تقنيه تحصيل الحاصل اما اذا ورد الكلام
على نفس نايمة مشغولة عن فهم ذلك المعنى بل وعن الاصغا اليه
بامور مضادة لادراكه فان تكرير العبارة ح في ذلك المعنى المرة
والمرتين والثلاثة واكثر من ذلك بقدر ما يرى المتكلم انه يوقظ
به تلك النفس النايمة المغمورة باضداد ذلك المعنى لا سامة فيه
ولا ثقل الا ترى ان من جا يوقظ من استغرق في هذا النوم الحتي
فاخذ يردد النداء عليه ويكرره مع رفع الصوت مرارا عديدة بقدر
ثقل ذلك النوم المستغرق فانه لا يذم في تكرير ذلك النداء
ولا ينسب الى تطويل ولا حشو بل الذي يستحسن منه ذلك التكرار
اذ هو المفيد ويذم منه التقصير عنه لعدم حصول الفايدة
ولا شك ان الذين قصدناهم بهذا الخطاب هم على هذه الصفة بل
اعلى فان انفسهم قد نامت واستغرقت لطول املها ونسيان قرب
مصرعها في عوالم الهوا والشهوات الوهمية وصمت اذانها وعميت
بصايرها عن ادراك المعارف القدسية والحكم الربانية وحال

بينها

بينها وبين ابصار مراشدها اغشية الخطايا وارين الذنوب وطردت
عن مقامات المعرفة الطاهرة المطهرة لما فشا في ظاهرها وباطنها
من سوا الادب وقذر العيوب وبالينها مع كثرة النداء عليها وتردد
العبارة لها تستيقظ من استغراقها واتى لها بذلك وهي قد غرقت
في بحار الاهوية وانقطعت في اودية المهالك فصار الهاتف بارشادها
انما هو كالناعق بالمهمل من الحيوانات البهيمية تسمع تردد الاصوات
في الجو فتزيد في همها اذ قلوبها في اقفال عن ادراك اسرار الكلام
ومقاصده المعنوية فبدا الجواب عن الاعتراض في كلام المولف رضي الله
تعالى عنه هو قوله فان الاطناب والفا جواب الشرط في قوله ان قلت
قوله المغرور بالامل الامل هو الرجا في اللغة والمراد به هنا
اما رجا طول الحياة واما رجا النجاة ونيل الدرجات مع التنكب
بسببها فالباء سببية والضمير يعود على الغفلة وهمل بتشديد الميم
جمع هامل وهو الماشي على وجهه من غير راع يرعاه ويحفظه عن الافات
ووجه الشبه في هذا ان الغفلة لما غفلت عن مراشدها وهي الرعاة
للجوارح همملت الجوارح وتصرفت فيما شات لنوم راعيها الذي يردها
الى الصواب وقوله قلوبنا قد فتنت هذا البيت بين به سبب غفلة
القلوب حتى تركت الجوارح تهمل فيما شات وهو ما تراكم عليها من رين
الذنوب والرين سواد وظلمة يحيط بالقلب اي يجعل العقل منه حتى
يصير كالميت لا يتالم بما تعمله الجوارح من اسباب المعاطب ويصير
كالمولة لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وسبب ذلك الرين اقتراف
المعاصي شيئا بعد شي من غير توبة فكان كل معصية نار ترد على
القلب تيبسه وتزيل منه الرطوبة واللين الذي يجده المومن
الطيب وينا ثر به القلب عند سماع ذكر الله تعالى ثم يسود مع ذلك
بدخان نار تلك المعصية عند ما تتصف به الاعمال الصالحات
التي هي فعل المامورات واجتناب المنهيات من تليين القلب وسقي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شجرة الايمان المغروسة فيه حتى تمتد في السما اغصانها
وتظل وارافها وتتارج ازهارها وتتدلى من كل جزء منها اجزا
البدن ثمارها وتغرد بكل حكمة ولطيفة اطيارها فتصير
روضة من رياض الجنة نزهة للناظرين وعبرة للمعتبرين واعلم
ان عبارات المفسرين قد اختلفت في تفسير الرين فقال
الحسن ومجاهد هو الذنب على الذنب حتى تحبط الذنوب بالقلب
وتغشاه فيموت القلب **وروي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اياكم ومحقرات الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه
جحيما ضخمة وعن مجاهد القلب كالكف فاذا اذنب الذنب انقبض
واذا ادبا ذنبا انقبض ثم يطبع عليه وهو الرين وقال الاخرون كلما
اذنب الانسان حصلت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله وروي
هذا مرفوعا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قلت يحتمل ان يكون ما
ذكر من السواد والانقباض ونحوهما من هذه العبارة حقيقة ويحتمل
ان يكون كناية على ان مواقعة الذنب مرة بعد مرة تحصل ملكة نفسانية
لمواقعة الذنب لا يحتاج معها الى روية ولا فكرة اصلا وذلك مما يمنع
من التوبة الحقيقية اذ التوبة الصادقة لا تحصل الا بزوال
تلك الملكة اوما هو كالمزيل والملكات لا تزول الا بالامور العظام
التي تنسي المعلومات الواضحة كالخوف الخارج عن المعتاد ونحوه وقل
ما يتفق حصول ذلك الا لنادر النادر نسأله سبحانه العصمة والهداية
بفضله ونسأله سبحانه ان لا يكلنا الى انفسنا ولا الى شيء من خلقه
طرفة عين ولا اقل من ذلك بجاه سيدنا محمد صلوات الله وسلامه
عليه وقوله فليس يخشى يعني في كلام الله تعالى قوله الذي تخشاه من
ملل يعني في كلامك انت ايها المؤلف ومن ملل يحتمل ان يكون معمولا
ليخشى الاول والثاني ازهما يتنازعان فيه عملا ومعنى الا ان من فيه
زايدة اذا علقته بالاول وليبان الجنس اذا علقته بالثاني وحسن

الخاتمة

الخاتمة هو الممات على الايمان والمتابعة للشرع في الاعمال الظاهرة
والباطنة والامتحان في الموقف هو المناقشة في الحساب بان تقرر
عليه ذنوبه ثم يواخذ بها وضده الحساب اليسير بان يعرف بذنوبه
ثم تغفر له او تبدل له حسنات وذكر المؤلف لفظة خاتمة للتعظيم
والتهويل والله تعالى اعلم وبه التوفيق والاعانة

فصل فيما يجب من الوجود للاله المعبود

واعلم بان وجود الله قد شهدت به البراهين فلتقعر ولا تطل
فكيف يخفى وجود الله يا عجبا لجاحد من ظلام الكفر في طفل
لو لم يكن هو لم توجد ولا وجدت انواع مخلوقه المري بالمقل
او غاب عنا ولم تشهده اعيننا والمثل كالمثل في المعقول من جدل
قد عرفت مما سبق ان كل فرد من افراد العوالم ملازم للاتصاف
باضرب من الجايزات كالمقادير والصفات المخصوصة ونحوها مع جواز
اتصافه بنقايضها وان نسبة ذاته الى صحة الاتصاف بكل جايز
مستو لا تفاوت فيه ولا ترجيح له بالنظر الى ذاته اصلا واذا تحققت
هذا عرفت وجوب افتقار وجود كل جايز من تلك الجايزات التي هي
ملازمة لذوات العوالم الى فاعل يرجح وجودها باختياره على
نقايضها المساوية لها في الجواز وصحة الوجود اذ لو كانت موجودة
لنفسها من غير موجد لزم اجتماع امرين متنافيين وهما رجحان
وجودها على نقايضها لنفسه ومساواته لها لنفسه وذلك لا يعقل
فاذا لا بد لتلك الجايزات من فاعل فتكون حادثة موجودة
بايجاد ذلك الفاعل لها اذ لو كانت قديمة لم يسبق وجودها عدم
لزم المحذور السابق وهو ترجيح وجودها على نقايضها المساوية
لها في صحة الوجود من غير مرجح واذا تعين الحدوث لتلك الجايزات
الملازمة لذوات العوالم لزم الحدوث ايضا لتلك الذوات قطعا

لاستحالة انفكاكها عن تلك الجايزات التي شهد البرهان القطعي
بجدوثها فمن ضرورة احتياج كل مقدار مخصوص مثلا الى فاعل
يوجده بعد ان لم يكن موجودا احتياج الجرم اللازم له الى ذلك
الفاعل اذ لو فرض الجرم في حقيقته ازليا لايحتاج هو الى فاعل يوجده
لزم ان يكون حينيئذ معرى عن كل جايز لاستحالة الازلية على الجايزات
لما عرفت من وجوب افتقارها الى الفاعل الذي يرجح وجودها بالخصوص
عن نقايضها المزاحمة لها في صحة الوجود على حد السوا فيكون هذا
الجرم المفروض ازليته لامقدار له في الازل ولامكان ولاحيز على الخصوص
ولاصفة من حركة وسكون ولون ونحوها وذلك مستحيل على الضرورة
فاذن لايصح وجود ذوات العوالم كلها الامن حيث يصح وجود الجايزات
الملازمة لها وتلك الجايزات لايصح ان تكون في الازل فكذلك ذوات
العوالم كلها لايصح ان يكون شي منها في الازل واذا عرفت من هذا
وجوب العدم المحض في الازل لجميع العوالم كلها ذواتها وصفاتها
عرفت وجوب افتقار وجود جميعها الى موجد مباين لها في الحقيقة
سابق عليها في الوجود المحض لولا اختياره لوجودها واختراعه
لها لبقيت على عدمها الاصلي ابدالاباد لان اندفاع العدم
الاصلي السابق فيها وجعل الوجود لها بدلا عنه بغير فاعل محال
فاذن وجود كل جوهر فرد من جواهر العوالم وكل مقدار مخصوص
من مقاديره وكل زمان من ازمنته وكل مكان من امكنته وكل صفة من
صفاته فهو برهان قطعي على وجوده تعالى لوجوب الحدوث لجميع ذلك
ووجوب افتقار كل حادث الى فاعل يفعله وعددا فراد كل نوع من
هذه الانواع خارج عن حد الحصر فاذا البراهين الشاهدة بوجوده
تعالى انتهت في الكثرة الى حد لايمكن حصره عادة والى هذا اشار المولف
بقوله واعلم بان وجود الله قد شهدت به البراهين بجمع مع الالف
واللام المؤذنة بالعموم ولهذا عجب وتعجب من خفا وجوده تعالى

عن

عن عاقل من العقلا لكثرة البراهين الشاهدة بوجوده جل وعلا لكثرة
لانحصارا ذكل حادث فهو دليل قطعي عليه ولهذا اتفقت على وجود الفاعل
على الجملة جميع الملل من مومن وكافر الاشرذمة قليلة من الفلاسفة
زعمت ان حدوث العالم امر اتفاقي بغير فاعل وصدور هذه المقالة
من العاقل من اغرب ما يكون واعجبه ومن ادل دليل على وجوده جل وعلا
اذ هو الذي اختار سبحانه جعل قلوب هولاء في اغشية من الجهالة
حتى عميت عن ابصار هذا الامر الواضح الضروري لكثرة براهينه وشواهده
مع جواز ان يوضح لها هذا الامر كما اوضحه لسايرا لعقلا فلهذا قال
المولف يا عجبا لجاحد لوجوده تعالى مع تداكل الحوادث بذلك النداء
الضروري الذي لايخفى فهمه على احد من العقلا لولا ان قضاء الله تعالى
يغلب ولا يغلب قوله من كلام الكفر في ظلل جمع ظلة وهي هنا السحابة
المظلمة وموضعه رفع خبر مبتدا محذوف والمجرور الذي قبله في
موضع الحال واصله ان يكون نعتا للظلل لكن لما تقدم انتصب
على الحال منها وتقدير الكلام هو اي الجاحد لوجوده تعالى كاين في
ظلل كاينة تلك الظلل من ظلام الكفر ونكر تلك الظلل للتعظيم
لها والتكثير لان ما حجب عما هو اجلى من الشمس في الوضوح لايكون
الا عظيم الظلة جدا ولما كان كل حادث في وجوده دالا على وجوده
تعالى اجلى من الشمس واوضح لزم ان تتعدد وتتكاثف ظلمات جهل
هذا الجاحد لوجوده تعالى بحسب عدد جواهر العوالم ومقاديرها
وازمنتها وامكنتها وصفاتها حتى لم يبصر القلب شيئا من شموس ادلتها
الخارجة عن حد الحصر ولهذا قال تعالى في الكافر المغمور بظلمات
الجهل بالطرق الكثيرة الدالة على معرفته جل وعلا بعدد ما ذكر
كثرة تلك الظلمات وقرر عظمها في النفوس بان شبهها تعالى بظلمات
عظيمة محسوسة فقال جل من قايل او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج
من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وقال تعالى

شبكة الألوكة www.alukah.net

اثر ذلك موضحا عمى البصيرة الذى حصل لهذا الجاهل الذى غرق
فى ظلمات جهلا لانه اذا اخرج يده لم يكد يراها فضرب بيده المثل
وهى اقرب الاشيا اليه فاذا نظر الجاهل بادلة الربوبية الى يده لم
يربرهانا فيها على حدوثها وحدوث سايرالعوالم امثالها ولم يفهم
تسبيحها لباريها ومنشيها مع شدة وضوحه حتى كانه من تناهى عمى
بصيرته لم يربببصره الحسى ما فيها من العوالم المختلفة مع جواز الاتفاق
فيها ولم ير اختصاص كل واحد من عوالمها ببعض ما يجوز عليه مع استوا
نسبة كل الجايزات اليها فكاد يغيب عن بصره الحسى رؤية تلك الاصناف
ذوات المقادير المخصوصة المختلفة طولا وعرضا وذوات المفاصل
فى امكنة منها مخصوصة مع جواز ان تكون فى غيرها بل ومع جواز
ان لا يكون لها مفاصل اصلا ورؤية تركيب اظفارها على الهيئة
المخصوصة فى مواضعها المخصوصة ولم يكد يرهيئة تركيبها على منبسط
ذلك الكف المحتوى على عجايب خلق ودقايق لصنع المقترن معها من النعم
والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يطاق شكر اداها الى غير ذلك
من عجايب تركيبات الذراع ودقايق صنعها الفصيحة من حيوان كثيرة
بحدوثها وحدوث سايرالعوالم امثالها ووجوب افتقار الكل الى
الفاعل المختار المخصص ما شا بما شا تبارك وتعالى قوله او غاب عنا
هو معطوف على المرى لانه فى تاويل الفعل اى انواع مخلوقة الذى ري
منها بالمقل او غاب عنا ولم نره قوله والمثل كالمثل والمعقول هذا
اشارة منه الى بيان وجوب وجود توقف وجود ما لم نره من العوالم
على وجوده تعالى كما وجب توقف وجود ما رايناه منها على ذلك لان
موجب التوقف فى المرى وجوب الحدوث له بدليل ملازمته للحوادث
والحادث يستحيل ان يترجح وجوده على عدمه المساوى له فى الصحة
والامكان او هو ارجح من الوجود لاصالته فيه بلا مرجح ولا شك
ان سايرالعوالم الغايبة عنا مماثلة فى ذلك لما شاهدناه من العوالم

فوجب

فوجب حدوث جميعها وافتقار وجودها الى الفاعل المختار جل وعلا
فلولا وجوده تعالى واختياره لوجود تلك العوالم كلها لوجب ان تبقى
على عدمها الذى كانت عليه ابدا لا يباد •

فواجب كونه قطعا بلا عدم ، سبحانه وتعالى جل عن مثل
وجايز ممكن ما كان من عدم ، وجوده عند ذي عقل من الملل

لما ذكر المولف غفر الله تعالى له توقف وجود العوالم كلها على وجوده
تعالى رتب على ذلك وجوب الوجود له جل وعلا بمعنى انه لا يقبل العدم
لا ازلا ولا ابدا ووجه لزوم ذلك انه لو قبل وجوده العدم جل وعلا
لوجب حينيذ احتياجه تعالى عن ذلك الى فاعل مختار يرجح وجوده
على عدمه فيكون حادثا من جملة العوالم فيجب ان يعجز مثل عجزها
فلا يوجد شيا من العوالم لكيف والفرض ان وجود العوالم مستند اليه
فيلزم تقيها مع تحقق وجودها وهو ظاهر الاستحالة وايضا فانه يلزم
من جواز وجوده وافتقاره الى الفاعل المرجح ان يكون ذلك الفاعل
مثله فى جواز وجوده فيجب ان يفتقر هو ايضا الى فاعل مثل افتقاره
ثم كذلك ويلزم الدور ان انحصر عدد الفاعلين لوجود توقف وجود
الاول من الفاعلين على وجود من بعده منهم لانحصار الخالقية فيهم
فيجب ان تقدم وجوب ذلك الذى وجده ممن بعده عليه لوجوب سبق
الفاعل المختار على فعله لكن وجوب من بعده متوقف على سبق وجوده
اذ هو الاول الذى استند اليه وجود من بعده فقد لزم عند تقدير
حصر عدد الفاعلين وجوب تقدم كل واحد من الاول من الفاعلين ومن
بعده على الاخر وذلك لا يعقل وان قدر عدم انحصار الفاعلين وان قيل
كل فاعل فاعلا قبله الى ما لا نهاية له لزم التسلسل ووجود حوادث
لا اول لها وذلك لا يعقل ايضا لانه يستلزم الجمع بين متنافيين وهو
الفراغ وعدم النهاية اذ الفرض ان تلك الحوادث كلها قد دخلت فى
الوجود وفرغ من حدوثها فلزم من هذا ان تقدير جواز وجود لا اله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يستلزم المحال من الدور او التسلسل وكلما استلزم وجوده محالا
كان وجوده في نفسه محالا فيلزم ان يكون وجود الاله الذي قدر
وجوده جايزا لا واجبا محالا لا يكون البتة وقد علمت وجوب توقف
وجود العوالم كلها على وجود الاله فاذا كان وجوده محالا كان وجودها
كذلك محالا بطريق اخرى فيلزم ان لا يوجد شئ من العوالم مع تحقق
العلم الضروري بوجودها فتعين اذن ان خالق العوالم والاهها
واجب الوجود لا يقبل العدم اصلا لا ازلا ولا ابدا وذلك يجمع
وجوب القدم له تعالى والبقا فمعنى قول المولف فواجب كونه اى
انه اذا عرفت وجوب استناد وجود العالم كلها اليه تعالى
لزم من ذلك ان كونه اى وجوبه واجب لا جايز فكون مصدر كان التامة
التي هي بمعنى وجد لا مصدر كان الناقصة وهو مبتدا خبره واجب
وقوله جل عن مثل اى نظير وانى بهذا الكلام للتنبيه على دليل
لوجوب الوجود له تعالى سوى دليل الدور او التسلسل وذلك
انه يقول لو كان وجود الاله جل وعلا جايزا لكان مثل سايز العوالم
في وجوب احتياجه الى الفاعل فتكون العوالم كلها امثالا له او
يقول بالوجه الذي قدر فاعله على ايجاده اذا قدر انه جايز الوجود
يقدر على ايجاد مثله وايضا ففاعله حج يكون مثله في الالوهية
فيلزم تعدد الالهة فاذن جواز وجوده يستلزم وجود امثاله
او جواز وجودها وتعدد الالهة وذلك محال على من وجبت
له الوحدانية في ذاته وصفاته وافعاله وجل عن مثل تبارك
وتعالى قوله وجايز ممكن ما كان من عدم وجوده يعني ان الجايز
وهو بمعنى الممكن في اصطلاح المتكلمين ما كان وجوده مبتدا
من العدم بان كان لعدم قبله وابتدي وجوده بعده واتى
بمعنى الجايز والممكن لينبه على استحالة وصفه تعالى بهما لمنافاة
معناهما لما يجب له تعالى من وجوب الوجود الذي معناه عدم

قبول

قبول ذاته العدم ازلا وابدا ٠

وقد مضى القول في وجه الدليل بما قدر الله نصا غير محتمل
فباعتبار مخلوقاته قطعت ٠ ذوو النهى بوجود الخالق الازلي
لكن ذوو الجهل كالانعام مهملة ٠ من يضلل الله للتوفيق لم يبل

هذا اشارة منه رضي الله عنه الى ان الطريق الموصل الى معرفة وجوده
تعالى هو الاعتبار في مخلوقاته جل وعلا اى النظر فيها بقصد استفادة
معرفة الله تعالى منها ما خوذ من العبور الذي هو الاجتياز على الشئ
من قنطرة ونحوها الى الامر المقصود للمجتاز ووجه الدليل الذي به
يظفر باستفادة معرفة الله تعالى من تلك المخلوقات ان ينظر فيها
بفكره فيجد كل واحد منها امرا ملازما للحوادث من مقادير مخصوصة
وصفات مخصوصة تفتقر في وجودها لانها جايزة لا واجبة الى الفاعل
المختار **ومن المعلوم** قطعا ان كل امر يلازم حادثا اي لا ينفك
عنه فانه لا يمكن ان يكون الا حادثا محتاجا الى فاعل يوجده يخرج من
هذا الدليل ان كل ما سوى الله حادث ليس منه شئ في الازل وانه محتاج
الى الفاعل الموجد له لاستحالة ان يزول العدم الاصلي لكل حادث ثم
ويرجع في مكانه الوجود الطاري بلا فاعل مختار وبالجملة فالطريق الى
معرفة وجوده تعالى هو معرفة حدوث العالم وهو كل ما سوى الله تعالى
ومرجع الادلة على حدوثه وان كثرت وتنوعت الى الاستدلال بحدوث
احد المتلازمين على حدوث الاخر وذلك ان ذوات العالم كلها اجرام
لا تعقل منفكة عن الحركة والسكون وغيرهما من الحوادث وقد دل البرهان
القطعي على حدوث هذه الصفات واستحالة وجود شئ منها في الازل
فيلزم ضرورة ان الاجرام التي لا تعقل منفكة عن الحركة والسكون الحادثين
وعن غيرهما من سايز الحوادث بستحيل ان يكون شئ منها في الازل اذ لو
كان شئ من الاجرام في الازل لزم ان يكون غير متحرك ولا ساكن ولا متصفا
بصفة اصلا وذلك لا يعقل وهذا البرهان عندهم ينبني على اربعة اركان

الاول اثبات زايد تتصف به الاجرام الثانى اثبات حدوث ذلك الزايد
الرابع اثبات استحالة حوادث لا اول لها ووجه ابتنا حدوث العالم
على هذه الاربعة الاصول انك قد عرفت ان دليله راجع الى الاستدلال
بحدوث احد المتلازمين على حدوث الاخر فاحتاج اذن الى اثبات زايد
على الاجرام ليحكم عليه بالملازمة اذ الشئ لا يلازم نفسه واحتاج الى اثبات
حدوث ذلك الزايد اذ بحدوثه يستدل على حدوث العالم واحتاج الى اثبات
كون الاجرام لا تنفك عن ذلك الزايد ليثبت التلازم بينهما حتى يلزم
من حدوث ذلك الزايد حدوث الاجرام واحتاج الى اثبات حوادث
لا اول لها لانه بعد ما يثبت لنا الاصول الثلاثة واردنا ان نستدل
بحدوث ذلك الزايد على حدوث الاجرام الملازمة له اعترض علينا
الخصم بانه لا يلزم ذلك الا لو كانت افراد ذلك الزايد احادثة لها
مبدا قال ونحن نوافق على حدوثها لكن لا اول لها فانفلك مثلا وان لا زمته
حركات حادثة لا يلزم حدوثه الا لو كان لجملة تلك الحركات مبدا
ليلزم من قدمه وجود المحال وهو كون الجرم عاريا عن الحركة والسكون
اما اذا كانت الحركات لا اول لها فلا يلزم ذلك فهذا وجه احتياج
البرهان الى هذه الاربعة الاصول ثم الاصل الثانى منها وهو حدوث
الزايد يتوقف ايضا على معرفة اربعة اصول الاول ابطال قيام ذلك
الزايد بنفسه الثانى ابطال انتقاله الثالث كمونه وظهوره الرابع
استحالة عدم القديم ووجه توقيف حدوث العرض على هذه الاصول
ان جهة الاستدلال على حدوثه اما ان تكون بطرو الوجود بعد العدم
او بطرو العدم بعد الوجود وتحقيق الاستدلال بطرو الوجود يستدعى
ثلاثة امور وهى ما عدا اثبات استحالة عدم القديم وح يلزم الحدوث
وتحقيق الاستدلال بطرو العدم يستدعى تلك الامور الثلاثة وحينئذ
يتحقق العدم ثم لما لم يكن العدم البتة للوجود هو نفس الحدوث اذ
الحدوث انما هو الوجود الذى يسبقه العدم احتيج الى بيان استحالة

عدم

عدم القديم ليلزم من طرو العدم على الوجود سبق العدم عليه الذى
هو معنى الحدوث وبيانا احتياج الاصل الثانى الى هذه الاصول انا
نقول فى تحقيق الاستدلال بطرو الوجود للعرض كالحركة والسكون هنا
مثلا لو لم يكن طاريا بعد عدم لكان موجودا قبل هذه الحال الذى شانا هنا
طروه فيها ولو كان موجودا قبلها لم يخل اما ان يكون فى محل او لا فان
كان فى محل فهو اما هذا المشاهد لطريانها فيه وان كان غيره فلا يصل
اليه الا بانتقال عن غيره اليه وان كان فى غير محل قبل ان يطرا على هذا
فهو اذن قد قام بنفسه فتوقفت الدلالة اذن على حدوث العرض
بطروه على ابطال هذه الاقسام الثلاثة فحينئذ يستبين انا لطرو
المشاهد لهذا العرض هو تجدد بعد عدم وهو معنى الحدوث وكذا نقول
فى تحقيق الاستدلال بطرو العدم للعرض بعد وجوده انه لو لم يكن قد
عدم لكان باقيا وهو اما ان يبقى فى محل او لا فان بقى فى محل فهو اما فى هذا
المحل او غيره فان كان فى هذا المحل فقد كمن فيه وان كان فى غيره فلا
يصل اليه الا بالانتقال من هذا اليه وان كان فى غير محل فقد قام بنفسه
فاذا بطلت هذه الاقسام الثلاثة تحقق حينئذ طرو العدم عند
مشاهدة فقده من هذا المحل لكن يقال فيه بعد هذا لم قلتم ان
طرو العدم بعد الوجود يستلزم الحدوث الذى هو سبق العدم على
الوجود ولم لا يقال ان هذا العرض قديم ثم طرا عليه العدم فيجيب
حينئذ بانه لو كان قديما لم يجز عدمه ونبرهن على ذلك واذا تحقق
بطرو العدم انه لم يكن قديما لزم ان يكون حادثا وهو المطلوب فتبين
ان اثبات الاصل الثانى متوقف على هذه الاصول الاربعة نضمها الى
بقية الاصول التى يبتنى عليها برهان الحدوث للعالم فيكون مجموع
الاصول التى يبتنى عليها برهان حدوث العالم سبعة الاول اثبات
زايد على الاجرام الثانى ابطال قيامه بنفسه الثالث ابطال انتقاله
الرابع ابطال كمونه وظهوره الخامس اثبات استحالة عدم القديم

شبكة الألوكة www.alukah.net

السادس اثبات كون الاجرام لا تنفك عن ذلك الزايد السابع اثبات
استحالة حوادث لا اول لها ووجه الاستدلال على هذه الاصول
السبعة باختصار ان نقول اما الاول وهو اثبات زايد على الاجرام
تتصف به كالحركة والسكون ونحوهما فهو ضروري لا يحتاج الى دليل
اذ ما من عاقل الا وهو يجد ان في ذاته معاني زايدة عليها ولهذا
قال بعض اذكيا العلماء في جواب من منع وجود الاعراض تزاعكم لنا
في ثبوت الاعراض موجود هو امر معدوم فان قلتم لا وجود له خرجتم
عن طور العقلا وسقطت مكالمتكم لاقرارکم بانه لم يقع منكم نزاع
لنا وان اقررتم بان نزاعكم لنا وقع منكم فلا شك ان ذلك النزاع
امر زايد على الذات وهو الذي نعني بالعرض فقد سلمتم اذن وجود
زايد على الاجرام واما الثاني وهو ابطال قيام العرض بنفسه والثالث
وهو ابطال انتقاله فدليلهما انه لو قام العرض بنفسه او انتقل
لزم قلب حقيقة العرض فان الحركة مثلا حقيقتها انتقال الجرم
من حيز الى حيز فلو قامت بنفسها او انتقلت هي لزم بطلان
حقيقة نفسها وايضا فلو انتقلت لزم قيام انتقال بها وذلك
الانتقال ينتقل ايضا فيقوم به انتقال اخر ويلزم التسلسل وقيام
المعنى بالمعنى واما الرابع وهو ابطال الكمون والظهور فوجهه
ان الكمون والظهور يودي الى اجتماع الضدين في محل واحد لان
الجرم اذا تحرك مثلا والسكون كامن فيه زمن حركته لزم اجتماع
الضدين فيه وهما الحركة والسكون ضرورة ويودي ايضا الى وجود
العرض بدون صفة نفسه فان الحركة مثلا من صفة نفسها ان
ينتقل بها الجرم فلو كمنت لانقلبت حقيقتها وفارقت صفة نفسها
وايضا فالكمون والظهور اللذان قاما بالعرض وتقابلا عليه على
قولهم يلزم ان يكونا عرضين ايضا في انفسهما كالحركة والسكون
المتعاقبين على الجرم فان كان ينعدم احدهما عند وجود الاخر فقد نقضوا

اصلهم

اصلهم في كون الاعراض ولزمهم ما فروا منه من ملازمة الاجرام للحوادث
وان قالوا بكمون وظهور اخرين للكمون والظهور لزم التسلسل واما
الخامس وهو اثبات استحالة عدم القديم فوجهه انه لو انعدم لكان
وجوده جايزا لقبوله الوجود والعدم على هذا التقدير فيحتاج وجوده
الواقع بدلا من العدم الجايز الى الفاعل فيكون هذا القديم محدثا وهو
تناقض واما السادس وهو اثبات كون الاجرام لا تنفك عن ذلك الزايد
فهو ضروري لانه لا يعقل كون الجرم منفكا عن كونه متحركا او ساكنا مثلا واما السابع وهو اثبات استحالة حوادث لا اول لها فله ادلة
كثيرة ذكرناها في عقيدتنا الكبرى وشرحها واقرب الادلة ان نقول
اذا كان كل فرد من افراد الحوادث حادثا في نفسه فعدم جميعها محقق
في الازل ثم لا يخلو اما ان يقارن ذلك العدم فرد من الافراد الحادثة او لا
فان قارنه لزم اجتماع وجود الشي وعدمه اذ ذلك الفرد من جملة الافراد
التي تقرر عدمها في الازل واجتماع وجود الشي وعدمه مستحيل بضرورة
العقل وان لم يقارن ذلك العدم شي من تلك الافراد الحادثة لزم ان
لجميع الحوادث اولا لخلوا الازل على هذا الفرض عن جميعها فاذا تقررت
لك هذه الاصول السبعة بادلتها عرفت حينيذ حدوث كل من الحركة
والسكون مثلا بدليل طرو وجود مما تارة وعدمها اخرى وان لهما
مبدا لما عرفت من استحالة حوادث لا اول لها فلزم ان الاجرام
الملازمة لهما حادثة لها مبدا مثلهما وهو المطلوب واذا علم بالبرهان
القاطع حدوث كل ما سوى الله تعالى من جميع الاجرام وصفاتها لزم
افتقار كل كاين منها الى الفاعل المختار لاستحالة ان ينتقل الحادث
من العدم الاصلي الى الوجود الطاري بنفسه من غير فاعل ولا يخفى بعد
هذا ثبوت ما يجب لهذا الفاعل من الصفات واستحالة ما لا يصح ان
يتصف به من المستحيلات وجواز ما يصح ان يفعله من الكاينات تنبيه
قال بعض اهل الاشارة يجب ان يعتنى بمعرفة حدوث العالم وتحقق

شبكة الألوكة www.alukah.net

اصوله الاربعة التي تتفصل الى تسعة لتوقف برهانُ حدوث العالم
عليها حتى قيل ان الجهالة بتلك الاصول الاربعة هي التي استعبرلها الظلمات
الاربع في قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج والله سبحانه وتعالى
اعلم بما اراد في ترتيب هذه الظلمات قال تعالى اثر ذكر هذه الظلمات
اذا اخرج يده لم يكد يراها فضرب المثل بيده وهي اقرب الاشيا اليه
فاذا نظر الجاهل بالربوبية الى يده لم يربرهانا فيها على حدوثها ولم
يفهم تسبيحها لباريها ومنشيها ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما
غفورا قال اهل الاشارة حليما عفورا لمن فقه تسبيح الموجودات لربها
وبارئها بالسنة احوالها تفهم بالعقل وتسمع بالعقل ويترجم عنها
بكلام النفس والله يختص برحمته من يشا والله ذو الفضل العظيم
قوله لكن ذو الجهل كالانعام مهملة يعني ان دلالة العوالم على وجوب
وجوده تعالى ووجوب وحدانيته تعالى وعموم علمه وقدرته وارادته
الى غير ذلك من كمال صفاته هي في غاية الوضوح بحيث يدركها كل عاقل
لو ساعده التوفيق لكن لما اراد سبحانه وتعالى بمحض اختياره خلق
اكثر الانس والجن للخلود في النار واراد ان يجعل علم ذلك واما رفته
الجهل به وبرسله جعل سبحانه قلوب ذلك الاكثر المخلوق للنار
كالانعام تبصر باعينها البصرة الادلة المتكاثرة الخارجة عن حد
الحصر وتسمع باذانها تقرير وجوه لا لتها باوضح تقرير على السنة
الرسل عليهم الصلاة والسلام ثم مع ذلك لا تفقه شيا من ذلك
قال تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يومنوا بها وقال تعالى ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا
يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل
اولئك هم الغافلون وقوله للتوفيق متعلق بقوله ينال بعده وجملة
لم ينل جواب الشرط في قوله من يضلل الله اي يخلق في قلبه لضلال

وهو

وهو الجهل به وبرسله وبالله التوفيق ٥

ومثلهم كل ذي شرك وان نسبوا ، للدين انفسهم كفر ولا تقل
مثل النصارى على التثليث ذنبهم ، بالاتحاد وزور الافك والخطل

يدخل في قول المولف رضي الله تعالى عنه كل ذي شرك انواع الشرك الخمسة
وهو شرك الاستقلال كشرك المجوس المثبتين لالهين مستقلين احدهما
مستقل بايجاد كل خير والثاني مستقل بايجاد كل شر وشرك التبعيض وهو
تركيب لاله من الهة كشرك النصارى لتركيبهم الاله من ثلاثة اقانيم وهي
اقنوم الوجود واقنوم العلم واقنوم الحياة فقالوا كل واحد منها اله فهي
الهة ثلاثة ومجموعها اله واحد تعالى الله عن هوسهم وتخليطهم الذي لا
يعقل لعاقل وشرك التقريب كشرك اوايل الجاهلية لقولهم في الهتهم
التي عبدوا من دون الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وشرك التقليد
كشرك اواخر الجاهلية لقولهم فيما عبدوا من الاوثان انا وجدنا ابانا على امة
وشرك الاسباب وهو اسناد الفعل والتاثير على سبيل الحقيقة الى
الاسباب العادية كاعتقاد ان الطعام يشبع والماء يروي والسكين تقطع
والثوب يستر والنار تحرق وان القدرة الحادثة التي في الحيوان بها
يتحرك ويسكن ويقعد ويمشي الى غير ذلك من التصرفات على سبيل الحقيقة
في جميع ذلك ولا شك في ان الانواع الاربعة كفر واما الخامس وهو شرك
الاسباب فلا خفا انه فسق وبدعة وانما الخلاف في كفره والذي نقله ابن
دهاق في شرح الارشاد ان من اعتقد في الاسباب العادية انها تؤثر
فيما قارنها من الكاينات بطباعها فلا خلاف في كفره ومن اعتقد ان تاثيرها
فيما قارنها بقوة وخاصية خلقها الله تعالى فيها ولو نزع سبحانه منها
تلك القوة لم تؤثر فهذا فاسق مبتدع باتفاق وفي كفره قولان وقال
نظير هذا القسم في وجود الاتفاق على الفسق والبدعة ووجود الخلاف
في الكفر اعتقاد ان القدرة الحادثة التي يخلقها الله تعالى في الحيوانات
هي الموثرة في افعالهم اما مباشرة او تولدا على وفق ارادتهم واما القسم

السادس من الشرك وهو شرك الاغراض المسمى بالربا والشرك الاصغر
وهو العمل لغير الله تعالى فهذا فسق وليس بكفر باجماع فيجب ان يخرج
هذا القسم من العموم الذي ذكره المصنف وقرينة خروجه من عموم
لفظه ان كلامه انما هو في العقايد وما يجب لمولانا جل وعلا من الصفا
فيكون مراده بالشرك انما هو الشرك في ذلك بان يعتقد ثبوت
خاصة من خواص الاله لغيره من المخلوقات والمراد بشركه انما هو
في الفرض من العبادة لا في شئ مما يجب لمولانا جل وعلا وظاهر كلام
المولف ان النوع الخامس وهو شرك الاسباب كفر من غير تفصيل وذلك
صحيح بنا على احد القولين ويحتمل ان يكون مراد المولف بالشرك شرك
الانواع الاربعة الاول المتفق على انها كفر لانها التي يصدق عليها
الشرك عرفا قوله مثل النصارى على التثليث دينهم اي دينهم كائن
على التثليث اي تركيب الاله من الهة ثلاثة وقوله بالاتحاد الى اخره
هو حال من الضمير المستتر في الخبر او من التثليث اي كائن على التثليث
في حال كونه مشوبا بالاتحاد اي يقولون ان الاله مركب من ثلاثة
واتحد واحد من تلك الالهة الثلاثة بجسد عيسى عليه السلام
اي قارنه ولهذا كان عيسى الها عندهم تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا ويحتمل ان يكون قوله بالاتحاد خبرا ثانيا لقوله دينهم
وبالجملة فحاصل مذهب هولاء الحمر اهلكهم الله تعالى ان الاله
عندهم يسمونه جوهرا وهو مركب من ثلاثة اقانيم اي من ثلاثة اصول
وسموها اصولا اما لنشاة العوالم عنها فهي اصول لها او لتركيب
الاله منها فهي اصول لوجوده وهي اقنوم الوجود واقنوم العلم
واقنوم الحياة وانظر كيف حكموا على هذه الثلاثة بانها الهة وهي
صفات والصفة لا تصلح للالوهية ثم قالوا مع ذلك ان مجموع الثلاثة
اله واحد فجمعوا بين نقيضين وحده وكثرة ثم ان هذه الصفات
احوال عندهم او وجوه واعتبارات لا توجد الا في الذهن وكيف تتركب

الذات

الذات من مجرد احوال لا وجود لها او وجوه واعتبارات لا توجد الا
في الاذهان وذلك غير معقول لعاقل ثم زعموا ايضا ان اقنوم العلم
منها ويسمى الكلمة اتحد بناسوت عيسى اي جسده ومن ثم كان الها
عندهم وانما اختلفوا في معنى اتحاد الكلمة به فمنهم من فسره بقيام
الكلمة به كما يقوم العرض بالجوهر وهذا يوجب مفارقته لذات
الاله وهو الجوهر الذي هو عندهم مجموع الاقانيم الثلاثة وهم
لا يقولون بالمفارقة بل يقولون اتحد ذلك الاقنوم بناسوت عيسى
من غير ان يفارق ذات الجوهر فحكموا بقيام المعنى الواحد بمحلين في
ان واحد **وهو المعلوم** ضرورة ان المعنى الواحد لا يقوم
بذاتين ومنهم من فسر هذا الاتحاد بالمزج والاختلاط كاختلاط الخمر
والماء ونحوهما من المايعات وكيف يعقل الاختلاط الذي هو من صفات
الاجسام في الكلمة التي هي معنى من المعاني بل هي حال عندهم وخاصة
للذات الازلية ومنهم من فسره بالانطباع كانطباع صورة النقش
في الشمع ومعلوم ان النقش الذي قام بالخاتم لم يحصل فيما طبع فيه
وانما حصل فيه مثاله والاله لا مثل له وايضا فكيف يفهم الانطباع
الحسي الذي هو من صفات الاجسام لما هو صفة بل هو حال او وجه
واعتبار ولنقتصر على هذا القدر من بيان فضايحهم فان التطويل
غير لايق بالغرض من هذا المختصر والقوم قد انكشف عوارهم ومباديه
تدل على مناهيه ومذهبهم كما قال علماونا غير معقول وهم احمق
الفرق كلها وارذلها افهاما وادراك الحقايق على مثلهم عسير قال
الامام الفخر ناظرت بعض احبارهم فوجدته في غاية البعد من
المعقول لا ناظره بها وهي ان الدليل يلزم من وجوده وجود المدلول
ولا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول كحدوث العالم مثلا فانه
دليل على وجود مولانا جل وعز فيلزم من وجود الحدوث وجود
مدلوله الذي هو مولانا عز وجل ولا يلزم من عدم الدليل الذي

شبكة الألوكة www.alukah.net

هو الحدوث عدم مدلوله الذي هو وجود مولانا تبارك وتعالى فانه
كان الحدوث منفيا في الازل ووجود مولانا جل وعلا واجبا في الازل
وفيما لا يزال قال فعسر عليه فهم هذه القاعدة فلم ازل معه حتى فهمها وسلم
لزوم ما رصدتها فقلت له ح لم خصصتم اتحاد اقنوم العلم بناسوت عيسى
عليه الصلاة والسلام حتى جعلتموه الها فقال لي خصصناه بالاتحاد
لما ظهر على يديه من احيا الموتى ونحوه مما لا يقع الا من الاله فقلت له يلزمكم
ان تقولوا بالوهية موسى عليه السلام لما وقع على يديه من احياء العصى ثعبانا
عظيما وفلق البحر اطوادا ونحو ذلك مما يقع انه ليس من فعل المخلوق
البتة فاراد ان ينكر اللزوم فقلت له قد سلمت انه يلزم من وجود الدليل
وجود المدلول ودليل الالوهية على زعمكم موجود في موسى عليه السلام
على حد وجوده في عيسى عليه السلام فيلزم ان يكون لها مثله لاستحالة
وجود الدليل بدون مدلوله ثم قلت له وهل يجوز ان نكون نحن وهذه
الحيوانات المحتقرة كالخنافس ونحوها الهة فقال لا اجوز ذلك لعدم
دليل الالوهية فيها فقلت كيف وقد سلمت انه لا يلزم من عدم الدليل
عدم المدلول فلعلها تكون الهة في نفس الامر على مقتضى اصلكم ولم
يظهر بعد دليل الوهيتها فهمت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين
انتهى قلت وانظر عظم عنادهم فيما تخيلوه من حكمة كون عيسى اتحد به
اللاهوت حتى كان عندهم القائم صلب بعد ذلك على زعمهم قالوا
ابعدهم الله تعالى واخلى منهم الارض حكمة ذلك انا دم ابا البشر عليه
السلام لما اكل من الشجرة وخالف امر ربه استحق العقوبة من ربه على
ذلك لكن عقوبة المولى على ما هو عليه من عظيم الجلال لم تكن نظيرا
له فيه نقص به قالوا اهلكهم الله تعالى فلما اتحدت الكلمة بعيسى عليه
السلام ورجع بسببها الها تكرم بنفسه وبذلها للعقوبة نيابة عن ابيه
ادم عليه السلام ولم يكن في ابقائها به نقص في الاله لمشاكلته له اذ هو
اله مثله قالوا اذ لهم الله تعالى هذه حكمة قتله وصلبه فقيل لهم هذا

القتل

القتل والصلب الذي زعمتم وقوعه به هل انفرد به الناسوت دون اللاهوت
امرنا لهما معا فان قلتم انفرد به ناسوت عيسى فقط انتقض عليكم
ما قلتموه من الهوس من ان يقاع الاله العقوبة بمن ليس نظيرا له
نقص به اذ لا شك انا الناسوت وهو جسد عيسى عليه السلام ليس
باله قطعا وايضا فكيف ينفرد الناسوت بذلك القتل والصلب
نال المجموع من اللاهوت والناسوت لزم ان الاله يلحقه الموت والالم
وغير ذلك مما يلحق المخلوق وذلك يستلزم حدوثه ضرورة وايضا
فذلك يودي الى انعدام الاله الذي هو مركب عندكم من الاقانيم
الثلاثة اذ المركب ينعدم بانعدام جزيه وقد انعدم جزء الاله
الذي حل بعيسى لقتله معه فقد انعدم اذن الاله فلم يبق بعد
ذلك اله وايضا فقد دل الامر على هذا الفرض ان الاله انتقم
بنفسه من نفسه وعاقبها في معصية صدرت من عبده فتبا لعقول
هؤلاء الحمير فما اجنها عقول صغيره خسيسة تحملها اجساد كثيرة ه
ونفوس بهيمية حملتها هيا كل انسانية ان هم الا كالانعام بل هم
اضل سبيلا فانظر هذا الهوس وهذا التلاعب والهذيان الذي
ابتلى به هؤلاء القوم لا حول ولا قوة الا بالله وقل الحمد لله الذي
عافانا مما ابتلاهم به وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا الله
كما بدان بالانعام محض فضلك فاتمم لنا ذلك يا مولانا بحسن
الخاتمة والصفح عن جميع الذنوب بالمحنة دنيا واخرى يا ارحم
الراحمين بجاه نبيك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى اله وصحبه اجمعين ،

كذا اليهود وانهم وحدوا وكفروا ، بالله من جهة التكذيب للرسل
اذ صدقوا البعض دون البعض من حد ، فالقوم عقلهم في المكر والحيل
عمي البصائر لا تطمع برشدهم ، عمي البصيرة ادهى من عمى المقل
يعني ان اليهود في تحتم الحكم بكفرهم مثل النصارى ونحوهم من ذوي

الشرك لانهم وان وحدوا مثلا فقد فاتهم الجزء الثانى من جزئى الايمان
وهو الايمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام بكفرهم بنبينا
وسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم بعيسى عليه السلام
وما ذكرناه من فرض التوحيد انما هو لبعضهم والا فكثير منهم قد
اشرك بالله تعالى كما ولبك الذين حكى الله عنهم انهم قالوا عزير
ابن الله ولهم من الاعتقاد الفاسد حق لله تعالى كما تجسيم وجهة
وغيرهما مما هو معلوم واشار المولف بقوله من حسدا الى ان فتكذيب
اليهود بمن كذبوا به من الرسل كتكذيبهم بنبينا صلوات الله
وسلامه عليه ليس عن جهل كما هو لكثير من الكفار بل عن علم لكثرة
ذكرما ورد فى كتبهم وكانوا يكذبونه قبل بعثه ويستفتحون به
على المشركين كما حكى الله تعالى عنهم فى قوله وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فقيل معنى استفتاحهم
على الذين كفروا انهم كانوا يستنصرون به على المشركين اذا قاتلوهم
قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى اخر الزمان الذى نجد نعته
وصفته فى التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبى
مخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون
يفتحون عليهم ويعرفون ان نبينا يبعث منهم قد قرب وانه فلما بعث
من غيرهم وهم العرب حسدوه وحسدوهم واتفقوا على اعقابهم
والعياذ بالله تعالى وقوله فالقوم عقابهم فى المكر والحيل يعنى بالقوم
اليهود ومكرهم خداعهم للمسلمين باظهار كثير منهم الايمان وابطان
الكفر ليعرفوا اخبارهم وينقلوها للمشركين وليشاركوهم فى الغنائم
وكخوذ لك مما هم مشهورون به وحبلهم ما كانوا يتعاطونه من تبديل
صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى فى كتبهم والسعى بالشبه فى
ابطان دين الاسلام واظهار الايمان اول النهار والكفر اخره
ليظهروا للعوام ان كفرهم ورجوعهم عن دين الاسلام انما هو بعد

مخالطته

مخالطته ومعرفة باطن امره وانهم لو رأوا فيه خيرا ما رفضوه بعد ذوقه
كما حكى الله تعالى عنهم فى قوله وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا
بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون
الى غير ذلك من تخيلاتهم التى حكى القران كثيرا منها قوله عمى البصيرة
اى هى من عمى المقال اى عمى القلوب بتوالى خلق الضلال فيها والجهل بالمراشد
اعظم من عمى البصر المحسوس لان الاول يمنع من الهداية ومن النجاة فى
الاخرة والثانى لا يمنع من ذلك بل ربما كان فيه خير لكثير من الناس وقد
اشار المولف بهذا الكلام الى معنى قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور على احد الوجهين فيه وهو ان يكون المعنى ان
عمى الابصار لا ينبغى ان يعد عمى بالنسبة الى عمى القلوب وانما العمى عمى
القلوب فنسأله سبحانه ان يفتح بصائرنا لمعرفة مراشدنا الدنيوية
والاخروية ويعيننا على العمل بمقتضى ذلك بمنه وكرمه ٥

لولا ايمانا للرد قد سبقوا ٥ لم تلتقيهم سوى بالبيض والاسل
من بينكر الشمس تبدو لاحجاب لها ٥ وذا مثال وجل الله عن مثل
فينكر الخالق المعبود موجده ٥ او معجزات تبين الصدق للرسل
فذاك كالعير لا تسعى نناظره ٥ دع الحمير على امثالها تصل

يعنى ان هولاء اليهود والنصارى ومن فى معناهم من ذوى الشرك الفاضح
الواضح لما اتضح فساد عقولهم فى غاية كان من مقتضى الراى والقياس ان
لا يتعرض لنقل اقوالهم ولا يتشاغل بردها والمناظرة عليها لان فى التشاغل
بذلك بعض تعظيم لتلك الاقوال الفاسدة بان جعلت من المذاهب التى
يحتاج الى اعمال الفكر فى ردها وهى اخس من هذا واد نى بل مجرد مقابلة
اصحابها بالقتل والاسر والسبى كاف فى بيان فضيحتهم واذلال مذاهبهم
لكن لما تعرض ايمتنا رضى الله تعالى عنهم لحكاية اقوالهم واظهار ما فيها ٥
من الهوس والفساد على وجه يبين عوارها لكل عاقل وجب علينا الاقتدا
بهم وكيف لا وايمتنا رضى الله تعالى عنهم قد اقتدوا فى ذلك بالقران

شبكة الألوكة www.alukah.net

العزيز فانه قد ذكر فيه سبحانه اقوال اليهود والنصارى وذوى الشرك
وذكر شبهاتهم الحاصلة لهم على تلك المذاهب الردية ثم بين تبارك
وتعالى وجوه الرد عليهم مبالغة فى قطع العذر وحتى لا يبقى لاحد
حجة ولا شبهة فى شئ مما يتكيه من وجوه الفساد ولا نا الرد بالحجة
امضى وابلغ فى التاثير والاذلال واظهر فى الفضيحة وهتك الستر
من الضرب بالسيوف والاسنة لاسيما وحرب السيوف سجال مرة
على العدو ومرة لهم اما محاربة العدو بالحجج القاطعة ففيها اخماد
لبدعهم واستيصال لشافة معتقدهم وقطع لدابر وسوسهم على وجه
لا يرفعون معه راسا الى يوم القيمة فقوله قل من ينكر الشمس تبدو الخ هو
تمثيل لظهور وجوده جل وعلا ووجوب صفاته وظهور بعثة الرسل
عليهم الصلاة والسلام ليبلغوا عنه احكامه التى لا مجال للعقول فى
معرفتها دون الشرع وهذه الجملة فى هذا البيت استيناف بيانى
لانها جواب عن سؤال مقدر اقتضاه ما فى البيت السابق كانه قيل
لم لم تلتفت سوى البياض والاسل فاجاب بمقتضى ما دل عليه هذا البيت
من ظهور عنادهم بسبب انكارهم ما هو فى الوضوح كالشمس اذ لم ينكر عليها
حجاب ومراده بالبياض السيوف وبالاسل الرماح والاستفهام فى قوله
من ينكر للتعجب قوله فينكر الخالق المعبود موجده هو لف ونشر مرتب
لان قوله فينكر الخالق راجع للنصارى ونحوهم من ذوى الشرك وقوله
او معجزات راجع لليهود ونحوهم ممن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم
قوله فذاك كالعير يعنى كالحمار وهو تشبيه فى تناهى البلادة كما قال
تعالى فى حق اليهود مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار
يحمل اسفارا وبانى البيت ظاهر

فصل فى ان الاختراع لله سبحانه لا لشئ سواه مراده بالاختراع ايجاد الممكن واعدامه
فيخرج الكسب لانه لا تاثير له وانما هو عبارة عن تعلق القدرة الحادثة
بالفعل فى محلها من غير تاثير وانما قال لا لشئ ولم يقل لا لاحد لان لفظ

احد

احد خاص بالعقلاء وشئ يعم كل موجود سواه فيدخل فيه الطعام باعتبار
ما قرن تعالى معه من الشبع عادة وكذا النار باعتبار ما يفارنها من
الاحتراق والتسخين ونضج الطعام ونحو ذلك مما لا ينحصر من الاسباب
العادية فكل ذلك داخل فى هذا الحكم بنفى الاختراع عن كل شئ سواه تعالى
ولو عبر بلفظ احد لما عم نفى حكم الاختراع جميع ما ذكر

وكل شئ فان الله موجده بلا اضطرار الى فعل بمنفعل
لان افعاله ليست معللة عند الايمة بالاسباب والعلل
بل انه باختيار منه اوجدها قد نزل موجبها بالعقل والجدل
فصير العالم الموجود ذا قدم وذاك كفر بلا شك ولا وهل
لان تغييره يكفى دلالته لو كان ذا قدم بالقطع لم يحل
فالجوهر الفرد والاجسام حادثة كذاك اعراضها لا فرق فى المثل

لما اتضح بشهادة العوالم عدم استقلالها بوجود ذاتها وانه يجب
افتقارها جميعها الى الله تعالى بين المولف رضى الله تعالى عنه هنا ان
ذلك الافتقار الذى تقرر للعوالم كلها الى الله تعالى ليس هو على انه
اوجدها بطريق العلة او الطبيعة الملزومين لنفى الاختيار ولوجوب
القدم لتلك العوالم بل هو على معنى انه اوجدها بمحض الاختيار المستلزم
لنفى قدم العوالم ونفى الاضطرار فى ايجادها والى هذا اشار بقوله
بلا اضطرار الى فعل بمنفعل اى بلا الجاء الاعراض او العلة او
الطبيعة الى فعل يفعله بمنفعل اى بمكن من ايجاد له او اعدام
او تخصيص له بعرض او مقدار او شكل او مكان او زمان وبرهان هذا
المطلب على طريق السبر والتقسيم ان يقول صانع العالم لا يخلو اما
ان يكون اوجبه لذاته على طريق التعليل او اقتضاه بطبيعته على
طريق تاثير الطبيعة او اوجده عن سبق عدم بمحض ارادته واختياره
وجهات التاثير منحصرة فى هذه الاوجه الثلاثة ووجه الحصر
ان كل مؤثر اما ان يصح منه الترك لاثره كالكاتب مثلا لكتابته

شبكة الألوكة www.alukah.net

والمتحرك غير المرتعش مثلا لحركته عند القدرى لا عند السنى القايل
بعدم تاثير القدرة الحادثة فى الافعال المقارنة لها اولا والاول
الفاعل المختار ويلزمه ان يكون حيا عالما قادرا مريدا والثانى
اما ان يتوقف قضاوه على شرط وانتفا مانع كما يقول الطبايعى فى
احراق النار ونفع الادوية مثلا فانه قد يمنع منهما مانع اولا كما
يقول الفيلسوفى مثلا فى حركة اليد مع حركة المفتاح فانه يستحيل
ان يمنع من حركة المفتاح او الخاتم الكاينين فى اليد عند حركتها مانع
والاول الطبيعة والثانى العلة ثم نقول لا جايز ان يكون صانع
العوالم علة او طبيعة لانا العلة والطبيعة لا يخلوا ان تكونا
قديمتين او حادثتين فان كانتا قديمتين لزم قدم العوالم لان فعل
العلة والطبيعة انما يوجبا بالزوم لا بالاختيار وقدم الملزوم يقضى
بقدم لازمه وقد عرفت بالبرهان القطعى حدوث العوالم كلها
وان كانتا حادثتين افتقرتا فى وجودهما الى علة اخرى وطبيعة اخرى
ولزم الدور او التسلسل وهما مستحيلان فان قيل نختار ان فاعل
العوالم طبيعة والها قديمة ولا يلزم ما الزمتم من قدم الحوادث
لان عدم المفارقة انما يلزم فى العلة مع معلولها لانا تلازمهما
لا يتوقف على شى اما ملازمة الطبيعة مطبوعها فمتوقفة على عدم
الموانع ووجود الشرايط كما تقول الفلاسفة فنح الله تعالى رايهم
ان تاثير النار بطبعها فى احراق الشى يتوقف على وجود شرط وهو
قربها متلاصقا من ذلك المحترق وانتفا مانع وهو بلل ذلك المحترق مثلا
اما اذا وجد مانعها او انتفى شرطها فتوجد هى مع عدم مطبوعها اعنى
الذى هو الاحراق فاذا تقرر هذا فنقول صانع هذه الحوادث طبيعة

طبيعة

طبيعة قدم الحوادث ولا حدوث الطبيعة الذى يلزم منه الدور
او التسلسل فالجواب ان نقول نحن ننقل الكلام معكم الى ذلك المانع
من وجود الحوادث او الى ذلك الشرط المتاخر وجوده فنقول ذلك
المانع من تاثير الطبيعة فى وجود الحوادث ازلا على زعمكم لا يخلو اما
ان نقدروه قديما او حادثا فان كان حادثا افتقر الى محدث والمحدث
على اصلكم طبيعة قديمة فتحتاجون الى تقدير مانع اخر منع من وجود
هذا المانع الحادث ازلا والمانع من تاثير الطبيعة قد اخترتم انه
حادث فيكون هذا المانع الثانى حادثا ويفتقر ايضا فى تاخر وجوده
عن طبيعته القديمة الى تقدير مانع اخر حادث منع من وجود هذا
المانع الحادث ازلا كالذى قبله ثم كذلك هذا المانع الاخر ويتسلسل
فيلزم وجود حوادث لا اول لها وقد سبق برهان استحالته وان منعوا
التسلسل فى الموانع الحادثة وجعلوا لها مبدا لزم حينيذ قدم سايز
العوالم لعروا الطبيعة الموثرة فيها عن المانع ازلا وان قدم المانع
من وجود العوالم قديما لزم ان لا يوجد شى من العوالم حتى ينعدم
مانعها القديم لكن عدم القديم محال وقد سبق برهانه فيلزم ان يكون
وجود العوالم المتوقف عليه محالا وهكذا نقول فى الشرط المتاخر وجوده
عن الطبيعة انه حادث فتفتقر الى محدث والمحدث على اصلهم طبيعة
قديمة فيحتاجون ايضا الى تقدير مانع من وجود هذا الشرط ازلا
وفوات شرط لم يوجد الا فيما لا يزال ونتقل الكلام الى مانع الشرط
او الى شرط الشرط ويلزم ما لزم اولا من التسلسل ان قدر مانع الشرط
قديما وكل واحد منهما مستحيل فخرج من هذا البحث كله ان خالق العوالم
لو كان اوجدها بطريق التعليل او الطبع لكانت كلها قديمة مثله
او يكون هو حادثا مثلها والبرهان القطعى قد شهد بحدوث العوالم
كلها واستحالة ان يوجد منها شى فى الازل وشهد لحاقها بوجود القدم
والبقا فظهر اذن ان لا ربط بين وجود العوالم وبين وجود الاله تبارك

ان تقدير انتفا الشرط او المانع
حادثة وعدم الشرط كذلك

وتعالى وان ايجاده لما اوجد منها انما هو بمحض الاختيار والى لزوم
قدم العوالم على تقدير كون موجدها اوجدها بطريق العلة او الطبيعة
اشار المولف بقوله فصير العالم الموجود اقدم ثم بين استحالة قدمه
بقوله لان تغييره تكفي دلالته الخ لان تغييره بايجاد اعراضه تارة
واعدامها اخرى تكفي دلالته في وجوب الحدوث لجميعه لان حدوث
احد الملازمين وهو الاعراض يقضي قطعا بحدوث ملازمه الاخر وهو
الجوهر وقد سبق بسطه في تقرير برهان حدوث العوالم بما فيه كفاية
والحمد لله على ذلك ليعني واذا تقرر حدوث العوالم كلها استحال ان
يكون شيء منها معللا الا بعلة ان كانت قديمة لزم قدم العالم لاستحالة
تاخر المعلول عن علته والبرهان القاطع دل على ان جميعه حادث وان
كانت تلك العلة مثله حادثة لزم افتقارها ايضا الى علة ه
اخرى ونقل الكلام الى تلك الاخر ولزم التسلسل وهو محال
قالوا والامكان ايضا فيه لحدثه. بجايز حادث والبسط فيه جلي
وكل من قال بالتاثير كفره. من ذوي الطبيعة والتنجيم ذي خطل
يعني ان الاستدلال على حدوث العوالم يصح بوجهين احدهما ما سبق
من ملازمة كل جرم من اجرام العالم للاعراض الحادثة كالحركة
والسكون ونحوهما والدليل على حدوث تلك الاعراض تغيرها
بالقبول والحصول من وجود الى عدم ومن عدم الى وجود وملازم
الحادث حادث ضرورة الثاني ما ذكرهنا من الامكان وبسطه ان
كل جرم من اجرام العالم فهو ممكن الوجود والعدم بحسب ذاته ومقداره
وصفته اذ لو كان جرم من الاجرام واجبا لذاته للزم وجود جميع
ما يماثله من الاجرام والمقادير والصفات لوجود استواء المتماثلات
فيما يجب وفيما يستحيل وما يجوز وذلك يستلزم دخول ما لا نهاية له
من الاجرام في الوجود وهو محال ضرورة واذا تبين ان كل جزء من
اجزاء العالم هو ممكن الوجود والعدم من جهة ان بعض امثاله قد

اتصف

اتصف بالوجود وبعضها قد اتصف بالعدم فيلزم انه يجوز ان يتصف
هو بمثل ذلك اذ كل ما اتصف به احد المثلين فان يجوز ان يتصف
به مثله وجب لاجل هذا ان يكون كل جزء من اجزاء العالم مستفادا
من غيره لا من ذاته اذ البرهان دل على ان ذاته تقبل الوجود والعدم
على حد السوا فترجح وجوده على عدمه المساوي له في القبول لابد له من
مرجح غير ذاته ضرورة ثم هذا المرجح لوجوده على عدمه لابد ان يكون
واجبا لوجود لذاته والا افتقر الى ما افتقر اليه العالم من المرجح م
لوجوده ولزم في مرجحه ما لزم فيه وداراو تسلسل على ما ياتي بيانه
ان شاء الله تعالى في دليل قدم الصانع والدور والتسلسل مستحيلان
فثبت العلم من طرق امكان العالم بانه مستند في وجوده الى موثر
غيره واجب الوجود لذاته فقد خرج لك بهذا الطريق عن طريق ه
الامكان العلم بوجود الصانع كما خرج لك بطريق الحدوث لكن خرج
لنا العلم بالصانع في طريق الامكان على وجه يحتمل ان يكون ذلك الصانع
صانعا للعالم بالزوم الذاتي من تعليل او طبع فلا يكون العالم حادثا
بل قديما كما تقول الفلاسفة اذ لهم الله تعالى ويحتمل ان يكون صانعا
بالاختيار فيكون العالم حادثا كما يقول اهل الحق اعزهم الله تعالى
فنحتاج بعد ما خرج لنا بهذا الطريق العلم بالصانع كما خرج به الفيلسوف
الى دليل اخر لاثبات هذا المطلب اعني مطلب حدوث العالم وكون
صانعه اوجده بمحض الاختيار لننفرد ببيان هذا المطلب عن الفيلسوف
فانه قد ضل ولم يهتد هو اليه فنقول في بيان هذا المطلب اذا عرفت
بطريق الامكان وجوب استناد وجود العوالم كلها الى فاعل يفيدها
الوجود فانه لا يصح ان يكون افادها الوجود على سبيل التعليل
او الطبع من غير اختيار كما يقول الفيلسوف اخزاه الله تعالى والا
لزم عدم الاختلاف في العالم بان يكون كلها على مقدار واحد وصفة
واحدة لاستحالة الاختلاف في معلول العلة الواحدة او مطبوع م

الطبيعة الواحدة كيف وفاعل العوالم قد خالف بينها في المقادير
والصفات والازمنة والامكنة اختلافا لا يمكن حصره بل الذات
الواحدة يتنوع فيها من الاختلاف ما لا يمكن ضبطه ولا الاحاطة به
كذات الانسان وغيره مع تماثل اجزاء المادة في ذلك فتعين بهذا
ان يكون فاعل اوجدها بمحض الاختيار لا بالتعليل والطبع واذا كانت
العوالم كلها موجودة بالاختيار لزم ان تكون كلها حادثة اذ اختيار
فاعلها لوجودها ومقاديرها وصفاتها وامكنتها يستلزم سبق
العدم لجميعها في الازل اذ لو كانت موجودة لكان ايجاد الفاعل لها
تحصيل لما هو حاصل بدونه واختياره لوجودها ترجيح لما هو واجب
الرجحان وكل منهما مستحيل ضرورة والفرق بين الاستدلال بطريق
الامكان المجرد وبين الاستدلال بغيره كالطريق الاول الذي هو ملازمة
العالم للتغير اتان الطريق الاول يعرف منه حدوث العالم ثم بعده
يعرف منه محدثه اما ضرورة او نظرا على ما سبق واما الطريق الثاني
وهو الامكان فيعرف منه الصانع اولا ثم بعده يعرف كونه فاعلا
للعوالم بالاختيار لا بالتعليل ولا بالطبع ثم بعد ذلك يعرف منه
حدوث العوالم باسرها على ما سبق لبسطه والى الاحتياج في الاستدلال
بالامكان الى مزيد تقرير اشار المولف بقوله والبسط فيه جلي
وقوله لحقه بجايز حادث يعني ان الامكان دل ايضا على ان العالم
حادث بواسطة دلالته اولا على معرفة صانعه وانه صانع له
بالاختيار كما سبق بيانه وذكر المولف الجايز توطية لوصفه
الذي هو حادث اذ الجايز بمعنى الممكن فلو كان هو المقصود لكان
الامكان دليلا على نفسه وهو باطل ضرورة واعلم انه قد اختلف
المتكلمون في منشا احتياج الحوادث الى الصانع فقيل الامكان
وهو اختيار البيضاوي وجماعة وقيل هو الحدوث وهو عمدة اكثر
المتكلمين وقيل مجموعهما وقيل الامكان بشرط الحدوث والحق انها

كلها

كلها طرق موصلة الى العلم بالصانع وهو اما ان تعتبر في الذوات او في
الصفات فتكون الطرق الموصلة ثمانية حاصل ضرب اربعة في اثنين واسقط
منها طريق الامكان بشرط الحدوث لانه يرجع في الصورة الى طريق الاستدلال
بمجموع الامكان والحدوث سقط بسببه من الثمانية طريقان فبقي ست
طرق وكذا عدها الفخر في الاربعين وعدها في المعالم اربعة لانه اسقط
من الثمانية الطريقين الاخيرين لتراكبهما من الاول قوله وكل من قال
بالتاثير نكفره يعني ان كل من اسند التاثير في وجود شيء من الممكنات الى غير
مولانا جل وعلا المنفرد بالايجاد والخلق فانا نحكم بكفره لاشراكه بمولانا
جل وعز غيره الا ان القايلين بنسبة التاثير لغيره تعالى منهم من اجمع على
كفره كالطبايعيين والمنجمين القايلين بقدم العالم ونفي الاختيار لمولانا
جل وعلا ومنهم من اختلف في كفره كالمعتزلة القايلين بتاثير قدرة الحادث
في افعالنا الاختيارية مباشرة فيما قام بمحل تلك القدرة او تولدا فيما
خرج عنها كاندفاع الحجر ورمي السهم ونحوهما وكذا في كفره من اسند
التاثير للاسباب العادية فيما قارنها بسبب قوي حفظها الله تعالى فيها
كالطعام والشراب والنار والمطر والحديد ولبس الثياب والادوية ونحوها
بالنسبة لما قارنها من الاثار ولاجل الاتفاق على كفر القسمين الاولين
اقتصر المولف عليهما فمن الجارة في كلامه بيان لما وقعت عليه من الموصول
في قوله من قال بالتاثير وانما لم يتعرض لكفر غيرهما احتياطا وخروجا
من تكفير احد دخل في ملة الاسلام بغير دليل قطعي ولا شك ان الوقف في
ذلك اقرب للسلامة واحوط للدين وبالله سبحانه وتعالى التوفيق

فصل في وجوب الوجود ... لخالق البرية لا اله الا هو المنفرد

بالالوهية اعلم ان المراد من كونه جل وعلا واحدا نفي قبول الانقسام ونفي
نظيره تعالى في الالوهية وحاصله نفي الكمية المتصلة والكمية
المنفصلة وفي معنى نظيره تعالى في الالوهية نفي شريك له تعالى في ممكن ما

من الممكنات فلا موثر في شئ منها سواه جل وعلا فهو الواحد في ذاته
اي غير مولف من شيين فاكثر والواحد في صفاته فلا مثل له تعالى ولا
نظير والواحد في افعاله فلا شريك له تعالى في شئ من الممكنات ولا ضد له
ولا وكيل ولا وزير وليس معنى الوحدة في ذاته تعالى التناهي في الدقة
والصغر الى حد لا ينقسم والا لزم ان يكون جوهرا فردا وذلك يستلزم
الحدوث وكثرة الامثال من العوالم لكثرة جواهرها كثرة لا تنحصر
وليس معناها ايضا في حقه تعالى ان ذاته العلية ذانة معنى لزم ان
يكون غير قايم بنفسه لوجوب احتياج المعنى الى محل يقوم به وذلك
يمنع من قيام صفات المعاني به جل وعلا كالقدرة والارادة والعلم
والحياة لاستحالة قيام الصفة بالصفة اذ لو قبلت الصفة ان تكون
محلا للصفات كما هي لاجرام محلا لها لزم ان لا تعرى صفة عن صفة
تقوم بها كما لا تعرى ذات عن قيام صفة بها وذلك يستلزم ان يجمع
في المحل الواحد من الصفات ما لا نهاية له وهو مستحيل ضرورة
فتعين ان المراد من وحدانيته جل وعلا انه ذات قايم بنفسه اي
هو موصوف بالصفات وليس هو في نفسه صفة ولا تقبل ذاته ولا
صفة من صفاته تعددا لا متصلا ولا منفصلا ولا يقبل صغرا ولا
كبرا ولا يقبل شريكا في فعل من الافعال تبارك وتعالى الرب العظيم والاله
الها واحدا في الملك نعبده ، في ذاته بصفات المجد لم يزل
لو كان في ملكه ربي من يشاركه ، افضى الخلاف لانواع من الخلل
بل الفساد كما قد قال اخا النقى ، ولا فساد على شيء بمشتمل
بل لم تشاهد سوى صنع لمقتدر ، قد اتقن الصنع في علو ومنسفل
اعلم ان الكلام على هذا مرتب على ثلاثة مطالب الاول في اقامة البرهان
على وحدة الذات بمعنى نفي تركيبها وعدم انقسامها الثاني في نظير
له تعالى او قسيم له في الالوهية وفي معناه انفراده تعالى بايجاد جميع
الكاينات كلها ذوات كانت او افعالا او غيرهما وعدم اسناد التاثير

في شئ

في شئ من الممكنات لغيره جل وعلا الثالث وحدانيته تعالى بمعنى مخالفته
جل وعلا لجميع الحوادث فلا مثل له منها كما انه لا ضد له فيها اما
المطلب الاول فالبرهان على استحالة التركيب في ذاته تعالى وهو ان التركيب
من خصايص الاجرام وهو تعالى يستحيل ان يكون جرما اي مقدارا يشغل
فراغا لان كل جرم فهو ملازم للحركة والسكون وهما حادثان بدليل قبول
كل واحد منهما العدم وكل ما يقبل العدم فوجوده حادث اذ كل ما لا يسبق
الحادث فهو حادث ويتعالى من وجب له القدم والبقاء ان يكون حادثا وايضا
فلو كان تعالى جرما لجاز ان يكون اكبر مما هو عليه او اصغر لاستحالة وجود جرم
لا نهاية له فيحتاج الى مخصص يخصه بما هو عليه من المقدار المخصوص دون
غيره من المقادير الجايزة فيكون حادثا وهو محال وايضا فلو كان تعالى مركبا
من جزيين فاكثر لزم ان يقوم بكل جزء صفة العلم والقدرة والحياة وساير
صفات الاله لاستحالة وجوب ذات قديمة ليست باله وليلا يلزم
الافتقار الى المخصص في ترجيح بعض الاجزاء المتساوية بقيام الصفات
بها دون بعض لكن قيام الصفات بكل جزء محال لانه يوجب تعدد الالهية
وسيأتي برهان وجوب الوحدانية في الالوهية واما ادعاء ان الصفة
الواحدة تقوم بالمجموع فلا يخفى بطلانه ويلزم عليه انقسام ما لا يصح انقسامه
واما المطلب الثاني فالبرهان فيه مثل البرهان في المطلب الاول اذ كل
ما سواه تعالى اجرام واعراض قايمة بها وقد عرفت في المطلب الاول استحالة
الجرمية عليه تعالى لما يستلزمه من الحدوث فاحرى استحالة العرض عليه
اذ حدوثه اظهر من حدوث الاجرام وبالجملة فكل ما سواه تعالى من الممكنات
حادث فلو ماثل شيئا منها لوجب له جل وعلا ما وجب لها من الحدوث
والحدوث مستحيل عليه تبارك وتعالى فلا مثل له اذ جل وعلا واما
المطلب الثالث وهو الذي تعرض له المولف هنا فنقول باختصار الدليل
على نفي شريك له تعالى في الوهيته انه لو كان معه تعالى اله آخر لم يخل
اما ان يختلفا في الارادة على حكم التضاد او يتفقا في الارادة بحيث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان يكون كل ما اراده احدهما اراده الاخر وكلا القسمين مستحيل
اما وجه استحالة الاول وهو الاختلاف فهو ان تقول لو اختلفا
فى الفعل كان يريد احدهما وجود جوهر مثلا ويريد الاخر عدمه
او يريد احدهما حركته والاخر تسكينه للزم عجزهما او عجز احدهما
وذلك لان نفوذ ارادتهما معا مستحيل لما يودى اليه من اجتماع النقيضين
وما فى حكمهما فيكون الجوهر الواحد فى الزمن الواحد موجودا معدوما
او متحركا ساكنا وذلك لا يعقل فاذن لابد من تعطيل النفوذ لاحدى
الارادتين او لكليتهما فان تعطلتا معا لزم عجز الالهين معا لتعذر
الفعل من كل واحد منهما واما ان كانت ارادة احدهما خاصة هى
المتعطلة او قدرته فيستحيل من وجه احدها انه يلزم عليه عدم
عموم تعلق ارادة الاله او قدرته وهو مستحيل واذا استحال
لم يمكن ان يكون احدا الالهين اقدر من الاخر ثانيهما انه يلزم عليه
عجز من لم تنفذ ارادته مع تقدير كونه الها والعجز على الاله محال
ثالثها انه يلزم عليه عجز الاله الذى انفذت ارادته ايضا لانهما
مثلان فيجب لاحدهما ما وجب للاخر واذا لزم عجزهما معا لزم ان لا
يوجد حادث من الحوادث وكثرة الحوادث وخروجها عن حد الحصر
يكذب بالعيان ذلك رابعها يلزم الترجيح لاحد المثلين على مثله
بصفة النفوذ مثلا من غير مرجح فان فرض ثم مرجح لزم حدوثهما
وتقلنا الكلام الى الثالث ولزم التسلسل واما وجه استحالة
القسم الثانى وهو الاتفاق فنقول الاتفاق المفرض بين الالهين المقدرين
لا يخلو اما ان يكون واجبا او جايزا فان كان واجبا لزم ان يكون كل واحد
منهما عاجزا مقهورا غير مختار اذ كان كل واحد منهما لا يقدر على مخالفة
الاخر وان كان احدهما يقدر على المخالفة دون الاخر لزم عجز الذى لا
يقدر عليها وبقى كونه مختارا لان المختار هو الذى يتاتى منه الفعل
والترك فاذا فرض الاتفاق واجبا لم يتاتى من المجبور منهما ترك

ما اختاره

ما اختاره الاخر لانه مثله ويلزم ايضا الافتقار الى المرجح فى تخصيص احد
المثلين بما لم يثبت لمثله ويلزم ايضا فى الاتفاق الواجب انقلاب الممكن
مستحيلا لان كل واحد منهما اذا نظرنا اليه منفردا امكن ان يوجد كلا
من الحركة والسكون مثلا لانه اله لاجزاله فاذا فرض تعلق ارادة احدهما
بخصوص الحركة مثلا صار وقوع السكون الممكن من الاخر مستحيلا وذلك
قلب للحقايق وايضا كون المانع لكل واحد منهما من الفعل تعلق ارادة الاخر
بضده يلزم منه ايجاب المانع حكم المنع لما لم يقم به وذلك كله مستحيل ويلزم
ايضا فى الاتفاق عدم تحقق وجوب الوجود لكل واحد منهما لان وجوب
الوجود انما ثبت للاله من حيث توقف وجود الحوادث على وجوده لئلا
يلزم الدور او التسلسل عند تقدير جواز وجوده فاذا قدر ان هناك
الهين متفقين لا ينفرد احدهما عن الاخر بممكن اصلا لزم عدم توقف الحوادث
على خصوص وجود كل واحد منهما فلا يتحقق وجوب الوجود لكل واحد منهما
اذ على تقدير ركل واحد منهما تستغنى الحوادث عنه بصاحبه فلا يلزم من
فرض تقدير عدمه محال كيف والاله متحقق وجوب وجوده بشهادة
جميع الحوادث فان قلت نمنع انا الفعل فى فرض اتفاقهما يستغنى باحدهما
عن الاخر بل لا يوجد الا بهما معا فوجود كل واحد منهما على هذا واجب
متحقق لوجوب توقف وجود كل حادث عليه قلت يلزم على هذا الفرض ان
يكون كل واحد منهما جزا الاله لا الها فيقوم بكل واحد منهما جزا العلم
وجزا القدرة وجزا الارادة وجزا الحياة وذلك مما لا يعقل واذا كان
تركيب الاله من جزين متصلين مستحيلا فما بالك بتركيبه من جزين
منفصلين هذا كله ان فرضنا الاتفاق بين الالهين المقدرين واجبا
واما ان فرض جايزا فانه يلزم فيه من العجز ما لزم فى الاختلاف ووجه
ذلك ظاهر لانه كلما كان الاتفاق جايزا كان الاختلاف جايزا لان جواز
احد المتقابلين يستلزم جواز الاخر وجواز الاختلاف قد عرفت مما سبق
انه يستلزم العجز فيلزم ان يكون الاتفاق الجايز مستلزم العجز مثله

واعلم انه يلزم في تقدير الاتفاق مطلقا سواء قدر واجبا او جايزا من
التمانع الموجب للعجز ما لزم في الاختلاف وذلك لان اتفاقهما على
ايجاد جوهر فردا و ايجاد عرض لا يمكن ان تنفذ فيه قدرة كل واحد
منهما وارادته لما لزم عليه من رجوع الوجود الواحد وجودين هو
اذ الجوهر الفرد والعرض ليس لكل واحد منهما الا وجود واحد وان لم
تنفذ فيه قدرة واحد منهما ولا ارادته لزم عجزهما معا وان نفذت
في ذلك قدرة احدهما وارادته دون الاخر لزم عجز من لم تنفذ
قدرته ولا ارادته منهما ولزم ايضا عجز الاخر لانه مثله فان قلت
لانسلم انه يلزم من تقدير وجود الهة ثان عجزهما او عجز احدهما لان
ذلك انما يلزم لو كان يجب ان تتعلق ارادة كل واحد منهما وقدرته
بمراد الاخر ومقدوره ولم لا يجوز ان يكون احدهما قسيما للاخر بحيث
ينقسم العالم بينهما قسمين كل ينفرد بقسم يتصرف فيه وحده فلا
تزاحم بينهما حينيذ ولا تمانع حتى يلزم عجزهما او عجز احدهما فالجواب
من وجهين احدهما ان فرض القسيم محال لما تحقق بالبرهان القاطع
من وجوب عموم تعلق ارادة الاله وقدرة لكل ممكن فاذن ما من ممكن
الا وقد توجهت اليه قدرة كل واحد من الالهين المفروضين وارادته
فيلزم التمانع كما سبق الثاني ان احد النوعين الذي فرض تعلق ارادة
احدهما وقدرته ان كان مماثلا للنوع الاخر الذي فرض انه مقدور
الاله الثاني ومراده كان يكون النوعان معا من الجواهر لزم عموم
قدرة كل واحد منهما وارادته النوعين معا ضرورة اذ القادر
على احد المثلين قادر على مثله الاخر وان كان مخالفا له كان يكون
احد النوعين الجواهر والاخر الاعراض كان ذلك مستحيلا من وجهين
احدهما ان الجوهر والعرض لما لم يمكن انفكاك احدهما عن الاخر
استحال تصور الاقتدار على احدهما بدون الاقتدار على الاخر ثانيهما
ان التمانع لا ينتفي لهذا الفرض على تقدير تسليمه لان من الجايز

ان

ان يريد احدهما وجود الجوهر والاخر يريد عدم عرضه وبالعكس ونفوذ
المرادين معا مستحيل فيلزم اذن عجزهما او عجز احدهما قلت ويصح ان يجاب
ايضا عن هذا الاعتراض باختصاص احدا لالهين المتماثلين بنوع دون نظيره
يلزم فيه التخصيص من غير مخصص وهو محال اذ ليس اختصاص احدهما بنوع
اولى من اختصاص الاخر به فان فرض هناك مخصص لكل واحد منهما بما
اختص به لزم ان فوقهما حاكما عليهما ولزم حينيذ حدوثهما فان قلت
لعل ذلك القسم والتخصيص باختيارهما قلت لو كان باختيارهما التاتي
من كل واحد منهما تركه بان يتصور في مقدور الاخر ومراده لكن ذلك
محال لما يلزم فيه من التمانع كما سبق فبطل لذلك ان يكون القسم والتخصيص
باختيارهما فتعين ان ما يكون من غيرهما فيلزم حدوثهما اولا فيلزم
التخصيص بغير مخصص وكلا الامرين مستحيل واذا عرفت بطلان
ان يكون معه تعالى قسيم عرفت بطلان ما ذهب اليه الثنوية القايلين
بالهين تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وشبهتهم في ذلك انهم
قالوا انا وجدنا في الحوادث خيرا وشرا ونظاما وفسادا واختلافا
ووجه دلالة الفعل بالتضاد يدل على اختلاف الفاعل بالتضاد فدل
على ان فاعل الخير غير فاعل الشر وقد سلكت المعتزلة هذا المسلك
حيث قالوا فاعل الخير يقال له خير وفاعل الشر يقال له شرير قالوا
ابعدهم الله تعالى فالشر ليس من فعل الله تعالى قال ابن التلمساني
رضي الله تعالى عنه في شرح المعالم اجاب المتكلمون بان الافعال تنسب
الى الله تعالى من حيث تجددها وافتقارها الى المخصص وذلك لا يختلف
بكونها خيرا وشرا فانهما امران اضافيان ليسا من الافعال فان قيل
الشخص المعين شيء واحد قد يكون شرا بالنسبة الى اوليايه وخيرا بالنسبة
الى اعدايه واذا تحقق ان الحسن والقبح يرجعان الى الشرع فمعنى الحسن
هو المقول فيه افعلوه ومعنى القبيح هو المقول فيه لا تفعلوه وذلك
لا يتحقق الا بالنسبة الى العباد فالافعال كلها بالنسبة الى الله تعالى

شبكة الألوكة www.alukah.net

حسنة اذ معنى الحسن ما لفاعله ان يفعله وما ورد الثناء على فاعله
والافعال كلها بالنسبة الى الله تعالى كذلك لان لهُ تعالى ان يفعل
كل ممكن وهو المثنى عليه بكل كمال واما قول المعتزلة فاعل الشر شرير
فليس بلازم فان اسما الله تعالى توقيفية وله الاسما الحسنى والصفات
العليا فيقال له يا خالق كل شئ ولا يقال له يا خالق القردة والخنازير انتهى قول
المولف رضى الله تعالى عنه الها واحد فى الملك يعنى معبودنا بحق فى الملك
اما التصرف التام فى جميع العوالم ذواتها واعراضها اذ معنى الملك من غير
حجر فقوله فى الملك يتعلق بقوله واحد اى ليس له ثان لقوله الها فان قلت
يلزم على جعله خبرا العرو عن الفايدة اذ الاله على ما قررت هو المعبود
بحق فيصير معنى الكلام معبودنا بحق يعبد قلت لعبادة التى اقتضاها
لفظ الاله المبتدا هى العبادة العقلية بمعنى الخضوع والافتقار اليه
جل وعلا فى ايجاد الذوات والاعراض وجلب المنافع ودفع المضار ولهذا
كانت الوهيته جل وعلا عامة لجميع العوالم على بعضها وسفليها مومنها
وكافرها قال تعالى وهو الذى فى السما اله وفى الارض اله وقال والهكم
اله واحد لا اله الا هو وقال تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن
الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا
والهكم واحد ونحن له مسلمون واما العبادة التى اقتضاها لفظ نعبد
الخبر فهى العبادة الشرعية التى هى الخضوع له تعالى بامتثال ما امر الله به
جل وعلا واجتناب كل ما نهى عنه ويحتمل ان تكون العبادة التى اقتضاها
لفظ الاله هى العبادة الشرعية ايضا لكن الاستحقاق والاهلية لها
كما قال تعالى هو اهل التقوى واهل المغفرة والعبادة التى اقتضاها
لفظ الخبر هى العبادة بالفعل والاذعان لاحكام الشرع ظاهرا وباطنا
وقوله فى ذاته بصفات المجد لم يزل تقديرا لكلام لم يزل جل وعلا متصفا
بصفات المجد فى ذاته والمجد هو النهاية فى الشرف والملك واتساع
الملك الى غاية لا مزيد عليها ولهذا ورد فى الخبر الصحيح اذا قال العبد

مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى اى وصفنى بغاية الشرف لانهُ
يوم اجتمعت فيه العوالم كلها وظهر عيانا على جميعها من انار الخضوع
والاستكانة والذلة والانغزال عن النواصى العرضى والدعاوى الوهمية
ما لم يظهر فى غيره وظهر فيه على سبيل الضرورة انفراد مولانا جل وعلا
بالملك وحده فمن صدق بذلك اليوم وبملك مولانا جل وعلا فقد
مجد مولانا تبارك وتعالى اى وصفه بغاية الشرف وانما ذكر المولف
هذه الصفة هنا اشارة منه الى ان صفات المجد الواجبة له جل وعلا
تستلزم وجوب الوحدانية له فى ذاته وصفاته وافعاله اذ بذلك
يتحقق له غاية الشرف من وجوب غناه عن كل ما سواه ووجوب افتقار
كل ما عداه اليه ولو وجد معه اله ثان اومو ثر ٢ اثر ما لقدح ذلك
فى عموم قدرته وارادته بل يستلزم ذلك العجز العام فى حقه تعالى
واى مجد لعاجز تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قوله اقضى
الخلاف لانواع من الخلل اراد بالخلاف التنافى فى المراد ويعنى بانواع
الخلل انه ان نفذت الارادتان لزم اجتماع امرين متنافيين اما
بالتناقض واما فى حكمه وذلك خلل لا يعقل وان لم تنفذ الارادتان
لزم عجز الالهين وعدم وجود العوالم مع تحقق وجودها وخلو المحل
الواحد من العوالم ان قدر وجود شى منها عن النقيضين وهذا واخر
الخلل مستحيل وان نفذت ارادة احدهما دون الاخر لزم عجز الاله
الذى لم تنفذ ارادته وذلك خلل ينافى مرتبة الالوهية ويلزم
عجز من نفذت ارادته للمماثلة المقتضية الاشتراك فى كل ما يجب
وما يستحيل وهذا خلل اخر وبالجملة فكل لازم من الفساد على تقدير
التعدد سوا كان على الاجتماع او على البدل فهو داخل فيما ذكر المصنف
من انواع الخلل قوله بل الفساد يحتمل ان يقرا الفساد مخفوضا
بالعطف على قوله انواع ويحتمل ان يكون مرفوعا فاعلا بفعل محذوف
يدل عليه لسياق تقديره بل يلزم الفساد وهو اضراب عن صفة الخلل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذى كثيرا ما يستعمل فى وجود الشئ وصحته لكن مع اشتماله على ضرب من النقص
الى الفساد الذى يقتضى بطلان الشئ وعدم وجود حقيقته فهو اضرب
انتقال من الادنى الى الاعلا اى لم يلزم على تقدير التعدد فى الالوهية مجرد
وجود الخلل اى النقص فى العوالم مع وجود حقيقتها بل يلزم ما هو اعلا
من ذلك وهو فساده بان لا يصح وجود شئ منه البتة لان التعدد
فى الالوهية لما استلزم العجز العام لزم ان لا يصح وجود ممكن على العموم قوله
كما قد قال الخالقنا يعنى فى قوله جل من قايل لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وتفسير الفساد فى الاية بالعدم البتة هو الحق ليكون الدليل فيها برهانيا
كما فهمه الاكثر واما من فسره بالفساد العادى كالذى يكون بين الملوك
المتعددين فى محل واحد فلا يكون حينيذ دليل الاية برهانيا بل خطابيا
على سبيل التقريب يعنى على العامة اذ الملازمة حينيذ تصير عادية
لا عقلية فان قيل مقتضى كلمة لو ان انتفا الثانى فى الماضى بسبب انتفا
الاول فلا تفيد الاية على هذا الا الدلالة على انتفا الفساد فى الزمان
الماضى بسبب انتفا التعدد فالجواب ان ذلك بحسب اصل اللغة لكن كثيرا
ما تستعمل للاستدلال بانتفا الجزا على انتفا الشرط من غير دلالة على تعيين
زمان كما فى قولنا لو كان العالم قديما لكان غير متغير والاية من هذا
القبيل وقد يشتبه على بعض الاذهان احد الاستعمالين بالاخر فيقع
الخبط قاله التفتازانى قوله ولا فساد على شئ بمشتمل اى لا عدم بمشتمل
على شئ من الموجودات الممكنة هذا ان كان المولف سدده الله تعالى
يحمل الفساد فى الاية على العدم اللازم عقلا من تعدد الاله وان كان
يحمله على الفساد العادى المالوف بين الملوك عند تعددهم بالمحل الواحد
فنفى هذا الفساد ايضا ظاهر فى ملك مولانا جل وعلا اذ لم نجد احدا ان
يستطيع ان يرد احكامه وينا قض مراده من وضع الجبال فى محالها
وتحريك الافلاك والكواكب على ما اراد منها ونصر الرسل على من خالفهم
وتعجيز جميع الخلايق عن معارضتهم فى معجزاتهم الى غير ذلك من افعاله

جل وعلا

جل وعلا قوله بل لم نشاهد سوى صنع لمقتدر يعنى انه لما كان يلزم من
تعدد الاله عجز الجميع عن الايجاد عجزا عاما لزم من ذلك ان لا يشاهد
ممكن موجود كيف وقد شاهدنا من الممكنات الموجودة ما لا يمكن
حصره وكل واحد منها يشهد بكمال الاقتدار والاتقان لفاعله فدعوى
التعدد للاله كاذبة عقلا وعادة ومشاهدة وقوله قد اتقن الصنع
يعنى اجراه على وفق ارادته وعلمه اذ هذا معنى الاتقان على ما سبق تفسيره
وتحقيقه وبالله تعالى التوفيق

ان يعرض العقل بالتجويز المهة ، والبعض مفتقر للبعض فى العمل
فالاله تعالى فقط متصفا ، بالافتقار وذا بالعقل فلتعل
لم لا يكون محالا فى العقول لنا ، اذ قادران على المقدور غير جلى
فلا شريك له اذ لا نظير لهُ ، ولا شبيه له قد جل عن مثل
وللامة فاعلم ما يطول هُنا ، من الادلة فلنقصر ولا نطل

لما فرغ المولف حفظه الله تعالى من اقامة البرهان على استحالة
تعدد الاله مع تقدير اختلاف الالهين فى الارادة شرع هنا فى اقامة
على استحالة التعدد مع تقدير الاتفاق فى الارادة وقد بينا ذلك
قبل بيانا شافيا ففول الشيخ والبعض مفتقر للبعض يعنى بان يكون اتفاقا
واجبا لا يمكنهما الانفكاك عنه وكان الشيخ راى ان الاتفاق اذا فرض
جايزا يمكن الانفكاك عنه فهو راجع فى المعنى الى تقدير الاختلاف فبرهان
استحالة تقدير الاختلاف هو بعينه برهان استحالة تقدير الاتفاق
الجايز لاستحالة انفراد احد المتقابلين بالجواز دون الاخر اذ معنى
الجواز عند المتكلمين صحة ثبوت كل من المتقابلين عقلا فاذا لم يجز
احدهما لم يجز الاخر قوله فما الاله تعالى فقط الخ يعنى لان مرجع معنى الالوهية
الى استغنا الاله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه اليه فالافتقار
اذن ينافى معنى الالوهية وايضا فلانه مما يجب فى حق الاله عموم قدرته
وارادته لكل ممكن لان تعلقهما بالوجوب لا بالجواز وفرض تعدد الاله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مع فرض توقف تصرف احدهما على موافقة الاخر له يقدح فيما يجب للاله
من عموم القدرة والارادة فوله اذ قادر ان على مقدور غير جلي هذا
بيان لاستحالة تعدد الاله مع تقدير الاتفاق فانه يلزم فيه من
التمانع ما يلزم في تقدير الاختلاف اذ اتفاقهما على ايجاد جميع
العوالم لا يكون الا بايجادهما كل جوهر وكل عرض وكل جوهر ليس له الا
وجود واحد لا يمكن انقسامه وكذا كل عرض فلا يمكن ان تنفذ فيه
قدرتاهما ولا ارادتاهما معا لما يلزم عليه من انقسام ما لا يقبل الا
وهو مستحيل ضرورة واذا لم تنفذ ارادتاهما ولا قدرتاهما معا
لزم عجزهما معا على ما سبق تقريره فوله فلا شريك له اذ لا نظير له
يشير الى ان الخلق وهو اخراج الممكن من العدم الى الوجود ومن الوجود
الى العدم خاصية من خاصيات الاله جل وعلا فلا يمكن ان يشاركه
فيها الا من هو نظير له في الالوهية وقد قام البرهان القطعي على استحالة
وجود نظير له في الالوهية فاستحال اذن ان يكون لشيء مما سواه
مشاركة تنبيه صنع اترمانا على العموم ونبه بهذا على بطلان مذهب القدرية
القايلين باسناد الافعال الاختيارية الى القدرة الحادثة والارادة
الحادثة مباشرة او توليدا وعلى بطلان مذهب الطبايعيين القايلين
بتاثير الامزجة والافلاك وذلك كله شرك بالله تعالى يقدح في التوحيد
والايمان ويوجب لصاحبه في الاخرة ما لا يحيط به الوصف من غضب الله
تعالى والدخول في زمرة اهل الكفر والعدوان قوله وللايمة فاعلم
ما يطول هنا الخ انما اطال لوني ذلك لان باب الوحدانية باب مهم عظيم
هلك بعدم تحقيقه الخلق وقد قدمنا اقسام الشرك واحكامها وما
اوضحنا هنا من البرهان القطعي على وجوب الوحدانية له تعالى فيه غنية
لكل موفق ولا شك ان ما قل ودل خير مما كثر وهذا والله تعالى التوفيق
لا رب غيره **فصل** فيما يستحيل على المولى جل ثناؤه وتقدست اسماؤه
الاول الاخر المعبود ذو قدم، وصف الحدوث محال غير مشتمل

اكثر صح

عليه

عليه اذ ليس ذا جسم ولا عرض، ان المجسم ذو جهل وذو خطل
ذكر هنا وصفين من الاوصاف الواجبة له جل وعلا وهما الاولية
والاخرية ويعني بالاولية وجوب سبق وجوده تعالى على وجود كل ما
سواه الى غير نهاية وبالاخرية وجوب بقاء وجوده تعالى ابدا الى غير
غاية وحاصل الوصفين وجوب الوجود لذاته جل وعلا فلا يقبل
العدم لا ازلا ولا ابدا واشار بقوله المعبود بعد ذكر الاول والاخر
الى وجه استحقاقه تعالى العبادة وحده وذلك ان وصفه جل وعلا
بالاولية والاخرية يعطي وجوب الوجود له تعالى وثبوت الغنا المطلق
له عن كل ما سواه وان كل ما سواه واجب الحدوث مفتقر اليه تبارك
وتعالى ابتدا ودواما ولا شك ان من ثبت له الغنا المطلق عن كل
ما سواه وثبت لكل ما سواه الفقر اليه على كل حال وجب ان يكون
هو الذي يستحق ان يعبد وحده قوله ذو قدم يعني وذو بقا اذ كما
افادت الاولية له جل وعلا وجوب اتصافه بصفة القدم كذلك
تفيد الاخرية له وجوب اتصافه تبارك وتعالى بصفة البقا ووجه
اخذ القدم من الاولية انه لو انتفى القدم عن الذات العلية لزم
اتصافه بالحدوث ولزم ان يكون له محدث قبله لوجوب سبق
الفاعل على فعله فلا يكون اذن وجوده جل وعلا ولا عن كل ما سواه
بل وجود محدثه على هذا التقدير الفاسد يكون ولا عن وجوده
فاذن وصف الالوهية الثابت له تعالى على الاطلاق اي باعتبار
كل ما سواه يفيد معنى القدم له جل وعلا ووجه اخذ البقا من الاخرية
المطلقة انه لو قدر طرو العدم على وجوده تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا لافتقر ذلك الاعدام الى مقتض مختار يكون لذلك المقتضى
وجود بعده لاستحالة وجود الفعل في حال عدم فاعله المختار فواجب
لوجوده تعالى على هذا التقدير الفاسد الاتصاف بالاخرية المطلقة
فاذن وجوب استحقاقه تعالى صفة الاخرية المطلقة يفيد وجوب اتصافه

شبكة الألوكة www.alukah.net

جل وعلا بصفة البقا وانما استغنى المولف حفظه الله تعالى بالقدم
عن البقا لانه يستلزمه اذ بوجوب القدم يستدل على وجوب البقا ولهذا
تقول المتكلمون كلما ثبت قدمه استحال عدمه وبيان ذلك ان القديم لو
جاز ان يلحقه ذاته العدم لكان وجوده جايزا لا واجبا لغرض اتصافه بكل
من الوجود والعدم وكل جايز فانه لا يكون وجوده الا حادثا لاحتياجه
الى فاعل يرجحه بالفعل عن العدم المساوى له فى القبول فلزم اذن انتفا
القدم عنهما قد رجوازطرو العدو عن ذات القديم وخرج لك من هذا
ان الاتصاف بالقدم وقبول العدم متنافيان لا يجتمعان وهذا برهان
قولهم كلما ثبت قدمه استحال عدمه وقد عرفت بهذا نكتة استغنا المولف
حفظه الله تعالى بالقدم عن البقا واستعمل المولف التضمين فيما بين
هذين البيتين لتعلق اول الثانى منهما باخر الاول فوله اذ ليس ذا جسم
ولا عرض اراد بالجسم مطلق الجرم المتناول للجوهر الفرد وللجسم بالاصطلاح
المشهور وهو المولف من جوهرين فاكثر ودل على انه اراد به مطلق الجرم
مقابلته بالعرض فكانه قال اذ ليس بمتحيز ولا قايم بالمتحيز يعنى انه لما
قام البرهان القاطع على وجوب الوجود له تعالى ويدخل فيه وجوب القدم
له تعالى والبقا لزم ان لا تتصف ذاته العلية بما يقتضى حدوثها
المستحيل عليه جل وعلا كاتصافه تعالى بالجرمية وهو المتحيز اى اخذ ذاته
قدرا من الفراغ او العرضية وهى كونه صفة يقوم بالجرم فانه لو اتصف
جل وعلا باحد هذين الوصفين والفرض انه قد قام البرهان القطعى
على وجوب استناد جميع الاجرام واعراضها اليه تعالى لزم حدوثه لقيام
البرهان القطعى على وجوب القدم والبقا لخالق العوالم وذلك جمع بين
النقيضين لا يعقل وبالجملة فمراد المولف والله تعالى اعلم انه وجب له تعالى
القدم والبقا لاجل وجوب اتصافه تعالى بالالوهية المقتضية وجوب
الوجود لذاته العلية والتنزه عن الجرمية والعرضية ونحوهما من ادلة
الحدوث قوله ان المجسم ذو جهل وذو خطل اذا كان ذا جهل وخطل لان وصفه

البارى جل وعلا بالتجسيم لا يخلو اما ان يعتقد مع ذلك وجوب قدمه
جل وعلا وتنزهه عن الحدوث او لا فان اعتقد له القدم مع الجسمية
فقد جهل البرهان القاطع الواضح على حدوث كل جسم وسد باب المعرفة
به جل وعلا وهو لا يشعر فانه اذا جوز وجود جسم قديم غنى عن الفاعل
لزمه ان يجوز مثل ذلك فى جميع العوالم فتكون كلها قديمة لا فاعل
لها فلا تكون اذن دليلا على وجود الاله كيف وهى الباب لمعرفته تعالى
وان كان هذا المجسم يعتقد الحدوث له تعالى لما اعتقد انه جسم فقد ابطل
البرهان القاطع على وجوب القدم والبقا لخالق العوالم ولزمه ان يقول بصحة
الالوهية لكل جسم من اجسام العوالم وكل هذا تخليط لا يصدر من ذى عقل
سليم وخلل كبير فى الفكرة وفساد فى الادراك عظيم ولهذا نكر المولف
حفظه الله تعالى الجهل والخطل المتصف بهما هذا المجسم تعظيما لهما وانهما
بلغا من العظم غاية يجهل قدرها نعوذ بالله تعالى من سوء الحال فى الاعتقاد
والاقوال والافعال ونسأله جل وعلا حسن الخاتمة فى المآل

تقدس الرب قطعا ان يكون له ، بالعقل وصف مكان مثل ذا أحل
فلا افتقار له ايضا الى جهة ، فالافتقار محال غير معتدل

التقديس هو التبعيد على سبيل التعظيم والتنزيه والطهارة فمعنى قوله
تقدس الرب بعدا بعدا قطعيا بدلالة العقل ان يتصف بالحلول فى مكان
من الامكنة وبرهانه ان الحلول فى المكان من خواص الاجرام وهو جل وعلا
يستحيل عليه الجرمية فيستحيل عليه المكان الذى هو من خواصها وايضا لو حل
جل وعلا بالمكان لجاز عليه البقا فى ذلك المكان بالسكون والانتقال عنه
بالحركة والحركة والسكون حادثان فالموصوف بهما لا يكون الا حادثا ضرورة
والرب جل وعلا يجب له القدم والبقا ويستحيل عليه الحدوث والفنا
وايضا لو حل بالمكان لجاز ان يكون اكبر من ذلك المكان او اصغر او مساويا
له واختصاصه باحد هذه الامور الجايزة لا بد له من فاعل مخصص فيكون
حادثا وهو محال وايضا فاختصاصه بذلك المكان المخصوص دون غيره

من الامكنة الجايزة لابد له من مخصص فيلزم ايضا الحدوث وهو محال
والى هذه الادلة الفعلية القطعية اشار المؤلف بقوله بالعقل وهو
متعلق بتقدس على حذف مضاف اي بدلالة العقل ولا يصح تعلقه بقطعا
لانه مصدر ومتعلق المصدر كالصلة لا يفصل بينهما باجنبي عن الصلة
وهنا وقع الفصل بينهما باجنبي عنها قوله مثل ذا أجل يعني كما احلت بالعقل
اتصافه جل وعلا بالمكان لانه يستلزم الجرمية والحدوث أجل مثل هذا
عليه من كل ما هو من خواص الاجرام كالاتصاف بالتحيز وهو اخذ الذات
قدرها من الفراغ والاتصاف بالمماسة والمحاذاة للاجرام والقرب والبعد
بالمسافة منها والصغر والكبر والجهات فليس في جهة من جهات الاجرام
ولا له هو ايضا جهة لان الاتصاف بواحد من هذه الامور يوجب الجرمية
والحدوث ومن وجب له الوجود ازلا وابدا يستحيل ان يتصف بما يدل على
نقصه وحدوثه وبالله التوفيق ٥

بل انما كان مولانا بعزته، على الذي كان قبل خلق في الازل

هذا اضراب انتقال عن الكلام السابق الى كلام اخر هو اعم منه لا ابطال
له فكانه انتقل من التنزيه عن بعض النقايص وهو ما يكون من خواص
الاجرام الى التنزيه عن النقايص جميعها وذلك انه لما ذكر في هذا الكلام
انه يجب لمولانا جل وعلا البقاء فيما لا يزال على ما كان عليه تعالى من الصفات
في الازل دخل في ذلك وجوب تنزهه تعالى عن جميع التغيرات في ذاته
وصفاته ويدخل في ذلك وجوب تنزهه تعالى عن الامكنة عموما وحدوثا
وعدم وجود شيء منها في الازل فلو اتصف تعالى بالحلول في شيء منها فيما
لا يزال الكان قد تغير عما كان عليه في الازل وكل متغير حادث ومن جملة ما
يدخل في ذلك تنزهه تعالى عن الازمنة لانها ايضا حادثة لا شيء منها
في الازل لانها اما عبارة عن حركات الافلاك ومقاديرها كما تقوله الفلاسفة
او عبارة عن اقتران حادث بحادث كما يقوله المتكلمون ولا فلك ولا
حادث في الازل فلا زمان اذن فيه وبوجود ايضا من هذا الكلام انه

لم

لم يحدث في ذات مولانا جل وعلا عند ايجاده العالم شيء وانه منزه عن
حصول نفع بطاعات المطيعين من خلقه وعن حصول ضرر له بمعصية العاصين
منهم وان اقباله على من اقبل عليه ورحمته له او حبه اياه او فرحه به او
ضحكه له كل ذلك وما شابهه عبارة عن انعامه عليه دنيا واخرى فيكون
صفة فعل او عبارة عن ارادته في الازل ذلك الانعام فيما لا يزال فيكون صفة
ذات وكذا غضبه على من غضب عليه ومقته له او بغضه اياه كل ذلك
انما هو عبارة عن تعذيبه لذلك العبد المغضوب عليه او عن ارادته لذلك
العذاب ذلوحمل ذلك وما شاكله على غير ذلك لزم التغير في ذاته تعالى وصفاته
فيلزم ان لا يكون بعد خلق العوالم باقيا على ما كان عليه قبل خلقها في الازل
وذلك مستلزم لمماثلة الاجرام والاتصاف بما وجب لها من النقص
والحدوث واعرف من هذا ان كلما اوهم من ظواهر الكتاب والسنة خلاف
هذا المقرر فهو يؤول على ما يليق به جل وعلا والبا في قول المؤلف رضي الله
تعالى عنه بعزته للمصاحبة واراد بالعزة هنا عدم النظير او العظمة وهو
في موضع الخبر لكان والحال من اسمها وقوله على الذي كان خبرها اي انما
كان مولانا عز وجل بعد ان خلق المخلوقات متصفا بعزته او في حال كونه
ملازما للاتصاف بعزته كاينا على الكمال الذي كان عليه في الازل قبل ان
يخلق الخلق وذكر المؤلف رحمه الله تعالى العزة التي هي عدم النظير وما
يستلزم ذلك من وصف العظمة ليكون كالدليل على استحالة التغير
عليه جل وعلا في ذاته او صفاته ازلا وابدا اذ لو جاز عليه جل وعلا التغير
لكان حادثا مماثلا لسائر العوالم في وجوب الافتقار الى الفاعل وكونه
مغروسا في نقيضة العدم قبولا وحصولا وكل من كان كذلك فلا عزة له
لنقصه وكثرة امثاله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والله تعالى اعلم بالصواب

علا على العرش اذ جا الكتاب به، بلا حلول ولا كيف من المثل

لما ذكر المؤلف وجوب تنزهه تعالى عن المكان بحسب ما دل عليه الدليل العقلي
القاطع وجب في كل ما اقتضى ظاهره من الكتاب او السنة المكان كقوله تعالى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على العرش استوى ونحوه ان يعتقد انه ليس المراد منه الحلول بالمماسة
والتكييف بهيئات الاستقرار في الامكنة من جلوس واستوى واضطجاع
ونحوها لان ذلك يستلزم الجسمية المقتضية عقلا للتحيز الحدوث
والعجز وغيرها من النقص وذلك لا يعقل في من وجب له الوجود والوحدانية
وانفرد بالالوهية والكمال الذي لا يحد ولا يحصر وبالغنا المطلق تبارك
وتعالى وانما خاطب الرب جل وعلا ورسوله المصطفى صلوات الله وسلامه
عليه بمثل ذلك الظواهر فوما حاز قصب السبق في البلاغة وفنون
الفصاحة والبيان فلم يفهم عليهم المقصود بتلك الظواهر ولا وقعوا
بسببها في فتنة ولا ضلاله اذ لو اشكل شيء منها على واحد منهم لسأل عنه
الرسول عليه الصلاة والسلام ولو سأل لنقل الينا ذلك السؤال
وجواب الرسول عليه الصلاة والسلام عنه قطعا كما نقل غيره مما هو
دونه في العناية والاهتمام وقول المولف حفظه الله تعالى ولا كيف من
المثل يعني لا يصح ان يحمل ذلك العلو على الحلول او الكيفيات التي كثرت امثالها
في الاجرام لان من لا مثل له كيف يصح ان يتصف بما يكثر له الامثال
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فذكر المولف المثل هنا حسن لانه تذكرة
بالدليل على ما ثبت له من التنزيه وبالله تعالى التوفيق لا رب غيره

كما تقدس عن شبه يكون له ، ان المشبه ممن تاه في الزلل

هذا التشبيه راجع الى قوله اولا تقدس الرب قطعا ان يكون له وهن
الكاف يحتمل ان تكون للتشبيه اي تقدس الرب عن المكان تقدسا يشبه
التقدس عن التشبيه ويحتمل ان تكون للتعليل اي تقدس الرب عن المكان
لاجل تقدسه عن التشبيه يعني لانه لو اتصف بالحلول في المكان لكان جرما
والجرم له امثال واشباه لا حصر لها ومن تقدس عن التشبيه عموما
يستحيل ان يتصف بما يوجب نقي كماله ويقدح في وجوب وحدانيته تعالى
وقوله ان المشبه ممن تاه في الزلل انما عبر في الظرفية للتنبيه على ان
المشبه قد احاط به الزلل عن سنن الاستقامة في الاعتقاد احاطة الظرف

بالمظروف

بالمظروف لانه ان شبه الرب جل وعلا بشيء من خلقه لزمه ان يكون حادثا
مخلوقا مفتقرا الى رب اخر ويلزم عليه الدور او التسلسل وان شبه الرب
سبحانه وتعالى بقديم ادعاه مماثلا له تبارك وتعالى فقد وصفه بالعجز
العام لما عرفت في دليل الوحدانية من ان تعدد الاله يستلزم العجز
العام فلا مهرب للمشبه عن الزلل في كل تقدير وبالله تعالى التوفيق لا رب غيره

فكيف يشبه مخلوق خالقه ، او ان يماثله قد جل عن ممثل

هذا استفهام للاستعظام والتعجب ممن يشبه المولى العظيم بشيء من مخلوقاته
وذلك لما في هذا التشبيه من التناقض لان اقرار المشبه بايجاده تعالى
للمخلوقات كلها على سبيل الاستبداد باختراعها يقتضي وجوب الغنا
المطلق له والقدرة التامة والارادة النافذة والعلم العام والحياة
الكاملة والوحدانية الحقيقية المقتضية المباينة كل المباينة لكل
ما سواه تعالى واثبات الشبه بينه وبين شيء من مخلوقاته جل وعلا
يقتضي سلب اختراعه لها اذ هو كواحد منها يجب ان يعجز كعجزها ولا خفاء
ان ثبوت هذا التناقض في قلوب بعض العقلاء مما يوجب لمن وقف عليه
وقدمن عليه بانشراح الصدر ومشاهدة البصيرة بالحق على وجهه ان
يتعجب من قهر مولانا العزيز الذي لا يغالب ولا يستطاع الخروج عما اراده
جل وعلا وحجبه سبحانه من شاء من رؤية ما هو في الوضوح اجلى من الشمس وعطف
المولف المماثلة على التشبيه من باب الترقي في التعجب فكانه يقول العجب
ممن يشبه الخالق بمخلوقه في بعض الصفات واعجب منه من يشبهه في
جميع الصفات نسأل الله سبحانه وتعالى ان يعصمنا من ذلك كله

حقيقة الروح ثم النفس كنهها ، كذلك العقل فيها غير منعقل
لو ادرك القوم كنها من حقايقها ، ما طال بحثهم بالعقل والجدل
فكيف ندرك مولا لا شبيه له ، سبحانه بصفات المجد لم يزل

اشار المولف بهذا الكلام الى تعظيم غباوة المشبهة القائلين بالجسمية
والمكان في حقه تعالى من الحشوية وغيرهم وانهم كما ابتلوا بفساد الادراك

شبكة الألوكة www.alukah.net

في عقولهم ابتلوا بقبيح الغلط في اقدارهم وعدم تعظيم جانب الحق
المحيط بعلانيتهم واسرارهم لانهم قد عرفوا ان العقلا قد تحيروا واختلفوا
اختلافا كثيرا في معرفة كنه بعض الحوادث كالعقل والنفس والروح
وهل هي واقعة على شيء واحد او على اشياء متباينة الى غير ذلك مما هو
مشهور في المطولات هذا مع ان هذه الحقايق هي من جنس الحوادث ونا قصة
كنفوسنا فكيف تجاسر هولاء المبتدعة على الخوض ولو في البحث على كنه
من لا مثال له تبارك وتعالى ثم اعظم من ذلك انهم بعد كل ذلك التهم الردي
الذي لم يجر على قاعدة من قواعد العقل ولا الشرع جعلوا كنه ذاته تعالى
داخلا في جنس الاجرام التي يجب الحدوث والنقص لجميعها فما ازدا عقول
هولاء الحمقا واخيب سعيهم واخسر صفقة انظارهم دنيا واخرى ولا
حول ولا قوة الا بالله فقول المولف حفظه الله تعالى فكيف ندرك مولانا
الخ هو على حذف مضاف اي كيف ندرك كنه مولا يدل على هذا المضاف
قوله قبل لو ادرك العقول كنهها من حقايقها اي حقايق الروح والنفس
والعقل قوله سبحانه بصفات المجد لم يزل تقدم تفسير هذا التركيب
وبيان معنى المجد ووجه مناسبة هذا الكلام لمثل هذا المقام فيما سبق
فانظره هناك وبالله التوفيق

نعم بنور يقين القلب نعرفه ، كما يليق به في اعدل السبل

لما كان المشبه المعتقد للتجسيم في حقه تعالى لا معتمد له فيما يعتقده
من هذه البدعة الردية من جهة العقل وانما معتقده في ذلك مجرد
توهمات واقيسة واهية بلا جامع وذلك انهم لما لم يروا موجودا قايما
بنفسه الا وهو جسم فقاسوا ما لم يروا على ما راوا واعتقدوا فاسدا
نظرهم قضية كلية وهي ان كل موجود قايم بنفسه فهو جسم والله سبحانه
موجود قايم بنفسه فاعتقدوا لهذا القياس الردي والنظر الفاسد
انه تعالى جسم وجل وتنزه عما يقول الظالمون علوا كبيرا فنبه المولف
حفظه الله تعالى هنا على ان معرفة مولانا جل وعلا انما طريقها البراهين

العقلية القطعية اليقينية التي هي في وضوحها في نفسها
وانضاح غيرها بها وضوحا لا يبقى معه شك ولا احتمال اصلا بمثابة
النور المحسوس الذي لا يبقى معه اشتباه بوجه من الوجوه واما ذلك
الطريق الوهمي الواهي الذي اختاره المشبه لمعرفة الله تعالى فهو طريق
فاسد لا يحصل علما ولا ظنا ولا يعول عليه في شيء من المطالب الردية
فضلا عن المطالب الشريفة السنية ولتلك البراهين العقلية
القطعية التي هي الطريق لمعرفة الرب تبارك وتعالى استعار
المولف لفظ النور وقد بينا الجامع بينهما واضاف النور لليقين
لافادته اياه واشار بقوله في اعدل السبل الى ان الطريق التي سلكها
الناس في معرفة الله تعالى كثيرة وقد تشعبت في هذه الامة الى
ثلاثة وسبعين طريقا سلك كل طريق طايفة من الناس واعدل
تلك الطرق كلها الذي يومن معه كل هلاك دنيا واخرى هي معرفة الله
تعالى على حسب ما جا به الكتاب والسنة واجمع عليه لسلف الصالح قبل
ظهور البدع ودلت عليه قواطع الادلة العقلية ولا شك ان الموصل
الى هذا الطريق الاعدل الماموم هو انوار الادلة العقلية التي سلكها
علما اهل السنة اذ هي مستنبطة من الكتاب والسنة جامعة بين الحقيقة
والشريعة وسط بين التشبيه والتعطيل مرتفعة عن الجهل بالله
تعالى المنهي عنه ومنحطة عن ادعا الاحاطة بكنه جلال الذات والصفا
المتعذر عن المخلوقات جارية على سنن ما عليه السلف الصالح قبل ظهور
البدع ويحتمل ان يكون المولف اتى بهذا البيت شبه الاحتراس عما يوهمه
البيت الذي قبله من تعذر معرفة المولى جل جلاله تعذرا كليا فنبه
بهذا البيت على ان المتعذر من معرفة الله تعالى انما هو الاحاطة بكنه
جلال ذاته العلية وكنه صفاته لقصور الخلق عن ادراك ذلك الكمال
العديم المثال الذي لا حد له ولا نهاية ولا حصر له ولا عد له ولا غاية
اما معرفة ما يمتاز به جل وعلا عن كل ما سواه من معرفة ما يجب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فحقه تعالى وما يستحيل وما يجوز امتناعا ايصح ان تخلص له بسبب العباد
ويومن معه الالتباس بغيره امتناعا قطعيا لا باعتبار ذاته ولا باعتبار صفاته
فهذه ممتانية قدامر بها سبحانه وتعالى وتفضل بخلقها في القلوب لمن شاء
من السعداء عند انوار دلالة عقلية ارشد اليها جل وعلا بمحض فضله وعلى
هذا يصح ان يكون قوله نعم جوابا عن سوال مقدر اقتضاه البيت السابق
فكانه لما قال فكيف ندرك مولا لا شبيه له سال سائل فقال فهل لنا طريق
الى معرفة ما يليق بمولانا جل وعلا نقصده بالعبادة خالصة له تبارك
وتعالى ونميزه قولا وعملا واعتقادا عن كل ما سواه فاجاب المؤلف نعم
بنور يقبن القلب نعرفه اي بالادلة التي تفيد يقين القلب وهي البراهين
العقلية القطعية وهذا الجواب موافق لما يقوله اهل الحق من انه لا طريق
منصوب لمعرفة الله تعالى الا بالنظر في الادلة العقلية القطعية التي
ارشد اليها الكتاب العزيز في غير ما اية ولهذا قدم المؤلف المجرور في قوله
بنور القلب على عامله ليدل على الحصر اي لهذا النور المنتج لليقين لنعرف
مولانا جل وعلا لا بغيره وفي هذا الجواب ايما الى ذم التقليد وذم الاعتماد
في اصول الدين على مجرد ظواهر الكتاب والسنة اذ ذلك كله هو منشا
ضلالة المشبهة وغيرهم من فرق الضلال ولهذا قال العلما اصول الكفر
والبدع سبعة الايجاب بالذاتي وهو اسناد الكاينات الى الله تعالى على
سبيل التعليل او الطبع من غير اختيار والتحسين العقلي وهو كون افعاله
تعالى واحكامه موقوفة عقلا على الاغراض التي هي جلب المصالح ودرء المفاسد
والتقليد الردي وهو التمسك في معرفة الرب تبارك وتعالى بمجرد
ما يقوله الناس من غير بحث ولا نظر في الادلة المنتجة لعلم اليقين والجهل
المركب وهو ان يجهل الحق ويجهل ان يجهله والتمسك في اصول الدين بمجرد
ظواهر الكتاب والسنة من غير تفريق بين ما يستحيل ظاهرهما منها
وما لا يستحيل والجهل بالقواعد العقلية التي هي العلم بوجوب الواجبات
وجواز الجايزات واستحالة المستحيلات والجهل باللسان العربي

الذي

الذي هو علم اللغة والنحو والبيان ٥
لهم مقال هنا ان شئت نعرفه ٥ فاعرفه منهم ولا تعرفه من قبلي
حارت عقول الورى طرا وقد عجزت ٥ وكلها عن جلال الله في عقل
هذا المقال الذي اشار اليه المولف هنا يحتمل ان يكون مراده منه
ما للناس من الاختلاف في الطريق الموصل الى معرفة الله تعالى
الواجبة بالشرع هل هو النظر الصحيح وهو الاصح او التقليد المطابق
او الكتاب والسنة وبجرم ما سواهما وهو مذهب الحشوية وقد تقدم
الرد عليهم بان حجية الكتاب والسنة لا تعرف الا بالنظر العقلي
ومن الباطنية من زعم ان طريق المعرفة الرياضة والمجاهدة وتصفية
الباطن ولا يخفى فساده لان الرياضة عبارة عن ملازمة العزلة ٥
والخلوة وتناول الحلال والجوع والتقليل من الدنيا على سبيل الزهد
فيها ومداومة التعبد والذكر وكيف يمكن التعبد ممن لا يعرف معبوده
والذكر ممن لا يعرف مذكوره والتقوى ممن لا يعرف امره وناهيه او طلب
مباح او حلال ممن لا يعرف المبيح والمحلل نعم لا ينكر ان الاستعانة بذلك
بعد معرفة الله تعالى ومعرفة احكام ما يتقرب به اليه سبب لوضوح
المعرفة والزيادة في المعارف والتعرض لكثرة المواهب والترقي
من مقام الايمان الى مقام الاحسان فالاستعانة بتلك الامور فرع
تحصيل اصل الايمان بالنظر الصحيح وتحصيل علوم اخرى يطول تتبعها
والتقدم لمعالي الامور قبل اتقان اصولها وضبط طرقها عجلة ٥
مذمومة وشهوة نفسية توجب لصاحبها الفضيحة والهلاك دنيا
واخرى الا ترى البراهمة والنصارى قد ارتاضوا على قاعدة فاسدة
فلم يزدهم ذلك الا ضلالا وكثيرا ما يغتر اصحاب هذا الطريق بالتجلات
الشيطانية او النفسانية نوما ويقظة وبعد ولها كرامات وهي في
الحقيقة استدراج وزيادة لهم في انواع الضلالات نسال الله سبحانه
وتعالى ان يلهمنا رشدا نفسنا بفضله ونزعم بعض علما الهنود ان طريق

نخ لرسوخ

شبكة الألوكة www.alukah.net

المعرفة الالهام وعنوا به ان النفس اذا تجردت للشئ وازالت الشواغل
البدنية ادركته فانها فى اصل خلقتها مستعدة لقبول المعارف والردة
عليهما ان مجردا زالة الشواغل لا تحصل المطلوب لخاصر وحده الا مع حضور
علوم اما ضرورية او غير ضرورية يترتب عليها المطلوب وهو النظر والتجز
لازمة او مقدمة من مقدماته فيكون معنى قول المولف لهم مقال هنا يعنى
فى تعيين الطريق الذى يحصل به يقين القلب وانما امر ان يعرف ذلك من
قبلهم لا من قبله لما راى من كثرة النزاع فى ذلك واحتياج تلك الاقوال
الى مزيد تطويل فى تقريرها وبيان ما هو الحق منها والرد على شبهات المبطل
منها وذلك غير لايق بالمختصرات لاسيما وهو قد سلك فى هذه القصيدة
الطريق الاعدل المامون عند كل مامون وهو طريق النظر الصحيح فى كل
عقيدة من عقايد التوحيد فلا حاجة له الى الكلام مع من ضل وسلك غير
هذا الطريق والمصيب بشهادة الكتاب والسنة والعيان ويحتمل ان يكون هو
مرادة من هذا المقال ما للعلما من الخلاف فى ذاته تعالى هل هى معروفة
للبشر اولا وهذا الاحتمال الثانى اقرب لانه المناسب لما قبله للكلام والى ذلك
الخلاف على هذا اشار بقوله حارت عقول الورى طرا اى جميعا اى رجعت كلها
الى العجز عما ترومه من الاحاطة بكنه جلاله تعالى بعد ان اختلفوا فى اطلاق
القول فى ذاته تعالى هل هى معروفة للبشر اولا فقيل هى غير معروفة لهم
وهو الاصح من القولين واليه ذهب القاضى وامام الحرمين وحجة الاسلام
الغزالى والامام الفخر فى اكثر كتبه واختاره فى كتاب الاشارة وهو من
اول مصنفاته انها معلومة وعلى المنع فهل هو ابدا ولو فى الاخرة او انما
هو فى الحال ويجوز ان تصير معلومة بعد نقل سيف الدين عن الامام والغزا
المنع مطلقا ونقل فيه لوقف عن القاضى وقد احتج من قال بان حقيقة الذات
الكريمة معلومة بما فى الكتاب العزيز من جواب موسى عليه السلام لفرعون
كيف سأله عن الحقيقة قال ابن التلمسانى ولا حجة له فى ذلك فانما
كما يسال بها ويراد بالسؤال فهم الحقيقة قد تطلق لطلب تمييز الحقيقة

وما

وما ذكر موسى عليه الصلاة والسلام من الجواب يصلح لتمييزه تعالى عن سائر
الممكنات وقول الشيخ ابى الحسن الاشعرى رضى الله تعالى عنه ان خاصية
الاله القدرة على الاختراع لعله اراد ان هذا الوصف لا يثبت لغير الله
تعالى رد اعلى المعتزلة اذ تزعم ان العبد يشارك الله فى ذلك باعتبار
ان العبد هو الموجد لافعاله عندهم ولم يرد انه اخص وصف ذاته
الذى يلزم من معرفته معرفة كنه الذات فان القدرة على الاختراع عند
من صفات المعانى التى يستند الى الاتصاف بها تقرر الذات بدونها
فى العقل فلا تكون اخص وصف الذات ولا لا لدار ذلك والله تعالى اعلم

واحتج ايضا القايلون بمعرفة الذات العلية بانا نحكم عليها باحكام
والحكم على الشئ فرع معرفته وهو مردود فان الحكم على الشئ فرع الشعور به
بوجه ما ولو بوجه خارجى اجمالى لا معرفة ذاته التى هى محل النزاع واحتج
القايلون بالمفاهير معلومة بالمنقول والمعقول اما المنقول ففوله تعالى
ولا يحيطون به علما وقوله تعالى لا تدركه الابصار على وجه وقد قيل انما
سمى الله من وله العقول وتحيرها فى كنه جلاله تعالى وبالجملة فعجز العقول
عن الاحاطة بعظيم كبريايه جل وعلا وباهر جماله وعلى جلاله بل عجزها
عن عجايب صنعه فى مخلوقاته يكاد ان يكون معلوما من الدين ضرورة واما
المعقول فقال الامام فخر الدين ما حاصله ان المعلوم لنا منه تعالى
منحصر فى مفهومات لا يلزم من العلم بها العلم بالذات لانها ليست عينها
ورده ابن التلمسانى بان الامام ان ادعى فى استقرايه انه يعلم انه
لا يعلم عند احد من البشر من آدم الى آخر مميز يوجد من البشر سوا ما ذكره
فلا يخفى سقوط هذه الدعوى وان ادعى ان هذا هو الذى وجده فيمن استقراه
من المبشر فلا يفيد ان الحاصل لجميع البشر ليس الا ذلك ويعارضه ما نقله
الصوفية من ان الرياضة بعد تصحيح العقيدة واحكام الفرايض وتناول
الحلال بالخلوة والعزلة والصوم ودوام الذكر على طهارة الظاهر
والباطن وصدق الافتقار الى الله تعالى بترك الدعوى والتبرى من الحول

والقوة ظاهرا وباطنا سبب بمشيئة الله تعالى للزيادة في المعارف
كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا كما قال تعالى
اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويعبرون عن ذلك
الروح والنور بعين السر وهو مرآت تجليات وكشف لامور بخلق علوم
لا سبيل للاطلاع عليها بالاستدلال ولا بطريق الاعتبار بل بمحض
انعام والعام بخلق علوم لم تجر العادة بخلقها ولا يعرفها الا اهلها
ولا يعرفها غيرهم كما لا يعرف الاكمه حقيقة الالوان ولا سبيل الى تعريفها
بالقول للغير بل باشارة العارف للعارف كما قيل

تشير فادري ما تقول بطرفها • واطرق طرفي عند ذاك فتفهم

ويقال لن يفهم عنك الامر اشرف فيه مما اشرقت به ولا يعنون بذلك
حلولا كما يفهم بعض الملبسين بل يريدون تلك البصيرة والموهبة
الربانية التي لا ريب فيها ولا شك كما وصف بذلك نبيه عليه افضل
الصلاة والسلام فقال ما زاغ البصر وما طغى فاني له الجزم بنفي
ما يدعونه ونحن لا ننكر ان يخص الله تعالى عبدا من عبيده بعلم ما كما
قال تعالى في الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وانما ننكر على من
يدعي رؤية عاجلة او تقدما على درجة النبوة او مشاركة فيها او انه
عالم بالله تعالى علم احاطة واذا جاز خلق ادراك لنا بالله تعالى في الاخرة
هو اتم ادراكا من ادراكنا الذي هو معرفة الموثر باثره فلا يجزم
العقل باستحالة خلق مثل ذلك في القلب ويكون نسبة ما تعلق به
في الوضوح والجلا كنسبة الحاصل عن الرؤية فالحق اذن ان يجزم
بجواز ذلك ولا استحالة واذا كان ذلك يرجع الى الوجدان وفضل الله
تعالى لا نهاية له فلا علم لي الا بحال نفسي وحال غيري لا اعرفه الا بابتلاء
صادق في العادة ولم يوجد وما تدعيه الصوفية لم تميزه فنعلم
ان ذلك المدرك يرجع الى الذات من وجه او الى ترق في العلم بالصفات
والاسما فكيف لنا بالجزم من ان الله تعالى لم يخلق لصديق ولا لنبي

مرسل

مرسل سوى ما نعلمه نحن من الله تعالى والله عز وجل يقول يقول لا علم
الخلوق قل رب زدني علما ومتعلق السؤال المامور به ممكن انتهى والكلام
في هذه المسالة اوسع من هذا تركناه طلبا للاختصار قوله وكلها
عن جلال الله في عقل يعني كل العقول في عقل عن الاحاطة بجلال الله تعالى
قد ادرك منه كل مومن بقدر ما كتب له وانما المتعذر الاحاطة ٥
والعقل جمع عقال وهو ما تعقل به البهيمة اي تربط استعارة لتحجز
العقول الما نع لها من الانطلاق للاحاطة بما لا نهاية له من جلال
مولانا جل وعلا وبالله تعالى التوفيق •

اذ كل ما خامر الاوهام من صور • مخلوقة مثلنا نزه ولا تهل
مع اية في كتاب الله نافية • كل النقايص تنفي كل ذي مثل
جات بشوري وفي الاخلاص ثانية • تكفي ذوي العقل والتصديق للرسل

يحتمل ان يكون قوله اذ كل الخ تعليلا لما تضمنه قوله في البيت السابق
نعم بنور يقين القلب نعرفه من تعيين البراهين العقلية القطعية ٥
بمعرفة مولانا جل وعلا ومنع ان يكون الوهم والخيال طريقا لمعرفته تبارك
وتعالى اذ الوهم والخيال لا يخوضان الا في المحسوسات من صور الاجسام
واعراضها وذلك كله حادث مخلوق لمولانا جل وعلا فلو عرف مولانا
جل وعز بالوهم او الخيال لزم ان يكون مماثلا للحوادث وداخلا في
اجناسها فيكون حادثا مثلها تعالى مولانا العزيز عن ذلك علوا كبيرا
واستدل ايضا على ان الوهم والخيال المقصور خوضهما على المحسوسات
من الاجرام والاعراض اللذين عمهما النقص والعدم قبولا وحصولا
ليسا طريقا لمعرفة مولانا جل وعز بالنقل كما استدل اولا على ذلك
بالعقل ودليل النقل قوله تعالى في شورى ليس كمثله شي وقوله في سورة
الاخلاص قل هو الله احد الى قوله ولم يكن له كفوا احد فدلت الايتان
على وجوب الوحدانية له تعالى واستحالة وجود المثل له تعالى قديما
كان ذلك المثل او حادثا ولو ادرك تعالى بالوهم والخيال للزم ان يكون

من جنس الاجرام او الاعراض فتنتفي وحدانيته وتكثر امثاله حينيذ واكفاؤه
من الحوادث الناقصة ويحتمل ان يكون قوله اذ كل ما خامر الخ علة لقوله فكيف
ندرك مولانا شبيه له اي كيف ندرك مولانا الخ وادراك كنه الغائب عن
النظر البصري انما يكون بادراك نظيره وشبهه ولا شبيه لمولانا جل وعلا
مما ادركناه بالحواس او خضنا فيه بالاوهام ويحتمل ان يكون راجعا لقوله
قبله حارت عقول الورى طرا فكانه يقول كيف لا تحار العقول في ادراك
من باين كل ما سواه كل المباينة بحيث لا تكيفه الاذهان ولا تحده
الاوهام تبارك وتعالى قوله تره ولا تهل اي تره المولى جل وعلا عن مماثلة
جميع الحوادث ولا يذهب وهلك اي وهمك في ادراك جلاله القديم
المتعال اليها قوله تنفي كل ذي مثل يعني تنفي عنه تلك الاية حقيقة كل حادث
من جرمية وعرضية لان كل حادث فهو ذو مثل اما بالحصول او بالقبول
لصحة خلو امثاله لذلك الحادث لا حصرها وتلك الاية تصرح بنفي المثل
له تبارك وتعالى وبالله تعالى التوفيق

من لا ابتداء له فلا انقضاء له، بقاؤه مسلم غير منتقل
وقيل باق على وصف له ببقا، كذا القديم ووجه البحث فيه جلي

نفي الابتداء هو القدم ونفي الانقضاء هو البقاء وقد تقدم ان وجوب
القدم يستلزم وجوب البقاء ويستدل به عليه لان القديم لو امكن
ان يلحقه العدم لكان وجوده جايزا لصدق حقيقة الجايز عليه حينيذ
وهو ما يقبل الوجود والعدم لا واجبا اذ هو ما لا يقبل العدم عقلا
واذا كان وجوده جايزا لزم ان يحتاج في وقوعه بدلا عن العدم الجايز
مقابله المساوي له الى فاعل مرجح فيكون حادثا كيف وقد قام البرهان
القطعي على وجوب قدمه فقد ظهر لك بهذا ان وجوب القدم يستلزم
وجوب البقاء والى هذا اشار المولف بقوله من لا ابتداء له الخ اي من لا نهاية
لوجوده في الازل فلا انقضاء له فلا نهاية لوجوده فيما لا يزال ومن لا عدم
له سابق فلا عدم له لاحق قوله وقيل باق اي يعني ان المحققين اختاروا

في القدم

في القدم والبقاء انهما صفتان سلبيتان فالقدم يرجع الى سلب الاولية
او الافتتاح او العدم السابق على الوجود المعنى في ذلك واحد والبقاء
يرجع الى سلب الاخرية او الاختتام او العدم اللاحق للوجود المعنى ايضا
في ذلك واحد ومن المتكلمين من جعل القدم والبقاء صفتي معنى اي جعلهما
صفتين موجودتين كالقدرة والعلم قايمتين بالقديم والباقي فالباقي
عندهم لا باق ببقاء يقوم بذاته فكذا القديم عندهم قديم بقدم يقوم
بذاته تعالى كما ان القادر قادر بقدرة تقوم بذاته والعالم عالم بعلم
يقوم به تعالى في قول المصنف على وصف الخ هي للتعليل كقوله تعالى وتكبروا
الله على ما هداكم قوله ووجه البحث فيه جلي يعني ان البحث ظاهر في هذا
القول الذي جعل البقاء والقدم صفتي معنى اي صفتين موجودتين قايمتين
بالقديم والباقي والبحث الذي اشار اليه هو انه يلزم على هذا القول ان يكون
كل واحد من القدم والبقاء الموجودين في حقه تعالى قديما باقيا لاستحالة
اتصافه بالحوادث ولانه لا يعقل موجود في الازل وفيما لا يزال عاريا عن
وصفي القدم والبقاء ثم يجب ان يكونا قديمين وباقيين بقدم وبقاء موجودين
زايدين على ذلك القدم والبقاء قايمين بهما والا لزم نقض الدليل هذا
القايل الذي دله على ان القديم والباقي انما هو قديم وباق بقدم وبقاء
يقومان به ثم تنقل الكلام الى قدم القدم والى بقاء البقاء فيلزم في ذلك
ما لزم في الاول ثم كذلك ابدا ويلزم التسلسل وقيامه المعنى بالمعنى
ومن المتكلمين من ذهب الى ان القدم والبقاء صفتان نفسيتان للقديم
والباقي اي غير زايدتين على الذات بل مرجعهما الى الوجود المستمر ازلا
وابدا ورد بانهما لو كانتا نفسيتين للوجود لما امكن ان يعرى عنهما
وجود يتصف بهما كيف والجوهر في اول ازمنة وجوده لا يتصف بالقدم
ولا بالبقاء وانما يطران عليه بعد ذلك والصفة النفسية ذاتية لا
تتخلف عن الذات ولا يمكن ان تطرى عليها بعد ان لم تكن وبالجملة فالتحقيق
الذي عليه المحققون ان القدم والبقاء صفتان سلبيتان كما سبق وبالله التوفيق

شبكة الألوكة www.alukah.net

كذا البداءة لا تخفى استحالتها، اذ تقتضي النفي لكن غير مشتمل
كذا النهاية عمن كان ذا قدم، محاله ظاهر ان كنت ذا جدل

لاشك ان القدم الذى هو عدم تناهى الوجود في الازل لما كان واجبا في حقه تعالى كان مقابله وهو البداية لوجوده جل وعلا مستحيلا اذ لو كان لوجوده تعالى جل وعلا بداية لكان وجوده مسبوقا قبل تلك البداية ٥ فيكون حادثا فيفتقر الى محدث وننقل الكلام الى محدثه فيلزم فيه ما لزم في الاول ثم كذلك ويلزم الدور ان انحصر عدد الفاعلين او التسلسل ان لم ينحصر عددهم وكل من الدور والتسلسل مستحيل ضرورة فقول المولف اذ تقتضي النفي يعني ان البداية لوجود الاله تقتضي النفي وهذا النفي يحتمل ان يكون مراده منه العدم قبل الوجود الذى هو معنى الحدوث فكانه يقول تستحيل البداية لاستلزامها الحدوث ويحتمل ان يكون اراد به نفي الاله اصلا ان ثبوته على صفة البداية يستلزم مستحيل الدور او التسلسل وما استلزم المستحيل فهو مستحيل فيكون ثبوت الاله على هذا التقدير الفاسد وهو تقدير البداية له منفيا بستحيل تقدره كيف والعوالم التى لا تنحصر كلها شاهدة بوجوده تعالى ويحتمل ان يكون اراد بالنفي نفي العوالم كلها لان وجود الاله الذى استندت اليه يكون مستحيلا على هذا التقدير الفاسد وهو تقدير البداية لوجوده جل وعلا واذا كان وجوده تعالى مستحيلا اجل عز ذلك وتعالى علوا كبيرا لزم استحالة وجود جميع الممكنات لاستحالة وجود شيء منها مع استحالة وجود فاعلها الذى يتوقف وجودها عليه على وجوده كيف والمشاهدة قد اضطرت الى الاعتراف بوجود ما لا حصر له من الممكنات ويحتمل ان يكون اراد المولف بالنفي اللازم لتقدير البداية في وجود الاله نفي كل موجود قديما كان او حادثا اما الاله فلاستحالة وجوده على صفة الحدوث واما الممكنات لتوقف وجودها على وجود الاله فاذا لزم نفيه كان نفيها اوجب واحرى وهذا الاحتمال في كلام المولف هو اظهر الاحتمالات لانه قد اطلق النفي فتقييده

تقدره

بشيء

بشيء دون شيء على خلاف الاصل وايضا فهو ابلغ في اظهار فساد تقدير البداية قوله لكل غير مشتمل يعني ان فرض البداية لوجود الاله يقتضي نفي جميع الموجودات على سبيل العموم وهو الوجه الذى اخترناه قبل في تقرير كلامه لكن هذا النفي اللازم على تقدير البداية في وجود الاله غير مشتمل على شيء من الموجودات قديمها وحادثها واجبها وممكنها اما الممكنات فقد شوهد الوجود فيما لا ينحصر منها واما القديم واجب الوجود فقد شهدت الحوادث مع كثرتها شهادة قطعية لا يدخلها احتمال بوجوده تعالى ووجود صفاته العلية فقد ظهر كذب تقدير البداية لوجود الاله بالمعاينة والقطع فوجب الاعتراف بقدم الاله على سبيل اليقين والقطع الضرورى وبالله تعالى التوفيق قوله كذا النهاية عمن كان ذا قدم محاله ظاهر مراده بالنهاية نفي البقاء وهو الحوق العدم للوجود وحاصل ما ذكر هنا الاستدلال بوجوب القدم على وجوب البقاء وقد تقدم بسط استلزام وجوب القدم لوجوب البقاء ووجه الاستدلال به عليه فاغنى عن اعادته هنا وبالله تعالى التوفيق **فصل**
في التنبيه على ما يوهم التشبيه يعني انه ينبه في هذا الفصل على حكم ما يوهم ظاهره التشبيه من الكتاب والسنة هل يتعرض لنا ويلزم لا وكل ما اوهم القرآن من شبهه، او الحديث فاول غير محتمل اوخذ بمعناه واترك لفظ ظاهره، منزها مثل رأي السادة الاولى كالاستواء حكوا من قول سيدنا، اما منا مالك بالنهى لا تشل وبعضهم رجح التاويل فيه على، اصل القواعد فاستكر نهجها تعل

تقدم ان الاعتماد في اصول العقايد على مجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير تفصيل بين ما يستحيل ظاهره منها وما لا يستحيل هو اصل من اصول الكفر فاذن لا بد من اخذ العقايد وتعلمها اولا من البراهين العقلية اليقينية المشار اليها في كثير من الايات المحكمات التى هي ام الكتاب كسورة الاخلاص ونحوها ثم اذا وجدنا بعد ذلك من الايات

او الحديث ما يخالف ظاهره ما علمناه من الايات المحكمة الواضحة
وشهدت بصحته الادلة العقلية اليقينية وجبان نعتقد فيه
ان ظاهره المستحيل ليس مرادا لله تعالى ولا لرسوله صلى الله عليه
وسلم قطعا ثم اذا كان له تاويل واحد تعين اجماعا كقوله تعالى وهو
معكم اينما كنتم اذ الكينونة بالذات مع الخلق مستحيلة قطعا ثم
ليس له بعد هذا التاويل واحد وهو الكينونة معهم بالاحاطة بهم
علما وقدرة وارادة وسمعا وان امكن له اكثر من تاويل واحد فهذا
محل الخلاف وقد اختلف في ذلك على ثلاثة اقوال الاول انه يصح التعرض
للتاويل اي يصح ان يعين لذلك اللفظ معنى صحيح لائق به جل وعلا
عقلا وشرعا على وجه يصح استعمال ذلك اللفظ في ذلك المعنى لغة
وحاصله انه يحمل اللفظ بعد تعذر استعماله في الحقيقة على اقرب مجاز
يصح وهذا مذهب امام الحرمين وجماعة الثاني عدم التعرض للتاويل
والاكتفاء بمجرد التنزيه عن الظاهر المستحيل وهذا مذهب جمهور السلف
وغيرهم الثالث حمل تلك الظواهر على اثبات صفات لائقة به جل وعلا
عقلا وشرعا باعتبار ما في نفس الامر وان لم نكن نحن نعرف حقايق تلك
الصفات ولهذا يسميها صفات سمعية اي دل عليها السمع لا العقل
وهي عنده زايدة على الصفات المعلومة لنا التي شهدت بها العوالم
عقلا فيحمل الاستواء من قوله تعالى على العرش استوى على اثبات صفة
لمولانا جل وعلا زايدة على الصفات التي نعلمها من دلالة العوالم
سمي سبحانه وتعالى تلك الصفة استواء وهو اعلم بحقيقتها وكذا يقول
في الوجه من قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وكذا اليد
من قوله تعالى لما خلقت بيدي وهذا مذهب الامام الاشعري رضي الله
تعالى عنه والقولان الاولان ينبنيان على ان المطلوب في تاويل
الظواهر المتعلقة بالعقايد هل هو اليقين او المعنى الذي يحمل عليه
لا الظن وحصول اليقين او المدعى من اللفظ متعذر فيجب الوقف بعد

التنزيه

التنزيه عن الظاهر المستحيل وهذا وجه قول السلف والمطلوب صرف
اللفظ عن مقام الاهمال الذي يوجب الحيرة بسبب ترك اللفظ لا مفهوم له
والخطاب بمثله للخلق بعيد وهذا وجه قول امام الحرمين ومن قال بقوله
وهذا القول اقرب والله تعالى اعلم فقوله تعالى على العرش استوى مثلا
يصح ان يعتقد ظاهره من الاستواء بالمحاذاة ونحوها من صفات
الاجرام اجماعا ثم يصح عند امام الحرمين ان يحمل اللفظ على اقرب مجاز يصح وهو
العلو المعنوي بالتدبير والقهر من غير كلفة ولا معاناة ولا مغالبة ولا واسطة
البتة لهذا العالم الاعظم وهو العرش وما احتوى عليه من العوالم العظيمة
بان لا يتعدى كل واحد منها حيزه المقدر له ولا يتجاوز حد الذي اراد
تعالى ولا يتحرك منه شيء ولا يسكن ولا يتصف بصفة اي صفة كانت
الا بقدرته وارادته وعلمه جل وعلا واذا ثبت هذا في هذا العالم
الاعظم الذي العوالم الظاهرة كلها بالنسبة لخلقة ملقاة في فلاة
من الارض كانا نقياد غيره من العوالم لقدرته تعالى وارادته احرى
والتعبير بالاستواء لافادة هذا المعنى قريب مالوف في لسان العرب
اذ يقال استوى فلان على العراق اذا تهيا له الملك فيها وانقاد اهلها
ولم يكن له فيها مناوئ ولا منازع فالحمل عند الامام ومن قال بقوله على
هذا المعنى الصحيح القريب ولو من اهمال اللفظ بتركه لا مفهوم له يتلذذ
باستحضاره ويستنير الظاهر والباطن باسراره وانواره واما السلف
فيقولون حظنا من هذه الاية ان نقطع بتنزيه مولانا جل وعز عن حمل
الاستوى في حقه تعالى على ظاهره من الجلوس ونحوه من صفات الاجرام
التي نستحيل عليه تعالى عقلا ونقلا ثم نفوض بعد هذا المراد منه الى الله تعالى
اذ تعيين المراد من ذلك بحسب استعمال العرب غايته ان يفيد الظن
والمسالة ليست من فروع الشريعة فلا يعول فيها على الظن ولهذا لما
سئل مالك رضي الله عنه عن الاستوى اجاب السايل بان الاستوى معلوم
والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة واظنك رجل سوء اخرجوه يعني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رضي الله تعالى عنه ان الاستواء معلوم بحامله واستعماله في اللغة
وكيفية الاستواء المراد من حامله الصحيحة عقلا في حقه تعالى
واستعماله مجهولة لعدم تعيين قاطع لهما والسؤال عن تعيين
المراد من تلك الحامل الصحيحة بغير دليل شرعي بدعة والسالك
طريق البدعة رجل سوء يجب ان يخرج ويهجر ليلا يلحق شؤم بدعته
لمن جالسه ولهذا اشار المولف بقوله كالاستواء حكوا من قول سيدنا
اما منا مالك بالنهي لانه سئل يعني ان العلماء حكوا عن الامام مالك
رضي الله تعالى عنه انه يقول في هذه المسالة بالنهي عن التعرض
للتاويل فايلا لمن سأله عن ذلك لانه سئل عن تعيين تاويل لم يعينه
الشرع ولا اللغة بل الشان ان نومن بمعناه على وفق مراد الله تعالى
عنه بعد التنزيه عن ظاهره المستحيل وهذا معنى قول المولف
فيما حكاه عن السلف اوخذ بمعناه واترك لفظ ظاهره اي نومن
بمعناه ونصدق على وفق اراده الله تعالى اذ هو العالم بما اراد من ذلك
الكلام ولا شك ان الايمان بذلك الكلام على وفق مراد الله تعالى به
هو تصديق لله تعالى فيما اخبر به واعتراف بصحة الكلام وصحة معناه
المراد مع العجز عن الاطلاع على عينه اذ لا يعرف الا من جهة الشرع
الذي يبلغ عن الله تعالى والشرع لم يتعرض لتفسير ذلك فوجب ان
نفوض معناه الى الله تعالى بعد ان ننزهه عن الظاهر المستحيل عليه
جل وعلا ولا شك ان هذا لا يقع الا من مومن بالله ورسله وكتبه
حسن الادب مع كلامه وبالله تعالى التوفيق ٠

ولن يضرك وسواس للغير اذا ٠ كرهت ولتستعذ بالله وانتهل
ولتعرض عنه لا تجعل له خطرا ٠ مهما اشتغلت بذكر الله يخزل

اعلم ان الوسواس مما لا يليق بمولانا جل وعلا وبرسله عليهم الصلاة
والسلام هو على ضربين احدهما ان يكون من نفس ذلك الموسوس
وفكرته لعروض شبهة له في ذلك وتشكك في التوحيد لعدم اتقان

عقايده بالادلة القطعية الواضحة الثاني ان يكون مجرد حديث
من الشيطان ثم اذا رجع الى فكرته وعقله وجد يقينه لا تزلزل
فيه وعقده لا شبهة فيه اما الاول فحكمه وجوب التعلم والسؤال
وعرض ما عرض له من الشبهة على اهل المعرفة حتى يبينوا له وجه
دفعها ولا يصح ان يكتفي هذا الموسوس بالتعوذ من الشيطان ولا
بذكر الله تعالى ولا ينفعه ذلك اذ على تقدير ان يفر منه الشيطان
بسبب ذكر الله تعالى لم يذهب عنه ما يجده في قلبه من الحيرة والشبهة
اذ سبب ذلك فيه الجهل منه بالنظر الصحيح المحصل لليقين فلا وا
لما يجده في قلبه الا السعي وبذل الجهد في تحصيل ما يحصل به اليقين ٥
والطمانينة من الانظار القطعية الواضحة ويندفع معه الجهل
والشكوك والشبهات بفضل مولانا جل وعلا اما ترى ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قال لا عدوى ولا طيرة اي لا تاثير لهما في وقوع مرض
او مكروه البتة لاستحالة الشريك مع مولانا جل وعز في اثر ما
وانما مولانا جل وعز هو المنفرد بايجاد جميع الكاينات وحده بلا
واسطة عرض لبعض من سمع ذلك شبهة ابرزها وبحث عنها وا
فقال يا رسول الله ما بال الابل في الرمال تكون كالظباء فاذا دخل
بينها الجمل الاجرب جربت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجيبا عن شبهته فمن اعدى الاول عرضت للرجل شبهة في اعتقاد
ان وقوع جميع تلك الامراض هو من الله جل وعلا بلا واسطة وهي انه
كيف يصح نفي الواسطة في التاثير مع انا نجد بعض الحوادث يقترن بحادث
من الحوادث وجودا وعدما كاقتران جرب الابل التي كانت صحيحة ٥
بدخول الجمل الاجرب بينها فاجابه عليه الصلاة والسلام بما حاصله
انا ننقال الابل من حال السلامة من مرض الجرب الى حال الاتصاف به
لو كان سببه المؤثر فيه انما هو دخول الجمل الاجرب بينها كما يتوهم
لوجب ان يكون سبب جرب الجمل الداخل عليها ايضا دخول جمل اخر اجرب عليه

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم تنقل الكلام ايضا الى ذلك الجمل الاخر الاجرب وهكذا فاما
ان يتسلسل الى ما لا نهاية له او ينتهي الى جمل اصابه الجرب اولا
من غير دخول جمل اجرب عليه والاول مستحيل لانه من باب حوادث
لا اول لها فتعين الثاني وهو الانتهاء الى جمل اول ينقطع فيه توهم
العدوى ويتعين فيه ان جربه انما حدث فيه بمحض خلق الله تعالى
بلا واسطة واذا علم ذلك فيه قطعا وجب ان يكون كلما اصابه
الجرب مثله في انه بمحض خلق الله تعالى بلا واسطة اذ لو كانت العدوى
هي العلة المؤثرة في الجرب لاستحال ان يوجد الجرب بدونها لاستحالة
وجود المعلول بدون علته فلما وجدنا الجرب في بعض المحال بدون
العدوى دل قطعا على انه ليس معلولا لها ولا ملازما لها عقلا
ولا ينافي جزمنا باسناد جميع الآثار الى الله تعالى بلا واسطة ان
يكون سبحانه قد يختار خلق الجرب بلا واسطة في الابل الصحيحة
عند دخول الجمل الاجرب عليها في بعض الاوقات من غير ان يكون للجمل
الاجرب اثر في جربها لا بطبعه ولا بقوة اودعت فيه وذلك كما
اختار سبحانه خلق النبات عند المطر والشبع عند اكل الطعام
والقطع عند السكين والضرر في الشيء عند نظر العائن له وخفاء
الجسم عند جداره او بعده وليس ثوب الى غير ذلك مما لا ينحصر مما
جعله سبحانه مجرد امارة عادية ولا اثر له البتة فيما قارنه
لا بطبعه ولا بسر اودع فيه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام
لا يورد ن مريض على مصح نظرا الى ان ابواب المكروه عادة وان
لم يكن لها اثر اصلا فالمؤمن الموحد اذا فر منها انما هو يفر من
قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى ويلجأ من الله الى الله تعالى كما
اشار اليه الفاروق رضي الله تعالى عنه وليحذر من ابتلي في عقائده
بشيء من الشكوك والشبهات ان يرضى بالبقاء معه ويمنعه الحياء
والكبر من مداواة دائه المهلك الهلاك المؤبد ان مات عليه

وليسال

وليسال عن ذلك اهل المعرفة بالله تعالى وما اقل وجودهم في هذا
الزمان العسر وليبتطارح على ابوابهم ومجالسهم وخدمتهم حتى يشفيه الله
تعالى من مرضه ذلك على ايديهم فانهم ادام الله تعالى وجودهم وبارك
في اعمارهم جعلهم الله سبحانه شرعا وعادة ابوابا لهذا الخير العظيم وشفاء
مجربا من الجهل وفساد الاعتقاد الموجب لصاحبه الخلود فيما
لا يطاق من غضب الله تعالى وعذابه المقيم ومن لم يتمكن من الوصول
الى هؤلاء السادة الاطباء لكل داء يجل بالحياة الاخروية الا يترك
الاهل والاولاد واعمال المرحلة اليهم فليسرع بذلك اليهم وان
بعد وخافة ان يفجاه الموت الذي لا يدري وقته فيهلك هلاكا لا
اخر له والعياذ بالله تعالى قال ابن دهاق رحمه الله تعالى ورضي عنه
في شرح الارشاد لما تكلم على فتنة الملكين في القبر وساق الحديث
وفي اخره واما المنافق والمرتاب فيقول لا ادري سمعت الناس يقولون
شيا فقلته فيقولان له لا دريت ولا تليت ويضربانه بالمقمع من الحديد
فيصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الجن والانس وفي رواية الا الثقلين الجن
والانس وفي الحديث المشتمل على عذاب القبر في وصف الملكين انهما
اسودان ازرقان يخترقان الارض بانيابهما ويطيران شعورهما اعينهما
كالبرق الخاطف واصواتهما كالرعد العاصف قال رحمه الله تعالى
وهذه الفتنة فتنة القبر لا ينجو منها من اخذ في دينه بالتقليد
وترك النظر في ادلة الرسالة والتوحيد ولذلك قيل النفاق نفاقان
نفاق يعرفه صاحبه من نفسه وهو نفاق الذين كانوا في عهد النبي صلى الله
عليه وسلم ومن في معناهم من الزنادقة ونفاق لا يعرفه صاحبه من نفسه
وهو ان يولد الرجل او المراة بين ابوين مسلمين فيسمع قول لا اله الا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نحو ما سمع اتباعا وتقليدا
لهم حتى لو تصور ان يولد بين النصارى لقال مثل اقوالهم اتباعا لهم
وتقليدا في ذلك من غير ان ينظر في خلقه ومن اي شيء خلق وكيف

انتقل من طور الى طور ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من عرف
نفسه عرف ربه وربما يمر بباله التفكر في خلق الله تعالى فيرده الشيطان
من الانس والجن فيقول له ان تفكرت فقد شككت فيعرض عن النظر
الى الموت فاذا بلغت الروح الحلقوم راناه الشيطان في ذلك المضيق
حين لا فكر ويشككه في دينه فيموت على شكه والعياذ بالله تعالى
من ضروب الشكوك واذا كان في القبر ختم على الافواه ونطق بما عنده
من غير زيادة ولا نقصان فان كان عارفا نطق بالحق وان كان شاكا
غير عالم قال لا ادري وكذلك كان يقول بقلبه في حياته لا ادري وكان
يطرقه الشك احيانا فلا يبحث عليه ولا يداوي سقامه سريرته فاذا
مات لحقه الندم حين لا ينفعه واعتذر لمن لا يسمعه وهلك
والعياذ بالله تعالى من سخط الله تعالى انتهى **ولنرجع**
الى ما كنا بصدده فنقول واما الضرب الثاني وهو ان يكون
الموسوس لا تتزلزل في يقينه ولا شبهة في عقده اصلا الا انه
يجد مع ذلك في باطنه خواطر ووسوسة بغير الحق الذي يعلمه
فهذا هو الذي لا يضره ذلك الوسواس ولا تلك الخواطر لانه حديث
وقع من الشيطان لا من عقله والشيطان كافر عدو الله تعالى فلا
يستغرب في حقه التجاسر على الحديث بمثل ذلك وبا كثر منه
فوزر ذلك الحديث على الشيطان وحده اذ لا تزر بفضل الله
تعالى وازرة وزر اخرى ونظير وقوع هذا الحديث من الشيطان
وقوع مثله من كافر والعياذ بالله تعالى بحضرتك فلا شك ان
وزر ذلك الحديث على ذلك الكافر وحده لا عليك اذ لا تقول
انت ذلك الحديث ولا تعتقده بل تقطع ببطلانه وغاية الامر
انه يجب عليك من جهة الغيرة بجانب جلال المولى العظيم جل وعلا
ان تغير ذلك المنكر الذي سمعت في جهته تبارك وتعالى وتدفعه
بقدر استطاعتك واقله طرد ذلك الكافر عنك او فرارك انت منه

حتى

حتى لا تسمع كفره ان امكنك ذلك فان لم يمكنك الا كراهة تلك
المقالة الشنيعة واستعظاما مما وودك ان لا تطرق مسامعك
اصلا فذلك كافيك بفضل الله تعالى وذلك الاستعظام والكراهية
لتلك المقالة الشنيعة دليل على محض الايمان منك اذ لا يكره الكفر
ويستعظمه ويتحرز من سماعه ويمرض القلب منه عند ذكره الا مؤمن
ذاق طعم الايمان بان زاد على اعتقاد بطلان الكفر بغض سماعه
والاجتماع مع اهله ولما كان الشيطان لا يرى ولا يتمكن من دفعه
باليد والسلاح ولا بالفرار الحسي منه وجب في دفعه وتغيير
منكر حديثه الفرار في ذلك الى المولى العظيم تبارك وتعالى اذ هو
المالك له ولغيره من العوالم جملة وتفصيلا فليتعوذ من عرض له
وسواس هذا اللعين وحديثه الباطل بمولاه جل وعلا وليكثر من
ذكره تبارك وتعالى مستحضرا بقلبه لمعنى ذلك الذكر فان الشيطان
حينئذ ينتحس ويفر منه **وهذا** القسم الثاني هو الذي
امره في الحديث الصحيح التعوذ منه وهو الذي عناه المؤلف هنا
بدليل نسبة الوسواس للعين دون القلب بل اسند للقلب انكار
ذلك لا الاول الذي الوسواس منسوب لقلبه وفكرته لا للشيطان
وليحذر من كان من هذا القسم الثاني ان يطيل الخصومة مع الشيطان
بعد ما وضح له الحق ببرهانه القطعي او سمع لتلبيسه عليه بان يوهمه
لما لم ير شخصه ان ذلك الحديث الشنيع انما هو من نفسه وعقله
لا من الشيطان وانه غير متصف بالايمان وتحقق العقايد ليحزنه
بذلك ويسلب عقله ودينه فان الاصغاء اليه في ذلك هو سبب
شغل السر وكثرة الوسوسة حتى يتسم بسمة المجانين واهل الحق
بلا لو اجب عليه بعد معرفة الحق ان يعرض عن الشيطان اعراضا
كليا ولو اكثر عليه لهذيان بذلك الحديث الباطل انا الليل
واطراف النهار كما يعرض عن يهودي او نصراني ابتلي بمعاشرته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويسمع منه مثل الهذيان بل يرغم هو انف هذا اللعين اذا
سمع منه في قلبه ذلك الباطل بل يفرح عند ذلك فرحا عظيما
ويشكر الله تعالى الذى عافاه مما ابتلي به هذا اللعين والعياذ
بالله تعالى وليقل عند ذلك مخاطبا للشيطان ما يقال عند
رؤية ذوى المصايب الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى
عليك وعلى كثير ممن خلق تفضيلا فمن واظب على هذا الذى ذكرناه
وقد اشار اليه المؤلف بقوله ولنعرض عنه الخ أيس منه اللعين
ولم يعد معه الى تلك الوسواس ابدا والله سبحانه اعلم وبه التوفيق

فصل في ثبوت صفات الله تعالى المعانى والمعنوية

والقديمة كذاته العلية **اعلم** ان الصفات المعنوية عند
المتكلمين عبارة عن صفات ثابتة للذات لا تتصف تلك الصفات
بوجود ولا بعدم معللة بمعان موجودة قايمة بالذات ولاجل
ملازمة المعنوية لتلك المعانى الوجودية سميت صفات معنوية
واحوالا معنوية نسبة الى المعانى التى هى عللها ككونه قادرا هى
صفة معنوية لان علة الاتصاف به الاتصاف بالقدرة وكذا
كونه عالما علته العلم وهكذا الخ وتسمى هذه العلل الملازمة
للمعنوية صفات المعانى وهذا على القول باثبات الاحوال وصحة
الواسطة بين الوجود والعدم واما على القول بنفيها فليس هناك
الا الذات وصفات المعانى الوجودية ولا معنى عند القايلين
بهذا القول لكون الذات عالمة او قادرة الا قيام العلم والقدرة
بها فلا حال عندهم ولا معنوية ولا نفسية وبالجملة فالمتكلمون
على فريقين فريق ينفى الحال وفريق يثبتها وحقيقة الحال
صفة اثبات لا تتصف بالوجود ولا بالعدم فالقايلون بنفى
الاحوال وانه لا يمكن ان تكون واسطة بين الوجود والعدم
كالشيخ ابى الحسن الاشعرى رضى الله تعالى عنه وكثير من المحققين

ليس

ليس عندهم من الصفات الا صفات المعانى فالقايلون بثبوت
الاحوال كالقاضى وامام الحرمين فى احد قوليه يقسمون الصفات
ثلاثة اقسام نفسية ومعنوية ومعانى ووجه الحصر ان المتحقق
من الصفات اما ان يتحقق باعتبار نفسه او باعتبار غيره الاول
من الصفات صفات المعانى الموجودة والثانى الحال وهى اما ان يكون
الغير الذى به تحققت ذات الموصوف او معنى يقوم بالموصوف الاول
الحال النفسية والثانى الحال المعنوية وجعلها بعض المتاخرين
ستة اقسام ضم الى هذه الثلاثة ثلاثة اخرى وهى السلبية والفعلية
والجامعة لجميع الاقسام ولهم فى تعريف هذه الاقسام عبارات اما
الصفات السلبية فقالوا انها عبارة عن كل ما يمتنع ان يوصف به البارى
جل وعلا والتحقيق انها عبارة عن نفى كل ما يمتنع الخ وذلك كالقدم
فانه عبارة عن نفى سبق العدم على الوجود وكالبقا فانه عبارة
عن نفى لحوق العدم للوجود وكالمخالفة للحوادث فانها عبارة عن
نفى الجرمية والعرضية وغيرهما من صفات الحوادث وكالوحدانية
فانها عبارة عن نفى الشريك فى الذات والصفات والافعال
وقد يكون بعض السلوب جايزا فى حقه تعالى ومنهم من يجرى عنها
بالسلوب الكاذبة وذلك كعفوه تعالى وحلمه بعد الجناية فانه
عبارة عن اسقاط العقوبة مع تحقق الجناية فمعنى الصفة السلبية
على هذا التحقيق الذى قلناه الصفة التى تدل على سلب ما يمتنع
اتصاف البارى جل وعلا به فالقدم مثلا على التحقيق هو الصفة
السلبية وعلى العبارة الاولى عدمه هو الصفة السلبية والصفة
السلبية على الاول بمعنى السالبة وعلى الثانى بمعنى المسلوبة واما
الصفات النفسية فقيل انها عبارة عن كل حال ثبت للذات
غير معلله بعلة تقوم بالذات وقيل كل صفة اثبات للذات من
غير معنى زايد على الذات وقيل هى كل صفة ثبوتية زايدة على الذات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لايصح توهم انتفائها مع بقاء الذات الموصوفة بها وتسمى في الحقيقة
عبارات راجعة الى معنى واحد ويمثلون النفسية في حقه تعالى
بكونه واجب الوجود ازليا ابديا ووفيه والتحقيق رجوع هذه
الصفات الى السلب فان وجوب الوجود راجع الى سلب قبول العدم
ازلا وابدا وكونه ازليا اي قديما راجع الى سلب قبول العدم فيما
لايزال والمحققون يرون ان الصفات النفسية في حقه تعالى
لم نعرف منها شيا اذ لو عرفناها لكنا قد عرفنا كنه الذات
ولا يعلم الله الا الله ومثالها في الحوادث التحيز للجرم وقبوله
للاعراض فانهما صفتان واجبتان له غير معللتين بعلة
تقوم به واما الصفات المعنوية فهي عبارة عن كل حال
ثبت للذات معللة بمعنى قايم بالذات وقيل هي كل صفة
لازمة للذات لاجل معنى قايم بالذات واما صفات المعاني
فهي عبارة عن كل صفة قايمة بالموصوف موجبة له حكما
وقيل هي المعاني الموجبة للاحوال ومعنى الايجاب عند اهل الحق
الملزومية والاصطحاب لا التاثير فبين المعاني والمعنوية
تلازم عند اهل السنة واما صفات الافعال فهي عبارة
عن صدور الاثار عن قدرته تعالى وارادته جل وعلا واما
الصفات الجامعة لجميع الاقسام الستة فهي عبارة عن كل صفة
تدل على معنى يندرج فيه سايرالاقسام فمثال الصفات المعنوية
كونه تعالى قادرا مريدا عالما حيا سميعا بصيرا متكلما ومثال
صفات المعاني على هذه الصفات المعنوية اي ملزوماتها وهي
القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام
ومثال صفات الافعال خلق الله جل وعلا ورزقه واحسانه ومنهم
من يمثلها بالاسما الدالة عليها كالخالق والرازق والمحيي والمميت
وفيه اتساع لايخفى ومثال الصفات الجامعة عزة الله تعالى وجلا

وعظمته

وعظمته وكبريايه ونحو ذلك وللمتكلمين هنا تقسيمات اخر وكلام يطول
تركناه خشية السامة

واعلم بان صفات الذات ثابتة، صفات معنى فلا تعتا بمعتزل
وانها عند اهل الحق قاطبة، قديمة صفة للذات في الازل

قد اتفق اهل السنة والاعتزال على انه تعالى قادر مريد عالم
حي سميع بصير متكلم ثم اختلفوا بعد ذلك فقال اهل السنه
قاطبة ان هذه الاحكام السبعة المعنوية يلازمها صفات
اخر وجودية تقوم بذاته تعالى تسمى صفات المعاني وهي القدرة
والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وراوا الاجل
لملازم العقلي بين النوعين انه لو انتفى هذا النوع الثاني وهو
صفات المعاني لانتفى النوع الاول المجمع عليه وهو الصفات
المعنوية وذلك يستلزم نفي الالوهية ولاخفا ان اعتقاد
هذا اللازم كفر لامحالة وذهبت المعتزلة اذ الله تعالى
بدعتهم الى نفي هذه الصفات الوجودية التي هي صفات المعاني
وقالوا ان احكامها المعنوية من كونه تعالى قادرا مريدا عالما
الى اخرها ثابتة له جل وعلا لذاته من غير صفة تقوم به ووافقوا
على التلازم العقلي بين المعنوية والمعاني في الشاهد اي
في حق الحوادث فلا يوجد عالم من الحوادث لذاته بلا علم يقوم
به ولا قادر بغير قدرة تقوم بالذات وهكذا كل صفة معنوية
في الشاهد فانهم يوافقون انها لا توجد الا مع صفة معنى تقوم
بالذات وانما فرقوا بين القديم والحادث في التلازم بين
المعنوية والمعاني لاوجه اعتزوا بها منها انهم قالوا لو علقت
الصفات المعنوية في حقه تعالى مع كونها واجبة له بصفات المعاني
لانتفى وجوبها حينيذ وصارت ممكنة مستفادا ثبوتها من تلك
العلل وذلك مستحيل في حق من وجب له الغنا المطلق في ذاته

فيهم وقالوا ان احكامها الخ هذا هو الشبهة
فيعدم تكفيرهم اذ لهم الله تعالى الثنى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وصفاته اجاب ايمتنا رضى الله تعالى عنهم عن هذه الشبهة بان
قالوا معنى كون صفات المعانى علة للصفات المعنوية انها
ملزومة لها لا توجد بدونها لا ان معناه انها اثرت فى ثبوتها
حتى يلزم من التعليل حدوث الصفات المعنوية او امكانها
واذا رجع التعليل الى معنى التلازم لم يلزم من اثباته امكان
ولا حدوث لان التلازم كما يعقل بين الممكنين من غير تاثير
لاحدهما فى وجود الاخر كالجوهر والعرض كذلك يعقل بين
الواجبين من غير تاثير اصلا ولا قدح فى وجوبهما البتة
وهكذا كما نقول ان ارادته تعالى تلازم علمه وعلمه يلازم
كلامه ومنها ان قالوا لو كانت صفات البارى تعالى معانى موجوة
قايمة بذاته لكان معه جل وعلا فى الازل قدما لاستحالة
اتصافه تعالى بالحوادث كيف والاجماع ان القديم واحد اجاب
ايمتنا رضى الله تعالى عنهم بان كثرة الصفات لا تمنع وحدة الموصوف
ولا توجب تركيبه ولا يقال فيه بسبب ما قام به من الصفات
انه كثير لا لغة ولا عرفا ولا عقلا الا ترى ان الجوهر الفرد موصوف
بالوحدة وان قامت به صفات عديدة وما نقلتموه من الاجماع
على ان القديم واحد معناه ان الازلى الموصوف بصفات الالوهية
جل وعلا واحد لا ثانى له فى ذلك ازلا وابدا ولا موجود معه فى الازل
من الذوات الموصوفة مطلقا لا ان معناه ان حقيقة القدم
مجمع على انها لا تثبت الا لشئ واحد من غير نظر الى كونه موصوفا او وصفا
كما فهمتم نعم لفظ الواحد يطلق على ما قلناه وهو الشايع وقد
يطلق على ما ذكرتموه فازيلوا لفظ الاشتراك من اللفظ الذى يتسم به
وقولوا الامة مجتمعة على انه لا صفة للقديم تعالى وانه وجد فى
الازل بلا صفة موجودة تقوم به فلا تجدون حينيذ الى صحة
هذا الاجماع سبيلا لا من جهة العقل ولا من جهة النقل وكيف يصح

ان

ان ينعقد اجماع على ما قامت البراهين العقلية على بطلانه واعلم
ان هذه الشبهة هى التى غرت الفلاسفة حتى انكروا جميع الصفات
وغرت الامام الفخر حتى صدر منه فى المعالم الدينية من الزلة
ما صدر والله يهدى من يشا الى صراط مستقيم ومنها ان قالوا
لو اتصف تعالى بصفات المعانى التى هى الصفات الوجودية لزم تعدد
الالهة لان تلك الصفات حينيذ تشارك البارى تعالى فى اخص وصف
له تعالى وهو القدم لانفراده تعالى به والاشتراك فى الاخص يوجب
الاشتراك فى الاعم فيلزم ان تكون تلك الصفات لمشاركتها ذاته
تعالى فى وجوب القدم الذى هو اخص وصفه تبارك وتعالى مشاركة
له تعالى فى سايرصفاته فتكون تلك الصفات عالمة قادرة مريدة
حية الى غير ذلك من صفات الاله فتكون تلك الصفات الهة قالوا
فقد لزم من اثبات صفات المعانى تعدد الالهة قالوا وايضا اذا كفرت
النصارى باثباتهم الاقانيم الثلاثة وهى الذات والعلم والحياة
فانتم الذين اثبتم ذلك وزيادة اولى بالتكفير اجاب ايمتنا رضى الله
تعالى عنهم بان القدم المشترك بين الذات والصفات لا يصح ان يكون
اخص اوصاف الذات كيف وهو سلبى اذ هو عبارة عن نفى سبق العدم
والبارى جل وعلا موجود واخص وصف الموجود لا يكون عدميا
لان الاخص مقوم لحقيقة الشئ والحقايق الوجودية لا تتقوم بالحقايق
العدمية وبالجملة فالاخص لا يكون الا وصفا ثبوتا ذاتيا ثم ليس
كل ذاتى مقوم للماهية اخص فان الحيوانية ذاتية للانسان وليست
اخص وصفه بل الاخص هو الوصف الثبوتى الذاتى الذى به تقومت الماهية
وامتازت عن غيرها كالنفس الناطقة اى المفكرة بالقوة للانسان
مثلا فاذا كان الوصف سلبيا كالقدم فبينه وبين الاخص مراحل بعيدة
وليس معنى الاخص الذى يلزم من الاشتراك فيه الاشتراك فى الاعم
ما تتميز به الماهية وتنفرد به كما زعمتم معشر المعتزلة اذ الضحك

ثبوت

بالقبول مما تتميز به ماهية الانسان وتنفرد به وهو عرضي
لها ليس بذاتي لها فضلا عن ان يكون اخص وايضا تعبيركم
بالاشتراك في الاخص يوجب الاشتراك في الاعم اي هو علة
له عبارة فاسدة لاقتضايها ان الاشتراك في الاعم لا يوجد
بدون الاشتراك في الاخص الذي هو علته لاستحالة وجود
المعلول بدون علته كيف والفرس والانسان مشتركان في
الاعم الذاتي وهو الحيوانية مع عدم اشتراكهما في الاخص
وهو الناطقية والصاهلية وانما العبارة السديدة ان
يقال الاشتراك في الاخص ملزوم للاشتراك في الاعم فقد
اساتم معشر الجهلة لفظا ومعنى واما قولهم كفرت النصارى
باثباتهم الذات والعلم والحياة فخطا اذ لم يكفرهم المسلمون
بمجرد اثباتهم ذلك بل باثباتهم لها الالوهية وادعائهم لها
احكام الذوات والها لهة ثلاثة كما قال تعالى لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة واعلم ان المعتزلة ه
استثنوا مما قالوا من انكار صفات المعاني صفة الكلام ه
فوافقوا اهل السنة على انه تعالى متكلم بكلام لكن خالفوهم
في معنى الكلام الثابت له تعالى فهم جعلوه حروفا واصواتا
يخلقها الله تعالى في محل من الاجرام يتكلم به جل وعلا من غير ان
يقوم به هذا الكلام قالوا لان الكلام لا يكون الا حادثا ه
وقيام الحوادث بذاته تعالى مستحيل فمعنى كونه متكلما عندهم
انه خالق الكلام في غيره وجاهم هذا الفساد من حصرهم الكلام
في الحروف والاصوات وسيأتي تحقيق الكلام معهم في ذلك
ان شاء الله تعالى واستثنى ايضا معتزلة البصرة كونه جل وعلا
مريدا فقالوا مريدا بارادة حادثة لا في محل فالتزموا في ذلك
ثلاثة امور كلها مستحيلة احدها تجدد الاحوال الحادثة

على

على الازلي جل وعلا وذلك يودي الى حدوث من وجب قدمه تبارك
وتعالى وقد تقدم ربط الاستدلال بحدوث الصفة على حدوث
موصوفها في فصل حدوث العالم الثاني قيام المعنى بنفسه ه
وهو مستحيل ضرورة الثالث عود حكم الصفة الى محل لم تقم به
فانهم جعلوه سبحانه وتعالى مريدا بارادة لم تقم بذاته ولا لها
به اختصاص والزموا ايضا مخالفة اصلهم في نفي صفات المعاني
من حيث لم يقولوا مريد بنفسه بلا ارادة تقوم به كما قالوا
قادر بنفسه بلا قدرة تقوم به ويلزمهم ايضا في حدوث ارادته
تعالى التسلسل من انها عندهم فعل حادث مختص بوجود بدلا
عن العدم وبزمان معين بدلا عن غيره فيفتقر في تخصيصها
بهذين الجايزين الى ارادة اخرى حادثة على اصلهم كما افتقرت
سايرالحوادث المختصة ببعض الجايزات اليها ثم ننقل الكلام
الى تلك الارادة الاخرى الحادثة فيلزم فيها ما لزم في الاولى
وهكذا ابدا وذلك يستلزم ان يوجد مع كل حادث يخلقه الله
تعالى من الحوادث ما لا نهاية له ولا اول لاحاده وذلك مما
لا يخفى استحالته على كل عاقل ولهم هنا اعتذارات من الهوس
هي اقبح من المعتذر عنه لا حاجة الى ايرادها وتسويد الصحف
بها ثم يلزمهم ايضا في هذا المذهب الشنيع قيام الحوادث
بذاته تعالى اذ الارادة الحادثة وان لم يقولوا بقيامها بذاته
تعالى فقد قالوا بقيام احوالها الحادثة بذاته تعالى ولا فرق
في الدلالة على الحدوث بين تجدد الاحوال المعنوية الحادثة
على الذات وبين تجدد معانيها وذهب الكعبي والنجار واتباعهما
من المعتزلة اذ لله تعالى جميعهم واظهر فضيحتهم لكل مومن
الى انكار صفة الارادة اصلا وقالوا كونه تعالى مريدا لما
راوا ان السمع ورد باطلاقه فقال الكعبي معناه بالنسبة

شبكة الألوكة www.alukah.net

الى افعاله تعالى انه خالقها ومنشيها وبالنسبة الى افعال عباده
انه امر بها وقال النجار معنى كونه مريدا انه غير مغلوب ولا مستكره
ففسر الصفة الوجودية المتعلقة بصفة سلبية لا تعلق لها والدليل
على رد هذا المذهب هو الدليل على ثبوت كونه تعالى مريدا وقد تقدم
وسيأتي ايضا ان شاء الله تعالى واما الفلاسفة اهلك الله تعالى جميعهم
واخلا الارض من معتقدهم فقد انكروا صفات الباري تعالى كلها
المعنوية والمعاني وجعلوا انشاء العوالم انما هو بالزوم والايجاب
اي التعليل لذاته من غير اختيار وقد سلكت المعتزلة اثارهم
بتغييرها نعوذ بالله تعالى من الفتن المضلة والاهوا المردية
واحيانا الله تعالى واماتنا على اتباع السنة وانالنا من عصمته
وتوفيقه ما يكون لنا في الدنيا والاخرة اعظم جنة امين يا رب
العالمين بجاه نبيك ومصطفاك سيدنا ومولانا محمد صلوات الله
وسلامه عليه ورضي الله تعالى عن صحبه اجمعين قوله والها عند
اهل الحق قاطبة قديمة يعني ان اهل الحق اجمعوا على ان كل صفة
تقوم بذاته تعالى فهي واجبة الوجود لا تقبل العدم لا ازلا ولا
ابدا كما هو حكم ذاته جل وعلا ان لو قبلت ذاته جل وعلا العدم
لكانت هي واضدادها حوادث والذات العلية لا يمكن ان تعرى عن
الصفات فيلزم ان تكون حادثة اذ اقدر ان صفاتها حادثة
لان ما لا يعرى عن الحوادث يلزم ان يكون حادثا ضرورة كيف
وقد سبق بالبرهان القطعي وجوب قدمه تعالى وبقايه وايضا
فالصفات التي يتوقف وجود العالم على اتصاف الباري تعالى بها
وهي القدرة والارادة والعلم والحياة لو كانت حادثة لكانت
من العوالم فيتوقف وجودها على اتصاف الباري تعالى الذي
اوجدها بامثالها قبلها ثم ننقل الكلام الى تلك الصفات
الاخر التي اتصف الباري تعالى بها قبل ايجاده امثالها بعدها

فيلزم

فيلزم فيها ما لزم في الاولى ثم كذلك ويلزم التسلسل والدور
وكلاهما مستحيل

ولا يقال لها غير مخالفة للذات من جهة الابهام فامتثل

يعني ان صفات الله تعالى وان كنا نقطع بانها معان قديمة قايمة
بذاته تعالى وليست عين ذاته جل وعلا فلا يصح ان يطلق عليها
في العبارة انها غير ذاته او مخالفة لها كما لا يصح ان يطلق عليها ذلك
فيما بينها لما يوهمه لفظ الغير والخلاف من صحة العدم والمفارقة
اذ الغيران هما اللذان يصح وجود احدهما بدون الاخر والخلافان
هما اللذان يصح اجتماعهما وارتفاعهما وهذا المعنى المستحيل
هو الذي اشار اليه المؤلف بقوله من جهة الابهام وما ذكره
من المنع من اطلاق لفظ الغير على الصفات هو متفق عليه واما
المنع من اطلاق لفظ الاختلاف فهو مذهب الشيخ الاشعري واحد
قولي القاضي ابي بكر الباقلاني رضي الله تعالى عنهما وللقاضي قول اخر
بجواز اطلاق لفظ الخلاف في صفات الباري تعالى وان لم تكن
اغيارا لان حقيقة الخلافين عنده ما لا ينوب احدهما مناب
الاخر ولا شك ان القدرة لا تنوب مناب العلم وكذا العلم لا
ينوب مناب الارادة وكذا الصفات لا تنوب مناب الذات
وكما منع في الصفات ان يقال انها غير الذات كذلك يمنع ان
يقال انها عين الذات لاقتضاء هذا اللفظ نفي الصفات واتحادها
مع الذات وذلك مستحيل قطعا وبالله تعالى التوفيق

فصل في الحياة والسمع والبصر

حي سميع بصير لا بجارحة كما يليق به سبحانه فقل
وغير هذا ضلال لا خفاء به عقلا ونقلا بلا شك ولا وهل
اذ الكمال الذي لا جلال خالقنا منزه عن صفات الشبه والمثل
وقيل معناها للعلم مرجعه قال الائمة هذا غير معتمد

شبكة الألوكة www.alukah.net

لما نبه المؤلف في الفصل السابق على مذهب اهل الحق من اثبات
صفات المعاني لله تعالى على طريق الاجمال شرع هنا في اثباتها له
جل وعلا على طريق التفصيل فذكر في هذا الفصل منها ثلاث
صفات وهي الحياة والسمع والبصر اما الحياة فلا خفاء في وجوبها
له تعالى بشهادة جميع الحوادث على ذلك لان كل حادث يتوقف
حدوثه على اتصاف محدثه بوجوب القدرة له والارادة والعلم
والاتصاف بهذه الصفات موقوف على الحياة اذ هي شرطها فلو
انتفت الحياة لانتفت القدرة والارادة والعلم ولو انتفت
هذه الصفات عن الاله جل وعلا لاستحال ان يوجد حادث
من الحوادث كيف وقد شوهد من الحوادث ما لا يقدر على حصره
واما السمع والبصر فهما صفات واجبتان له تعالى وقد اتفق
المسلمون على ذلك **واحتج** جمهور اهل الحق على ثبوتهما له
تعالى بانه جل وعلا حي وكل حي فانه يصح اتصافه بالسمع والبصر
ومتى صح اتصاف حي بصفة فلا بد ان يتصف بها او بضدها
وضد السمع والبصر الصمم والعمى وهما من صفات النقص فيمتنع
اتصافه تعالى بهما فيلزم اتصافه جل وعلا بالسمع والبصر والتحقيق
الاعتماد في ثبوت هاتين الصفتين على النقل لان الاعتماد فيهما
على الدليل العقلي السابق ضعيف لان ثبوت الكمال بهما انما
تقدر في الشاهد ولا يلزم من كون الشيء كمالا في الشاهد ان
يكون في الغائب كذلك الا ترى ان اللذة والالم في الشاهد
كمال وهما ممتنعان على الله تعالى لانهما من عوارض الاجسام وذاته
تعالى مباينة لسائر الذوات وكذا حياته تعالى مخالفة لحياتها
فلا يلزم من صحة شيء على سائر الاحياء صحته عليه جل وعلا وكذا لا يصح
عليه الجهل والظن والسهو والنقرة والالم واللذة مع صحتها على
سائر الاحياء وذاته جل وعلا لم تعرف حتى يعلم ان هذين الوصفين

كمالان

كمالان في حقه تعالى يصح اتصافه تعالى بهما بحيث يلزم اذا لم يتصف بهما
ان يتصف باضدادهما وانما نعرف من صفاته جل وعلا بالعقل ما
دلت عليه افعاله فان لم يدل الفعل لجانا الى السمع فان لم يرد
فوجب الوقف ولا شك ان السمع وارد في هاتين الصفتين فمنها
قوله تعالى اني معكما اسمع وارى وقوله تعالى وهو السميع البصير
وقوله جل وعلا الم يعلم بان الله يرى وكقوله جل اسمه الذي يراك حين
تقوم **واحتجاج** ابراهيم عليه السلام في نفي الوهية الاصنام
بقوله تعالى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فلو كان
معبوده كذلك لم تتم له حجة وقد قال تعالى وتلك حجتنا اتيناها
ابراهيم على قومه واذا ثبت ان الاتصاف بهاتين الصفتين لا يتوقف
عقلا على الجارحة ولا على الاتصالات الجسمانية ودل التصريح بهما على
انهما صفتا كمال وجب اعتقاد ما دلت عليه الآي ولا محوج للتاويل
لا عقلا ولا سمعا وحمل اللفظ على محمله البعيد مجاز وشرطه القرينة
ومع عدمها لا يجوز المصير اليه لما فيه من اثبات المشروط بدون شرطه
فتغير البقامع تلك الظواهر وهكذا القول في جميع ما ورد من احكام
الاخرة متى كان ظاهره جايزا وجب اعتقاده الآن يدل دليل
على امتناعه ثم متعلق السمع والبصر في حقه تعالى كل موجود لا بعض
الموجودات كما في حقنا فليس سمعه جل وعلا مقصورا على الاصوات
بل يسمع جل وعلا ذاته وصفاته في الازل وفيما لا يزال ويسمع فيما لا
يزال ذوات العوالم وجميع اعراضها اي ينكشف ذلك كله وينضح
لسمعه تعالى كما تنكشف وتتضح حقيقة الكلام لسمعه تبارك وتعالى
قوله وقيل معناهما للعلم مرجعه يعني ان الجمهور من اهل الحق يقولون
السمع والبصر صفتان زايدتان على العلم مباينان له بالحقيقة
وان كانا مشاركين له في انهما صفتان كاشفتان يتعلقان بالشيء
على ما هو به وهذا احد قولي الشيخ ابي الحسن الاشعري رضي الله تعالى عنه

شبكة الألوكة www.alukah.net

والقول الثاني على ما نقله عنه ابن التلمساني في شرح المعالم
انهما من جنس العلم الا انهما لا يتعلقان الا بالموجود والعلم يتعلق
بالموجود والمعدوم والمطلق والمقيد قال وكلاهما مع ذلك صفتان
زايدتان على علمه تعالى وعزى المقترح هذين القولين لجماعة اهل
السنة لا للشيخ بالخصوص **وقد** احتج الفخر الرازي على رد
الثاني بانا اذا علمنا شيئا ثم ابصرناه او سمعناه وجدنا بين الحالين
تفرقة بديهية وذلك مما يدل على ان الابصار والسماع مغايران للعلم
وقد اعترض ابن التلمساني هذه الحجة بان مجرد التفرقة لا ينتج
ان تكون التفرقة بينهما تفرقة نوعية ولا انهما نوعان خارجان
عن نوع العلم وهو محل النزاع ولا مانع من رجوع التفرقة الى الكثرة
المتعلقات وقلتها فان بصرنا يتعلق بالهيئات الاجتماعية ولا
يتعلق علمنا بذلك في حال الغيبة ولذلك يقال ليس الخبر كالعيان
او يقال لما المانع من رجوع التفرقة في حقنا الى اختلاف محل
العلمين فعند الرؤية يكون العلم حاصلا بالقلب والعين وعند الغيبة
يبقى في القلب بخلق امثاله ويعدم من العين وفي المحصل للفخر
قال اتفق المسلمون على انه تعالى سميع بصير فقالت الفلاسفة
والكعبي وابو الحسين البصري هو عبارة عن علمه تعالى بالمسموعات
والمبصرات وقال الجمهور منا ومن المعتزلة والكرامية هما صفتان
زايدتان على العلم ونقل غيره عن الجبائي وابنه من المعتزلة ان معنى
السميع والبصير عندنا هما شاهد وغائبا هو الحي الذي لا افة به
ولا يخفى بطلان هذا القول فان الحياة ليست من الصفات المتعلقة
وسلب الافة لا اختصاص له بغير من سلب عنه ولان الانسان
يحس من نفسه كونه سميعا بصيرا والعدم لا يحس ولانه لو صح ذلك
لصح ان يقال العالم والقادر هو الحي الذي لا افة به ولم يقولوا به
قوله قال الايمة هذا غير معتدل يعني ان الايمة ضعفوا هذا القول

الذي

الذي يقول برجوع السمع والبصر الى العلم وانه غير معتدل اي غير مستقيم
على موازين النظر لما ادركه العقل في الشاهد من الفرق الضروري
بين حقيقتي السمع والبصر وبين حقيقة العلم ولان الاصل في الاسماء
الحسنى عدم تزاد فها ومن اسمايه تعالى السميع والبصير العليم فالاصل
حملها على التباين حتى يدل دليل على خلاف ذلك وبالله تعالى التوفيق

فصل في العلم

وهو العليم بعلم قد احاط به ، في كل منفصل بل كل متصل
فليس يخفى عليه كلما هجست ، به الضمايز من قول ومن عمل
كما احاط واحصى علمه عددا ، في كل علو علا او كل منسفل

لا خفا ان من صفات الله تعالى الواجبة له جل وعلا عقلا ونقلا صفة
العلم ودليل وجوبه له تعالى امران عام وخاص اما العام فهو مجرد
ايجاده تعالى لكل حادث لانه لما بطل البرهان القطعي ان يكون ايجاده
تعالى للحوادث بطريق العلة او الطبيعة بل بطريق القصد والاختيار
لزم قطعا ان يكون تعالى عالما بكل حادث قصد الى ايجاده او اعدامه
اذ القصد الى الشيء مع الجهل به مستحيل ولما كانت الماهيات المطلقات
لا يمكن دخولها في الوجود الا مع تخصيصها بزمان ومحل وكيفية ووضع
ومقدار وكل وجه وحدت عليه امكن في العقل وقوعها على خلافه
او مثله ولا يتخصص الا بالقصد اليه وجب ان يكون عالما بها من كل وجه
وذلك ادل دليل على انه تعالى عالم بالجزئيات لا كما تقول الفلاسفة
ابعدهم الله تعالى ان علمه جل وعلا اي معلومه لا يكون لا كليا تعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا واذا شهدت الحوادث كلها بعلم الله تعالى
لزم ان يكون علمه تعالى غير قاصر عليها بل عام لكل ممكن وجدا لا
ولكل واجب ولكل مستحيل اذ لو تعلق علمه تعالى ببعض ما يصح ان
يعلم دون بعض لزم الافتقار الى الفاعل المخصص حتى يخلق في الذات
العلم ببعض المعلومات والجهل او غيره من اضداد العلم ببعضها فيكون

شبكة الألوكة www.alukah.net

العلم حادثا وهو مستحيل لانه يستلزم حدوث الذات المتصفة به
من حيث انها حينيذ تصير ملازمة للعلم اوضده الحادثين وما
لازم الحادث فهو حادث فتعين ان علمه جل وعلا واجب الوجود لا
يقبل العدم لا ازلا ولا ابدا عام التعلق لكل واجب وكل مستحيل
وكل جايز واما الخاص فلا يخفى بضرورة المشاهدة ان عجايب مصنوعاته
جل وعلا ودقايق محاسنها مما لا يحيط بها وصف واصف ومن جوز
صدور تلك العجايب مع كثرتها وخروجها عن حد الحصر من الجاهل
على سبيل الاتفاق كان معاندا للخوجا حدا للضرورة وسقطت
مكالمته لخروجه عن حيز العقلا وقول من قال قد يقع الفعل المحكم
من الجاهل مرة على سبيل الاتفاق ولا يدل فكذا يجب ان لا يدل
اذا وقع مرات وهو نظير قول القايل اذا لم يفد خبر الواحد العلم
فلا يفيد خبر الجماعة واذا لم ير وقليل الما فلا يروى كثيره واذا
لم تنتج المقدمة الواحدة فلا تنتج المقدمتان ولا شك ان التسوية
في ذلك خلاف الحس والعادة والعقل فان قيل ينتقض هذا الدليل
بما يتخذه النحل بغير آلة من البيوت المحكمة المسدسة التي لا يعرف
وضع مثلها الا المهندسون واختارت خصوصية هذا الشكل
لجمعه بين مصلحتين وهما قربه من شكل الدايرة القريب من
شكل النحلة والامن معه من فرج تبقى بين الاشكال الصناعية لغير
فايدة حتى يستغنى بكل وجه منه في بنا مسدس مثله ومعرفة
كون الجمع بين هاتين المصلحتين خاصا بهذا الشكل المسدس
مما لا يستخرجه الا اذكيا المهندسين بعد سبر وبحث عظيم ان النحلة
هي من الحيوان غير العاقل وقد صدر من فعلها ما صدر فكيف يصح
مع هذا ان يستدل باحكام الفعل واشتماله على دقايق الصنع على
علم صانعه فالجواب انك قد عرفت ان معتقد اهل السنة رضي الله
تعالى عنهم ان الله جل وعلا منفرد بخلق كل حادث لا تاثير لغيره

على

على العموم في اثر ما اصلا وان الافعال التي يتصف بها العقلا وغيرهم
كلها منسوبة الى الله تعالى خلقا واختراعا وان كان بعضها ينسب
الى بعض من يتصف بها كسبا من غير تاثير ولا اختراع له اصلا فليس
في الوجود عند اهل السنة الا الله جل وعلا موصوفا بصفاته
العلية وكلما سواه من الكاينات فهي مخترعاته وافعاله بلا واسطة
فالشكل المسدس الذي اتخذته النحل اذا ليس لها فيه تاثير اصلا
بل ولا الكسب من غير تاثير لما يات في فصل ابطال التولد
من امتناع تعلق القدرة الحادثة بغير ما في محلها وانما وقوع
ذلك الشكل بمحض خلق الله تعالى واختراعه بلا واسطة في ذلك
البتة ثم الهم سبحانه النحل لاتخاذها مسكنا كما الهم سبحانه
سايرالحيوانات لمصالحها قال جل من قايل الذي اعطى كل شي خلقه
ثم هدى فذلك الشكل من جملة المخلوقات لله تعالى الذي تدل
على عظيم علمه تعالى ولو سلمنا ان ذلك الشكل من فعلها على طريق
الكسب لا على طريق الاختراع فلا نسلم انها غير عالمة به حينيذ بل
خرقت في حقها العادة والهمت علم ذلك وخلق لها كما خلق العلم
للنملة بسيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وجنوده حتى قالت
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ولا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
ولا خفا في دلالة فعلها هذا على علمه
تعالى في هذا الوجه كما دل في الوجه الاول وذلك ان علمها بهذا
الشكل على هذا الوجه انما هو باعلام الله تعالى وخلقه ذلك فيها
ولا شك ان تعليم دقايق العلوم وخلقها لمن ليس اهلا للمطلق العلم
عادة فكيف بدقايقه مزاد دليل على شرف علمه تعالى وباهر
قدرته ونفوذ ارادته وانقياد جميع الكاينات لمشيئته تعالى
وقد ضعف امام الحرمين في البرهان دلالة الاحكام على العلم
وقال لا معنى للاحكام سوى ان الاكوان خصصت الجوامد باحياز
حتى انتظم منها خطوط مستقيمة ولا اختصاص للاكوان بالدلالة

شبكة الألوكة www.alukah.net

على العلم وانما الكلام مع الخصم بعد كونه تعالى صانعا مختارا والاختيار
دليل كونه تعالى عالما واعترض عليه ابن التلمساني رحمه الله بان
الاحكام لا نسلم رجوعه الى مجرد تخصيص الجوامر باكوان بل هو يرجع
الى اختصاص باكوان وكيفيات خاصة وضرب من الصفات والاعراض
على مقدار وكل خاصة شيء عنده بمقدار يشرد لالة غير الاحكام من وقوع
الفعل على وفق الاختيار وان كان مشتجا لا يمنع من دلالة الاحكام
عليه بل دلالة الاحكام اوضح لانه يدل على العلم بالضرورة والاختيار
يدل عليه بالنظر انتهى **قلت** فخرج من هذا انه يصح ⊙
الاستدلال على كونه تعالى عالما بوجهين من الاحكام والاختيار
وان الاول اوضح من الثاني وقد بينا فيما سبق وجه الاستدلال
بالاختيار فقول المولف بعلم قد احاط به الضمير الفاعل لاحاط بعود
على الله تعالى والباء به سببية وضميره يعود على العلم ومعنى احاط
علم علما عاما يقول انه تعالى علم في ازله علم احاطة كل معلوم انفصل
عن غيره او اتصل به بسبب ما قام بذاته العلية من العلم المحيط
لانه جل وعلا علم ذلك بذاته من غير وجود علم يقوم به كما تقوله
المعتزلة القايلون باثبات احكام الصفات للذات العلية
مع انكارهم للصفات قوله كما احاط واحصى علمه الظاهر ان الكاف
للتعليل لقوله فليس يخفى عليه وبالله سبحانه وتعالى التوفيق
ولا يقال لعلم الله مكتسب ، كذا التجدد ايضا غير معتمد
كذا التعدد لا المعلوم يوجبه ، بل هو متحد للوصف في الازل
قد قدر الخلق والارزاق في ازل ، بل كل شيء نعم يبديه في اجل
اما ما ذكر من استحالة الكسب على علمه تعالى فظاهر لان العلم
الكسبي لا يكون الا حادثا وعلمه تعالى يجب له القدم ويستحيل عليه
الحدوث وقد قدمنا برهان وجوب قدم صفاته تعالى واستحالة
اتصافه تعالى بالحوادث في فصل ثبوت صفاته المعنوية وانما

قلنا

ونسخة الفعل من الصحيح الكلام اذا لم يتقدم

قلنا ان الكسبي لا يكون الا حادثا لانه اما ان يفسر بالعلم الحاصل
عن النظر وهو الذي غلب عليه العرف وبما تعلقت به القدرة
الحادثة ولا يخفى تجدد العلم الكسبي وحدوثه على كلا التفسيرين
وهذا التفسير الثاني هو معناه الاصلي وعليه فهل يستلزم العلم
الكسبي سبق النظر عقلا او عادة واما في العقل فيجوز لو خرق العادة
احداث علم واحداث قدرة عليه من غير تقدم نظر قولان والثاني منهما
مذهب امام الحرمين وهو الحق لان قبول الجوهر للعلم والقدرة هو
الحادثة المتعلقة به نفسي له وتقدم النظر لا يصلح ان يكون شرطا
للقدرة الحادثة التي يكتسب بها العلم لان هذه القدرة انما توجد
مقارنة لوجود العلم والنظر بنا في العلم ولا يوجد في زمانه ولا يصح
ان يكون شرط الشيء ما لا يوجد الا حال عدمه واما عدم اشتراط النظر
في العلم فلا اتفاق على ان العلم النظري لا يجوز ان يقع ضروريا
واذا عرفت استحالة الكسب على علمه تعالى لاستلزامه حدوثه
عرفت انما وقع في الكتاب والسنة مما ظاهره حدوث العلم
وكسبه يجب القطع بان ظاهره غير مراد وذلك كقوله تعالى ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
فلا يصح ان يكون المراد به انه يتجدد له تعالى بالفتنة اي الاختبار
علم بالصادق والكاذب من خلقه كيف وعلمه جل وعلا واجب ازلي محيط
بكل معلوم وعلى وفق علمه القديم المتعلق ازلا بما لا نهاية له من المعلومات
ووفق ارادته النافذة وبقدرته العامة تجري الكاينات كلها
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وتاويل الاية ان المراد الاخبار
بانه تعالى يجازي المكلفين بما علم منهم ازلا من خير وشر فاطلق العلم
على الجزاء المتاخر عن وقوع اماراته من خير وشر لان وقوع ذلك كله
على وفق علمه جل وعلا وتسمية الجزاء بالعلم من باب تسمية المتعلق باسم
المتعلق وهو مجاز شايع في اللسان والفتنة في الاية قال بعض المفسرين

شبكة الألوكة www.alukah.net

هى الامتحان بشدايد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعدا
وسايرالطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط
وانواع المصايب في النفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم
وكيدهم وضررهم قال ومعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم
واظهروا القول بالايمان انهم يتركون كذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله
تعالى بضروب المحن اي يفعل معهم كفعل الممتحن حتى يبلوا صبرهم وثبات
اقدامهم وصحة عقايدهم ونضوح نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص
والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف انتهى قال
ابن عطية والصدق والكذب يعني في الاية على بابهما اى من صدق فعله
قوله اومن كذب به انتهى وكما لايقال في علمه تعالى انه مكتسب كذلك
لايقال انه ضروري لايهامه اقتران الضرر بالعلم او الحاجة كعلمنا
بجوعنا والآمنا وكذا يمتنع اطلاق البديهي على علمه تعالى وهو
كالضروري الا انه لايقترن بضرر ولاحاجة وانما استحال الاطلاق
على علمه جل وعلا لانه يشعر بالحدوث اذ يقال بدء النفس الامر
اذا اتاها بغتة بغير سابقة شعور بمقدمات تغلب على الظن وجوده

والحاصل ان العلم الحادث ينقسم الى ثلاثة اقسام ضروري
وبديهي وكسبي ولايطلق واحد منها على علمه تعالى قوله كذا التجدد
يعني كذلك التجدد لايقال في علمه تعالى وان كان ذلك التجدد للعلم
بلامونة كسب لاستحالة اتصافه تعالى بالحوادث مطلقا قوله
كذا التعدد لا المعلوم بوجبه يعني لان علمه تعالى ليس يتعدد
بتعدد المعلومات بان يعلم كل معلوم بعلم يخصه كما هو في حقنا بل
هو جل وعلا يعلم المعلومات التي لانهاية لها بعلم واحد ولهم على
ذلك ادلة اخصرها ان علمه تعالى لما وجب له التعلق بما لانهاية
له لبلا يلزم حدوثه وافتقاره الى المخصص لو اختص تعلقه ببعض
المعلومات دون بعض واذا وجب للعلم الواحد العموم ازلا وابدا

فلو

فلو وجد له تعالى علم ثان لوجب ان يكون مثل الاول في الحقيقة والازلية
والعموم وذلك يستلزم اجتماع المثلين وتحصيل الحاصل قوله
بل هو متحد للوصف في الازل الاظهر عود الضمير على الله تعالى ليفيد
وجوب اتحاد كل صفة من صفاته كالحياة والقدرة والارادة والسمع
والبصر والكلام ومراده بالوصف الصفة اى هو تعالى متحد الصفة
في الازل اى كل صفة من صفاته متحدة لاتعدد فيها وبرهانها قد
قدمناه وبل هنا اضراب انتقال عن الحكم باتحاد صفة العلم الى
الحكم باتحاد جميع الصفات قوله قد قدر الخلق والارزاق الخ يعني
قد تعلق علمه وارادته بذلك كله في الازل اذ معنى القدر الذي
يجب الايمان به هو تعلق علم الله تعالى وارادته ازلا بجميع الكاينات
لايتجدد له علم ولا ارادة لشيء منها وانما الذي يتجدد ابرازها
اي اظهارها واخراجها من العدم الى الوجود بقدرته الازلية بلا
واسطة على وفق ارادته وعلمه الازليين تبارك وتعالى

فصل في الارادة

ان الارادة للتخصيص موجبة ، فليس عنها ينوب العلم بالبدل
فان يرد نفذت فينا ارادته ، من شاء يهديه او يضلل فلا تسل
فالخير والشر خلق ان بدا كقضى ، فليس للخلق في المقضى من حيل
بل كل انعامه فضل ونقمته ، عدل فهذا سبيل العدل فاعتدل
اذ الارادة غير الامر لا عجب ، لله سبحانه حكم بلا علل
سبحانه ربنا نعنو الوجوه له ، من لم يوصله للخيرات لم يصل

الارادة صفة يترجح بها وقوع احد طرفي الممكن على مقابله ن
وبرهان وجوبها له تعالى ان الحوادث قد اختصت من كل نوع من
انواع ستة وهي الوجود والعدم والمقادير والصفات والازمنة
والامكنة والجهات باحد امرين امتساويين في قبول كل ذات
حادثة لهما واختصاص احد الطرفين المتساويين بدلا عن مقابله

جايزين صح

بغير مرجح مستحيل واذا وجب لافتقاره الى المرجح فلا يصح ان يكون
المرجح ذات ذلك الممكن لانه يلزم عليه اجتماع امرين متنافيين
وهما الاستوا بالذات والرجحان بالذات وذلك مستحيل لا يعقل
وايضا لو ترجح لممكن من ذاته الوجود بدلا عن العدم لكان واجب
الوجود لذاته فيلزم قدمه ولو ترجح له من ذاته العدم لوجب
استمرار عدمه فلا يوجد ابدا لان المرجح الذاتي يستحيل زواله
وكلا القسمين باطل فتعين ان يكون المرجح لاختصاص كل ممكن
باحد الطرفين الجايزين عليه خارجا عن ذاته والسبر التام يقتضي
ان لا مرجح لاختصاص الممكن باحد الجايزات عليه بدلا
عن مقابله الا الارادة وهي قصد الفاعل الى وقوع ذلك الجايز
دون مقابله **فان قلت** لعل المرجح لوقوع احد الطرفين
صفة القدرة فالجواب ان القدرة نسبتها الى جميع الممكنات
نسبة واحدة فما بالها تعلقت بايجاد هذا الممكن على الخصوص
بدلا عن مقابله وفي هذا الزمان المخصوص بدلا عن المتقدم
والمتاخر والازمان كلها بالنسبة الى تاتي تعلق القدرة بالايجاد
فيها على حد التسوا فاذن لابد من ان يرجح الفاعل المختار الوجود
بدلا عن العدم وان يرجح هذا الزمان وهذا المقدار وهذا المكان
وهذه الصفة بدلا عن نقايضها وحينيذ يوجد الفعل بقدره
ولهذا يقولون القدرة عبارة عن الصفة الموثرة على وفق
الارادة **فان قلت** لعل المرجح تعلق العلم بوقوع ذلك
الممكن على مقدار مخصوص وصفة مخصوصة في زمان مخصوص
ومكان مخصوص اذ وقوع الممكن على خلاف علم الله تعالى مستحيل
فالجواب ان التخصيص للممكن بما ذكرتا ثير فيه بتخصيصه
ببعض الجايزات فلا يتعلق بذلك الا الصفة الموثرة والعلم
ليس من الصفات الموثرة وانما هو صفة ينكشف بها المعلوم

ويتضح

ويتضح على ما مر به ولذلك يتعلق بالواجب والمستحيل مع عدم
قبولهما للتاثير كما يتعلق بالجايز الذي يقبله ولا صفة موثرة
الا القدرة والارادة وقد بطل بما سبق تعلق القدرة بالتخصيص
فتعين على القطع تعلق صفة اخرى بذلك تسمى الارادة وهو المطلوب
فان قلت لقايل ان يقول المرجح لوقوع احد الجايزين
عن مقابله اشتماله على المصلحة المعلومة لفاعله تعالى فلنا
هذه مقالة اعتزالية اعني مراعاة المصلحة وسياتي برهان عدم
وجوب مراعاة الصلاح والاصلح في حقه تعالى واذا بطل قطعا عدم
وجوب مراعاة الصلاح لم نصلح لترجيح احد طرفي الممكن بالوقوع
في حق المختار بدلا عن مقابله **فان قلت** ما ذكرتموه
من ان تخصيص احد طرفي الممكن بالوقوع في حق المختار لا يكون
الا بصفة الارادة ينتقض عليكم بالمختار منا فانه يوقع افعالا
في زمن مخصوص وعلى صفة مخصوصة وهو ذاهل عنها لا شعور له بها
فضلا ان يقصدها او يريدها **فالجواب** ان كلامنا
انما هو في المختار الموجد للفعل والمختار منا لا يوجد فعلا اصلا
لا في حق نفسه ولا في حق غيره وانما الموجد بلا واسطة للذوات
الحادثة وجميع افعالها هو الله جل وعلا وسياتي برهان ذلك
فالفعل انما يستدل باختصاصه بما اختص به من الجايزات على ان
فاعله بمعنى الموجد له وهو الله جل وعلا مريد لا ان فاعله بمعنى
من قام به الفعل واوجده الله تعالى فيه مصاحبا لقدرة حادثة
تتعلق به بلا تاثير اصلا مريد لانا لا نوجد شيئا من افعالنا
البتة بل الله جل وعلا هو المنفرد بايجادها كما انفرد بايجاد
جميع الكاينات كذلك لكنه جل وعلا تارة يوجد فينا الافعال
وتارة يوجد صفة تسمى قدرة يحس معها تيسر ذلك الفعل لنا
وهي تتعلق بالفعل من غير تاثير لها فيه اصلا بل تلك القدرة

شبكة الألوكة www.alukah.net

والفعل الذى صاحبها كلاهما خلق لمولانا جل وعلا بلا واسطة
وفى هذه الحالة التى يختار سبحانه ان يخلق مع الفعل قدرة
تقارنه فى محله يسمى العبد فى الاصطلاح مختارا ومكتسبا
وفاعلا ولا يسمى مضطرا ولا مجبورا لانه لما احس فى تلك
الحالة تيسر الفعل ولم يحس الجأ اليه صار فى الصورة الظاهرة
كانه الفاعل لذلك الفعل فاسند الفعل اليه على طريق المجاز
اما اذا خلق سبحانه وتعالى الفعل فى المحل غير مقارن لتيسر
ولا قدرة حادثة كحركة الارتعاش فان العبد حينئذ يسمى
مجبورا ومضطرا لانه فى هذه الحالة يحس الالجاء والاضطرار
الى الفعل واذا حققت ما فى نفس الامر لم يكن فرق بين الاول والثانى
باعتبار نفى التاثير فى الفعل وعموم الجبر والقهر لكل واحد منهما
لكن الجبر فى الاول انما يعرفه العقل من باب الوحدانية
ولا يحس به النفس واما الثانى فيعرفه العقل ويحس به النفس
ثم فى الحالتين قد يخلق مولانا سبحانه وتعالى شعورا للعبد
وارادة لما خلق فيه وتارة لم يخلق له ذلك كما فى النوم وحالة
الذهول وبالجملة فذوات الكاينات كلها كالظروف
للافعال المخلوقة فيها يخلق الرب تعالى فيها ما شاء منها والظرف
والمظروف فعل الله تعالى بلا واسطة لا تاثير لبعض فى بعض
فتبارك من لا شريك له فى ملكه ولا مدبر معه سواه ولا يسال
عما يفعل جل وعلا **قوله** ان الارادة للتخصيص موجبة
يعنى لتخصيص الممكن ببعض ما جاز عليه دون بعض **قوله**
فليس عنها ينوب العلم يعنى ولا سائر الصفات
من قدرة وسمع وبصر وكلام وحياة لان منها ما لا يؤثر
اصلا وهو ما عدا القدرة فلا يمكن ان يوجد به صفة التخصيص
كما لا يمكن ان يوجدها بالعلم واما القدرة وان كانت صفة موثرة فلا

يمكن

يمكن ان تكون هى الموثرة فى اختصاص الممكن ببعض ما جاز عليه
دون بعض لان نسبة تعلقها الى جميع الممكنات على حد سوا
كما سبق **قوله** فان يرد نفذت فينا ارادته يعنى ان ارادته تعالى
نافذة فى كل ما تعلقت به طاعة كان او معصية صلاحا كان
للعباد او فسادا لان الكاينات كلها هو المنفرد تعالى بايجادها
بلا واسطة فوجب ان يكون ايجادها على وفق ارادته اذ لا مكره له
جل وعلا على فعل ما لا يريده ولا اثر لما سواه فى اثر ما ونبه بهذا
على مذهب المعتزلة القايلين بتخصيص ارادته تعالى بالخير والطاعات
وان الشر والمعاصى غير مرادين له فايمان ابى لهب عندهم اراده
الله تعالى منه ولم تنفذ ارادته تعالى فيه وكفره لم يرده ومع ذلك
وقع ولا يخفى فساد هذا المذهب الردى ومصادمته لدليلى
العقل والنقل اما العقل بوجوب الوحدانية له تعالى يقتضى نفى
الشريك معه فى جميع الكاينات على العموم وانه جل وعلا هو المنفرد
بالتصرف فى جميعها بالايجاد والاعدام بلا واسطة وذلك موقوف
على عموم تعلق القدرة والارادة والعلم بها واما النقل فالكتاب
والسنة واجماع السلف الصالح قبل ظهور البدع اما الكتاب
فكقوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ولو شئنا لاتينا
كل نفس هداها كذلك يضل الله من يشا وغير ذلك مما امتلاء به
القران واما السنة فمنها ما فى الحديث المشهور المتفق على صحته
وهو حديث شرح الايمان والاسلام والاحسان لما سيل جبريل
عن ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام
فى تفسير الايمان ان تومن بالله الى قوله وبالقدر خيره وشره حلوه ومره
ولا معنى للايمان بالقدر الا التصديق مع المعرفة بتعلق علم الله
تعالى وارادته ازلا بجميع الكاينات خيرها وشرها حلوها ومرها
واما الاجماع فقد اجمع السلف الصالح قبل ظهور البدع ان ما شاء الله

كان وما لم يشا لم يكن **قوله** فالخير والشر خلق بذاك قضى يعني
ان الخير والشر مخلوقان له جل وعلا على وفق قضايه وارادته ولا حيلة
للعباد في رد ما قضاه جل وعلا واراده اللهم الا ان يطلق القضا
على ما سطر في اللوح المحفوظ ونحوه من صحف الملايكة فهذا يصح ان
يمحوا الله ما شا منه ويثبت اما علمه وقضاوه الازليان فيستحيل
تبديلهما **قوله** بل كل انعامه فضل الخ يعني ان كون الانعام وضده
منسوبين لقدرته تعالى وارادته لا يشاركه في اثر ما سواه لا يقتضي
هذا العموم نقضا البته فيما وجب له جل وعلا من الكمال المطلق
ازلا وابدا بل كل فعل من افعاله يدل على وجوب وجوده تعالى وكمال
صفاته وتنزهه عن كل نقيصة لانك اذا نظرت الى ما تفضل به
المولى العظيم من الثواب المقيم وما احتوت عليه جنان من دقايق
النعيم الخارقة للعادة التي لم يخطر فط على بال ثم نظرت الى ضد
ذلك مما عدل فيه المولى الرب القهار العظيم من خلق دقايق العذا
وتنويع اجناس الالام وما احتوت عليه جهنم من اصناف الاهوال وعجا
الاحوال التي لا تدخل تحت ادراك العقول ولا خوضات الاوهام
لتيقنت ان كل ذلك لا يوجب له سبحانه تجدد كمال في ذاته ولا
في صفة من صفاته كما لا يوجب له شي من ذلك نقصا في جلاله
وكماله وعلى سماته لا حالا ولا مآلا بل كل كما يليق به جل وعلا
لم يزل متصفا به في الازل وفيما لا يزال واما فايدة تلك الافعال
بالنسبة الينا فهي كلها مستوية في دلالتها على وجوب وجوده
تعالى ووجوب صفاته العلية وسعة علمه وعموم قدرته ونفوذ
ارادته وعدم تعاصي الممكنات باسرها عليه بل لم يزدنا وقوع
النوعين وخلقه الضدين وتزويجه الممكنات زوجين الا قوة علم
بوجوب وحدانيته ونفي المعارض لاختياره وسعة ملكه وانه
ليس مجبورا على فعل من الافعال وانه لا حق لاحد عليه عموما وانما هو

جل وعلا

جل وعلا تارة يتصرف بالعدل واظهار صفة القاهرية لمن شا
من غير ان يتوجه عليه في ذلك سوال وتارة يتصرف باظهار
صفة الكرم لمن شا من غير توجه حق لاحد عليه بل عطاوه انما هو
بمحض الكرم والافضال فتبارك الله رب العالمين فقول المولف
رضي الله تعالى عنه اذ كل انعامه فضل اي عطاوه بغير استحقاق
ولا معاوضة والايمان والاعمال الصالحة ليست الا محض امارات
من الله تعالى في ذلك ولا تاثير لها البته في شي من الثواب والنعيم
اصلا **قوله** ونقمته عدل اي تصرف على ما ينبغي لحقه تعالى ولا
مانع منه لا عقلا ولا شرعا ثم نصب سبحانه ايضا بمحض الاختيار
امارات على ذلك وهي الكفر والاعمال السيية من غير ان يكون لها
تاثير في ذلك البتة ولو تفضل سبحانه او عدل ابدا بلا نصب
امارة على ذلك وعكس في الامارات لصح ذلك في حقه تعالى ان
ذلك كله من الجايزات وانما وقع التخصيص ببعضها بمحض الارادة
والاختيار والاكرام لا يسال المولى العظيم والرب القادر الحكيم
عما يفعل فتبارك الرب العزيز اللطيف ذو الجلال والاكرام
قوله اذ الارادة غير الامر هذا تعليل لما ذكر قبل من نفوذ
الارادة وعمومها للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية
دفعا لما يتوهم من مرادفة الارادة والامر فكيف يصح حينيذ
فيها العموم مع كون الامر من جهته تعالى خاصا بالايمان
والطاعات فنبه الشيخ هنا على ان الارادة والامر لا يترادف
بينهما ولا تساوي بل هما متباينان في المدلول اذ مدلول
الارادة القصد الى تخصيص الممكن ببعض ما جاز عليه كان ذلك
الممكن ذاتا او عرضا فعلا مكتسبا او غيره ومدلول الامر
طلب الفعل المكتسب من المكلفين وبين المدلولين عموم وخصوص
من وجه يجتمعان وينفردان فايمان ابي بكر رضي الله تعالى عنه

مثلا مراد الله تعالى ماموربه وكفرابى لهب مثلا مراد غير ماموربه وايمانه ماموربه غير مراد له تبارك وتعالى **قوله** لا عجب اى فى مباينة الارادة للامر ويحتمل ان يرجع الى الكل ما سبق وانما انتفى العجب فى ذلك لانه استعظام لما خفى شانه او سببه وكل ما ذكر فهو واضح لا شبهة فيه لا عقلا ولا نقلا لكل موفق **قوله** لله سبحانه حكم بلا علل لما كانت احكامه الشرعية واوامره عه وثوابه وعقوبته جل وعلا تتعلق بما هو المنفرد بايجاده وابدا ولا اثر لما سواه على العموم فى اثر ما فى ذلك ثم قد يامر جل وعلا بما يريد ان يخلقه للماموربه وقد يامر تبارك وتعالى بما لا يريد كونه بل يكون المراد له تعالى ضده وكذا احكامه العقلية والعادية من الاحيا والاماتة والهداية والاضلال والتنعيم والتعذيب تتعلق بالمخلوق على وجه الاختلاف مع القدرة على التسوية بينهم فيما هو صلاح لجميعهم او اصلح وكان الوهم ربما يستشكل ذلك حتى يحمل صاحبه على ما لا ينبغى من الشرك والضلال نبه المولف على دفع هذا الوهم بان احكامه جل وعلا ليست تابعة لعلل عقلية تقتضيها ولا لاغراض من جلب مصالح او دفع مفاسد تتوقف على معانيها بل هى احكام وتصرفات وقعت بمحض الاختيار جارية على وفق ارادته وحكمته البالغة التى خرجت عن موازين الانظار فليس للعبيد المغروسين فيما لانهاية له من اجهالات الا الاذعان وغاية التسليم والتزام حسن الادب فى الوقوف مع ابواب فضل الله تعالى ان وفقه سبحانه بالتشوق لها بمحض كرمه العميم ومتوابدى الضراعة الى ما يترجى ان يخرج عندها بمحض اختياره وفضله الرب الروف الرحيم وتنكير الحكم فى كلام المولف للتعظيم اى له حكم عظيم يستحيل ان يوزن بميزان احكام الخلق وان يجرى على مقتضى الاعراف العادية بينهم

والتقييد

والتقييد بقيود الاغراض والعلل المتداولة عندهم كما فعلت المعتزلة ابعدهم الله تعالى فى ذلك **قوله** سبحانه ربنا تعنوا الوجوه له اى تخضع ذوات الكاينات كلها وافعالها له كخضوع العانى الذى هو الاسير اذ كلها اسرى فى قبضة قدرته وقهره وارادته ومحيط علمه وسمعه وبصره لا تبدى شيا ما على العموم ولا تعيد ولا يقع منها ولا فيها من الصفات ولا فعال الا ما يخلقه الرب القدير الفعال لما يريد فانى للعبد العاجز الحقير المجهول ان يخوض فيما وجب العجز عنه من سر القضا والقدر او يركب بعقله الواشى على متن هذا البحر الذى لا قعر له ولا ساحل البتة فى سفينة سراب وهمه وخياله التى تغرق به فى اول قدم ولا تبقى عليه ولا تذر اللهم يا ذا الجلال والاكرام عرفنا قدر انفسنا ولا تغلب على عقولنا الخيالات الكاذبة ولا الاوهام الزائلة يا ارحم الراحمين •

فصل فى القدرة

القدرة الازلية هى صفة يتاتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه على وفق الارادة **وقدرة الله فى الاشيا ممكنها ، بلا علاج ولا ضرب من العلل ما قال للشى كن الا وكان على ، وفق الارادة من بطى ومن عجل**

لاخفا فى وجوب تعلقه تعالى بالقدرة العامة لجميع الممكنات وقد تضمن هذا الكلام ثلاثة مطالب وجود هذه الصفة ووجوب وجودها ازلا وابدا وهو معنى وجوب القدم والبقا لها والثالث وجوب عموم التعلق لها فى جميع الممكنات اما البرهان وجود هذه الصفة فلانه لما تقرر بالبرهان القاطع انه جل وعلا موجد للعالم بالاختيار لا بمقتضى التعليل والطبع وحقيقة الموجد بالاختيار هو الذى يصح منه الفعل بدلا عن الترك والترك بدلا عن الفعل وهذا بعينه معنى القادر

شبكة الألوكة www.alukah.net

فوجب انه تعالى قادر فله اذن قدرة قائمة بذاته لاستحالة وجود
قادر ولا تقوم به قدرة واما برهان وجود القدم والبقاء لهذه
الصفة فقد تقدم في فصل اثبات الصفات عند شرح قول
المصنف وانها عند اهل الحق قاطبة قديمة واما برهان عموم
تعلقها بجميع الممكنات فلانه لو تعلقت ببعضها دون بعض
لانقلب الجايز مستحيلا وذلك لان البعض الذي لم تتعلق به
تلك الصفة هي في صحة تعلقها به مثل البعض الذي تعلقت به
ففصر الصفة في التعلق على غيره ان كان لغير مخصص بل لذاته
لزم انقلاب ذلك الممكن مستحيلا لانه صار لا يصح لذاته
لتعلق القدرة به فهو مستحيل فقد لزم على هذا التقدير الجمع
بين الاستحالة والامكان في شيء واحد وذلك لا يعقل وان كان
ذلك القصر لمخصص مختار لزم حدوثها وقد سبق البرهان على
وجوب القدم والبقاء لذاته تعالى ولجميع صفاته القايمة بذاته
فثبت بهذا وجوب تعلق القدرة الازلية بجميع الممكنات ومثلها
الارادة في ذلك سواء سواء ويدخل في الممكنات التي تتعلق بها
قدرة الله تعالى وارادته الافعال الصادرة من الحيوانات
باختيارها من انسان وجن وملك وغيرهم فان تلك الافعال
الصادرة من الحيوانات باختيارها من حركاتها وسكناتها
وقيامها وقعودها واضطجاعها ومشيها وجريها ونحو ذلك
كلها عند اهل السنة صادرة بمحض قدرته تعالى وارادته
لا تاثير للحيوانات في شيء من تلك الافعال البتة بل هي جميعها
مخلوقة له جل وعلا بلا واسطة وقد خالفت المعتزلة في ذلك
وسياتي الرد عليهم ان شاء الله تعالى وقد اختلف في اطلاق
تعلق القدرة على ما علم الله تعالى وارادعدم وقوعه كايمان
ابي لهب مثلا على قولين وقد وقف الغزالي بينهما بان من قال

بالتعلق

بالتعلق بهذا النوع فقد نظر الى امكانه في ذاته ومن قال بنفي
التعلق فقد نظر الى تعلق العلم والارادة بعدم وقوعه واستدل
من قال بتعلق القدرة بهذا النوع بانه لو لم تتعلق القدرة بالممكن
لاجل تعلق العلم والارادة بعدم وقوعه لزم ان لا يكون للقدرة
متعلق اصلا وذلك باطل باجماع وبيان الملازمة في ذلك ان
الممكن اذا نظر اليه من حيث تعلق العلم والارادة الازليين به
يكون اما واجبا لوقوع ان تعلق علم الله تعالى وارادته بعدم وقوعه
او مستحيل الوقوع ان تعلق علم الله تعالى وارادته بعدم وقوعه
فلو منعت الاستحالة العارضة للممكن لامن ذاته من تعلق القدرة
لمنع منه الوجوب العارض له لامن ذاته قلت وقد يجاب
بالفرق بينهما بان الوجوب العرضي للممكن يحقق وجوده الحادث
الموقوف على تعلق القدرة وتاثيرها فيه بخلاف الاستحالة العرضية
فانها تحقق استمرار عدمه الاصلي العتيق عن الفاعل وتعلق قدرته
به والله تعالى اعلم **قوله** وقدرة الله في الاشيا ممكنها يعني
بالاشيا الحقايق الوجودية التي برزت من العدم الى الوجود
ويدل على سبق العدم لها وصفها ولا شك ان كل موجود ممكن فهو
حادث اي مسبوق وجوده بعدم **قوله** بلا علاج يعني ان يكون
ايجاده تعالى لممكن ما ليس بتكلف ومعالجة بواسطة من الة
ونحوها كما قال تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب اذ لو توقف تعلق قدرته تعالى
بشيء من الممكنات على واسطة الة يفعل بها او معين يشاركه
في الفعل للزم توقف سايرالممكنات عليه مثل ذلك لوجوب
استوا الممكنات كلها بالنسبة الى قدرته جل وعز وذلك
يودي الى التسلسل لان تلك الوسايط المقدرة هي من جملة
الممكنات الحادثة اذ لا يجب لوجود الا لذاته العلية وصفاته

تبارك وتعالى فيجب ان يتوقف ايجادها هي ايضا على وسايط اخرى
حادثة ثم كذلك ولهذا تعلم ان اختياره سبحانه وتعالى لايجاده
ممكنا مع ممكن اخر كاختياره جل وعلا ايجاد الشبع مع اكل
الطعام والري مع شرب الماء والاحراق مع مس النار وتفريق
الاجزاء مع مس حد السيف والافعال مع القدرة الحادثة
ونحو ذلك مما لا ينحصر لا يدل شيء من ذلك على ان لتلك الامور
المقارنة تاثيرا فيما اقترنت به لا استقلالا ولا معاونة
بل وجودها وعدمها بالنسبة الى تاثير سبق وايجاده جل
وعلا لممكن مع ممكن يقارنه كايجاده تعالى له منفردا عن مقارنة
ممكن اخر وانما المولى جل وعلا ينصب ما شاء من الامارات المخلوقة
له تعالى على ما يشاء من افعاله واحكامه ويترك ذلك في بعضها
لا يسئل مولانا جل وعلا عما يفعل او يحكم ونحن المسؤولون عما نفعل

قوله ولا ضرب من العلل يعني انه يستحيل ان يبعثه تعالى على
فعل من الافعال غرض من الاغراض يكون علة لذلك الفعل يتوقف
عليه عقلا ولا شك ان التعليل بالاغراض مستحيل في حقه تعالى
مطلقا سواء كان الغرض راجعا اليه تعالى او الى خلقه اما وجه
استحالة الغرض الراجع اليه تعالى فلانه ان كان ذلك الغرض هو
الباعث له على الفعل قديما وجب قدم العالم ولزم كون افعاله
تعالى بالايجاب العقلي وجامذهب للفلاسفة الحدهم الله تعالى
وذلك مما قد فرغنا من ابطاله وان كان ذلك الغرض حادثا
يتصف به عند ايجاد الافعال لزم نقصه تعالى عن ذلك وحاجته
قبل ايجاده افعاله التي حصلت له عرضه ولزم اتصافه تعالى
بالحوادث لتجدد الكمال له تعالى حينيذ بواسطة خلقه وذلك
كله مفض الى حدوثه وتعالى عن ذلك من لا اول لوجوده الغني
باطلاق الذي يفتقر اليه كل ما سواه ولا يفتقر هو الى شيء

تبارك

المختار

تبارك وتعالى واما وجه استحالة التعليل بالغرض الراجع الى خلقه
فهو انه سبحانه وتعالى لا يجب عليه تعالى ابصال غرض الى شيء من مخلوقاته
اذ لا يجب عليه جل وعلا مراعاة صلاح ولا اصلح على ما يأتي برهانه
في محله ان شاء الله تعالى **قوله** ما قال للشيء كن الا وكان على وفق
الارادة يعني ما توجهت قدرته تعالى لوجود ممكن او عدمه اذا
اذا اراد وجوده او عدمه الا كان على وفق مراده من غير كلفة
تلحقه في ذلك ولا مؤونة واشار بهذا الى قوله تعالى انما امره اذا
اراد شيئا ان يقول له كن فيكون معناه انما امره جل وعلا اي
شانه في ايجاد الكاينات وطواعيتها لقدرته من غير علاج ولا
تعب ولا تغير لذاته ولا لصفة من صفاته البتة اذا اراد وجودها
ان تكون في ذلك بمثابة ما لو لم تصدر منه تعالى لها على سبيل
الغرض والتقدير سوى مجرد امرها بان توجد فاجابت بان
وجدت لنفسها على حسب ما اراد منها من بطء او تعجيل وليس المراد
من ذلك ما يظهر من الكلام من صدور امر منه تعالى للكاينات
بلفظ كن اذ اقتضا امر من المعدوم واجابته بامتثال ذلك
في حال العدم مما لا يعقل وانما الكلام خرج مخرج الاستعارة
التمثيلية على حسب ما فسرناه والله تعالى اعلم وبه التوفيق

قد جل سبحانه عن ان يكون له من الاوامر غير ممتثل
لانه خالق الاشيا اجمعها كذاك افعالنا لا فرق في المثل
كذا التولد عن شيء جرى سببا كالرمي بالسهم من تاثير منفصل

يعني بالاوامر هنا اوامر التكوين للكاينات المعبر بها عن تعلق
القدرة والارادة بكونها وحدوثها يعني جل الرب تبارك وتعالى
اي عظم ان تتعلق قدرته واراداته بوجود كاين ما او اعدامه
ثم لا يمتثل ذلك الكاين مراده تعالى فيه اي لا يقبل الاثر الذي
اريد فيه ولهذا قال الله تعالى اذا السماء انشقت واذنت لربها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وحقت اي استمعت لربها وحق لها ذلك الاستماع فعبر عن قبولها
اثار القدرة والارادة بالاستماع على سبيل الاستعارة وانما
قال وحق لها ذلك الاستماع اشارة الى توفر شرايط الفعل ونفى
موانعه اما شرايطه فكون القصد الى فعل وقع من قادر مختار
متصف بصفات الالوهية التي يتوقف وجود الكايبات عليها
اهلا لنفوذ ارادته في جميع الكايبات واما نفي الموانع فهو كون
الفعل في نفسه ينتفي عنه حقيقة الوجوب وجميع اوجه
الاستحالة منتفيا في نفسه بالامكان قابلا لجميع ضروب الجايزات
لا يترجح من ذاته له امر منها بل ليس الا ما يرجحه لها فاطر الارض
والسموات ولا يصح ان يريد المولف بالاوامر هنا الاوامر الطلبية
لما يلزم على ما ذكر من استحالة عدم امتثالها انتفا المعاصي
في الوجود كيف والشرع والمشاهدة شهدا بكثرة العصاة
الذين لم يمتثلوا اوامره جل وعلا التي لم يوفقهم تبارك وتعالى
بمقتضى قهره وعدله لامتثالها وقد عرفت فيما سبق ان امره
تبارك وتعالى لا يستلزم ارادته وان بين الامر والارادة
عموما وخصوصا من وجه والحاصل ان الاوامر التكوينية يلزم
امتثالها اي نفوذها لانها لو لم تنفذ لزم تعجيز القدرة والارادة
والاوامر الطلبية لا يلزم امتثالها اي وجود امتثالها لانها
لما لم يلزم جريانها على وفق الارادة لم يلزم من عدم امتثالها
نقص في القدرة ولا في الارادة ولا في شيء من الذات وسايير
الصفات بل لو لزم امتثالها وهي كثيرا ما تجري على خلاف الارادة
بان يامر سبحانه وتعالى بالفعل ويريد من المامور ضده لزم تعجيز
الارادة وعدم نفوذها **قوله** لانه خالق الاشيا الخ مراده
بالاشيا الحقايق الوجودية الممكنة فيخرج من ذلك الاشيا الواجبة
كذاته جل وعلا وصفاته الازلية وساق المولف حفظه الله تعالى

هذا

هذا دليلا على ما ذكر من لزوم نفوذ اوامره سبحانه وتعالى التكوينية
فان قيل لا دليل في هذا على ما ذكر لان الممكنات لا نهاية لاحادها
والموجود منها من العوالم انما هو بعضها فلا يلزم من نفوذ هذه
الاوامر التكوينية في هذا البعض الموجود منها المراد النفوذ
في جميعها قلت بل فيه الدليل لان نفوذ الاوامر التكوينية
فيما تعلقت به من العوالم الممكنة هو على طريق الوجوب العقلي
لما يترتب على عدم النفوذ من تعجيز القدرة والارادة وذلك
مستحيل عقلا واذا كان النفوذ لها فيما تعلقت به من هذه
العوالم واجبا عقلا لزم اطراده في كل ما تتعلق به من الممكنات
التي لا نهاية لها ان ما كان على طريق الوجوب لا يتخلف **قوله**
كذا كما افعالنا لا فرق في المثل يعني ان افعالنا من حركاتنا
وسكناتنا وقيامنا وقعودنا واضطجاعنا ومشينا وجرينا
ونحو ذلك مما يقع منا ونحن فيه بالاختيار وعدم الجبر كذلك
مخلوق لمولانا جل وعلا بلا واسطة كسايير الحوادث من ذواتنا
والواننا والسموات والارضين ونحوها ونبه بهذا على فساد
مذهب القدرية مجوس هذه الامة فانهم قالوا بعد الله تعالى
رايهم ان القدرة الحادثة للعباد هي الموثرة في افعالهم الاختيارية
على وفق ارادتهم ولا تاثير عندهم اصلا للقدرة الازلية في تلك
الافعال الاختيارية ولا يلزم في رايهم الفاسد جريانها على
وفق ارادته جل وعلا والبرهان على رد هذا المذهب المضمحل
المجوسي هو برهان الوحدانية السابق عني برهان التمانع ووجهه
ان اللازم فيه في تقدير تعدد الالهة ثبوت العجز للاله للزوم
عدم نفوذ ارادته وذلك بعجبه لازم في مذهب القدرية
فانهم جعلوا تعلق قدرة العبد وارادته احادثتين بالفعل
مانعا من تعلق قدرة الله تعالى وارادته الازليتين بذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفعل مع القطع بان ذلك الفعل من جملة الممكنات التي قام البرهان
القطعي على وجوب تعلق قدرة الله تعالى وارادته بوصف العموم
لجميعها فصار اذا هذا الفعل الاختياري الواقع من العبد قد
توجهت نحوه قدرة العبد وارادته وتوجهت نحوه قدرة مولانا
جل وعلا وارادته لما عرفت من وجوب عموم تعلق قدرته تعالى وارادته
لجميع الممكنات فزعم القدرية مجوس هذه الامة ان الذي نفذ واثر
في الفعل والحالة هذه انما هو اضعف القدرتين واضعفهما
الارادتين وهما قدرة العبد الحقير العاجز الجاهل وارادته وهل
هذا القول لشنيع الاقول باثبات الشريك له تعالى ووسم له
تبارك وتعالى بنقيصة العجز وغلبة الغير له واذا كان عجز الاله
في تقدير نفوذ ارادة اله اخر مماثله قادحا في الوهيته وموجبا
لنقصه وعدم ذاته فكيف يكون الحال فيما لزم من عجزه تعالى عن
ذلك على مذهب القدرية بنفوذ قدرة العبد الضعيف الحقير
ولا ينفعهم ما يجيبون به من عدم لزوم عجزه تعالى عن ذلك الفعل
الذي اوجده عبده قالوا لانه تعالى قادر ان يوجد ذلك الفعل
بان يسلب عبده القدرة عليه والارادة له ويلجئه الى الفعل
كما يفعل بالمرتعش ونحوه لانا نقول عجز الاله وكونه مغلوبا على
ايجاد ممكن ما في حال ما يستحيل مطلقا وهذا الجواب منهم اقتضى
انه تعالى لا يتمكن من ايجاد فعل العبد الاختياري الا بعد ان يسلب
قدرة ذلك العبد وارادته المتعلقتين بذلك الفعل اما مع
وجودهما للعبد فانه يلزم على مقتضى جوابهم هذا ان يتعاصى ذلك
الفعل الممكن عليه جل وعلا ولا يتمكن من ايجاده وتغلبه عليه
قدرة العبد وارادته فما اشبه ضلالهم هذا بمن يصف قويا
بغاية القوة بحيث لا يغلبه معها احد ولذلك القوي عبيد
فيقول ذلك الواصف ان ذلك السيد الذي قوته لا غاية لوقفها

لا يغلب

لا يغلب واحدا من اولئك العبيد الا اذا حاول غلبهم بان يسلبهم
اسباب القوة التي هي بيده من الاكل ونحوه حتى لا يكون للعبد قوة
اصلا اما اذا امكن عبيده من الاتصاف بالقوة وان كانت تلك
القوة اضعف بكثير من قوته فانه لا يتمكن حينئذ ان يفعل
فعلا تتوجه اليه قوة واحد من اولئك العبيد وارادته ⁂
وتصير حينئذ قوة ذلك العبد وارادته يغلبان قوة سيده
الموصوف بغاية القوة وارادته ويمنعان من الفعل هذا كشف
عورة ما تخيلة اولئك الضالون من الجواب وابانة ما كمن من
معراته فنعوذ بالله تعالى من الخذلان وان نسلب اسباب الهداية
حتى تلعب بعقولنا التوهمات والشيطان على ان جوابهم ذلك
لا يستقيم لهم على اصلهم الفاسد من وجوب مراعات الصلاح
والاصلح عليه تعالى وانه يستحيل في حقه تعالى عندهم ان يسلب
العبد القدرة التي خلق الله له لعدان كلفه بل يجب عندهم
ان يمده بما يتيسر به عليه الافعال واذا عرفت هذا عرفت ان
الصواب ما قاله اهل السنة رضي الله تعالى عنهم ودل عليه ظواهر
الكتاب والسنة واجمع عليه السلف الصالح قبل ظهور البدع من
ان الله تعالى هو الخالق بالاختيار لكل ممكن بيرز للوجود ذاتا كان
او قولا لها او فعلا او اعتقادا او غيره لا يشاركه تعالى في جميع
الممكنات واختراعها شيء اي شيء كان وان التاثير وايجاد الممكنات
واختراعها خاصة من خواص الرب تبارك وتعالى يستحيل ان يشاركه
تعالى فيها غيره قال جل من قايل انا كل شيء خلقناه بقدر وقال تعالى
والله خلقكم وما تعملون وقال الله تعالى الله خالق كل شيء الى غير
ذلك من الظواهر التي لا تنحصر وفي حديث ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما المشهور في حقيقة الايمان وان تؤمن بالقدر خيره وشره
حلوه ومره واعلم ان من اولع بنقل اللغة والتمهن من المذاهب

ينقل هنا اقوالا لاينسبها لاهل السنة باثبات اثر للقدرة
الحادثة وهى فاسدة لايحل اعتقادها ولا نقلها فى الكتب والمجالس
الا لغرض بيان فسادها والتحذير منها ليلا يغتر بها وقد تعرضنا
فى شرحى عقيدتنا الكبرى والوسطى لنقلها وبيان فسادها وتاويل
ما يمكن تاويله منها على وجه حسن بديع لم نره لغيرنا وبالله تعالى
التوفيق لارب غيره **قوله** كذا التولد عن شئ جرى سببا الخ
يعنى ان الافعال التى توجد مع قدرتنا الحادثة على ضربين احدهما
ما يوجد مع القدرة الحادثة فى محل واحد كحركة اليد اختيارية
مثلا فان محلها ومحل القدرة الحادثة التى تقارنها واحد
وهو اليد الثانى ما لايجتمع مع القدرة الحادثة فى محل واحد
كاندفاع الحجر وحركته فى الهوى وعلى الارض عند حركة اليد
ودفعها له وكذا حركة السهم والرمح والسيف عند الضرب بها
ونحو ذلك مما لاينحصر هو كثير وهذا الضرب الثانى هو المعبر عنه
بالتولد عند المعتزلة ومذهب اهل السنة فى كلا النوعين انهما
واقعان بمحض خلق الله تعالى بلا واسطة وان القوة الحادثة لاتاثير
لها فى اثر ما البتة لامباشرة فيما قارنها فى محلها ولا تولدا فيما
خرج عن محلها بل تعلقها بما تتعلق به من الافعال انما هو تعلق
اقتران فقط لاتعلق تاثير ودليلهم على ذلك من جهة العقل
برهان الوحدانية ومن جهة النقل قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقوله تعالى
الله خالق كل شئ وقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر ونحو ذلك
مما هو كثير ومذهب المعتزلة اذ الله تعالى بهتهم ان العبد هو
المخترع لافعاله الاختيارية بالقدرة الحادثة التى خلق الله تعالى
له اما مباشرة فيما وجد معها فى محل واحد كالقيام والجلوس والمشى
ونحوها واما تولدا اى بواسطة الفعل المباشر لها فيما لم يوجد معها

فى محل

فى محل واحد كاندفاع الحجر والرمى بالسهم والضرب بالسيف
ونحوها ولم يذكروا متولدا فى محل القدرة الحادثة الا العلم
النظرى فانا النظر عندهم يولده فى محل القدرة الحادثة التى خلقت
فى القلب والدماغ فحقيقة التولد على اصل المعتزلة اختراع
حادث بواسطة حادث اخر مقدور بالقدرة الحادثة وهذا
المذهب انما اخذه المعتزلة من مذهب الفلاسفة فى الاسباب
الطبيعية فانهم زعموا ان الطبيعة كالنار ونحوها تؤثر فى
مفعولها ما لم يمنعها مانع فاخذ المعتزلة ذلك ولقبوه تولدا
ولم يجعلوا حكم السبب المولد بمثابة العلة العقلية التى لايمنع
معلولها مع وجودها مانع لجواز ان يمتنع التولد لمانع ثم غيروا
العبارة كى لايظهر ماخذهم فقالوا فى الفعل المتولد هو فعل
فاعل التسبب وهذا اذا حقق لم يكن له حاصل لان الاثر الواحد
يمتنع ان يكون ثابتا لمؤثرين فمن ضرورة تاثير التسبب فيه
امتناع تاثير القدرة الحادثة فيه اذ تاثيرهما معا يقتضى
وجود اثرين والاثر الواحد يستحيل ان يرجع اثرين فقول
القائل العبد يؤثر فى الفعل المتولد بواسطة التسبب يؤول
حاصل القول به الى انه فعل سببه فقط كما ان البارى تعالى
عندهم هو الذى فعل العبد وفعل قدرته على الفعل والداعى
له من شهوة ونحوها ثم العبد بعد ذلك عندهم هو المخترع
لافعاله بما خلق الله تعالى له من القدرة على الافعال وليس فعل
العبد عندهم فعلا لله عز وجل مع ان الله سبحانه وتعالى هو
الذى خلق له اسبابا لفعل من قدرة ونحوها وانما منعوا من
اضافة الافعال لله تعالى هنا وان كان هو الذى خلق اسبابها
واصلهم ان فاعل السبب هو فاعل المسبب لزومهم فى اصلهم الفاسد
قطع نسبة القبائح الواقعة فى افعال العبيد اليه جل وعلا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وذلك لا ينفعهم اذ مذهبهم في التولد يلزمهم ما فروا منه من
نسبة افعالنا مطلقا الى الله عز وجل من حيث انهم وافقوا
على انه جل وعلا هو الفاعل لاسبابها واصلهم الذي بنوا عليه
التولد ان فاعل السبب هو فاعل المسبب واعلم ان لهم
اقوالا في تعيين الافعال المتولدة وفي تعيين اسبابها وفي
وقت تعلق القدرة الحادثة بها وفي انه هل يدخل التولد في
افعاله تعالى ام لا وقد ذكرنا جميع ذلك وذكرنا شبههم في التولد
وردها وبعض مسائل تفرعت عن التولد ظهر فيها عوارهم
وخبطهم في شرح عقيدتنا الكبرى ولنعرض عن ذلك كله هنا
فان جميعه خبط نشا عن اضل فاسد وسوء اعتقاد وشرك معه
تعالى في الافعال وبرهان الوحدانية القطعي الذي مر تقريره
يبطل ذلك كله فلا حاجة الى التطويل مع المبتدعة بعد وضوح
الحق وعدم الضرورة الداعية الى ذلك فانه يشغل البال ويكدر
الاحوال والى تحقيق مذهب اهل السنة في تسوية الافعال الخارجة
عن محل القدرة الحادثة مع الافعال الموجودة معها في محلها
في ان الكل فعل مخلوق لمولانا عز وجل بلا واسطة اشار المولف
رضي الله تعالى عنه بقوله كذا التولد عن شيء جرى سببا وما
الموصولة وقعت على الافعال المذكورة في قوله قبل كذاك افعالنا
وعايدها الضمير الذي هو اسم كان وضميره يعود على التولد
واراد بالتولد الفعل المتولد تعبيرا بالمصدر عن اسم المفعول
وهو كثير او على حذف مضاف اي كذاك ذو التولد وقرينة ذلك
في الوجهين المثال الذي ذكره وهو قوله كالرمي بالسهم وفي رواية
اخرى كذا التولد الخ وهو اوضح لفساد الوزن مع الاولى ومعنى قوله
كذا التولد عما كانت له سببا وقوله من تاثير منفصل يعني عن
محل القدرة الحادثة كاندفاع الحجر مثلا عند دفع اليد فانه تاثير

وقع

وقع في محل منفصل عن محل القدرة الحادثة اذ محل الاندفاع وحركة
انما هو جرم الحجر ومحل القدرة الحادثة انما هو جرم اليد فالاضافة
في كلام المولف بتقدير في وبتقدير موصوف وهو محل ومن في كلامه
لبيان الجنس كانه قال الكالرمي بالسهم الذي هو تاثير وقع في المحل
المنفصل عن محل القدرة الحادثة ويحتمل ان يكون للتبعيض اي هو
كالرمي بالسهم حال كونه بعض جنس التاثير الواقع في المحال المنفصل
عن محل القدرة ولا يخلوا الوجهان من تكلف لكن احوج اليهما انه لم
يظهر في الوقت ما هو اولى بالمعنى منهما والله تعالى اعلم وبه التوفيق
من رام بالعقل تخصيصا لقدرته ، او غيرها صفة قد باء بالزلل
بلا نهاية الا ان يكون لها ، مخصص العقل والشرع اتبع وقل
نبه بهذا الكلام على ما سلكته المعتزلة ابعدهم الله تعالى من
تخصيص بعض صفات الله تعالى المتعلقة ببعض ما يصح ان تتعلق
به فخصصوا تعلق قدرته تعالى بغير افعال المخلوقات الاختيارية
وكذا خصصوا تعلق الارادة بالطاعات وبما هو صلاح او اصلح
للخلق وقد تقدم برهان وجوب العموم في تعلق الصفات المتعلقة
وقول المولف من رام بالعقل يعني بشبهات العقل التي هي فاسدة
فهو على حذف مضاف والا فالتخصيص بالبرهان العقلي واجب قطعا
واليه اشار بقوله الا ان يكون لها مخصص العقل والشرع وذلك
كاخراج العقل المستحيل من متعلقات القدرة والارادة لاطباق
العقل والشرع معا على خروج ذاته جل وعلا وصفاته العلية من
متعلقات القدرة والارادة ايضا لقيام البرهان القطعي على وجوب
القدم والبقا لذاته وصفاته القايمة به جل وعلا فلو تعلقت
القدرة او الارادة بهما لم يخل اما ان يتعلقا بالايجاد او بالاعدام
وكلاهما لا يعقل اما الايجاد فهو تحصيل الحاصل اذ الوجود لهما
واجب ازلا وابدا واما الاعدام فلا يقبلان العدم لا ازلا ولا ابدا

ولهذا يقول الاصوليون في قوله تعالى والله على كل شئ قدير وقوله
الله خالق كل شئ ونحوهما مما معناهما انهما عمومات يجب تخصيصهما
بالعقل بما سوى ذاته وسوى صفاته تعالى القايمة به فاستبان
بهذا ان التخصيص بالعقل الذي ذمه المصنف وجعل صاحبه
يبوء بالزلل انما هو التخصيص بالشبهات العقلية الفاسدة
كما فعلته المعتزلة والتخصيص بالعقل الذي هو جعله في اخر
كلامه صحيحا انما هو التخصيص بالبراهين العقلية القطعية
التي انتهت الى العلوم الضرورية فمن شبهات المعتزلة الواهية
لما اعتقدوه من اخراج افعالنا الاختيارية عن تعلق قدرة مولانا
جل وعلا بها وانها افعال لنا اخترعناها بزعمهم بالقدرة الحادثة
التي خلق الرب جل وعلا فينا قالوا لو لم يكن لقدرة العبد تاثير
في فعله لما صح ان يثاب عليه او يعاقب وبيان لزوم ذلك عندهم
ان الفعل اذا لم يكن اثرا لقدرة العبد الحادثة يصير لا فرق بينه
وبين الوانه بل لا فرق بينه وبين ذاته وسايرذوات العوالم
من سماء وارض وغيرهما بجامع ان الجميع لا اثر له فيه على هذا التقدير
فكما انه لا يثاب ولا يعاقب على وجود الوانه ووجود ذاته
ووجود سايراجزاء العالم واعراضه لكونه لا تاثير له في شئ
من ذلك كذلك يلزم ان لا يثاب ولا يعاقب على شئ من اعماله
لانه ايضا لا تاثير له في شئ منها اصلا على هذا المذهب اجاب
اهل السنة رضي الله تعالى عنهم عن هذه الشبهة بمنع اللزوم
الذي ذكر فيها قولهم في بيان اللزوم ان الفعل اذا لم تؤثر فيه
القدرة الحادثة يصير كاللون وغيره مما لا تاثير للقدرة الحادثة
فيه باجماع قلنا هو كذلك عندنا بلا فرق اصلا قولهم فيلزم
ان لا يثاب عليه ولا يعاقب كما لا يثاب ولا يعاقب على الالوان ونحوها
قلنا لا ملازمة بين انتفاء الثواب والعقاب وبين كون سببهما فعلا

واقعا

واقعا من المكلف كيف وقد علمتم من مذهب خصومكم وهم معشر
اهل السنة ان الله تعالى ان يعاقب البرى ويعطي انعامه للكافر
والمذنب العاصي يفعل ما يشاء والافعال الواقعة على يد العبد
امارات وضعها الشرع بمحض الاختيار على السعادة والشقاوة
ولو وضع غيرها من الالوان والطعوم ونحوها امارات عليهما لكانت
صالحة لذلك عقلا وليس للثواب والعقاب عند اهل الحق علة
عقلية تقتضيهما لذاتها ولا شرفيهما وكلما اطلق عليه في الشرع
انه سبب لهما فانما المراد بالسبب في ذلك الامارة الجعلية
من الشرع على ذلك ووقع التسامح بالتعبير عنها بالسبب لا مشاحة
في الالفاظ اللغوية اذا فهمت المقاصد منها ومن شبهاتهم ايضا
في ذلك ان قالوا لو لم يكن العبد مخترعا لافعاله بما خلق الله تعالى
له من القدرة عليها لما صح ان يمدح او يذم لا شرعا ولا عرفا على فعل
من الافعال كيف ومدح المطيع وذم العاصي شرعا وعرفا مما لا
نزاع فيه بين المسلمين قالوا وبيان اللزوم لما ذكرناه ما تقرر
في العرف من بطلان مدح الانسان وذمه بما يفعله غيره فاذا
كانت الافعال انما صدرت من الله تعالى فقط بلا واسطة كما
تقولون صار مدح الانسان وذمه انما هو على فعل الله جل وعز
وصار مدحه في المعنى كمدحه على ما خلق الله جل وعز في السموات
من المحاسن اجاب اهل الحق رضي الله تعالى عنهم على نهج ما سبق بانه
لا ملازمة عقلا بين المدح والذم وبين كون سببهما مخترعا
للممدوح او المذموم والاعتماد في الاحكام العقلية اليقينية
سيما بالنسبة اليه جل وعلا على مجرد عرف اصطلاحي لا ينضبط
امره من ادل دليل على تناهي القوم في الغباوة وكون الاوهام
تملكت عقولهم ولم تتركها ان تنفذ لمراشدها على انا لو سلمنا لهم
على سبيل التنزل الاعتماد في هذه المسالة على العرف لما اقتضى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان سبب المدح والذم لابد وان يكون فعلا للممدوح او المذموم
كيف وقد تقرر في العرف لمدح بالجمال وحسن الخلق ونحو ذلك
مما لا تاثير للممدوح ولا كسب له فيه اصلا باجماع بيننا وبينكم
كما تقرر في العرف الذم باضداده وتقرر ايضا في العرف مدح
الجمادات وذمها وكثر نظم الاشعار والشجع فيها كالثياب والابنية
ونحوها واذا كان معنى المدح لغة وعرفا انما هو الثناء على الشئ
بما فعل او اتصف به وان لم يفعله من المحاسن حالا ومآلا والذم
ضد ذلك حسن لذلك لغة وعرفا مدح من خلق الله سبحانه وتعالى
لهم بمحض فضله واحسانه امارات تدل شرعا على اتصافهم بالكمالات
الاخروية والمحاسن الجسمانية والروحانية التي هي ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يحسن ذم من اتصف شرعا
باضدادها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وايضا فالعبد
لما كان مجبورا في قالب مختار لم يقبح عرفا تكليفه ولا اثابته وعقوبته
ولا مدحه وذمه كما لا يقبح ذلك عقلا ولا شرعا ووجه كونه مجبورا
في قالب مختار انه سبحانه لما اجرى عادته بامداد العبد بلا زوال
والقدرة والمقدور على التوالي بحيث يحسن ملايمة الفعل الارادة
وقدرته ولا يحسن انه اكره او الجئ اليه كما يحسن ذلك المرتعش والمدفوع
ونحوه من المسحوب على وجهه وشبهه ومهما صمم العبد عزمه على فعل
امده سبحانه بخلقه وخلق القدرة عليه طاعة كان ذلك الفعل
او معصية كما قال تعالى من يريد العاجلة الاية وقال تعالى ومن
اراد الاخرة الاية ثم قال جل من قائل اثرهما كلا نمد هؤلاء وهؤلاء
من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا فرتب سبحانه الامداد
على الارادة منهم اذا شاء وذلك الامداد في النوعين هو المعبر عنه
بالتوفيق والخذلان فصار العبد بحسب الظاهر كانه هو الموجد
لفعله بالقدرة والارادة اللتين خلقهما الله تعالى له حتى

ان الوهم

ان الوهم والخيال قبل النظر السديد لا يشكان في ذلك ولذلك
ضل بهما في هذه المسالة كثير من الخلق ولولا ان الله سبحانه ايد
عقول اهل السنة خرقوا حجب التوهمات المضلة ولم يقفوا مع
ظواهر العادات المردية وبرزوا الى شموس المعارف المنجية فادركوا
بها الامر كيف هو بحسب الحق وما في نفس الامر لكانوا كغيرهم ممن
ضل واشرك مع مولاه تبارك وتعالى واذا كان العبد بزنه بحسب
الظاهر كانه موجد لافعاله لما يجد فيها من اليسر والملايمة لعزمه
وبهذا المعنى فسر بعضهم معنى الكسب الذي اثبته اهل الحق للعبد
المختار كان اطلاق الفاعلية عليه وتكليفه ومدحه وذمه وتعليق
الثواب والعقاب له على افعاله حسنا لغة وعرفا وعقلا وشرعا
وقد جاء القران والسنة بملاحظة الافعال تارة بخواد خلوا الجنة
بما كنتم تعملون ونحوه وتارة بلغوها كقوله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل احد الجنة بعمله ولعله لملاحظة الامرين اعني الجبر بحسب
ما في نفس الامر والاختيار بحسب الظاهر وعرف التخاطب ويحتمل
ان يكون ذلك الاختلاف لملاحظة كونها امارات شرعية تارة
فاعتبرت لذلك كاعتبار الاسباب الموثرة وملاحظة كونها لا
تاثير لها في شئ مما رتب عليها ولا دلالة لها عليه عقلا تارة فالغيت
لذلك في بعض الاحيان واعلم ان لاهل السنة رضي الله تعالى عنهم
على المعتزلة الزامات كثيرة يطول تتبعها وفيما ذكرنا من ذلك كفاية
والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب غيره

للعبد كسب اختيار منه صار به مكلفا ليس عن كسب بمنعزل
قالوا التحرك لم يوجد لمرتعش بالاختيار ولكن بالبلا بلى
والا ليوا للبسط لكن لا يليق هنا تكفي الاشارة راجع كتبهم تنل

اعلم ان الكسب الذي اثبته اهل السنة للعبد المختار ونطق به
القران في قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت هو عبارة

عن تعلق القدرة الحادثة بالفعل في محلها من غير تاثير فقولنا
تعلق كالجنس في التعريف وقولنا القدرة الحادثة يخرج تعلق
القدرة القديمة بالكاينات فلا يسمى كسبا بل نسمى خلقا واختراعا
وايجادا ونحو ذلك وقولنا بالفعل في محلها ليخرج ما اجرى الله لها
العادة بايجاده من الافعال المصاحبة للقدرة الحادثة لكن في غير
محلها كاندفاع الحجر والسهم ونحوهما فلا نسمي تلك الافعال الخارجة
عن محل القدرة مكتسبة للعبد في اصطلاحهم وان كان قد يطلق
ذلك عليها بحسب اللغة والعرف وقولنا من غير تاثير تنبيه على بطلان
مذهب المعتزلة القايلين بتاثير القدرة الحادثة في الافعال الموجودة
معها اما مباشرة او تولدا وذلك معنى الكسب عندهم وهذا الكسب
الذي قال به اهل السنة رضي الله تعالى عنهم هو درجة وسطى بين
مذهبي الجبرية والقدرية وكثيرا ما يتوهم من لا علم عنده ان معنى الكسب
كون القدرة الحادثة لها تاثيرما وهو تفسير فاسد متفرع على مذهب
القدرية مجوس هذه الامة فان هذا التاثير الذي يفسر به الجاهل
معنى الكسب ان اراد به القدرة الحادثة توثر في هذا الفعل حالا او
وجها واعتبارا كما يحكيه بعضهم عن القاضي والاستاذ فلا خفا في فساد
ذلك القول وانكار نسبته لهذين الامامين على الوجه الذي يفهمه
ذلك الجاهل وقد قال الشريف شارح الاسرار العقلية ما نسب
للقاضي والاستاذ في هذه المسالة انما صدر منهما على وجه المناظرة
والالزام للخصوم والافحاش القاضي والاستاذ ان يعتقدا اثرا لغير
القدرة القديمة كيف وقد نقل القاضي الاجماع في مواضع من كتبه
على كفر من نسب لاختراع لغير الله تعالى ونقل ايضا اجماع الامة على كفر
من لم يقل بعموم صفات الباري جل وعلا وان اراد ذلك الجاهل بالتاثير
ان القدرة الحادثة توثر في المقدور لكن بمشيئة الله تعالى
لا على الاستقلال كما يحكى عن امام الحرمين في اخر امره فهو قول فاسد

ايضا

ايضا لا يجري على مذهب اهل الحق وانما يجري على مذهب الفلاسفة
ونحوهم ممن اشرك بالله تعالى والظن بالامام رضي الله تعالى عنه انه
لا يرضى بمثل هذا القول وانما هو مكذوب عليه وعلى تقدير ان يكون
صدر منه فالظن به انه لم يرد به ما ظهر منه وقد اشار التفتازاني
الى انكار نسبة هذا القول للامام وانه لم يوجد في شي مما ظهر من كتبه
وانما يوجد فيها ضد ذلك وكيف يصح عنه هذا القول وهو يحكي
في ارشاده اجماع السلف على نسبة جميع الكاينات الى الله تعالى
جملة وتفصيلا بلا واسطة ولا تاثير لكل ما سواه في اثر ما عموما وقد
اكثر فيه من الادلة لتصحيح المذهب الحق وهو مذهب الشيخ الاشعري
وبالغ في النكير والتضليل لمن يعتقد ان للقدرة الحادثة تاثيرا
ما وافول لقد ابتلينا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
باقوال باطلة قادحة في اصل الايمان لا وجه لها ولا صحة اصلا
ثم تنسب مع ذلك لبعض ايمة اهل السنة رضي الله تعالى عنهم
والله تعالى اعلم هل صدرت منهم ام لا والغالب على الظن انها
لم تصدر منهم اصلا وعلى تقدير صدورها منهم فالله تعالى يعلم
مرادهم منها والظن القريب من القطع في حقهم انهم لا يريدون ما
يظهر منها البتة والله سبحانه حسبنا ان ينقل مثل هذه الاقوال
الفاسدة في مجلس او تاليف على وجه يتزاحى في بيان فسادها
اود فعها عن ما لا ليق به ان امكنه ذلك وان اراد ذلك الجاهل
بالتفسير الذي فسر به معنى الكسب ان القدرة الحادثة خلقها
الله تعالى للعبد وملكه ان يفعل بها الافعال كيف شا على سبيل
الاستقلال فهذا عين مذهب القدرية مجوس هذه الامة فقول
المؤلف للعبد كسب اختيار هذه جملة محكية بالقول المذكور في
اخر البيت الذي قبل هذا ومثل هذا يسمى عند العروضيين التضمين
وقدم المجرور في هذه الجملة لافادة الحصر اي للعبد وحده الكسب

دون الرب جل وعلا فان له هو الايجاد والاختراع فيستحيل عليه
جل وعلا الاتصاف بالكسب والاكتساب لايذانهما بقيام الافعال
المكتسبة بالفاعل وذلك مستحيل في حقه تعالى لاستحالة اتصافه
جل وعلا بالحوادث **قوله** صار به مكلفا يعني صار العبد بهذا
الكسب الذي احس معه يسر الفعل وملايمته لغرضه وان لم يكن
للعبد تاثير ولا اثر ما البتة مطلقا بالتكاليف الشرعية وهذا
بحسب ما اختاره سبحانه وتعالى فانه جل وعلا قد تفضل بمحض كرمه
ان اسقط التكليف بالافعال التي لم تقتضها القدرة الحادثة
كحركة الارتعاش مثلا واثبته جل وعلا بمحض اختياره في الافعال
التي تقتضيها القدرة الحادثة وتتعلق بها وان لم يكن لها تاثير فيها
البتة ولو عكس سبحانه في ذلك التكليف وكلف بالجميع لحسن
ذلك عقلا وشرعا ان قد عرفت ان القدرة الحادثة لا اثر لها
في شئ من الافعال اصلا وانما تلك الافعال المخلوقة لله تعالى
على وجه مخصوص نصبها الشرع بمحض الاختيار عند اقترانها
باعراض اخر حادثة كالقدرة الحادثة والارادة امارات على
الثواب والعقاب فبالوجه الذي صح عقلا وشرعا جعل بعض افعاله
سبحانه وتعالى عند اقترانه بفعل له اخر امارة على ما شاء من ثواب
او عقاب او غيرهما يصح عقلا وشرعا جعله مجردا عن غيره او جعل
غيره في مكانه امارة على ذلك لان الدلالات للافعال على ذلك
ليست بذواتها بل بحسب جعل الشرع فقط **قوله** قالوا الخ
لم يوجد لم ترتعش اخ هذا الكلام قصد به الاستدلال على وجود
القدرة الحادثة مع الافعال الاختيارية وان كانت لا تؤثر فيها
اصلا ردا على الجبرية القايلين بنفيها وان الموجود المقدور
فقط والتقرير الدليل على ذلك انا نفرض حركتين متحدتين
في الجهة والحيز الا ان احداهما ضرورية كالارتعاش والاخرى

مكتسبة

مكتسبة فلا شك انا نجد تفرقة ضرورية بين هاتين الحركتين هـ
ويبطل رجوع التفرقة الى نفس الحركتين لتماثلهما والى ذات المتحرك
لان معقولها قد يكون على الحالين واحد فتعين ان ترجع التفرقة
الى صفة زايدة في المتحرك ثم يبطل رجوعها الى حال لان الحال
لا نظر ايجردها على الجزم اذ الحال لا يصح ان تعقل على حيالها والا
لزم الحال لا نظرا حال اخرى تقوم بها ثم كذلك ولزم
التسلسل ويبطل رجوع التفرقة الى صحة البنية لانها غير معقوله
في حال حركة الاضطرار وهي حال كون غيره محركا يد مع وجدان
التفرقة فتعين ان تكون تلك الصفة عرضا ثم لا يخلوا اما
ان تكون مما يشترط في ثبوته الحياة اولا والثاني باطل لانه
لا تعلق له بالحركة كالالوان والطعوم والروايح ولانه مشترك
بين الحركتين والمشترك بين شيئين لا يفرق بينهما فتعين
الاول وهو ما يشترط في ثبوته الحياة ثم يبطل كونه علما او حيا
او كلاما لوجود كل واحد من هذه مع ثبوت الحركتين ونفيهما هـ
ويبطل كونه ارادة لوجود التفرقة بين الحركتين حال
الذهول فتعين ان يكون عرضا له نسبة وتعلق ما بالحركة
وهو الذي سميناه قدرة وان اختلفنا نحن والمعتزلة في الهها
من الصفات المؤثرة ام لا مع الاتفاق على انها من الصفات المتعلقة
فحصل من هذا كله ان الحق ما صار اليه امثل السنة رضي الله
تعالى عنهم من اثبات قدرة حادثة للعبد تتعلق بالفعل في محلها
من غير تاثير فبطل مذهب الجبرية النافين لهذه القدرة الحادثة
لجحودهم الضرورة ومصادمتهم الشريعة ومن هذا كان مذهبهم
بدعة اذ لو لم يكن في مذهبهم الا ثبوت جهل يامر يدرك ضرورة
من غير مصادمة للشريعة لكان امره سهلا اذ غاية ما يلزم فيه
حينيذ التناهي في الغباوة وضعف العقل فكيف والمذهب مصادم

شبكة الألوكة www.alukah.net

للشريعة لانها قد جات باسقاط التكليف بالافعال التي لا يتمكن
العبد فيها عادة من فعلها وتركها وجات بالتكليف بما يتيسر منها
على العبد عادة فعله وتركه ولما بطل ان يثبت اثرما لغير المولى جل
وعلا لم يبق فرق بين ما كلف به الشرع وما لم يكلف به الا هم
الاكتساب على الوجه الذي مر في تفسيره وعدمه ولو اسقوت
الافعال كلها كما يقول اهل الجبر لبطل تفريق الشرع بينها وبطل
ما احال عليه التكليف منها وهو الفعل الذي في وسع المكلف و
غيره وكانت الافعال حينيذ لا شيء منها في وسع المكلف عادة فلا
تكليف اذن بشيء منها لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
وهذا ابطال للكتاب والسنة واجماع الامة وكما بطل مذهب
الجبرية بطل مذهب القدرية مجوس هذه الامة القايلين بتاثير
هذه القدرة الحادثة في الافعال اما مباشرة او توليدا لما
في هذا القول من تعجيز قدرة الله تعالى وتخصيصها ببعض
الممكنات واثبات الشريك معه في ملكه فقد خرج مذهب اهل
السنة والحمد لله من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين

قوله والاليق البسط يعني لانها مسالة مهمة هلك بحسن
الاعتقاد فيها وسدادا لنظر فيها اكثر هذه الامة المشرفة فكيف
بغيرهم وقد بسطنا نحن من ذلك على اختصار ما يحصل به حسن
الاعتقاد ويتضح به اليقين ان شا الله تعالى وبالله تعالى التوفيق

والاستطاعة للمقدور تصحبه، وذا خلاف لما قدقال معتزل

يعني بالاستطاعة الاقتدار الكسبي على الافعال ومعنى مصاحبة
هذه الاستطاعة للفعل المقدور ان القدرة الحادثة انما يخلقها
الله تعالى عند خلقه لمقدورها لا قبل ذلك وما ذكر من وجوب
المصاحبة لذلك هو الذي عليه امام الحرمين ونص عليه كثير من ائمة
السنة وهذا الحكم ليس ثابتا لها من حيث كونها قدرة بل من حيث

الها

انها عرض ومن احكام العرض انعدامه عقيب وجوده واذا ثبت استحالة
بقايها لزم من ذلك استحالة تقدمها فلو تقدمت لعدمت حال
وجود المقدور فيكون مقدورا بقدرة معدومة وذلك محال
وتقدير ذلك اذا عدمت القدرة جاز وجود ضدها وهو العجز
فيلزم كون الفعل مقدورا حال وجود العجز والعجز يستدعي مجوزا
عنه فيقع الفعل في حال وقوعه مقدورا عليه مجوزا عنه وذلك
محال قال المقترح وهذا عندي فيه نظر من حيث ان امتناع التقدم
اذا لم يكن ماخوذا الا من حيث استحالة بقايها فالقدرة في التحقيق
ليست علة لوجود الفعل المقدورة ولا موثرة فيه فاذا لم يكن
من حكمها وجود المقدور فيجوز وجودها قبل وقوع المقدور وتعدم
ويوجد مثلها فالمقارنة متعلقة والسابقة متعلقة ويصح
ان يقال كانت تلك القدرة متعلقة به قبل عدمها ثم انتفت
فانتفى تعلقها ووجد مثلها وهذا كما لو علم انسان وجود زيد غدا
وقت طلوع الفجر مثلا بانباء صادق ثم قدرنا تجدد علمه بوجوده
في الوقت المعلوم الى حالة وجود المعلوم في الوقت الذي اخبر عنه
فان المقارن متعلق بالوجود والسابق متعلق بالوجود في الزمن
المخصوص فالمعلوم متعلق لهما واحدهما متقدم والاخر متاخر ولو
قدر وجود ضد العلم من ذهول او غفلة او جهل او شك حال وجود
المعلوم لكان مجهولا بما قارنه وقد كان متعلقا لما سبق من العلم
فان نظر الى انه غير متعلق للعلم السابق في حال الوجود فكذلك
المقدور ليس متعلقا للقدرة السابقة حال الوجود ولا يمنع هذا
تقدم وجودها لا سيما على قول من يرى انها لا توثر وانما تتعلق
بالمقدور تعلقا لا على وجه التاثير كما تقول في تعلق العلم بالمعلوم
فاي شي يمنع من تعلق القدرة حتى ان الانسان يحس من نفسه تفرقة
قبل الفعل بين يديه في حال رعشته بين يديه في حال سلامته

شبكة الألوكة www.alukah.net

وما ذاك الا لانه وجد قبل الفعل صفة متعلقة به واذا صح ان اللون
يتجدد امثاله فالقدرة ايضا تتجدد امثالها الى ما لا نهاية له وجود المقدور
فتاملوا ذلك يرحمكم الله تعالى انتهى قلت وما ذكره المقترح ظاهر
فينبغي التعويل عليه والله تعالى اعلم **قوله** وذا خلاف لما قد قال
معتزل يعني ان المعتزلة لما اعتقدوا ان القدرة الحادثة هي المؤثرة
في وجود الفعل على سبيل الاستقلال والاختيار قالوا لاجل ذلك
لابد من تقدمها على الفعل لوجوب تقدم الصفة المؤثرة بالاختيار
على اثرها ولان المؤثر بالاختيار لابد ان يتاتى منه فعل الشيء وضده
ومن لازم ذلك بقاء قدرته ليتمكن بها من فعل الضدين وكل
ذلك هوس نشا عن اصل فاسد سبق اجتثاثه من اصله كما ان
لهم هنا فروعا من الهذيان لا ينبغي لنا التشاغل بها وقد هدم
اساسها لما فيها من تضييع الزمان بلا كثير فايدة وبالله التوفيق

فصل في الكلام

ثم الكلام له وصف يقوم به، كما يليق به التنزيه لشأنه تعالى
اطالة ستما في مثل مسالة، يحتاج مثبتها للبحث والجدل
من اجل ذا قال اهل الحق قاطبة، ان القران كلام الله للرسل
وانه غير مخلوق له قدم، لانه صفة لله في الازل
اما الحروف فكالاصوات محدثة، لوحلها قدم دامت ولم تحل
فليس فيها سوى معنى دلالتها، على الكلام الذي قد جل عن مثل
لا شك ان من صفات المعاني الواجبة لمولانا جل وعلا الكلام ودليلهم
كدليل السمع والبصر وهو العقل والنقل اما العقل فلان كل حي
فهو قابل للكلام وضده ومهما لم يتصف بالكلام وجبان يتصف
بضده لكن ضده افة ونقيصة ومولانا جل وعز منزه عن الافات
والنقايص فوجب اذن ان يتصف بالكلام واما النقل وهو اقوى
الدليلين في هذه المسالة فقال الامام الفخر اجمع الانبياء

والرسل

والرسل على كونه تعالى متكلما قال ابن التلمساني وقد اجمع المسلمون
ايضا على ذلك على الجملة وان اختلفوا في تفسير الكلام فان قيل
يرد على اثبات كونه تعالى متكلما بطريق السمع ان يقال ان قول الرسول
لا يدل ما لم يثبت صدقه ولا يثبت صدقه الا بالمعجزة والمعجزة لا
تثبت ما لم يثبت كون الباري تعالى متكلما فان دلالة المعجزة تتنزل
منزلة قول الله تعالى لمدعي الرسالة صدقت اوانت رسولي فما لم يثبت
الكلام الصدق لله تعالى لا يكون مصدقا لرسله فلو اثبتنا الكلام
لله تعالى بالسمع لدار قالجواب قال ابن التلمساني انه سؤال قوي
وجوابه ان من ادعى انه رسول الملك بمرأى من الملك ومسمع وقال
اية صدقي ان يغير الملك عادته المالوفة ويفعل كذا ثم قال
ايها الملك ان كنت صادقا في دعواي فافعل لي كذا ففعل ذلك
على الوجه الذي التمسه فيعلم جميع الحاضرين انه رسوله وانه صادق
وان كان فيهم من ينفي الكلام النفسي ويكتفي في العلم بتصديقه اياه
ايجاده للفعل الدال على ارادة تصديقه كما يدل التخصيص في الافعال
على ارادة وقوعها على ذلك الوجه وقولهم ان المعجزة تتنزل منزلة
التصديق بالقول مسلم ولكن تتنزل منزلة المواضعة على قول يدل
على ارادة ذلك كما تدل بعض الاشارة على ذلك والكلام المستند
على ثبوته لله تعالى بالسمع في دعوى الاشعرية هو القول النفسي
والنزاع فيه لا في العبارات الحادثة المتواضع عليها والافعال كثيرا
ما تدل على الارادة وان لم توضع لذلك نظرا الى العادة والمعجزة
كذلك **وقد** احتج الاستاذ ابو اسحاق على انه تعالى متكلم
بانه سبحانه ملك ولا يتم الملك الا بامر ونهي وجواز تردد الخلايق
بين امر مطاع ونهي يتبع فلو لم يتصف بالكلام لاستحال ما علم جوازه
واحتج الاستاذ ايضا على اثبات الخبر لله تعالى بان كل عالم يجد في نفسه
حديثا مطابقا لمعلومه بالضرورة ولا معنى لكلام النفس الا ذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم اذا عرفت ثبوت صفة الكلام لله تعالى وجب ان تعرف ان
معنى هذه الصفة في حقه تعالى ليس كمعناها في حق الحوادث
فان الكلام الذى يتصف به الحوادث هو على ضربين لفظى
ونفسى فاللفظى مركب من الحروف والاصوات ويلزمه التقدم
والتاخر والتجدد والسكوت ونحو ذلك من التغيرات واما
النفسى الذي يتصف به الحادث فهو وان لم يكن مركبا من الحروف
والاصوات الا انه يعرض له من التغيرات ما يعرض للفظى
من التقدم والتاخر والتجدد والانقطاع ونحو ذلك وكل ذلك
يشهد بحدوث النوعين من الكلام وقد عرفت استحالة اتصافه
تعالى بالحوادث فوجب اذن ان يكون كلامه جل وعلا مباينا للنوعين
اذ لو ماثل واحدا منهما لوجب له من الحدوث ما وجب له فاذن كلامه
جل وعلا الواجب له هو صفة قديمة معبر عنها بالعبارات
المختلفات مباينة في نفسه لجنس الحروف والاصوات منزه
عن التقديم والتاخير والتجدد والسكون واللحن والاعراب
وسائر التغيرات متعلق بما تعلق به العلم من المتعلقات
واعلم ان اثبات صفة الكلام لله تعالى على هذا الوجه الذي
ذكرناه لم يقل به الا اهل الحق رضى الله تعالى عنهم وخالفهم
في ذلك جميع الفرق اذ لهم الله تعالى اما الحشوية ابعدهم الله
تعالى فانهم قالوا كلام الباري تعالى القايم بذاته حروفا واصواتا
ومع كونه حروفا واصواتا فهو قديم ازلى وهولاء اصحاب غاية
في الضلالة والتورط في بحبوحة الجهالة فان من سواهم من
اهل البدع ربما تعن له شبهة مخيلة لا تهدم من اول مرة
الضروريات واما هولاء فلم يراعوا ضرورات العقول ولا وقفوا
من اول مرة عند شئ منها نعوذ بالله تعالى من الخذلان واعتقاد
هولاء السفلة ان الباري تعالى جسم مستو على العرش بالمماسة

والاستقرار

والاستقرار ثم ينتقل كل ليلة جمعة عند ما يبقى ثلث الليل
وينزل عن مكانه الى السماء الدنيا يعود عند الفجر الى مكانه وهم على
صنفين صنف منهم قالوا بتحيزه وتصويره وتشكيله على
شكل الانسان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهولا
الخبثا مساوون لليهود في هذا الاعتقاد الرذل وصنف اخر
منهم قالوا بتحيزه من غير شكل ولا جارحة ثم اتفق الصنفان على
ان كلامه سبحانه وتعالى قديم ومع ذلك حروف واصوات
متقطعة يتكلم بما شاء منها باللسان العربي والعجمي وضروب
الالسنة الموضوعة لاهل الارض الا ان الصنف الاول قالوا
انه يتكلم بالحروف على مخارجها وجملتها قديمة والصنف الثانى
قالوا انه ينطق بالباء والميم وسائر حروف التهجى لا على مخارج
الحروف واتفق الفريقان على قدم الكلام مع هذا وانه ينظمه
كيف يشاء وعلى اي لغة يشاء ثم هو عندهم يتكلم اذا يشاء
ويسكت اذا يشاء فاذا سكت لم ينعدم كلامه ولكنه سكت
وانكنه تعالى الله عن قولهم ويا عجبا لهم كيف جعلوا القديم
يتصرف فيه بالمشيئة وينجدد وينقطع وينقدم بعضه على
بعض وكيف تصدر هذه المقالة المفتضحة ببداية العقول
من العاقل المميز لولا ان حكم الله تعالى لا يغالب نسأله سبحانه
السلامة بفضله في الدنيا والاخرة بجاه سيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى اله ومن اراد تتبع كثير من فضايحهم
ليشكر الله تعالى على السلامة ويلجا اليه في الحفظ والمعونة الى
الممات فلينظر ذلك في شرح عقيدتنا الكبرى واما المعتزلة
فاعتقادهم ايضا ان كلام الله تعالى حروف واصوات كما
اعتقده الحشوية غير ان المعتزلة لم يقولوا بقيام تلك الحروف
والاصوات بذاته سبحانه وتعالى لما تفطنوا لحدوثها وتنزهوا

الذات العلية عن الجرمية ولوازمها وادركوا ان قيام الحوادث
بذاته جل وعلا مستحيل ومعنى كونه متكلما عند المعتزلة انه خالق
للكلام والذى اوجب للجميع مخالفة اهل الحق عدم تعقلهم ثبوت
كلام ليس بحرف ولا صوت واحتج اهل الحق على اثبات ما انكروه
شاهد ليعرف بذلك بطلان حصر اهل الاهوا الكلام فى الحروف
والاصوات بان الامر والناهى منا يجد حالة امره ونهيه من نفسه
طلبا جازما بالضرورة ويدل عليه بالعبارات المختلفة وما يعرض
له الاختلاف مغاير لما لا يعرض له ولان العبارات بالجعل والمواضعة
والتوقيف ومعانى النفس حقيقة عقلية لا بالجعل والتوقيف
وزعمت المعتزلة ان ما يجده الطالب فى نفسه يرجع الى ارادة
الامتثال ويردون الخبر الى العلم بنظم الصيغة فالحاصل
الاتفاق على وجدان اصل المعنى فى النفس وانما النزاع فى تمييزه
عن الارادة والعلم واحتج الاصحاب على مغايرته للارادة
بوجود الامر بدونها وبينوه باوجه الاول ان الله تعالى امر
الكفار بالايمان والعصاة بالطاعات ولم يرد وقوع ذلك
منهم اذ لو اراد ذلك لوقع والا لزم النقض بنفوذ مشيئة العبد
والشيطان دون مشيئة الله تعالى وقد اتفق السلف قبل
ظهور البدع على ان ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وقال جل
من قايل وما تشاون الا ان يشا الله الثانى ان الامر يتعلق
بفعل الغير والارادة الحقيقية التى ليست بمعنى الشهوة والمحبة
لا تتعلق الا بفعل المريد الثالث ان من حلف ليقضين غريمه
غدا ان شا الله تعالى فتمكن من قضايه ولم يقضه لم يحنث
مع ان الله تعالى امره بالقضا فلو تضمن الامر الارادة لكان قد
شا الله تعالى قضاه فكان يجب ان يحنث ولا ينفعه استثناوه
كيف وهو لا يحنث باجماع واما رد الخبر الى العلم بنظم الصيغة

فباطل

فباطل ايضا لان نظم الصيغة يختلف باختلاف الصيغ الدالة على
المعنى والخبر النفسى لا يختلف ولان الصيغة الواحدة قد تستعمل
فى الخبر والطلب معا والعلم بنظمها لا يختلف وما فى النفس يختلف
واذا ثبت بهذا ان للكلام قولا نفسيا ليس بحرف ولا صوت فتسميته
كلاما ماخوذ من موارد اللغة والشاهد لاطلاق الكلام عليه
كثير ثم هل هو حقيقة ام مجاز الذى استقر عليه راى الشيخ ابى الحسن
الاشعرى رضى الله تعالى عنه انه مشترك بين اللسانى والنفسى
واذا عرفت مذهب اهل الحق فى كلام الله تعالى عرفت ان اطلاق
السلف على كلام الله تعالى انه محفوظ فى الصدور مقروء بالالسنة
مكتوب فى المصاحف وكذا اطلاقهم على هذه الاشيا انها كلام الله
تعالى لا يحمل ذلك على الحلول الذى تبين استحالته لكل عاقل بل
لما كانت هذه الاشيا دالة على كلامه جل وعز اطلق عليها كلامه
من باب اطلاق اسم المدلول على الدال وعكسه وكذا يطلق على
كلامه تعالى انه موجود فى هذه الاشيا بمعنى انه موجود فيها فهما
وعلما لا حلولا ولهذا تعرف ان التلاوة غير المتلو والقراءة غير
المقروء والكتابة غير المكتوب كما ان الذكر ليس هو المذكور
ولان الاول من كل قسمين من هذه الاقسام حادث اذ هو صفة
الحادث والثانى منهما قديم اذ هو صفة القديم وهو كلام الله
تعالى الذى هو صفة ذاته العلية ولهذا كانت التلاوة والكتابة
والقراءة متناهية والمقروء والمكتوب لا نهاية له وبالجملة
فالاطلاقات اللفظية تابعة للنقل لا من حيث اطلاقها ومعانيها
تابعة للعقل من حيث الحمل عليها فلا بد من فهمها على ما يصح
ولا يهدم قاعدة عقلية ولا شرعية ولا يصح ان نجعل الاطلاقات
اللفظية هى المتبوعة مطلقا حتى يرفض لظواهرها القواطع
العقلية والا لزم كل ضلال وكفر ولا شك ان الالفاظ ووجود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بحسب الحقيقة والمجازات المرسلة والاستعارات المنوعة
والكنايات القريبة والبعيدة متكاثرة جدا لا تنضبط الا بطول
ممارستها والارتياض لها مع اتقان القوانين العقلية ولهذا
قيل الجهل بالسان والقواعد العقلية اصل من اصول الكفر واذا
حققت ما تقدم في معنى كلام الله تعالى عرفت ايضا انه ليس معنى
كلم الله موسى تكليما انه جل وعلا ابتدا الكلام مع موسى عليه السلام
بعد ان كان ساكتا ولا انه بعد ما كلمه جل وعلا انقطع كلامه وسكت
تعالى عن ذلك وتقدس عن الاتصاف بالحوادث علوا كبيرا وانما
المعنى في ذلك انه تعالى بفضله ازال الموانع عن موسى عليه الصلاة
والسلام وخلق له سمعا وقواه حتى ادرك كلامه القديم الذي
ينزه عن الحرف والصوت والتجدد والتبعيض والتقديم والتاخير
والسكوت والتكرير ثم منعه تعالى بعد وروده الى ما كان قبل
سماع كلامه من الحجب عن ادراكه وهذا معنى كلامه ايضا لاهل
الجنة واما تاويل المعتزلة كلام الله تعالى لموسى بخلق حروف
واصوات في الشجرة يسمع منها ما اراده تعالى ان يوصله اليه
فبناء على مذهبهم الفاسد من انكار الكلام القديم القايم بذاته
تعالى وقد سبق رد ذلك عليهم وايضا فالذي دل عليه قوله تعالى
اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي واختصاصه عليه
الصلاة والسلام بالتسمية بكليم الله تعالى خص في الدنيا
دون غيره بسماع كلام الله تعالى القديم القايم بذاته الذي
لا مثل له وهذا هو الذي نقل عن السلف ودرج عليه الخلف
ولو كان اصطفاوه لمجرد سماعه كلاما حادثا خلقه الله تعالى
في جسم من الاجسام لكان كل من سمع كلاما من مخلوق قد شاركه
في ذلك لان الذوات الحادثة وصفاتها مخلوقة لله تعالى بلا
واسطة فان اجاب المعتزلة بان وجه الخصوصية ان موسى عليه

الصلاة

الصلاة والسلام قد خص بخلق الكلام فيما لا يعتاد منه الكلام
قيل لهم وهذا ايضا لا خصوصية فيه لوجود مثله في سايرالانبيا
وايضا فاطلاق كلم الله موسى بمعنى خلق الكلام مجاز وتوكيده
الفعل بالمصدر في الاية يمنعه فان قيل لا نسلم ان التوكيد يدفعه
لوقوعه مع المجاز ومنه بكى الخز من عوف وانكره جلده وعجبت عجبا
من جذام المطارف سلمنا دفع التوكيد المجاز لكن انما يدفعه في
الاية لو وقع المعنوي الذي يدفع توهم المجاز في النسبة اذ فيها
وقع النزاع في الاية لا في المسند الذي هو كلم لان الكلام حقيقة
قد وقع وانما النزاع ممن وقع قلت الجواب عن الاول ان البيت من
باب الاستعارة التبعية لوقوعها في الفعل والاستعارة مطلقا
مبنية على تناسي التشبيه حتى قال فيها طايفة من علما البيان
انها حقيقة لغوية فصح التوكيد فيها للمبالغة في دخول المشبه
في جنس المشبه به والاية لا قرينة فيها على الاستعارة وايضا
فادعاهم قاعدة شهيرة بين علما اللسان بمجرد بيت شعر
يحتمل امورا لا يخفى ضعفها والجواب عن الثاني منع ان النزاع
انما هو في النسبة لا في المسند وذلك ان المعتزلة موافقون
على ان اسناد الكلام الى الله تعالى حقيقة لا مجاز وانه هو الذي
كلم موسى لا غير لكن تاولوا الكلام المسند اليه تعالى على معنى خلق
الكلام ومعنى كلم الله عندهم خلق الكلام والمتكلم عندهم هو الخالق
للكلام ولا شك ان استعمال كلم بمعنى خلق الكلام مجاز فتوكيده
بالمصدر يدفعه وان زعم المعتزلة ان كون كلم بمعنى خلق هو
الحقيقة وغيره هو المجاز كان النزاع معهم لغويا ويلزمهم على هذا
ان لا يتكلم على الحقيقة الا الله تعالى اذ لا خالق سواه جل وعلا
ومنعهم لذلك بمقتضى اصلهم الفاسد في اعتقادهم تاثير القدرة
الحادثة في مقدورها لا يسمع لفساده وبالجملة فهذه الاية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انما تذكر على سبيل التقوية لاثبات الكلام النفسي القديم بسماع
سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام له والا فانكار الكلام النفسي
وحصره في الحروف والاصوات واضح البطلان عقلا ونقلا ولاشك
انه اذا ثبت الكلام النفسي ثم وجدنا في الكتاب والسنة ه
اسناد الكلام اليه تعالى وجب علينا ان نعتقد ظاهره وان
المراد من ذلك انما هو كلامه القديم القايم بذاته اذ التعرض
لاخراج اللفظ عن ظاهره الصحيح من غير موجب بدعة ومخالفة
لاجماع الصحابة وتابعيهم ولاخفا ان المتبادر الى الذهن لغة
وعرفا من قوله تعالى وكلم الله موسى من غير نظر الى ما بعده من
التوكيد انه كلمه جل وعلا من غير واسطة بل بكلامه القديم ه
القايم به تبارك وتعالى وكذلك قوله تعالى اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي وبكلامي انما يتبادر الى الذهن من هذه الاضافة
الكلام القايم به جل وعلا لاستماع ما اقترنت من اصطفا
موسى عليه الصلاة والسلام بها على الناس ولا موجب لصرف
اللفظ عن ظاهره الا توهم انحصار الكلام في الحروف والاصوات
وان قيامها بذاته مستحيل فتعين التاويل وجوابه انه قد سبق
بطلان هذا الحصر فتعين الايمان بالظاهر اذ لا عاضد للمرجوح
فقول المعترض ان التوكيد في الاية انما يحقق المسند وليس
فيه وقع النزاع بل في النسبة نقول على تقدير تسليمه ان لم
يحقق النسبة فلم يقتض خلاف ظاهرها فتعين الظاهر لعدم
الصارف عنه وقد استبان الحق بما ذكرناه في المسالة ه
فراينا الاعراض عن كثير من المباحث المذكورة فيها للمحافظة
على ترك ما يوجب التسامة لاسيما في هذه الازمنة التي قصرت
فيها الهمم وعظمت نفرتها عن الصبر لتعلم مراشدها الضرورية
فضلا عن غيرها لاسيما والتطويل في هذه المسالة بعد ما

استبان

استبان الحق فيها قليل الجدوى ولهذا قال بعض المحققين الخوض
التطويل في مسالة الكلام بل وفي جميع صفاته تعالى قليل
الجدوى لان كنه ذاته وكنه صفاته محجوب عن العقل وعلى تقدير
التوصل الى شئ من معرفة الذات فهو وذي لا يمكن التعبير عنه
والله سبحانه وتعالى اعلم **قوله** ثم الكلام له وصف يقوم به
مراده بالوصف الصفة وبه بقوله يقوم به على مذهب المعتزلة
الذين جعلوا كلامه تعالى صفة تقوم بغيره من شجرة ونحوها
قوله كما يليق به التنزيه نبه بهذا على مذهب الحشوية القايلين
بان كلامه تعالى صفة تقوم به لكنهم اثبتوها على خلاف ما يليق به
جل وعلا اذ جعلوها حروفا واصواتا على ما سبق بيانه **قوله**
ليست الى الطالة يعني في جميع صفاته جل وعلا وقد تقدم وجه
ذلك **قوله** من اجل ذا يعني من اجل ان كلامه تعالى صفة تقوم به
على ما يليق به التنزيه قال اهل الحق الخ **قوله** اما الحروف
فكالاصوات محدثة يعني لانه لو كان كلامه تعالى يتركب من الحروف
والاصوات لكان ذلك الكلام حادثا ضرورة لاستحالة اجتماع
حرفين فاكثر في محل واحد فلا توجد الحروف في محل واحد حتى
ينعدم سابقها ويتجدد لاحقها وكل ما سبق وجوده العدم
اوطرا على وجوده العدم فهو حادث فالحروف والاصوات اذن
لا تكون ابدا الا حادثة فلو تركب الكلام منها لكان حادثا ضرورة
ان المركب من الحادث حادث لكن حدوث كلامه جل وعلا مستحيل
لما عرفت من وجوب تنزهه تعالى عن الاتصاف بالحوادث
فيستحيل اذن ان يكون كلامه جل وعلا مركبا من الحروف والاصوات
وبالجملة فالكلام الذي يكون بالحروف والاصوات ولو بلغ
غاية الفصاحة والبلاغة وكان كمالا بالنسبة الى الحوادث
الناقصة فهو بالنسبة الى مقام الالوهية الاعلى نقيصة عظيمة

شبكة الألوكة www.alukah.net

اذ فيه رذيلتان احداهما رذيلة العدم الذي يجب للحروف والاصوات
سابقا ولاحقا ويستلزم حدوث من اتصف به واي نقيصة اعظم
من نقيصة الحدوث المستلزمة ربقة الافتقار على الدوام
الثانية رذيلة البكم الذي هو لازم للحروف والاصوات لانه
لما استحال اجتماع حرفين في آن واحد فضلا عن الكلمتين وفضلا
عن الكلامين فقد تبكم المتكلم بالحروف والاصوات فلو كان كلام مولانا
العظيم جل وعلا بالحرف والصوت لزم زيادة على رذيلة الحدوث
اتصافه تعالى عن ذلك بالخمسة التي هي اصل البكم عن الدلالة على
معلوماته التي لانهاية لها بصفة الكلام بل يلزم الخمسة عن الدلالة
به في آن واحد عن معلومين له فاكثر فقد ظهر لك بهذا ان الكلام
الذي يكون بالحروف والاصوات وما في معناه من كلامنا النفسي
ملازما ان لمعنى البكم فيستحيل اتصاف مولانا جل وعز بمثلهما
وان لواصف لمولانا جل وعز بذلك مستند الى ان مثل ذلك الكلام
في حقنا كمال ينفي عنا رذيلة البكم قد وصفه الله تعالى بنقيصة
عظيمة تعالى عنها علوا كبيرا ونظيره في ذلك نظير من عرف ان نهيق
الحمير ونباح الكلاب كمال في حقها وكذا نباح الكلاب كمال في حقها
فسئل عن صفة كلام ملك من الملوك لم يسمع قط كلامه فقال هو
مثل نهيق الحمير ونباح الكلاب معتقدا ان ذلك الصوت منهما
لما كان كمالا يمنع من اتصافهما برذيلة البكم لزم ان تصاف الملك
بمثل ذلك كمال ينفي عنه رذيلة البكم ومن المعلوم ضرورة ان الواصف
للملك بمثل هذا قد استنقصه غاية الاستنقاص ووصفه بافح
انواع البكم بالنسبة الى نوعه الانساني وان لم يكن بكما بالنسبة
الى نوع الحمير ونوع الكلاب ولا شك ان كلامنا وان بلغ الغاية
في البلاغة والحسن بالنسبة الى كلام الله تعالى ادنى بما لا حصر له
من نهيق الحمير ونباح الكلاب بالنسبة الى افصح كلام واعذبه

اذ الحوادث

اذ الحوادث كلها لا تفاضل بينها لذواتها بل يقوم ببعضها من صفة
نقص او كمال يصح ان يقوم بغيره من سائر ذوات الحوادث وانما مولانا
جل وعلا الفاعل بمحض اختياره هو الذي فاوت فيما بينها وخص ما شاء
منها بما يشاء من صفة نقص او كمال فاذا كان كمال بعضها نقصا عظيما
بالنسبة لغيره مما يقبل صفته ويشاركه في الحدوث فكيف يكون
الحال فيمن يصف المولى العظيم الذي لا مثل له ولا يشاركه سواه في جنس
ولا نوع بمثل او صاف الحوادث الناقصة التي هي كمال لا يليق بنقصانهم
وهي انقص شيء وارذله بالنسبة الى جلال المولى الكبير المتعال وقد
ورد عن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام انه كان يسمع اذنيه بعد
رجوعه من المناجاة وسماع كلام الله تعالى مدة ليلا يسمع كلام الناس
فيموت من شدة قبحه ووحشته بالنسبة الى كلام الله تعالى العديم
المثال ولا يستطيع ان يسمع كلام الخلق حتى تظول به المدة وينسيه الله
تعالى ما ذاق من لذة ذلك السماع لكلامه تعالى وقد نقل ابن عطا الله
عن ابن الاسمر وكان من الابدال انه راى مرة في نومه حورا كلمته
فبقي نحو شهرين او ثلاثة اشهر لا يستطيع ان يسمع كلام الانقيا
فانظر كيف صار كلام الناس بالنسبة الى كلام الحور الذي هو من
جنس كلامهم ادنى واقبح من صوت الحمير ونباح الكلاب بالنسبة الى كلام
الناس اذ لا نجد من تقيا بسماع صوت الحمير او الكلاب ولو سمعه
اثر سماعه افصح كلام واعذبه فكيف يكون نسبة كلام الخلق الى كلام
الحق الذي جل وعز عن المثل في ذاته وصفاته وافعاله تبارك وتعالى

قوله فليس فيها سوى معنى دلالتها يعني فليس في الحروف المكتوبة او
المنطوق بها سوى الدلالة على الصفة القديمة التي تنزهت عن المثال
والنظير وبالله سبحانه وتعالى التوفيق والاعانة لا رب غيره

فصل في معنى ما تقدم

وزيد الادراك في عد الصفات على وصف يليق بالاتقم والاجلل

شبكة الألوكة www.alukah.net

اذ الكمال الذى الاجلال نسبته ، عقلا ونقلا جميع النقص فليتحل
فتلك قاعدة التوحيد نعلمها ، فهو السبيل لنا من اعدل السبل

يعنى بالادراك ادراك المبصرات والمشمومات والمذوقات هى
بادراكات زايدة على ادراكها بالعلم والسمع والبصر ودليل من
اثبت هذه الادراكات له تعالى كالقاضى وامام الحرمين انها كمالات
فى نفسها وكل حى فهو قابل لها فاذا لم يتصف بها اتصف باضدادها
واضدادها نقص لان فيها فوت كمال والنقص فى حقه جل وعلا محال
فوجب ان يتصف تعالى بتلك الادراكات الزايدة على علمه جل
وعلا لكن على ما يليق به تعالى من تعلقها بكل موجود كسمعه وبصره
ونفى الاتصال بالاجسام ونفى التكييف عندها باللذات والالام ولهذا
اجمعوا على ان لفظ الشم والذوق واللمس لا يصح اطلاقه فى حقه تعالى
لما يوذن به من الاتصالات وتجدد الكيفيات وكل ذلك فى حق من
تنزه عن الحدوث فى ذاته وصفاته مستحيل وانما الادراك المثبت
فى حقه تعالى امر وراء الشم واللمس والذوق وليس هذه الثلاثة
نفس الادراكات ولا لازمة فى العقل لها وانما هى فى حقنا اسباب
عادية يخلق جل وعلا معها الادراك غالبا ويدل على ان الادراك
امر زايد عليها انك تقول شممت التفاحة فلم اجد لها ريحا وكذا
لمست وذقت فلم اجد ولو كان الادراك غير زايد عليها لكان هذا
الكلام متناقضا وذهب الاستاذ الى نفى هذه الادراكات وجعل
الاحاطة بمتعلقاتها داخلا فى علمه تعالى والذى اختاره المقترح
وابن التلمسانى من المتاخرين الوقف فيها وحجتهما ان التحقيق
عندهما فى نفى النقايص الاعتماد على دليل السمع وقد ثبت ذلك
الدليل فى السمع والبصر والكلام كما قدمناه فيها ولم يثبت
فى هذه الادراكات فوجب الوقف عن اثباتها ونفيها فحصل من
هذا ان اهل الحق فى تلك الادراكات ثلاثة اقوال فقول المولف

بلا نقص

بلا نقص يعنى من غير نقيصة تلحق ذاته العلية من لذات او تالم او اتصال
بالاجسام بحسب هذا الادراك كما الف ذلك فى حقنا **قوله** ولا خلل
يعنى باعتبار تعلقها وذلك بان تتعلق ببعض الموجودات دون
بعض كما هو العادة فيها بالنسبة الينا **قوله** اذا الكمال الذى
الاجلال نشبته هذا استدلال منه على قوله وزيد الادراك وقد
تقدم لنا بسطه وبقى الكلام واضح وبالله تعالى التوفيق لا رب غيره

فصل اخر فى معناه ايضا

واعلم بان صفات السمع اثبتنها ، قوم رأوا مثل راى السادة الاول
وقيل ليست بمعنى لفظ ظاهرها ، مثل الذى مر من تاويل محتمل
بل بعضها للاشفا السبع راجعة ، ذا الراى فيها لديهم اعدل السبل
مثل اليدين لمعنى القدرة انصرفا ، فاسلك سبيلهم فى الكل لا تمل
ووجه ربك ايضا للوجود وذا ، يغنيك عن غيره من ساير المثل

تقدم ان ما ورد من القران والسنة مما يوهم ظاهره مستحيلا
فى حقه تبارك وتعالى كقوله جل من قايل لما خلقت بيدى ونحوه
فان ظاهره المستحيل يجب الحكم بنفيه وتنزيه الرب سبحانه عن
الاتصاف به قطعا ثم اختلف بعد ذلك فذهب ابو اسحاق
رضى الله تعالى عنه الى حمل بعضها على صفات له تبارك وتعالى
زايدة على السبع او الثمان الصفات التى هى صفات المعانى ولا
نعلم حقيقتها ولا نثبتها بالعقل وانما النقل وحده دل عليها
ولهذا سماها صفات سمعية فاثبت الاستواء صفة زايدة
على ما مر من الصفات السبع او الثمان وكذلك اليد والوجه
والعينان وذكر الامدى ان ما ذكر عن الشيخ فى الوجه هو احد
قوليه قال وقاله الشيخ ابو اسحاق والسليف وقال القاضى
والشيخ الاشعرى مره هو وجوده والعينان هما فى احد قولى
الشيخ صفتان نفسيتان كقوله فى اليدين وقال مرة وهما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمعنى البصر وذهب امام الحرمين وكثير الى تاويل هذه الظواهر
كلها وردوها الا ما علم من الصفات السبع او الثمان قال في الارشاد
من اثبت من اصحابنا صفات بظواهر السمع لزمه جعل الاستوا
والمجي والنزول والجنب من الصفات قلت وما الزمه الامام في
الاستوا تقدم ان الشيخ يقول به وتقل غير واحد عن اكثر السلف
وجوب الايمان بتلك الظواهر الواردة وصرف علم معناها الى الله تعالى
بعد الحكم بنفي المحال عنه جل وعلا قال بعض الشيوخ وهذا القول
هو الاظهر لان المسايل علمية ولا ينهض دليل التاويل فيها لافادة
العلم فقول المؤلف سدده الله تعالى في قول من حمل تلك الظواهر
على ثبوت صفات له تعالى زايدة على صفات المعاني ان القايلين به
راوفيه مثل السادة الاول يعني بهم انهم رأوا مثل رايهم في عدم التعرض
لتاويل تلك الظواهر وفي هذا وقع التشبيه فقط والا فالفرق
بين القولين ظاهر لان اولئك جزموا بحملها على صفات زايدة على
صفات المعاني والسلف انما جزموا بالتنزيه عن الظاهر المحال ووقفوا
عما وراء ذلك **قوله** وقيل ليست بمعنى لفظ ظاهرها لا يصح ان يفهم
ان في مثل هذا القدر وقع الخلاف لان هذا القدر مجمع عليه بين
الاقوال الثلاثة اذ لا احد من اهل السنة يعتقد ظواهرها
المستحيلة وانما وقع الخلاف بعد التنزيه عن الظاهر المستحيل
هل يتعرض للتاويل ام لا ويوقف ولا وتجعل مفيدة لصفات زايدة
على صفات المعاني ثلاثة اقوال لاهل السنة على ما سبق فهذا القول
اذن في كلام المولف راجع الى قوله بعد مثل الذي مر من تاويل محتمل
وما ذكر في البيت الذي يليه فيكون مثل منصوبا على الحال من ضمير
الخبر المقدر في المجرور اي ليست كاينة في حال كونها مثل
الذي مر من تاويل محتمل وهو على حذف مضاف بين اي مثل الذي مر
من جواز تعيين تاويل محتمل واحال في هذا على ما قدم في فصل

التنبيه

التنبيه على ما يوهم التشبيه من قوله وكلما اوهم القران من شبه
البيت فيكون حاصل هذا القول على هذا التقدير هو الذي ذهب اليه
امام الحرمين **قوله** مثل اليدين بمعنى القدرة كما يعني في قوله تعالى
لما خلقت بيدي فان قلت كيف تحمل اليدان على القدرة وظاهر
اللفظ يقتضي تخصيص ادم عليه الصلاة والسلام بتعلق هذه
الصفة بخلقه ومعلوم ان تعلق القدرة لا يختص بادم عليه الصلاة
والسلام فالجواب ان التخصيص انما وقع باضافته الى القدرة الازلية
على سبيل التشريف له على حد قوله تعالى بشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه او التخصيص وقع في اضافته الى القدرة
الازلية فقط من غير ان يجعل معها وسايط عادية يصح ان ينسب
ادم اليها من ابوة وام ونحوها فان قلت القدرة واحدة واليدان
مثنى فكيف تفسر التثنية بالواحد فالجواب انا ليد لم يرد بها
حقيقتها بل قصد بها التجوز بمعنى القدرة فكما يصح ان تستعمل
اليد الواحدة على سبيل المجاز في معنى القدرة كذلك يصح استعمال
اليدين في ذلك وغاية الامر ان يسيل عن نكتة العدول عن التجوز
باليد الواحدة الى التجوز باليدين وجوابه ان النكتة والله سبحانه
وتعالى اعلم اظهار الاعتنا بادم عليه الصلاة والسلام اكثر من غيره
ولهذا يقال في الشي النفيس لاظهار الاعتنا به اخذته بكلتا
يدي وشددت عليه بيدي ونحو ذلك ومن اعتنايه تعالى به عدم
استعمال ايدي الوسايط العادية في خلقه ولاطوره في اصلاب
الرجال والارحام النساكما هو المعتاد في ابنا نوعه وان لم يكن
لجميع ذلك تاثير في الايجاد اصلا وفي الاية تاويلات اخر مشهورة
في كتب التفسير وبا في كلام المولف واضح وبالله تعالى التوفيق

فصل في ان اسماه تعالى توقيفية

اسماوه وصفات الذات نطلقها بالاذن مثل الذي تحتاج في العمل

وقيل نطلق لفظا ليس بوهمنا ، والاول الحق فاسلك طريقه تصل
ثم الاية هذا كله بسطوا ، ونحن تنبيهنا يكفي فلا نطل

يعني ان اطلاق اسم من الاسماء عليه جل وعلا توقيفي اي يتوقف على الاذن الشرعي في اطلاقه فلا يجوز ان يسمى جل وعلا الا بما سمى به نفسه سبحانه او سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم او انعقد على التسمية به اجماع واختلف هل يكفي في جواز الاطلاق ثبوت التسمية بخبر الاحاد على قولين واختلف فيما لم يرد فيه اذن ولا منع فقيل فيه بالوقف وقيل بالمنع وعزاه ابن رشد للشيخ الاشعري ومالك ورده المقترح بان المنع حكم شرعي والاحكام الشرعية مدركها السمع قلت وفيه نظر اذ مدرك هذا المنع ما نقل من الاجماع على منع المكلف من الاقدام على فعل من الافعال قبل ان يعرف حكم الله تعالى فيه والتسمية لله تعالى فعل من افعال المكلف فلا يجوز ان يقدم عليها الا باذن والى هذا المعنى اشار المولف في توجيه هذا القول بقوله مثل الذي نحتاج في العمل انتهى وقيل ان اوهم الاسم معنى يستحيل امتنع وان لم يوهم جاز قال ابن رشد وقال الباقلاني يجوز ان يسمى بكل ما يرجع الى ما يجوز في صفته كسيد وحنان ما لم يجتمع على منع ما يجوز مثل عاقل وفقيه وسخي وكره مالك في العتبية التسمية بسيد وحنان وهو هنا على المنع فيما لم يرد فيه اذن ولا منع قال واما ما لا يجوز في اصله فلا يسمى به وان كان تعالى وصف نفسه بالفعل المشتق منه ذلك الاسم نحو الله يستهزي بهم ويسخر منهم لان ما يستحيل عليه تعالى لا يجري عليه منه الا قدر ما اطلقه السمع مع اعتقاد انه على ما يجب كونه عليه واختلف في صبور وغفور فمنع الباقلاني لان الوقور هو الذي يترك العجلة في دفع ما يضره والصبور هو الذي يتحمل الاذى ومن اجاز ذلك على احد المذهبين قال انما يرجع معناهما الى الحلم قال الابي في شرح

مسلم

مسلم اثبت على انها احكام عقليه
دلت عليها الادلة القطعيه
في صفة سماعية وتعالى صحح

مسلم المتكلمون يطلقون الصانع وواجب الوجود والمؤثر ولكن لم يطلقوها على انها اسماء وقول المولف اسماؤه وصفات الذات نطلقها يعني باسمايه ما دل على ذاته سواء دل مع ذلك على صفة تقوم به ه كالعالم والقادر او على فعل من افعاله كالخالق والرازق او لم يدل على زايد على الذات كالكلمة المعظمة وهي كلمة الله تبارك وتعالى المولى العظيم جل وعلا ويعني بصفات ذاته ما دل على معنى يقوم بذاته العلية فقط من غير ان يدل بلفظه على الذات المرفعة كعلمه جل وعلا وقدرته وارادته وحياته يعني فكما لا تسميه تبارك ه وتعالى بفقيه ولبيب وعاقل لعدم الاذن في ذلك كذلك لا يجوز ان نقول فقه ولب وعقل وباقي كلام المولف واضح وبالله التوفيق

فصل فيما زلت فيه للمبتدعة القدم لمخالفة من تقدم
ومن مقالة اهل الحق قاطبة ، ممن عن الحق والتحقيق لم يحل
ان لا وجوب عليه من اثابتنا ، عن فعل طاعته بالحتم للبدل
بل ترتجى فضله سبحانه وبه ، توفيقنا ان هذا افضل السبل

لا شك ان مذهب اهل الحق قاطبة ان جميع الممكنات لا يجب منها على الله تعالى فعل ممكن ولا تركه وبرهانه ان الوجوب ان قدر عليه تعالى في شيء منها لم يخل ان يقدر من جهة الشرع او من جهة العقل وكلاهما باطل اما بطلان الوجوب عليه من جهة الشرع فلان الشرع منه يثبت اذ لا امر غيره ولا ناهي ولا مبيح ولا حاكم عليه تبارك وتعالى كيف وهو تعالى المنفرد بالالوهية والغنا المطلق وكل ما سواه جل وعلا مملوك له الملك التام الحقيقي الدايم الذي لا نستطيع معه هذا المملوك ان يبدي امرا او يعيده لا في ذات ولا في صفة واما بطلان الوجوب عليه من جهة العقل فلان الواجب من لازمه لحوق ضرر بتركه ونفع بفعله وكلا الامرين مستحيل عليه جل وعلا لتقدسه عن الالام

والذات وعن تجدد الكمالات في ذاته او في صفة من صفاته ه
وبالجملة فلا تقبل ذاته العلية الحوادث اصلا على ما سبق برهانه
واذا عرفت هذه القاعدة العامة ان لا وجوب عليه تعالى في امر
من الامور البتة فمن جملة ما يدخل في هذه القاعدة العامة اثابة
المطيعين على طاعاتهم فهو من الامور الممكنة التي اختارها سبحانه
وتعالى ان يمن بها في الاخرة بمحض فضله كما من تعالى في الدنيا بخلق
امكاناتها التي هي فعل الطاعات واجتناب المنهيات لمن شاء ه
بمحض كرمه من غير استحقاق لاحد عليه شيأ من الامرين لا دنيا
ولا اخرى ولو سلكنا على سبيل التنزيل مسلك المعاوضة بين العبد
ومولاه جل وعلا وقدرنا مثلا ان العبد هو الذي اوجد طاعاته
بالقدرة التي خلق الله تعالى له كما يقوله المعتزلة لما صح مع ذلك
ان تكون الاعمال علة لاستحقاق الثواب اذ كل ما ياتي به العبد
من الاعمال والشكر وان بلغ غاية ما يمكن في حقه لا يفي باد ني نعمة
من نعم من نعمه تعالى فكيف امكن فيه تقدير موافاته لجميع النعم
التي لا تحصى ثم فضلت منها فضلة استحق بها العبد على الله ه
جل وعلا من الثواب ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وهل يرضى ان يعتقد هذه المقالة الا شقي مسلوب العقل
والدين ومن راغم بهوسه نصوص الكتاب والسنة واجماع المسلمين
الطيبين فما اخس مذهب اهل الاعتزال واجهلهم باحكام العلي
ذي الجلال وفي الحديث لن يدخل احد الجنة بعمله فقيل ولا انت
يا رسول الله فقال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولا ينافي
هذا الذي قررناه ما صح في الحديث حكاية عن قول الله تعالى عن
اهل الجنة ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم اذ المراد
من ذلك قطعا انما هو جعله سبحانه وتعالى بمحض اختياره الاعمال
الصالحات امارات على ما يعطى من منازل الجنة بمحض فضله وكرمه

ويدل

ويدل على بطلان فهم كون الاعمال الصالحة في هذا الحديث علة
لنيل المنازل المخصوصة من الجنة انه لو كانت كذلك لناقض اخر
الكلام اوله اذ معلوم قطعا ان العمل الصالح الذي يقدر مثلا
انه علة عقلية لنيل الفردوس الاعلا هو علة لدخول الجنة قطعا
اعني جنة هذا العامل بخصوصها اذ الدخول المامور به في الحديث
انما هو في دخول كل واحد لجنته واذا استحق بعمله جنة استحق
به الدخول اليها قطعا فيلزم ان يكون العامل دخل جنته المخصوصة
بعمله وان يكون لم يدخلها بعمله لاول الحديث وذلك تناقض لا
يعقل وايضا لو استحق احد بعمله منزلا مخصوصا من الجنة لا يستحق
ان يمكن منه بالدخول وغيره اذ المستحق لامر مستحق لكل ما يتوقف
ذلك الامر عليه وانما الظاهر عنده ان الحديث من باب التفصيل
بعد الابهام وذلك انه لما اذن سبحانه في دخول الجنة بمحض فضله
وكرمه ورحمته بقوله ادخلوا الجنة برحمتي لم يدر العبيد ه
الماذون لهم كيف يكون انتفاعهم بها هل هو على سبيل الشركة
الشايعة من غير قسم ام على سبيل امتياز كل واحد بنصيب منها
ثم اذا كان على سبيل الامتياز فهل بقسمة القرعة والتعديل ه
والتسوية كما هو الشان في قسمة الشي المشترك بين المتساوين
فيه ام بحسب السبقية كما هو الشان في المباح ان من سبق
الى شي منه فهو له ام على غير ذلك مما يقدره العقل فازال سبحانه
هذا الابهام وبين جل وعلا ان هذه العطية التي وقعت بمحض رحمته
وفضله لا ضابط لمعرفة نصيب كل واحد منها سوا عمل صالح كان
قد تفضل به سبحانه على العبد في الدنيا من غير حول منه ولا
قوة فصارت الاعمال الصالحة للدرجات كالاسباب التي تعرف
بها مقادير انصبا الورثة من تركة الميت التي اعطاها سبحانه
لاولئك الورثة بمحض فضله من غير عوض ولا استحقاق عقلي وهذا

قال تعالى وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون ويحتمل ان يكون
موقع تلك الجملة مما قبلها الاحتراس وذلك ان المتوهم عند سماع
قوله جل وعلا ادخلوا الجنة برحمتى استوا المامورين بدخول الجنة
فيما ياخذون منها لانه اذا كان لاسبب للظفر بالجنة الا الرحمة
الالهية لزم استوا المرحومين فيما ينالون منها لاستوا نسبتهم
اليها وعدم استحقاقهم عقلا للتفاضل فيها فدفع هذا الوهم
بقوله وتلك الجنة الخ اى انكم قبين سبحانه انه اختار تفاضلهم
فى قسم هذه الرحمة وجعل عنوان ذلك التفاضل فيها ما سبق
فى الدنيا من تفاضل المومنين فى الاعمال الصالحة التى خلقها
سبحانه وتعالى ومن بها عليهم بلا واسطة وبالله تعالى التوفيق

ورعى اصلح لا تضعى لبدعته ، فانه مذهب ايضا لمعتزل

اعلم انه مما يجب على كل مكلف ان يعتقد ان افعال الله سبحانه وتعالى
ذواتا كانت او اعراضا كان فيها صلاح للعباد او لم يكن لا يجب
عليه تعالى منها شئ لا عقلا ولا شرعا هذا مذهب اهل الحق قاطبة
وخالفهم المعتزلة اذ لهم الله تعالى فاوجبوا عليه اللطف بهم وهو
خلق الشئ الذى يوجب للمكلف ترجيح جانب الطاعة من غير ان ينتهى
الى حد الالجاء واوجبوا عليه تبارك وتعالى اكمال عقل من زاد تكليفه
واقداره على الاعمال المكلف بها وازاحة العلل التى تمنع من اداء
ما كلف به حتى انه لو اخل جل وعلا بذلك لكان للعباد خصومة
له ومطالبة بحقوقهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولقد
صدق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم القدرية خصماء الله فى القدر
ثم دليل فساد مذهبهم وصحة مذهب اهل الحق المعقول والمنقول
اما المعقول فلانه سبحانه فاعل بالاختيار لا بالايجاب والطبع وقد
سبق برهان بطلانهما فلو وجب عليه تعالى فعل لما كان مختارا فيه
اذ المختار هو الذى يتاتى منه الفعل والترك وايضا لو وجب عليه تعالى

الاصلح

الاصلح للعبد لما كلفه بما فى تكليفه من تعريضه للمعصية والعقوبة
فان قيل كلفه ليثيبه قلنا هو قادر ان يعطيه ايضا ثواب من غير
عمل ولا تكليف وايضا لو وجب عليه تعالى الاصلح لما خلق الكافر
الفقير لان الاصلح له قطعا ان لا يخلقه ليسلم من العذاب الدنيوى
والاخروى وبالجملة لو وجب عليه تعالى الاصلح لما وجدت محنة دنيوية
ولا اخروية وما احسن مناظرة وقعت بين الشيخ الاشعرى رضى الله
تعالى عنه والجبائى اذ لله تعالى بدعته فى مسالة مراعات الصلاح
والاصلح قال الشيخ الاشعرى رضى الله تعالى عنه للجبائى ما تقول
فى ثلاثة اشخاص مات احدهم قبل البلوغ والاخر مات بعد البلوغ
كافرا والاخر مات بعد البلوغ مومنا فقال الجبائى اما الصغير ففى
الجنة واما الكافر الكبير ففى النار واما الكبير المومن ففى الدرجات
العلى فقال له الشيخ رضى الله تعالى عنه ما بال الصغير قصر به عن
درجة الكبير المومن فقال لانه لم يعمل قدر عمله فقال الشيخ رضى الله
تعالى عنه من حجته على مذهبكم ان يقول يا رب كان الاصلح فى حقى ان
تكون ابقيتنى حيا حتى اصل بالعمل الدرجة العليا فقال الجبائى
جوابه ان يقول الله تعالى له قد علمت انك لو بقيت الى سن
التكليف لكفرت فتخلد فى النار فالاصلح فى حقك موتك صغيرا
كما فعلت بك لسلامتك من العذاب مع ما انت فيه من النعيم الذى
لا يكيف فقال له الشيخ رضى الله تعالى عنه فاذن يقوم الثالث
الذى مات كبيرا كافرا بل وكل كافر من دركات لظى فيجارون الى الله
تعالى ويقولون يا ربنا كنا نرضى منك بادنى من مرتبة هذا الصبى
بل لا نعدل بالسلامة مما نحن فيه شيئا فما لنا به يا مولانا تباركت
وتعاليت لم لا تمتنا صغارا قبل التكليف وقد علمت منا الكفر
بعده كما فعلت بهذا الصغير فبهت الجبائى ولم يقدر ان يجيب بكلمة
فقال له الشيخ رضى الله تعالى عنه وقف حمارك يا شيخ فى العقبة

ثم قال الشيخ رضي الله تعالى عنه تعالى ان توزن احكام ذي الجلال بميزان
الاعتزال واما المنقول فقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار
وقوله جل من قايل لا يسئال عما يفعل وهم يسئالون وقوله سبحانه
وتعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها وقوله تبارك وتعالى ولو شاء
ربك لجعل الناس امة واحدة وقوله جل وعلا يضل من يشاء ويهدي
من يشاء ونحو ذلك مما هو كثير لا ينحصر وبالله سبحانه وتعالى التوفيق
ولا كبيرة للطاعات محبطة ، احباط كفر فهذا غير معتد له
بل باجتناب لها تمحى صغايرنا ، كما يجازى باضعاف على العمل
فلا على الله حق بل تكون له ، حق التفضل منعما ان يشا ينل

نبه بهذا الكلام على مذهب الخوارج والمعتزلة فانهم يقولون ان
من فعل كبيرة ومات ولم يتب منها فايمانه واعماله الصالحة محبطة
وهو مخلد في النار ابد الاباد كالكافر الصريح الكفر بل الايمان
عندهم ليس اسما لمجرد معرفة الله تعالى والتصديق برسله
عليهم الصلاة والسلام وانما هو اسم لذلك مع امتثال
المامورات واجتناب المنهيات فمن اخل بشيء من ذلك فليس
مؤمنا عندهم ثم صرحت الخوارج بتسميته كافرا والمعتزلة
سموه فاسقا وجعلوا الفسق واسطة بين الايمان والكفر قال
التفتازاني في شرح المقاصد الدينية له ونحن نقول ينبغي
ان يكون ما اشتهر عن المعتزلة من خلود العاصي غير التايب في
النار مذهب بعضهم والمختار لهم خلافه لان مذهب الجبايي
وابي هاشم وكثير من محققيهم وهو اختيار المتاخرين منهم ان
الكباير انما تسقط الطاعات وتوجب دخول النار اذا زاد
عقابها على ثوابها والعلم بذلك مفوض الى الله تعالى فمن خلط
الحسنات بالسيئات ولم تعلم غلبة الاوزار منه لم يحكم عليه
بدخول النار بل اذا راد الثواب نحكم بانه لا يدخل النار اصلا

واضطربوا

واضطربوا فيما اذا تساوى الثواب والعقاب وصرحوا بان هذا
بحسب السمع واما بحسب العقل فيجوز العفو عن الكباير كلها الا
عند الكعبي وقال في موضع اخر اختلف ابو علي وابو هاشم فزعم ابو علي
ان الاقل يسقط ولا يسقط من الاكثر شيئا وسقوط الاقل يكون عقابا
اذا كان لساقط ثوابا وثوابا اذا كان عقابا وهذا هو الاحباط
المحض وقال ابو هاشم الاقل يسقط ويسقط من الاكثر ما يقابله مثل
من له جزء من العقاب واكتسب الف جزء من الثواب فانه يسقط عنه
العقاب وماية جزء من الثواب بمقابلة مثلها من العقاب ويبقى له
تسع ماية جزء من الثواب ومن له ماية جزء من الثواب واكتسب
الفا من العقاب سقط ثوابه وماية جزء من العقاب وهذا هو الموافق
بالموازنة انتهى واعلم ان اهل السنة لا يقولون بابطال السيئات
للحسنات ولا بابطال الحسنات غير حسنة التوبة بالسيئات
لا على سبيل الاحباط المحض كما يقول به الجبايي ولا على سبيل
الموازنة كما يقول به ابو هاشم قال ابن دهاق في شرح الارشاد
مذهب اهل الحق ان العبد اذا اتى بطاعات كامثال الجبال ثم كانت
له مخالفة واحدة فهو في المشيئة فلله سبحانه ان يعاقبه عليها
ويعطيه ثواب طاعاته وله ان يغفرها قال ولا يكون الوزن مقاضة
بين العبد وبين ربه كما ذهب اليه الجبايي من المعتزلة انتهى قلت
ولهذا تعرف ان قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون
الاية ونحوها لا يصح ان يفهم على ما قاله ابو علي وابو هاشم من الاحباط
والسقوط والاسقاط كما يفهمه كثير ممن جهل بل ينبغي ان يحمل قوله
فاولئك هم المفلحون على فلاحهم بالسلامة من الخلود في النار
لا على السلامة من النار اصلا اذ لا تسقط السيئات عند اهل
الحق بسبب زيادة ثواب الحسنات عليها بل صاحبها مرتهن بها
معرض للعقوبة عليها الا ان يغفر الله تعالى له كما لو زادت سيئاته

ماية صح

على حسناته وقد يقال ان كان مومنا لابد ان تثقل كفة حسناته اذ
الايمان لا يثقل عليه شيء ولا يخف ميزان الحسنات الا للكافر الذي
اسقط حسناته واحبطها الكفر والعياذ بالله تعالى ويكون ثقل
حسنات المومن على سيئاته بشارة له بحسن الخاتمة والسلامة من الخلود
في العذاب كما سبق ويحتمل ان يكون الثقل والخفة موجودين في حسنات
المومن ويكون ثقلها امارة على عدم المواخذة بسيئاته لوجود مكفر
لها في حسناته من توبة صادقة قبلها الله تعالى او حج او جهاد
مقبولين ونحوها او بمجرد عفو الله تعالى وخفتها امارة على المواخذة
بالسيئات من غير ان يسقط من ثواب الحسنات بسبب خفتها شيء اصلا
بل هي مدخرة له يجد ثوابها بعد خروجه من النار ونفوذ الوعيد فيه
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده من ذلك **قوله** ولا كبيرة للطاعات
محبطة احباط كفر يعني اما الكفر فهو محبط للحسنات بمعنى انه
لا يثاب عليها في الجنة ثم اختلف هل يشترط في احباط الكفر
للحسنات الوفاة على الكفر وهو مذهب الشافعي اولا يشترط وهو
مذهب مالك وحجته قوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك واحتج
الشافعي بقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك اصحاب النار حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وقد يجاب لمالك رضي الله تعالى
عنه بان هذه الاية من باب اللف والنشر المرتب فاللف
في قوله تعالى يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر والنشر
في قوله تعالى فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
فيرجع قوله اولئك حبطت اعمالهم لقوله يرتدد منكم عن
دينه ويرجع قوله تعالى واولئك اصحاب النار الخ لقوله تعالى
فيمت وهو كافر **قوله** بل باجتناب لها تحى صغايرنا يعني لقوله
تعالى ان تجتنبوا كبايرما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ثم

اختلف

اختلف هل تكفير اجتناب الكبايرللصغاير قطعي او ظني والصحيح
عند الفقها واهل الحديث انه قطعي وزعم صاحب الانتصاف
ان مذهب اهل السنة ان الصغاير حكمها حكم الكبايرلا يكفرها
الا التوبة وان الاية تحمل الكبايرفيها على كبايرالكفر والصحيح
الذي تدل عليه الاحاديث الصحيحة ما تقدم لغيره وبا في كلام المولف
واضح وبالله سبحانه وتعالى التوفيق والاعانة لا رب غيره ٥
والحسن بالعقل والتقبيح وقعهم، ونحن للشرع حكم ان يقل تقل
يعني ان الذي اوقع المعتزلة فيما سبق من الضلالات كايجاب الثواب
وفعل الصلاح والاصلح على الله تعالى اعتمادهم في عقايدهم على
التحسين والتقبيح العقليين وقياسهم افعال الله جل وعلا واحكامه
على افعال المخلوقين واحكامهم من غير ان يكون في ذلك جامع يقتضي
التسوية في الاحكام والذي اجمع عليه هل الحق ان الافعال كلها
مستوية بالنسبة الى تعلق قدرة الله تعالى بها وارادته لها
وكذا هي ايضا مستوية بالنسبة الى تعلق احكامه تعالى الشرعية
بها فلا يتصف شيء منها بالحسن لذاته اوصفته كما لا يتصف شيء منها
بالقبح لذاته اوصفته فلا يجب اذن شيء منها عقلا على الله تعالى ولا
يستحيل وكذا لا مجال للعقل في ادراك حكم شرعي لها فليس الحسن
شرعا عند هل الحق الا ما قيل فيه من جهة مولانا جل وعلا ٥
افعلوه وليس القبح شرعا الا المقول فيه من جهته تعالى لا تفعلوه
وتخصيص كل واحد من الاعمال بما اختص به من الاحكام لا علة
له ولا غرض يبعثه عليه والى بيان مذهب اهل الحق اشار المولف
رضي الله تعالى عنه بقوله ونحن للشرع حكم الخ اي نحن نقول
للشرع حكم ان يقله نتبعه في ذلك وان سكت فلا مجال للعقول
في ذلك اصلا وقالت المعتزلة اذ لهم الله تعالى الافعال
الاختيارية حسنة وقبيحة بالنسبة الى الله تعالى من جهة

شبكة الألوكة www.alukah.net

العقل وزعموا ان منها ما يدركه العقل بالضرورة كحسن الصدق
النافع وقبح الكذب الضار والكفران ومنها ما يدرك بالنظر كحسن
الصدق الضار وقبح الكذب النافع ومنها ما يقف على ادراكه الا
بانبآ الشرع كحسن صوم اخر يوم من رمضان وقبح اول يوم من
شوال وقضوا ان الشارع في هذا النوع مخبر عن حال المحل لا انه
انشائيه حكما قالوا كالحكيم الذي يخبر ان هذا العقار حار او بارد
ثم اختلفوا فذهب القدماء منهم هي حسنة وقبيحة لصفة لازمة
كالصوم المشتمل على كسر الشهوة المقتضي عدم المفسدة ○
وكالزنا المشتمل على اختلاط الانساب المقتضي ترك تعاهد
الاولاد وقال قوم منهم بالفرق بين القبيح فهو قبح الصفة وبين
الحسن فهو حسن لذاته واحتجتهم ان الذوات كلها مستوية والتمييز
انما هو بالصفات فلو قبح الفعل لذاته لزم قبح فعل الله تعالى
وقال الجبائي واتباعه الفعل يحسن او يقبح بوجه واعتبار كضرب
اليتيم يحسن للتاديب ويقبح لغيره والرد على الجميع مامضى من كون
الافعال كلها مسندة الى الله تعالى ابتدا بلا واسطة ولا تاثير
لكل ما سواه تعالى في شئ منها البتة حتى يحسن عقلا طلب فعل
من الافعال من غيره جل وعلا والنهي عنه وانما مرجع الاحكام الشرعية
الى بيان كون تلك الافعال امارات على ما جعلت عليه من ثواب
او عقاب لوعد بهما والبحث في هذه طويل جدا وقد بان الحق فيها
لمختصر قطعي فلا حاجة الى التطويل وبالله سبحانه وتعالى التوفيق

فصل في الرزق والاجل وانهما بتقدير الله عز وجل

وما له للمنع فاسم الرزق شمله ○ ولو غصب في ذلك غير مشتمل
لانه كل مملوك لآخذه ○ كقول مبتدع يغتر بالجدل

الرزق هو من الجايزات في حقه تعالى وتقسيره قال في الارشاد
كل ما انتفع به منتفع ولو كان بتعد وقال بعض المعتزلة هو الملك

ورزق

ورزق كل موجود ملكه فالزموا ان يكون ملك الباري تعالى رزقا
ولذا قال متاخروهم هو ما انتفع به في ملكه فالزموا ان لا يكون
للبهايم رزق لانها لا تملك شيا كيف وقد قال تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها وقال الغزالي ربما قالوا الرزق
ما لم يحرم تناوله فعلى هذا تدخل البهايم لكن يلزم على كل تفسير
ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا وذلك باطل
قطعا وعبارة التفتازاني في شرح عقيدة النسفي قال الرزق
اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان فياكله وذلك قد يكون
حلالا وقد يكون حراما وهذا اولى من تفسيره لما ينتفع به
الحيوان فخلوه عن معنى الاضافة الى الله تعالى مع انه معتبر في مفهوم
الرزق وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة
بمملوك ياكله المالك وتارة بما لا يمنع من الانتفاع به وذلك
لا يكون الا حلالا ثم ذكر ما يلزم على كلا التفسيرين ثم قال
ومبنى هذا الاختلاف على ان الاضافة الى الله تعالى معتبرة
في معنى الرزق وانه لا رازق الا الله تعالى وحده وان العبد
يستحق الذم والعقاب على اكل الحرام وما يكون مستندا
الى الله تعالى لا يكون قبيحا ومرتكبه لا يستحق الذم والعقاب
قال والجواب ان ذلك لسوء مباشرة اسبابه باختياره انتهى
قلت ولا يحتاج الى هذا الجواب لان مستند المعتزلة انما بنى
على اصلهم من التحسين والتقبيح وهذا الاصل باطل عند اهل
الحق فقول المولف ولو بغصب الخ يعني بالملك غير المكتمل انتفاع
العبد بماله وكذا من احاط الدين بماله وكذا من انتفع بما
اشتراه شرا فاسدا قبل ان يفوت عنده وباقي الكلام واضح
وبالله سبحانه وتعالى التوفيق لا رب غيره

ولن يموت امرئ قتلا بلا اجل ○ بل حكمه واحد في الرزق والاجل

بل كل شيء بتقدير الله تعالى ان شاء وشاء في الحين عن عجل
الاجل عرفا هو منتهى زمن الحياة وسمي اجلا لانه الوقت المقدر
للموت كالاوقات المقدرة لقبض الديون ونحوها فمن قتل
فاجله عند اهل الحق وهو ما علم الله تعالى موته فيه هو وقت
قتله وقال النقاز الى زعم الكعبي من المعتزلة ان المقتول
له اجلان القتل والموت وانه لو لم يقتل لعاش الى اجله الذي
هو الموت وزعمت الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا هو
وقت موته بتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين
واجلا اقترانيا بحسب الاوقات والامراض وفي الارشاد
وقال كثير من المعتزلة لو لم يقتل بقي مدة فالقاتل قطع
اجله بقتله وقال اخرون لو لم يقتل مات حتف انفه وكلا
القولين باطل لان اللازم اذا قدرنا عدم قتله امكان بقايه
وموته لا الجزم باحدهما واستدل اهل الحق بان علم الله تعالى
تعلق ازلا بالمعلومات على ما هي عليه فيلزم ان يكون الاجل
المقدر لموت كل حي واحدا لا يمكن فيه التبدل اذ تقديره انما
هو على وفق علم الله تعالى وعلمه سبحانه وتعالى يستحيل عليه
التخلف واستدلوا ايضا بان الله تعالى قد حكم باجال العباد
حكما من غير تردد بانه اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون واحتجت المعتزلة بالاحاديث الواردة في ان بعض
الطاعات يزيد في العمر وبانه لو كان ميتا باجله لما استحق
القاتل ذما ولا عقابا ولا اوليا المقتول دية ولا قصاصا
وبقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده وبقوله وما يعمر من
معمر ولا ينقص من عمره والجواب عن الاول ان الله تعالى كان
يعلم انا العبد لو لم يفعل هذه الطاعة لكان عمره اربعين سنة
مثلا لكنه علم سبحانه وتعالى انه يفعلها ليكون عمره سبعين

اي بلا سبب

مثلا

مثلا فنسبت تلك الزيادة الى تلك الطاعات بناء على انها امارات
عليها في علم الله تعالى وانها لو لم تكن لما كانت تلك الزيادة وعن
الثاني ان احكام الله تعالى وافعاله غير معللة كما سبق وايضا
فوجوب العقاب والضمان على القاتل عمدا لارتكابه لما نهي عنه
وكسبه الفعل الذي يخلق الله تعالى عقيبه الجرح والموت على
مجرى العادة مع القطع بان حركات القاتل وما وجد معها كل ذلك
واقع بمحض خلق الله تعالى بلا واسطة وعن الثالث بان الاجلين
في الاية ليسا اجلي حياة كل حي بل الاجل الاول هو الاجل المقدر
لحياة كل حي والاجل الثاني هو المقدر لحياة العوالم كلها وقيام
الساعة ولهذا وصفه بانه مسمى عنده اشارة الى انه لا يعلمه غيره
كما قال في الساعة قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو
وعن الرابع ان المراد بنقص من عمر المعمرين من اقرانه واهل جنسه
وقد جرت عادة الله سبحانه وتعالى بالطول في الاعمار وبالقصر فيها
وليس المراد من الاية تنقيص عمره الواقع في معلوم الله تعالى
وكيف يسوغ اعتقاد ذلك وفيه تقدير تغيير علمه تعالى ويصح
حمل الزيادة والنقص في الاية على المحو والاثبات المعتورين
على صحف الملايكة اذ قد يثبت شيء في صحيفتهم مطلقا وهو مقيد
في معلوم الله سبحانه وتعالى بشريطة ثم ترجع الصحيفة في امرها
الى موجب علم الله تعالى وعلى ذلك حمل المحققون قوله تعالى
يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب قوله بل حكمه واحد
في الرزق والاجل يعني انه كما يستحيل ان يقدر سبحانه على وفق
علمه اجلا للموت حتى ثم لا يموت ذلك الحي عنده بل يزيد عليه
او ينقص كذلك يستحيل ان يقدر سبحانه لحي رزقا اي غذاء
له يأكله وينتفع به ثم يتخلف عنه ذلك الرزق فلا يأكله
ولا ينتفع به ومن ثم لا يمكن ان يتعدى احد على رزق احد بل كل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا ياكل ولا ينتفع الا برزقه المقدر له في الازل ولا يمكن ان يموت حتى
يستوفيه تعب في ذلك او استراح **قوله** بل كل شئ بتقدير هذا التعميم
بعد تخصيص يعني ليس التقدير خاصا بالارزاق بل هو عام لجميع الاشياء
الحادثة من سعادة وشقاوة وطاعة ومعصية وحركة وسكون
وسفر وحضر الى غير ذلك مما لا ينحصر كل لا يتعدى ما قدره له في علم
تعالى له لا بحسب زمانه ومكانه ولا بحسب هيئته وتقديمه وتاخيره
ولهذا قال المولف غفر الله تعالى له امدا ان شاء لذلك الشئ
الحادث امدا اي مدة وتاخر لوقوعه وارتفاعه ان شاءها سبحانه
وتعالى وفورية وعدم تاخير ان شاجل وعلا ذلك وتعالى ان يقع
في ملكه ما لا يريد او لا يعلم تبارك وتعالى

فصل

في الجايزات فمنها رؤية المولى تبارك وتعالى

رؤية الله بالابصار جايزة ، دليلها حكم القران فيه نفي
وفي الصحة من الاخبار يعضدها ، اجماع من قد مضى في الاعصار الاول
ثم الرسول كليم الله يسيلها ، لو لم تجز قط لم يرغب ولم يسل

اعلم انه ليس المراد من هذا القسم رجوع الجواز الى صفة من صفات
ذاته تعالى عن ذلك بل الى تعلقها بفعل من افعاله جل وعز
اذ يستحيل ان يتصف سبحانه وتعالى بصفة جايزة لما عرفت
من وجوب الوجود لذاته وجميع صفاته ولو اتصف تعالى بجايز
لكان متصفا بالحادث اذ الجايز لا يكون الا حادثا ويتعالى
سبحانه عن ذلك واذا عرفت هذا فمعنى كون الرؤية جايزة
في حقه تعالى انه يجوز عقلا ان تتعلق قدرته تعالى بايجادها
لخلقه فيخلقها لهم على وفق مراده ويجوز عقلا ان لا يخلقها لهم
لا يستحيل في حقه خلقها ولا يجب وقالت المعتزلة بل خلقه
تعالى لهذه الرؤية مستحيل احتج اهل السنة على الجواز بالسمع
والعقل اما السمع فمن الكتاب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة

الى ربها

الى ربها ناظرة وذلك ان النظر اذا تعدى بحرف الى كان مما هو في معنى
الرؤية ويؤكد ان المعنى بهذا النظر الرؤية اسناد هذا النظر
الى الوجه الذي هو محل العين الباصرة وحمل الجمهور النظر في الآية
على معنى الانتظار وجعل الى اسما بمعنى النعمة مفردا الا مضاف الى
ما بعده لا حرف الجر والمعنى عنده منتظرة نعم ربها فالى عنده
مفعول بناظره ورد بانه لو اريد ذلك لما خص باسناده للوجوه
ولم يكن للتقييد بالظرف وهو يومئذ معنى فان المومنين لم يزالوا
في الدار الدنيا منتظرين نعم الله تعالى والآه سبحانه ومن الادلة
القرانية السمعية على جواز الرؤية سؤال سيدنا موسى عليه
الصلاة والسلام لا يجهل ما يستحيل في حقه تعالى والا كان جاهلا
بما ادركت استحالته حتى المعتزلة فتعين انه ما سال الا ما هو
جايز اذ سؤال ما يستحيل ممنوع والانبيا عليهم الصلاة والسلام
معصومون من كل ما يزل والله تعالى قد علق الرؤية باستقرار الجبل
وهو امر ممكن في نفسه والمعلق بالممكن ممكن لان معناه
الاخبار بثبوت المعلق عند ثبوت المعلق به والمحال لا يثبت على
شئ من التقادير الممكنة ومن الادلة القرانية ايضا قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة اذ قد وقع في الحديث تفسير
الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر اليه جل وعلا ومنها قوله تعالى
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فدليل خطابه ان المومنين لا يحجبون
عنه جل وعلا ومنها قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم
فسر الرؤية وسياق الاية وخصوص الفاظها يشهد لذلك
واما دليلها من السنة فقوله عليه الصلاة والسلام انكم
سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وهو حديث مشهور
رواه احمد وعشرون من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين
ووجه التشبيه بالقمر ما اشار اليه اخر الحديث من عدم تضار

لجواز

بعضهم ببعض وقت الرؤية اما الجهة والجسمية والاستنارة الحسية
ولوازم ذلك فغير مقصود بالتشبيه لانها مستحيلة في حقه تعالى
وبالجملة فالمقصود تشبيه الرؤية بالرؤية فيما ذكر لا المرئي بالمرئي
واما دليلها بالاجماع فهو ان الامة قبل ظهور البدع مجمعة على وقوع
الرؤية في الاخرة وان الايات الواردة في ذلك محمولة على ظاهرها
وعلم من حالهم قطعا بالنقل المتواتر الرغبة الى الله تعالى ان يمتعهم
بالنظر الى وجهه الكريم ولا نكير من بعضهم على بعض حتى ظهرت بعد
انقراضهم مقالة المبتدعة وشاعت شبهتهم وتاويلاتهم وهذه
الادلة السمعية دلت على جواز الرؤية ووقوعها واما الاستدلال
على جوازها من طريق العقل فلاشك ان العقل اذا خلي ونفسه
لم يحكم بامتناع رويته تعالى بل يجوزها ما لم يقم له برهان على الامتناع
ولم يوجد ذلك بعد شدة البحث عليه وما يذكره المبتدعة في ذلك
من الموانع فهو سر لا يصح شيء منها البتة وسنشير بعد هذا الى اقوى
ما يعتمدون عليه في ذلك ونذكر ما يفضح فساده وقد زاد اهل
الحق في هذا الدليل العقلي بان قالوا انا قاطعون برؤية الاعيان
والاعراض ضرورة انا نفرق بين البصر بين جسم وجسم وبين عرض
وعرض ولابد للحكم المشترك من مصحح وهو اما الوجود او الحدوث
او الامكان اذ لا رابع يشترك بينهما والحدوث عبارة عن الوجود
بعد العدم والامكان عبارة عن صحة الوجود والعدم ولا مدخل
للعدم في مصحح الرؤية اذ هو لا يرى ولا مناسبة بينه وبين الرؤية
اصلا فتعين ان المصحح للرؤية هو الوجود وهو مشترك بين الموجود
جل وعلا وبين غيره فيصح اذن ان يرى تبارك وتعالى ولهذا يصح
عندنا ان يرى سائر الموجودات من الاصوات والطعوم والروائح
والعلوم والارادة وغير ذلك وانما لم نر لان الله تعالى لم يخلق
في العبد رؤيتها بطريق جرى العادة لا لان رؤيتها ممتنعة عقلا

وايضا

وايضا فلان الرؤية لما قام البرهان العقلي على كونها عرضا
ينكشف به المرئي كما ينكشف المعلوم بالعلم لاسيما ان قلنا
ان الرؤية من جنس العلوم كما قال به الشيخ الاشعري وتحقق
بطلان كون الرؤية بانبعاث الاشعة وبطل استدعاؤها
الجهة والقرب والبعد صح قطعا ان تتعلق بذاته تعالى
من غير جهة ولا مقابلة كما صح تعلق العلم القايم بقلوبنا به
تعالى كذلك وللمتاخرين اعتراضات على ما سبق من تعليل
صحة الرؤية بالوجود واجوبة يطول ذكرها وقد اغنى الله
تعالى عن ذلك الدليل بغيره فلا حاجة الى تطويل الكلام في شانه
وبالله سبحانه وتعالى التوفيق لا رب غيره

وما في الانعام بالدنيا تخصصه، بما يعارضه خوفا من الهمل
من غير كيف ولا مثل يماثله، كما يليق به رغما لمعتزلي

اشار المؤلف رضي الله تعالى عنه بما ذكر في هذين البيتين الى بعض
ما تمسكت به المعتزلة في احالتهم رؤية الله تعالى وحاصل
ما تمسكوا به في ذلك ان قالوا رؤية الله تعالى لا تصح بدليل
السمع والعقل اما السمع فقوله تعالى لا تدركه الابصار
وهذه الاية تتمسك بها المعتزلة تارة على نفي وقوع الرؤية
معارضة لما تمسكنا به من الاي وتارة على استحالة الرؤية
التي هي نفس مذهبهم وتوجيهها على المقصد الاول ان يقال
انا الرؤية هي ادراك البصر ولا شيء من البصر يتعلق به تعالى
ينتج ذلك لا شيء من ادراك البصر يتعلق به جل وعز ودليل
المقدمة الاولى وهي قولنا الرؤية هي ادراك البصر انه
لا يصح ثبوت الرؤية مع نفي الادراك ودليل المقدمة
الثانية هي قولنا لا شيء من ادراك البصر يتعلق به تعالى
عموم نفي الادراك في الاية عن كل بصر لان الجمع المحلى بالالف

والاستغراق ويلزم من عمومه في الابصار عمومه في
في الازمان فيلزم ان لا يراه كافر ولا مومن في الدنيا ولا في
الاخرة واما توجيهها على المقصد الثاني وهو امتناع الرويه
فهو ان يقال انه تعالى ذكر هذه في معرض التمدح بها فيكون
نفي الادراك بالنسبة اليه تعالى كما لا فثبوته اذن في
حقه جل وعلا نقص والنقص على الله تعالى محال فادراك
البصر اذن محال والجواب عن الاية من اوجه احدها انا
لا نسلم ان الادراك بمعنى الرويه بل هو اخص وهو في الحالات
عبارة عن الابصار الشئ مع ابصار جوانبه واطرافه وهذا
في حق الله تعالى محال فتعين حمله على مجازه وهو انه لا يرى
رؤية احاطة كما اخبر تعالى عن نفسه انه لا يعلم علم احاطة
بقوله تعالى ولا يحيطون به علما ونفي الابصار الخاص لا يوجب
نفي اصل الابصار وهو الذي ندعيه بل نقول دلالة الاية
حينئذ على جواز الرويه بل وعلى تحققها اظهر لان المعنى
على هذا الوجه انه سبحانه وتعالى مع كونه مرئيا لا يدرك
بالابصار اي لا يحاط به لتعاليه عن التناهي والاتصاف بالحدود
والجوانب وبهذا تعرف ان النصوص الدالة على الرويه يجب
تقييدها بنفي الاحاطة للتوفيق بين النصوص سلمنا ان
الادراك بمعنى الرويه لكن لا نسلم العموم في الازمان بل
المراد نفي الرويه في الدنيا للجمع بين هذا وبين ما اقتضى
من ادلة الرويه في الاخرة والجمع بين الادلة ما امكن مقدم
على اهمال بعضها والبه شار المولف بقوله تخصصه بما
يعارضه الخ ونقول ان النفي في الاية هو من باب سلب
العموم لا من باب عموم السلب فيكون المعنى فيها لا تدركه
جميع الابصار ونحن نقول بموجبه وانه تعالى لا يراه جميع

الابصار

الابصار بل ابصار المومنين ولا ينافي التمدح الذي دل عليه
سياق الاية ادعاء التخصيص فيها بحسب الازمان او الاشخاص
بل لنا ان نقول ان قرينة التمدح بمضمون هذه الاية يصح لنا
الاستدلال بها على جواز الرويه وذلك ان الرويه لو كانت
مستحيلة لم يحصل بنفيها تمدح كالمعدوم فانه لا تمدح بعدم
رويته لامتناعها وانما التمدح ان يمكن رويته ولا يراه الا
من شاء في اي وقت شاء لتمنعه تعالى وتعززه بحجاب الكبرياء
تبارك وتعالى المولى العظيم جل وعلا ومما تمسكت به المعتزلة
ايضا قوله تعالى لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام حين
طلب منه الرويه لن تراني قالوا ولن تفيد التابيد بدليل
قوله لن تتبعونا والمراد هنا لنا بيد المجاز والنقل على
خلاف الاصل فوجب ان يقال ان موسى عليه الصلاة والسلام
لن يرا الله اصلا ابدا واذا لم يره موسى عليه الصلاة والسلام
لزم ان يكون كل من سواه كذلك اذ لا قايل بالفرق والجواب
انا لا نسلم ان لن تفيد التابيد بدليل قوله تعالى ولن يتمنوه
ابدا اذ لو دلت على التابيد لما كان لتقييد النفي بالتابيد
فايدة سلمنا دلالتها على التابيد لكن لا نسلم ان التابيد
يستغرق جميع الازمنة المستقبلة دنيوية كانت او اخروية
بل انما يستغرق ما دل عليه السياق وتوجه اليه الكلام فقط
الا ترى ان قوله تعالى في اليهود ولن يتمنوه ابدا ذكرت فيه
لن ومع ذلك تدل على التابيد على زعمكم ثم وكدت مع ذلك بلفظ
الابد ومع جميع هذا الاستغراق جميع الازمنة المستقبلة
بل ازمنة حياتهم الدنيوية فقط اذ اليها توجه الكلام واخبر
ان اليهود يتمنون في الاخرة الموت والعدم البتة لما يرون
من شدة عذاب الله تعالى لهم كما قال تعالى ويقول الكافر يا ليتني

كنت ترابا فكذلك نقول قوله تعالى لن ترانى هو جواب لسؤال
موسى عليه الصلاة والسلام وانما سيل رؤية ناجزة فى الدنيا
فيتعين رجوع النفى فى الجواب الى مدة حياة الدنيا اذ الاصل
فى الجواب المطابقة ولنا ان نقول ان جوابه تعالى لسيدنا
موسى عليه الصلاة والسلام بذلك الجواب يدل على كونه تعالى
جايز الرؤية لانه لو كان ممتنع الرؤية لكان اللايق بالجواب
ان يقال لن تقع رؤيتى او لا تمكن او لا ارى ونحو هذا لا ترى
ان من كان فى كمه حجر فظنه بعضهم طعاما فقال اعطنى هذا
لاكله كان الجواب الصحيح فى حقه ان يقال ان هذا لا يوكل اما
اذا كان طعاما واراد المسيول ان لا يمكنه من اكله فان الجواب
حينيذ يكون بقوله لن تاكله وهذا واضح ومما تمسكت به
المعتزلة ايضا ان الايات الواردة فى سوال الرؤية مقرونة
بالاستعظام والاستكبار كقوله تعالى فقد سالوا موسى اكبر
من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة ونحوها فقالوا انا استعظما
وتعليق الوعيد بسوالها انما هو لامتناعها والجواب ان استعظما
والوعيد فى ذلك انما كان لتعنتهم واعنادهم فى طلبها
وريبهم فى صدق ما اتى به رسوله موسى عليه الصلاة والسلام
لا امتناعها بل نقول ان فى تلك الايات دلالة على امكان
الرويا فى الدنيا لانها لو كانت ممتنعة لبادرهم سيدنا موسى
بالانكار والمنع من ذلك كما منعهم حين سالوه ان يجعل لهم
الهة فقال انكم قوم تجهلون هذا ما تمسكت به المعتزلة هم
من الادلة السمعية واما ما تمسكت به من الادلة العقلية
فاقواها انهم قالوا الرؤية مشروطة بكون المرى فى مكان
وجهة ومقابلة من الراى وبثبوت مسافة مخصوصة
بينهما بحيث لا تكون فى غاية القرب ولا فى غاية البعد وكل

ذلك

ذلك مستحيل فى حقه تعالى فتستحيل رويته والجواب ان اشتراط
ما ذكروه مفرع على ما زعموه من ان الرؤية انما تكون بانبعاث
اشعة من العين وهى اجزاء مضية قالوا انها تنفصل من العين
وتتشبث بالمرى فيرى بشرط ان يكون فى مقابلة الراى وبشرط
انتفاء القرب والبعد المفرطين ولعدم حجاب بين الراى
وانما تقع الرؤية عندهم بطرق تلك المتصل بالمرى ويسمونه
قاعدة الشعاع ويسمون المتصل منها بالناظر منبعث
الشعاع وقالوا ان قاعدة الشعاع اذا لاقت جسما صقيلا
لا تضرس فيه كالمراة لم تتشبث به بل تنعكس الى الراى فيرى
نفسه قالوا وانما لم يرد اخل الجفن للقرب المفرط وكذا البعيد
جدا انما لم ير لتشبث الاشعة دونه وكذا من كان وراء جدار
او عليه ثياب لان الحجاب الذى بينه وبين الراى منع من اتصال
الاشعة به فقرعوا على قولهم هذا انه لا يصح ان يرى جل وعلا
لاستحالة اتصال الاشعة به لانها اجسام فلا تتصل الا
بالاجسام ولاستدعائها مقابلة وجهة تنبعث اليها وكل ذلك
على الله تعالى محال والمحل الحق رضى الله تعالى عنهم يقولون الادراك
معنى يخلقه الله تعالى فى المدرك فان خلق فى جزء من العين
سمى ابصارا وفى جزء من القلب سمى علما وفى جزء من الاذن
سمى سمعا وفى اللسان سمى ذوقا وفى كل الجسد سمى حسا
واختصاص كل واحد بالمحل الذى خلق فيه انما هو بمحض خلق الله
تعالى واختياره لذلك والا فكل جزء من اجزاء البدن عموما
يصلح عقلا ان يكون محلا لكل ادراك وكذا اختصاص بعض
هذه الادراكات ببعض الموجودات وبان يكون المدرك
فى جهة للمدرك وغير قريب جدا ولا بعيد جدا ولا وراء حايل
كل ذلك انما هو بمحض اختيار الله تعالى واجرائه العادة بذلك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولو خرق سبحانه العادة لصح ان يتعلق كل ادراك بما قرب وبعد
وبما كان دون اكايل او وراه وبما ليس في جهة اصلا كما اجرى
سبحانه وتعالى العادة بذلك في العلم والذي يدل على ابطا
ما ذكروه من انبعاث الاشعة في الرؤية ان يقال لو كانت
الرؤية انما هي باتصال الاشعة الخارجة من العين بالمري
لزم ان لا يرى الانسان الا مقدار حدقته فقط اذ لا تتسع
حدقته من الاشعة اكثر منها لكنه اكثر من ذلك مضاعفة
لا يمكن حصرها لانه يرى في لحظة نصف كرة السما مع ما بينه
وبينها من الهوا فدل قطعا على بطلان ما يزعمون من انبعاث
الاشعة وايضا مما ينقض عليهم في قولهم ان المرى انما هو
ما اتصل به الشعاع رؤية الاكوان وهي الحركة والسكون
والاجتماع والافتراق ورؤية الالوان والاشعة لا تتصل بها
اذ الاشعة اجسام والعرض يستحيل عليه مماسة الاجسام
فاجابوا بالرجوع عن قولهم الاول وقالوا المرى ما اتصل بها
الشعاع او قام بما اتصل به الشعاع والاكوان والالوان وان لم
يتصل بها الشعاع فقد قامت بالجرم الذي اتصل به الشعاع
فقيل لهم فيلزم ان ترى طعوم الجرم وروايحه واصواته وغير
ذلك من اعراضه لانها قايمة بما اتصل به الشعاع حين الرويه
فاجابوا بانا انما قلنا ما قام بما اتصل به الشعاع يري اذا كان
مما يجوز رويته وهذه الاعراض الذي الزمتمونا لا تقبل ان
ترى عقلا فقيل لهم فالجسم اذا كان بعيدا يرى ولا يري لونه
وانما يرى لاتصال الشعاع به على زعمكم واللون قايم به وهو
ما قيل ان يرى اتفاقا بيننا وبينكم فانقطعوا ولم يجيبوا بشي
عجزا ومما ينقض قولهم ايضا في انبعاث الاشعة انا نرى قرص
الشمس ولا نرى الجواح الذي بيننا وبينها اذا تعالت في الجو

ونرى

ونرى في البرية النار من بعد ولا نري بيننا وبينها من حيوانات
وغيرها مع ان الشعاع لم يتصل بقرص الشمس ولا بالنار الا
بعد ان اتصل بالاجسام التي بيننا وبينها ومما يبطل ايضا
كون الروية بانبعاث الاشعة واتصالها بالمرى انه لو كان
كذلك لوجبان تتاخر رؤية المرى لما بعد عنه بعد فتح عينه
ازمنة بقدر ما تصل الاشعة الى المرى وتتصل به ويلزم
ان يختلف ذلك باختلاف البعد وذلك باطل بالمعاينة
فان الانسان يرى الاشيا البعيدة جدا بنفس فتح عينه من
غير تاخر اصلا وبالجملة فادلة فساد قول المعتزلة كثيرة
يطول تتبعها وقد ظهر لك من بحثنا معهم هوس مقالتهم في
غاية وفساد العقل والدين الذين ابتلوا به والعياذ بالله
تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم نحمده سبحانه
على انعم لا تحصى ونساله جل وعلا السلامة والعافية الى الممات
من كل فتنة في ديننا ودنيانا بفضله وكرمه والى رد متمسكات
المعتزلة السمعية اشار المولف بقوله وما في الانعام بالدنيا
تخصصه والى رد متمسكاتهم العقلية اشار بقوله من غير كيف
ولا مثل بما ثله تنبيهات الاول اعلم ان بصرنا على ما عرفت عرض
يقوم بجزء من العين ويتعدد بحسب متعلقه فلكل مرى بصر
يخصه كما ان ذلك حكم العين فانه يتعدد في حقنا بتعدد المعلومات
وكل ما يجوز ان يدرك بالبصر فاذا لم يقم بالمحل ادراك يتعلق به
لزم ان يقوم بالمحل معنى يضاد ادراكه وهو المعبر عنه في
اصطلاح الموحدين بالمانع وتتعدد تلك الموانع بحسب
تعدد تلك الموجودات التي لم تر ولا يلزم من تعدد الادراكات
وتعدد موانعها بحسب ما روي وما لم ير قيام ما لا يتناهى من
عدده بالعين لان ادراك البصر انما يتعلق بالموجود والموجودات

منتاهية فادراكاتها وموانعها التي هي اضدادها منتاهية
الثاني اختلف اهل الحق القايلون برؤية الله تعالى هل تصح
رؤية صفاته تعالى فقال الجمهور نعم لاقتضاء الوجود صحة رؤية
كل موجود الا انه لادليل على الوقوع وكذا ادراكه تعالى بساير
الحواس اذا علمنا بالوجود سيما عند الشيخ حيث جعل الاحساس
هو العلم بالمحسوس لكن لانزاع في امتناع كونه تعالى مشموما
ومذوقا وملموسا لاختصاص ذلك بالاجسام والاعراض
وانما النزاع في ادراكه تعالى بادراك الشم والذوق واللمس
من غير اتصال بالحواس وحاصله كما ان الشم والذوق واللمس
لايستلزم الادراك لصحة قولنا شممت التفاح وذقته
ولمسته فما ادركت رايحته وطعمه وكيفيته كذلك انواع
الادراكات الحاصل عندها لايستلزمها بل يمكن ان تحصل
بدونها وتتعلق بغير الاجسام والاعراض وان لم يقم دليل على
الوقوع والاولى الاكتفا بالرؤية والوقف عن هذه الادراكات
جوازا ووقوعا فهو احوط والله تعالى الموفق لارب غيره

فصل في ثبوت النسخ

قد اجمع الانبيا والرسل قاطبة على الديانة بالتوحيد في الملل
وحفظ نفس ومال معهما نسب وحفظ عقل وعرض غير مبتذل
والنسخ بنكر[5] مسخ اليهود ومن للكفر نحلة من كل ذي نحل
نعم شريعة جرا مطلقا ناسخة غير الموافق للمشروع في العمل

من نسخ عمل

يعني ان احكام الشرع ومقاصده على ضربين ضرب ضروري
قد اعتنى الله تعالى به باندعا في كل ملة من ملل بني آدم
عليه الصلاة والسلام الى شريعة سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم الباقية الى يوم القيمة ولم يجعل سبحانه النسخ
يطرق هذا الضرب ولا الشرايع تختلف فيه وضرب دون

ذلك

ذلك تختلف فيه الشرايع ويطرقه النسخ اما الاول فستة
انواع حفظ الدين فكل ملة كلف اهلها بتوحيد الله تعالى
وافراده بالعبودية وحده وتصديق ما جا به رسله عليهم
الصلاة والسلام والانقياد لذلك قولا وفعلا واعتقادا
ولهذا قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
وقال جل من قايل واسيل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون الى غير ذلك من الايي
الثاني حفظ النفوس فحرم القتل بغير طريق شرعي في كل ملة
ثم لما اشتد باعث الغضب على قتل كل شخص عدوه لم يكتف
الشارع في منع القتل بالزاجر الاخروي كقوله جل من قايل
ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم الى اخر الاية بل شرع فيه
مع ان ذلك من الزواجر الدنيوية ما هو اعلاها وهو قتل القاتل
وبه انكفت الايدي العادية قال سبحانه ولكم في القصاص
حياة الثالث حفظ العقل الذي هو ملاك الدين والدنيا
وقطب دايرة الخيرات والمصالح باجمعها فالقدر المسكر حرمه
الله تعالى في كل ملة ولما اشتد باعث الشهوة على شربه شرع
سبحانه الحد زيادة على الزاجر الاخروي الرابع حفظ النسب
اذ لولاه لما قام الرجال بالاطفال الصغار لاختلاط انسابهم
ووجود الجهالة فيها فكان يبقى امر الاطفال موكولا الى النسا
الوالدات وهن في الغالب عاجزات عن انفسهن فكيف عن
اولاد من فكان يودي ذلك الى ضياع الاطفال دينا ودنيا
والى انقطاع النوع الانساني او ما يقرب من الانقطاع فلهذا
حرم الزنا وما في معناه من اللواط في كل شريعة هذا مع ما
في التوثب على الفروج بالتغلب من التهاجر والتقاتل والتشاجر
ثم لما كان باعث الشهوة فيه اشد منه في المسكر شرع فيه سبحانه

وتعالى من عقوبة الحدود الدنيوية فوق حد السكر الخامس حفظ
المال الذي به قوام الحياة وحفظ المعاش فلهذا حرم النصب
والسرقة وما في معناهما في كل ملة ثم شرع سبحانه تحريم
اخذ المال باطلاق بالزام غرمه ويقطع يد السارق والمحارب
وبعقوبة الغاصب ونحو ذلك ردعا لقوة الشهوة والحسد
والشح الحاملة على اخذ المال بغير حق السادس حفظ الاعراض
التي فيها صيانة الدين والدنيا فلهذا حرم القذف والغيبة
في كل ملة ثم لم يكتف سبحانه بذلك وزاد حد القاذف
وعقوبة المغتاب ردعا للقوة الباعثة على التشفي باللسان
والتفكه في المجالس باظهار المثالب ومؤانسة اهلها باعراض
الاخوان والمصلحة في حفظ الدين اخروية فقط وفي حفظ
العقل جمعت بين مصالح الدنيا والاخرة فان من ذهب عقله
لا يبالي بمعرات الدنيا والاخرة وفيما سوا ذلك مما دنيوية فقط
وحكم في هذه الخمسة ان حفظ الدين مقدم ثم النفس ثم العقل
ثم النسب ثم المال والعرض وهما في رتبة واحدة ومنهم من
يقدم العرض على المال قلت والذي يظهر لو قيل به عكسه
لان العقوبة المرتبة على اخذ الاموال اعظم من العقوبة
على تناول الاعراض وقد يجاب بعدم الالتفات الى العقوبة
بدليل ان العقل مقدم على النسب مع ان العقوبة المرتبة
على الاخلال بالثاني اعظم من العقوبة المرتبة على الاخلال
بالاول وانما النظر في الترتيب الى المفاسد الموجودة مع
هذه الخصال ولاشك ان تناول الاعراض ينشاء عنه من
مفسدة العداوة المؤدية الى قتل النفوس ومفسدة وسم
المومن من النقيصة المخالة بدينه ودنياه ونحو ذلك
ما لا ينشاء عن اخذ الاموال كما ان المفسدة الموجودة مع

فساد

فساد العقل اكثر واعظم من المفسدة مع الاخلال بحفظ الانساب
والله تعالى اعلم ويحتمل ان يجاب ايضا بانه انما زيد في العقوبة
للمال لان باعث الشهوة فيها اقوى من باعث الشهوة في الاعراض
كما تقدم في تشديد العقوبة لفظ الانسان اكثر من العقوبة
لحفظ العقول مع ان حفظ العقول ارجح من حفظ الانساب واما
الضرب الثاني من احكام الشرع فهو ما عدا السنة السابقة
وفيه يختلف الشرايع والملل وفيه يقع النسخ وقد ذهب كثير
من المنكرين لنبوة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
كاليهود واضرابهم الى انكار النسخ في الاحكام الشرعية وامتنعوا
من تصديقه عليه الصلاة والسلام لما تضمنت شريعته المطهرة
من نسخ بعض احكام شريعة موسى عليه الصلاة والسلام وزعموا
ان النسخ محال وتمسكوا في احالته بان النسخ يستلزم البدا وهو
ظهور ما لم يظهر اولا في الحكم الشرعي من رعي مصلحة او درء
مفسدة وذلك جهل وابجهل على الله تعالى محال ومنهم من اعتمد
في احالته على النقل فقالوا ان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام
نص على ان شريعته لا تنسخ وانه قال تمسكوا بالسبت ابدا
والرد على من احال النسخ لما يلزم فيه من البدا ان يقال له ما
تعني بالبدا ان عنيت به ان الله تعالى ظهر له من الحكمة ما كان
خافيا عليه عند شرع الحكم الاول ولذلك نسخه فلا نسلم لزوم ذلك
في النسخ فانه لو استلزم تضرفه في افعال عباده في منع ما اطلقه
في وقت واطلاق ما منعه في وقت البدا كما زعمتم لاستلزمه
تصرفه جل وعلا فيهم من تقلبهم من الصحة الى المرض ومن المرض
الى الصحة ومن الغنا الى الفقر ومن الفقر الى الغنا ومن الحياة
الى الموت الى غير ذلك مما لا ينحصر فاذا لم يدل الثاني على البدا
باتفاق بيننا وبينكم فكذلك الاول كيف ومن المعلوم لكل

شبكة الألوكة www.alukah.net

عاقل انه لا يمتنع في الحكمة ان يامر الحكيم مريضا باستعمال الدوا
في وقت ثم ينهاه عنه في وقت اخر لعلمه بما يصلح به في الحالين
لانه بدا له وظهر له خلاف ما لم يظهر اولا فكم لم تجهلوا ٥
احكام الله تعالى التي نسخها على هذا النحو وان من الحكمة مثلا
لفيه سبحانه عن القتال في اول الاسلام لقلة المسلمين وايجابه
عليهم بعد ذلك لكثرتهم هذا اذا تنزلنا الى القول باعتبار
الصلاح والاصلح على سبيل الجدل وبيان فساد قول الخصم ولو
على اصله الفاسد الذي به يتمسك في موسه والا فمعتقدنا
الذي اجمع عليه اهل الحق ودل عليه العقل والنقل بطلان التحسين
والتقبيح العقليين في افعال الله تعالى واحكامه وعدم وجوب
مراعات الصلاح والاصلح الذين تنشا عنهما ما يختلطون به
من لزوم البدا وان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسئل
جل وعلا عما يفعل وهم يسالون ثم نقول لليهود وقوع الخارق
على وفق دعوى المتحدي مع العجز عن معارضته لا يخلوا امتا
ان يدل على صدق مدعي الرسالة او لا فان لم يدل لزم ان لا
تقوم دلالة على صدق سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام
اذ وجه الدلالة في الجميع واحدة وان دل وجب تصديق سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم وتصديق كلمة الله تعالى سيدنا عيسى
عليه الصلاة والسلام واما النسخ الذي انكروه فهو لازم
في شرعهم ايضا اذ قد ثبت من نص التوراة ان الله تعالى قد قال
لسيدنا نوح حين خرج من السفينة اني جاعل كل دابة ماكلا
لك ولذريتك واطلقت لك ذلك كسائر العشب ما خلا
الدم وقد حرم بعد ذلك في التوراة اشيا كثيرة وفي التوراة
ايضا ان من شريعة سيدنا ادم عليه الصلاة والسلام جواز
نكاح الاخت وقد حرموا ذلك وقد كان في شرع سيدنا يعقوب

عليه

عليه الصلاة والسلام الجمع بين الاختين وقد حرموه ايضا وقد
كان العمل في السبت قبل شريعة سيدنا موسى مباحا ثم حرمه
سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ولم يكن الختان واجبا لغير
الولادة وقد اوجبوه واما دعوى ان سيدنا موسى عليه الصلاة
والسلام نص ان شريعته لا تنسخ فهذا كذب وزور لا شك فيه
وهو مما لقنه لهم ابن الراوندي وقد كان يعلم الفرق الشبه
طلبا للدنيا والرياسة ولا يخفى كذب هذا النقل اذ لو كان
حقا لما ظهرت المعجزة على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام
ولا على يد نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم كما لم تظهر
ولا تظهر على يد احد الى يوم القيمة بعد نبينا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم اذ قال لا نبي بعدي وايضا لو كان ذلك
النقل حقا لكان اولى الازمنة بذكره والاحتجاج به الزمان
الذي دعاهم فيه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
وقد بالغوا حينئذ في اخفائه جهدهم حتى غيروا صفته
ولم يحتج احد منهم بذلك في زمانه مع شدة حرصهم عليه
وتوفر الدواعي على نقله لو كان موجودا حقا **قوله** نعم شريعة
خير الخلق ناسخة الخ حاصله ان الافعال في شريعة سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى احكام الشرايع
التي قبله تنقسم الى ثلاثة اقسام قسم مخالف حكمه في شرعنا
لما قبله فلا شك انه ناسخ له وقسم موافق لاحكام من قبله
فلا شك انه لا نسخ فيه وانا متعبدون اما بشرعنا فقط بناء
على عدم شمول شرايع من قبلنا لنا واما شرعنا وشرع من قبلنا
ان قلنا انا مكلفون بشرع من قبلنا في كل ما لم ينسخ في شرعنا
والقسم الثالث ما سكت عنه في شرعنا وثبت فيه حكم شريعة من
قبلنا فهل نكلف في هذا القسم بالحكم الذي ثبت في غير شريعتنا

ام لا فى ذلك خلاف بين العلما وتحرير محل النزاع ان نقول الحكم
المختلف فيه له ثلاثة شروط الشرط الاول ان يكون ذلك الحكم
اوحي لنبينا عليه لصلاة والسلام انه من شرعهم فاما لو لم
يعرف ذلك الامن قولهم اومن كونه مكتوبا فى مصاحفهم فلا يتبع
لان قولهم لا نصدقه ومصاحفهم قد وقع التحريف فيها فلا
يوثق بها الشرط الثانى ان يكون ذلك الوحى الذى اوحى لنبينا
صلى الله عليه وسلم فى ذلك انما هو مجرد اخبار ان الملة الفلانية
فيها حكم كذا وكذا كقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
الخ وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية
وكما اوحى الى نبينا عليه لصلاة والسلام ان سليمان عليه
السلام اختصمت اليه مرات فى ولد ادعته كلتاهما انه
ابنها فقال هات السكين اقسمه بينهما فرضيت الكبرى
وابت الصغرى وقالت دعه لها يا نبى الله ولا تقسمه فقضى
به للصغرى فهذا مجرد اخبار ان هذا الحكم من شريعة سيدنا
سليمان الثالث ان لا يكون اوحى للنبى صلى الله عليه وسلم فيه شى
لا ما يوافقه ولا ما يخالفه لانه ان كان يوافقه فلشريعتنا
نحن متبعون وان كان يخالفه فهو منسوخ والمؤلف رضى الله
تعالى عنه تكلم فى القسمين الاولين فقط وهما الموافق والمخالف
وسكت عن القسم الثالث وهو المسكوت عنه فى شرعنا لما فيه
من الخلاف بين العلما وبالله سبحانه وتعالى التوفيق

فصل فى النبوة وانها غير مكتسبة

ان النبوة فعل غير مكتسب، بل خصه الله بالحصول فى الاز

لما فرغ المؤلف رضى الله تعالى عنه من الالهيات وما يتعلق بها
شرع فى النبوات وما يتعلق بها اذ هى الجزء الثانى من الايمان
ويحصر الكلام فيها فى ثلاث مسائل الاولى فى معنى النبوة

والنبي

والنبى والرسالة والرسول والثانية فى حكم الرسالة والثالثة
فى اقامة الدليل على ثبوتها وما يتعلق بذلك المسالة الاولى
فى معنى النبوة والنبى لفظ النبوة فى اللغة على وجهين مهموز
وغير مهموز فاما فى لغة من همز فهو ماخوذ من النبا وهو الخبر
ويحتمل ان يكون فعيل بمعنى مفعول اى هو منبا بالغيوب او
بمعنى فاعل او مفعل اى هو منبا بما اطلعه الله تعالى ويصح
ترك الهمز فى هذين الوجهين تسهيلا واما فى لغة من لم يهمز
من اصل فهو ماخوذ من النبوة بفتح النون وهو ما ارتفع
من الارض يقال نبا الشئ اذا ارتفع فالمعنى على هذا ان النبى
مرتفع عن طور البشر باختصاص بالوحى وخطاب الله تعالى
وليست النبوة عند اهل الحق صفة ذاتية للنبى كما صار اليه
الكرامية ولا مكتسبة كما صار اليه الفلاسفة فانهم يرون
التزكية والتخلية صقالا فى مراة النفس الى ان يتهيا لما لا
يتهيا لادراكه غيره بل مرجع النبوة عند اهل الحق الى اصطفا الله
تعالى عبدا من عباده بالوحى اليه فالنبوة هى اختصاص بسماع وحى
من الله تعالى بواسطة ملك اودونه فان امر مع ذلك بتبليغه
فرسالة فالرسول اذن اخص من النبى مطلقا فكل رسول نبى
وليس كل نبى رسولا وقيل هما بمعنى واحد وقيل بينهما عموم
وخصوص من وجه فيجتمعان فى الرسول من البشر وينفرد
النبى فيمن اوحى اليه من البشر ولم يؤمر بالتبليغ وينفرد الرسول
فيمن اوحى اليه من الملايكة وبعث الى غيره وقيل هما متباينان
وان الرسل هم اصحاب الكتب والشرايع والنبيون هم الذين
يحكمون بالمنزل على غيرهم مع انهم يوحى اليهم واعترض على من قيد
الرسول بمن له كتاب بما ورد فى الحديث من زيادة عدة الرسل
على عدة الكتب فقيل حينئذ الرسول هو من له كتاب او نسخ

شبكة الألوكة www.alukah.net

لبعض احكام الشريعة السابقة والنبي قد يخلوا عن ذلك
كيوشع عليه الصلاة والسلام المسالة الثانية في حكم الرسالة
مذهب اهل الحق ان الرسالة ممكنة تفضل بها مولانا جل
وعلا واوجبتها المعتزلة بناء على اصلهم الفاسد في وجوب
مراعاة الصلاح والاصلح ومنعتها البراهمة عقلا بناء على
اصل التحسين والتقبيح العقليين ايضا ولا يخفى فساد المذهبين
ان حقق ما مضى من ابطال التحسين والتقبيح ومراعاة الصلاح
والاصلح فلا حاجة الى التطويل بكثرة الحجج وقد اتضح الحق عيانا
واما المسالة الثالثة فسنذكر ما يتعلق بها مع لفظ المؤلف
وبالله سبحانه وتعالى التوفيق

والمعجزات من المولى تؤيدهم ... مما الى الوحي بالتبليغ للرسل

يعني ان دعوى النبوة لما كانت تقع من الصادق والكاذب
تفضل مولانا جل وعز من عظيم كرمه وسعة فضله بان ايد
سبحانه بمحض فضله الصادق بما يدل على صدقه بحيث لا
يستريب مع ذلك في صدقه الا من حقت عليه كلمة العذاب
وابتلي بالخذلان والطرد عن كل خير ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وهذا الذي ايدهم الله جل وعلا به للدلالة
على صدقهم هو المسمى في اصطلاح المتكلمين بالمعجزة وهو
اسم فاعل مأخوذ من الاعجاز وهو اثبات العجز الذي هو ضد
القدرة استعير لاظهاره ثم اسند مجازا الى ما هو سبب عادة
في اظهار العجز وجعل اسما له فالتاء في المعجزة للنقل من الوصفية
الى الاسمية كما في لفظ الحقيقة وقيل للمبالغة كما في علامة
وذكر امام الحرمين بناء على مذهب الشيخ الاشعري رضي الله عنه
ان هنا تجوزا اخر وهو استعمال العجز في عدم القدرة كالجهل
في عدم العلم اذ حقيقة الجهل وجودية وهو اعتقاد الشيء

على

على خلاف ما هو عليه وكذا العجز في الحقيقة معنى وجودي اذ
هو ضد القدرة ويتعلق بالموجود وبما شانه ان يقدر عليه
حتى ان عجز الزمن انما هو عن الفعود بمعنى انه وجد منه اضطرار
الاختيار فلو تحقق العجز عن المعارضة على هذا لوجدت المعارضة
الاضطرارية كيف والمعارضة مفقودة اصلا والمعجزة في عرف
المتكلمين حقيقتها امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم
المعارضة فقولنا امر احسن من قول بعضهم فعل لان الامر يتناول
الفعل كانفجار الماء من بين الاصابع وعدم الفعل كعدم احراق
النار مثلا ومن اقتصر في حقيقتها على الفعل جعل المعجزة هنا
كون النار بردا وسلاما وبقاء الجسم على ما كان عليه من موالاة
اعراض الحياة والاجتماع عليه من غير احتراق واحترز بقيد
المقارنة للتحدي عن كرامات الاولياء والعلامات الارهاصية
التي تتقدم بعثة الانبياء وعن ان يتخذ الكاذب معجزة من مضى
من الانبياء معجزة لنفسه واحترز بقيد عدم المعارضة عن
الشعر والشعوذة واعترض على هذا التعريف باوجه اما
الاول فلانه لا بد من زيادة قيد الظهور على يد المدعي
ومن جهته في الحد ليحترز عن ان يتخذ الكاذب معجزة من يعارضه
من الانبياء حجة لنفسه ولا بد ايضا من زيادة قيد الموافقة
للدعوى احترازا عما اذا قال معجزتي نطق هذا الجماد فنطق
بانه مفتر كذاب واجيب بان ذكر التحدي مشعر بالقيدين
فان معناه طلب المعارضة فيما جعله شاهد الدعواه وتعجيز
العجز بمثل ما ابداه تقول تحديت فلانا اذا باريته الفعل
وناز عته الغلبة وتحديته القراءة اي اتيانا اقرا ومن لازم هذا
ان الخارق على يد ظهر وانه مصدق له لامكذب اللهم الا ان
يكون له التحدي باحيايه ميتا فاحيي فكذبه ففي فتح تكذيبه

له قولان والذي اختاره امام الحرمين في هذا عدم القدح
قال لان التحدي انما وقع بالاحياء وقد وقع والتكذيب كفر
وقع من المحي ولعله لمونة عليه وقد ورد يموت المرء على ما
عاش عليه ويبعث على اما مات عليه وقال تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وذهب القاضي الى ان ذلك قادح لكن بشرط ان لا
تطول حياته بل يموت عقب تكذيبه ولا شك ان بالتحدي يجعل
ربط الدعوى بالمعجزة حتى لو ظهرت اية من شخص وما سكت
لم تكن معجزة وكذا لو ادعى الرسالة وظهرت الاية من غير
اشعار منه بالتحدي قالوا ويكفي في التحدي ان يقول اية
صدقي ان يكون كذا ولا يحتاج ان يقول ولا ياتي احد بمثلها
لان الاتي بمثلها ان كان محقا فلا يقصد معارضته وانما هو
صادق مثله وان كان معارضا غير محق فليس اذن ما اتى به
معجزة وبالجملة فالتحدي يستلزم ادعاء عجز من يبغي المعارضة
بمثل ما تحدي به واما ثانيا فلان القوم عدوا من المعجزات
ما هو غير مقرون بالتحدي ولا مقصود به اظهار الصدق
لعدم دعوى النبوة حينيذ كاظلال الغمام وتسليم الحجر
والمدر ونحو ذلك وقد شرط في هذا التعريف الاقتران بالتحدي
فيكون التعريف غير جامع واجيب بان عد الارهاص من
المعجزات انما هو على سبيل التغليب والتشبيه والمحققون
على ان خوارق العادات تنقسم الى سبعة اقسام معجزة وهي
ما يظهر على يد الرسول تصديقا له وكرامة وهي ما يظهر
على يد الولي واعانة وهي ما يظهر من بعض عوام المسلمين
الذين لم يصلوا الى درجة الولاية ليخلصهم الله تعالى بها او
يخلص على ايديهم من محن الدنيا ومكارهها واهانة وهي ما ظهر
على يد مسيلمة مثلا من ضد ما يقصد اليه كدعايه لاعور

ان

ان تصير عينه العوراء صحيحة فصارت عينه الصحيحة عورا
وارهاص وهو ما يظهر من الخوارق قبل دعوى النبوة مقدمة
لها وتاسيسا لامرها واستدراج وهو ما يظهر من الخوارق
التي تظهر على من لم يستقم دينه وابتلا وهو ما يظهر من الخوارق
على ما يحصل به اضلال الخلق كالدجال ونحوه واما ثالثا فلان
المعجزة قد تتاخر عن التحدي كما اذا قال معجزتي ما يظهر من
يومي كذا فظهرت وملوكا لذي قبله في افساد عكس التعريف
واجيب ان التاخر ان كان بزمان يسير يعد مثله في العرف
مقارنا فلا اشكال وان كان بزمان يتطاول فالمعجزة عند
من شرط المقارنة هو ذلك القول المقارن فانه اخبار بالغيب
لكن العلم باعجازه يتراخى الى وقت وقوع ذلك الامر ومن جعل
المعجزة نفس ذلك الامر فهو لا يشترط المقارنة له وعلى التقديرين
لا يصح من ذلك النبي تكليف الناس بالتزام الشرع ناجزا لانتفاء
المعجزة والعلم بها لكن لو بين الاحكام وعلق التزامها بوقوع
ذلك الامر صح عند الامام اي المعالي ولم يصح عند القاضي ثم المراد
بعدم المعارضة المذكورة في التعريف ان لا يظهر مثل الخارق
المتحدي به ممن لبس بنبي واما من نبي اخر فلا امتناع **تنبيه**
حاصل وجه دلالة المعجزة بعد اجتماع اركانها وتوفر شرايطها
انها عند التحقيق تنزل منزلة صريح التصديق من الله تعالى
لمن ظهرت على يده لما جرت العادة من الله تعالى ان يخلق عقبها
العلم الضروري بالصدق ونظيرها ما اذا قام رجل في مجلس
ملك بحضور جماعة وادعى انه رسول هذا الملك اليهم فطالبوه
بالحجة فقال مثلا هي ان يخالف الملك عادته ويقوم عن سريره
ويقعد ثلاث مرات ففعل فانه يكون تصديقا ومفيدا للعلم
الضروري بصدقه من غير ارتياب واعترض تمثيل وقياس

شبكة الألوكة www.alukah.net

للغايب على الشاهد وهو على تقدير ظهور الجامع انما يعتبر
في العلميات لافادة الظن وقد اعتبروه بلا جامع لافادة
اليقين في العمليات التي مبنى اساس ثبوت الشرايع على ازحصول
العلم فيما ذكروه من المثال انما هو لما شوهد من قراين الاحوال
واين هو حق مسالتنا المحجوبين كما في مسالتنا والجواب ان
هذا المثال لم يذكر للقياس والاستدلال وانما ذكر للتوضيح
والتقدير لان الغالب الانسان للشاهد وانسه به اكثر فاذا
قرع سمعه ما الفه وحضر بذهنه وقبل عقله الدلالة فيه
وفهم وجهها ضرورة انجلى عن العقل حينيذ ظلمة استغفا
فهم النظير له الذي لم يكن يالغه خياله وهو وجه دلالة
المعجزة وصار عنده حينيذ واضحا كالشمس ضروريا لا يقلد
فيه احدا ولا يقول عقله عند ذلك في صدق الرسول عليه
الصلاة والسلام سمعت الناس يقولون شيئا فقلته
فذكر هذا المثال انما هو من باب العبارات التي يقرب
بها على المبتدي لفهم ويوضح له بها المعنى من غير عسر والا
فمدرك دلالة المعجزة ضروري لمن حقق اركانها بمعرفة
توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته ولا يفتقر في دلالتها
الى مثل يضرب في الشاهد اصلا فلو اتى النبي وقال قد
علمتم ان لكم ربا قادرا على ما يشاء وان احيا الموتى مثلا
ليس مما يدخل تحت مسالك الحيل وانما ينفرد بالاقتدار
عليه فاطر البرية وتعلمون ان الله تعالى علم سرنا وعلانيتنا
وما تخفيه من سرايرنا وتبديه من ظواهرنا ثم يقول الهي
ان كنت صادقا في دعوى الرسالة عنك فاحيي هذا العظام
الرميمة فتمثلت على الفور شخصا سويا ينطق ويفهم ويعقل
لم تستريب احد منهم بعد تحقيق هذه الاركان في ثبوت صدقه

وتحقيقه

وتحقيقه لاركان المعجزة انما هو بمعرفة ما سبق من توحيد الله تعالى
ومعرفة صفاته ولهذا قال ما اوتي على احد من منكري النبوات
في جحدد لالة المعجزات الا من وجه الجهل بار كانها فقد يجهل ان
الخارق للعادة فعل الله تعالى ولا يعتقد الصانع المختار بل يعتقد
صدور العالم عن علة توجب بالذات بتوسط عقول ونفوس
وحركات افلاك وطبايع كما تدعيه الفلاسفة والطبايعيون
لجهلهم بمعرفة الله تعالى ووحدانيته وقد يعتقد انه ليس خارقا
للعادة وانه مما يجوز التوصل اليه بالحيل والغوص في العلوم فاما
من هدي لمسلك الحق وعرف ما تقرر عنده من التوحيد ان الذي وقع به
التحدي هو فعل الله تعالى وهو عالم بدعوى المتحدي اما بمشاهدته
او بالنقل المتواتر وعرف انه لا يتوصل اليه بالحيل اذ اهل الحيل وما
يتوصلون بحيلهم او علومهم اليه معروف لا يخفى الا على غبي بل عرف
ان ذلك الفعل الخارق للعادة فعله الله تعالى بلا واسطة على وفق
دعوى النبي اجابة له لم يستريب بحصول العلم الضروري بصدقه
ولا يحتاج في ذلك الى مثال ولا غيره واما دعوى المعترض ان ذلك
العلم الضروري في المثال الذي يتبين به وجه دلالة المعجزة انما
ثبت باعتبار قراين الاحوال فليس بصحيح بدليل حصول مثل ذلك العلم
الضروري للغايبين عن ذلك المجلس عند تواتر القصة اليهم وللحاضرين
ايضا فيما اذا فرضنا الملك في المثال المفروض في بيت وبين الناس
وبينه حجب منعت الناس من رويته وجعل مدعي الرسالة لهم حجته
ان يحرك الملك تلك الحجب من ساعته ففعل وقد عرفوا ان الملك سمع
دعواه الرسالة عنه وسمع تحديه بتحريك الملك لتلك الحجب
وعرفوا ان تلك الحجب لم يحركها الا الملك لانه لا يقدر على تحريكها
مثلا احد سواه **قوله** مهما اتى لوحي بالتبليغ للرسل يعني ان المعجزات
انما تحتاج اليها اذا اوحى الله تعالى للانبيا بان يبلغوا عنه احكامه

للخلق وجعلهم رسلا بذلك الى الخلق اما لو لم يؤمروا بالتبليغ وكانوا
انبيا فقط لم يحتج الى المعجزات حينئذ وبالله سبحانه وتعالى التوفيق
والكل قد بلغوا كل الذي امروا ، والكل قد عصموا في القول والعمل
ووحي رويا هم حق كيقظتهم ، اذ كلهم وصمة الاحلام لم تنل
كذاك عصمة ما لله من ملك ، حديث هاروت مع ماروت غير جلي
وعصمة الله لا تعزى لغيرهم ، لو نال غاية كل الخير لم يصل

لاشك ان الرسل عليهم الصلاة والسلام يجب في حقهم ثلاث صفات
الصدق في كل ما يبلغونه عن الله تعالى والامانة وهي حفظ الجوارح
الظاهرة والباطنة من التلبس بما نهي عنه نهي تحريم او كراهة وتبليغ
شيء مما امروا بتبليغه ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ما هو
من الاعراض البشرية التي لا تقدح في مراتبهم العلية كالجوع والمرض
ونحو هما امتا برهان وجوب الصدق لهم عليهم الصلاة والسلام فلانهم
لو كذبوا لزم الخلف في خبره تعالى لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة
منزلة قوله جل وعلا صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وامتا برهان
وجوب الامانة لهم عليهم الصلاة والسلام فلان المكلفين مامورون
بالاقتداء بهم في اقوالهم وافعالهم الا ما قام الدليل على اختصاصهم به
فيلزم ان لا يكون في جميعها منهي عنه نهي تحريم وكراهة اذ لو طلق
الاذن في متابعتهم يستلزم نفي ذلك وهذا الدليل بعينه برهان وجوب
الثالث لهم عليهم الصلاة والسلام واما دليل جواز الاعراض البشرية عليهم
صلوات الله وسلامه عليهم فمشاهدة حلولها بهم اما لتعظيم اجرهم بالقيام
بحقوق تلك الاعراض او للتشريع او للتسلي عن الدنيا والتنبيه لخسة
قدرها عند الله تعالى حيث لم يرضها دار جزاء لاوليائه هذا تحصيل القول
في عصمتهم على الوجه المرضي الذي لا معدل عنه وتقع معه السلامة دينا ودنيا
بفضل الله تعالى وان اردت تفصيل القول في ذلك اكثر من هذا فاعلم ان
الكلام في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في موضعين احدهما قبل
النبوة

النبوة والثاني بعدها اما حكمهم قبل النبوة فهم معصومون من الكفر وقد
نقل التقتازاني الاجماع على ذلك واما غيره فنقل بعضهم عن اكثر الاشاعرة
وطايفة من المعتزلة انه لا يمتنع عقلا على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
قبل البعثة معصية كبيرة كانت او صغيرة وذهب بعض اصحابنا الى انه
يمتنع ذلك وهو مختار القاضي عياض قال على ان تصور المسالة هو
كالممتنع فان المعاصي انما تكون بعد تقرير الشرع اذ لا يعلم كون الفعل
معصية الا من الشرع قلت وقد يجاب بان المراد ما كانت صورته
صورة المعصية التي ثبت انها معصية بعد مجيء الشرع كصورة الزنا
ونحوه وقال بعض اصحابنا الامتناع في وقوع ذلك منهم بالسمع اذ لا مجال
للعقل في ذلك لكن دل السمع بعد ورود الشرع على انهم كانوا معصومين
قبل البعثة وذهب الروافض الى امتناع ذلك كله عليهم عقلا وافهم
اكثر المعتزلة على امتناع وقوع الكبايرمنهم عقلا قبل البعثة ومعتمد
الفريقين التقبيح العقلي قالوا الان صدور المعصية منهم مما يحقرهم
في النفوس وينفر الطبايع عن اتباعهم وهو خلاف ما اقتضاه الحكمة
من بعثة الرسل فيكون قبيحا عقلا وقد سبق الكلام على فساد اصل
التحسين والتقبيح العقليين بنعم لو استدل على عصمتهم من ذلك بانه
لو وقع منهم شيء مما ذكر قبل النبوة لنقل ذلك لاعتنا الناس وتوفروا
على البحث عن جميع احوالهم ونقلها من حين خروجهم الى الدنيا الى ان
فارقوا الناس بالكمان ولو وقع منهم شيء من ذلك لنبز وابه يوما ما
عند ما سمع منهم بعد النبوة النهي عنه لكان سديدا واما بعد النبوة
فالاجماع على عصمتهم من تعمد الكذب في الاحكام لان المعجزة دلت
على صدقهم فيما يبلغونه عن الله تعالى فلو جاز تعمد الكذب عليهم
لبطلت دلالة المعجزة على الصدق واما جواز صدور الكذب منهم
في الاحكام غلطا او نسيانا فمنعه الاستاذ وطايفة كثيرة من اصحابنا
لما فيه من منافضة دلالة المعجزة القاطعة وجوزه القاضي وقال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان المعجزة لما دلت على صدقهم فيما يصدر عنهم قصدا او اعتقادا او قال
القاضي عياض لا خلاف في امتناعه سهوا او غلطا لكن عند الاستاذ
بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي وعند القاضي
بدليل الشرع واما غير المذكور من المعاصي القولية والفعلية فالاجماع
على عصمتهم من تعمد الكبائر وصغائر الخسة خلافا لبعض الخوارج واما
اتيان ذلك نسيانا او غلطا فقال الامدي اتفق الكل على جوازه سوى
الروافض وهذا الذي ذكر لا يصح بل اتفقوا على امتناعه فقال القفال
والمحققون بدليل التهم وقال الاستاذ وطايفة منا ومن المعتزلة
وبدليل العقل ايضا واما الصغائر التي لا خسة فيها فجوزها عمدا
وسهوا الاكثرون وبه قال ابو جعفر الطبري من اصحابنا ومنعته
طايفة من المحققين من الفقها والمتكلمين عمدا وسهوا قالوا ولا اختلاف
الناس في الصغائر ولان جماعة ذهبوا الى ان كل ما عصى الله تعالى به
فهو كبيرة ولان الله تعالى امر باتباعهم وافعالهم يحتمل الاقتداء بها عند
اكثر المالكية وبعض الشافعية والحنفية فلو جاز منهم المعصية
لكنا مامورين باتباعهم فيها قلت وبهذا تعرف عدم جواز وقوع
المكروه منهم فالحق اذن ان افعالهم عليهم الصلاة والسلام دايرة بين
الوجوب والندب والاباحة ثم ليس وقوع المباح منهم كوقوعه من
غيرهم ومتوان يقع منهم بحسب مقتضى الشهوة بل لعظيم معرفتهم بالله
تعالى ودوام خوفهم منه جل وعلا وتوالي مراقبتهم له تبارك وتعالى
واعتنا الله تعالى لهم بالحفظ والعصمة في حال الرضى والغضب واليقظة
والنوم وفي كل حال واطلاعه تعالى لهم على ما لم يطلع عليه غيرهم
لا يصدر منهم المباح كما يقع من سايرالناس بل لا يقع منهم الا على وجه
يصير حتهم طاعة وقربة كقصدهم تشريعه او التقوي به على طاعة الله
تعالى ونحو ذلك مما لا يليق بمقاماتهم المرفعة واذا كان اهل المراقبة
من اولياء الله تعالى يلغون الخوف منه تعالى والمراقبة له جل وعلا ما

منعهم

منعهم ان تصدر منهم حركة او سكون في غير الطاعة فكيف بانبيايه تعالى
ورسله صلوات الله وسلامه على جميعهم **قوله** ووحي رويا هم
حق يقظتهم يعني ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام معصومون في
حال النوم كما هم معصومون في حال اليقظة لانه ينام اعينهم ولا ينام
قلوبهم والى هذا اشار المولف رضي الله تعالى عنه بقوله اذ كلهم رؤية
الاحلام اي عيبة من التخليط وضعف الادراك لم تنل اي لم تصبهم فكل مرفوع
مبتدا وما بعده جملة من مبتدا وخبر خبر عنه وحذف العايد وهو مفعول تنل
على العلم المبتدا الاول للعلم به ولا يصح نصب كل على انه مفعول مقدم لتنل لما
يلزم عليه حينيذ من عدم العموم لان لفظة كل اذا جات في حيز النفي لفظا
او تقديرا افاد اللفظ سلب العموم لا عموم السلب بخلاف ما اذا كان هو
النفي في حيزها فانها تفيد حينيذ عموم السلب ويدل على ما ذكر المولف
في رويا الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما في البخاري وغيره من حديث
انس رضي الله تعالى عنه عن ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاث نفر قبل ان يوحى اليه وهو نايم
في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال
اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يكلموه حتى اتو ليلة اخرى
فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبيا تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم الحديث بطوله **قوله** كذا عصمة ما لله من ملك
يعني انه كما يجب للانبيا عليهم الصلاة والسلام العصمة من كل معصية
كبيرة كانت او صغيرة كذلك يجب لجميع الملايكة الكرام عليهم
السلام بدليل قوله تعالى ولا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله
تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون فان قيل ابليس قد كفر بابليس وقد كان من الملايكة بدليل صحة
استثنايه منهم فالجواب انه لم يكن منهم بل كان من الجن ففسق عن امر ربه لكنه
لما كان في صفة الملايكة في باب العبادة ورفعة الدرجة وكان جنيا واخذام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مغمورا فيما بينهم صح استثناؤه منهم تغليبا واما هاروت وماروت فالحق
اذ قيل انهما ملكان انه لم تصدر عنهما كبيرة ولا صغيرة وانهما كانا يعظان الناس
ويقولان انما نحن فتنة فلا تكفر في تعليم السحر ولا كفر في تعليم السحر لتعريف حقيقته
والتحذير من شره في اعتقاده والعمل به وما نقل في شانهما مما يوذن بالكفر
والتعذيب عليه لم يصح منه شئ كما قاله عياض رضي الله تعالى عنه وانما هو مفتعل
من كتب اليهود الذين بدلوا وغيروا ونبزوا الانبيا والملايكة بما لا يليق بهم فلا يلتفت الى شئ من ذلك ولا تنشر الصحف به الا بقصد
التحذير منه **قوله** وعصمة الله لا تعزى لغيرهم يعني ان العصمة من
جميع المخالفات انما تجب شرعا للانبيا والملايكة على جميعهم الصلاة
والسلام واما غيرهم من صالحين واوليا فالعصمة ليست واجبة لهم
لا بالعقل ولا بالشرع وقد يتفق ان يخص الله تعالى بها من يشا من اوليايه
فالمنفي اذن عن غير الانبيا والملايكة عليهم الصلاة والسلام وجوب العصمة
وتحققها لا وجودها فقول المولف لا تعزى لغيرهم يعني على سبيل التحقق
والوجوب لعدم قيام الدليل على ذلك في حقهم بخلاف الانبيا والملايكة فانه
قام الدليل على ذلك في حقهم عليهم السلام اما عقلي او شرعي وبالله التوفيق
رسولنا احمد المختار افضلهم ، نعم وخاتمهم والنص فيه جلي
ذو المعجزات وبالقران كان له ، منها تحديه نصا غير محتمل
فلم يعارضه في القران معترض ، الا مسيلمة الكذاب ذو الحيل
اتى الكذوب بزور اقوالا مفتريا ، عمهات جل كلام الله عن مثل
قد امر بالجهل نور الله يطفيه ، والله اظهره كالشمس لم يزل
لاحظ الكل موفق ان سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله
تعالى ارسله بالهدي ودين الحق لجميع اهل الارض ولم يخالف في ذلك
من الملل والاديان الا البعض من اليهود والنصارى والحجة لنا انه
عليه الصلاة والسلام ادعى النبوة والرسالة واظهر المعجزة وكل من كان
كذلك فهو نبي رسول واما مدعواه النبوة والرسالة له فامر معلوم بالضرورة

واما

واما اظهار المعجزة فلانه اتى بالقران واخبر بالمغيبات واظهر افعالا كثيرة
تخرج عن الحصر على خلاف المعتاد بلغت جملتها حد التواتر وان كان تفاصيل
بعضها من الاحاد اما النوع الاول وهو القران العظيم فلاخفا انه معجزة
له صلى الله عليه وسلم لانه تحدى به ودعى الى الاتيان به ودعا الى الاتيان
بسورة مثله مصاقع البلغا والفصحا من العرب مع كثرتهم كثرة
رمال الدهنا وحصا البطحا وشهرتهم بغاية العصبية والحمية الجاهلية
وتهالكهم على المباهات والممارات والدفاع عن الاحساب وركوب الشطط
في هذا الباب فجزوا واعرضوا عن المعارضة بالحروف السهلة التي دواعيهم
متوفرة عليها الى المعارضة بالسيوف الصعبة التي تنفر كل الطباع عنها
الا ان تدعوا الضرورة اليها فلو قدروا على المعارضة لعارضوا ولو عارضوا
لنقل الينا لتوفر الدواعي على ذلك وعدم الصارف والعلم بجميع ذلك قطعي
ضروري لا يقدح فيه التخليط بذكر ما يقع ببطلانه من الاحتمالات كاحتمال انهم
تركوا المعارضة مع القدرة عليها او عارضوا ولم ينقل الينا لمانع كعدم المبالاة
وقلة الانتقال والاشتغال بالمهمات وقد اختلف الناس في وجه اعجاز القران
بعد الاجماع على انه معجز فالجمهور على ان اعجازه بكونه في الطبقة العليا في
الفصاحة والدرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحا العرب بسليقتهم
وعلما العراق بتمهرهم في فن المعاني والبيان واحاطتهم باساليب الكلام وعلم
بما شاهدوه ضرورة من عجز جميع الخلق عن معارضته هذا مع اشتماله
على الاخبار عن المغيبات الماضية والاتية وعلى العلوم الالهية واحوال
المبدا والمعاد ومكارم الاخلاق والارشاد الى فنون الحكمة العلمية
والمصالح الدينية والدنيوية ثم ذلك كله على يد نبي امي لم يلحظ قط
كتابا ولا خالط شيئا من العلوم ولا جالس احدا من اربابها ولا بحث قط
على شئ من ذلك جملة وتفصيلا وذهب النظام وكثير من المعتزلة والمرتضى
من الشيعة الى ان اعجازه بالصرفة ومعنى ان الله تعالى صرف هممهم المتحدين عن
معارضته مع قدرتهم عليها اما لسلب قدرتهم او لسلب العلوم التي لا بد منها

في الاتيان بمثل القران بمعنى انها لم تكن حاصلة لهم او بمعنى انها كانت ○
فازالها الله تعالى وهذا الاخير هو المختار عند المرتضى ومحققه انه كان
عندهم العلم بنظم القران والعلم بانه كيف يؤلف كلام يساويه او يدانيه
والمعتاد ان من كان عنده هذان العلمان يتمكن من الاتيان بالمثل الا انهم كلما حاولوا
ذلك ازال الله تعالى عنهم تلك العلوم وفيه نظر اذ لو كان ذلك لما استعربت العرب
نظمه وتعجبت فصحاؤهم من بلاغته ولو وقع منهم شيء من مثله قبل ان يتحدى به
النبي صلى الله عليه وسلم واحتج القايلون بالصرفة باوجه الاول انا نقطع بان
فصحاء العرب كانوا قادرين على التكلم بمفردات السور وتركيباتها القصيرة
مثل الحمد لله ومثل رب العالمين وهلم الى الاخر فيكونون قادرين
على الاتيان بمثل السورة لولا ان الله تعالى صرفهم وجوابه ان حكم
الجملة قد يخالف حكم الاجزاء وهذه بعينها شبهة من نفى قطعية ○
الاجماع والخبر المتواتر ولو صح ذلك لكان كل واحد من احاد العرب قادرا
على الاتيان بمثل قصايد فصحايهم مثل امرء القيس واضرابه ○
ولكان كل واحد منهم قادرا على التفاصح في عباراته عن مقاصدها
ونظمها بالجملة الشعر بما هو معروف للفصحاء القدرة على مفردات عباراتهم
وجملها القصيرة وكل ذلك قطعي البطلان على الضرورة الثاني ان
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين عند جمع القران كانوا يتوقفون
في بعض السور والايات الى ان تشهد بثبوتها الثقات وابن مسعود
رضي الله تعالى عنه تردد في الفاتحة والمعوذتين ولو كان نظم المفردات معجزا
بفصاحته بالصرفة لكان ذلك كافيا في الشهادة وجوابه بعد صحة الرواية
بما ذكر وكون الجمع بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا في زمانه وكون كل سورة
مستقلة بالاعجاز ان ذلك كان للاحتياط والاحتراز عن ادنى تغير
لا يخل بالاعجاز فان اعجاز كل سورة ليس مما يظهر لكل احد ابتداء وذهب
جماعة الى ان اعجازه بنظمه الغريب المخالف لما عليه كلام العرب في الخطب
والرسايل والاشعار وقيل ان اعجازه لسلامته عن الاختلاف والتناقض

وقيل

وقيل لاشتماله على دقايق العلوم وحقايق الحكم والمصالح وقيل لاخباره
بالمغيبات ورد الاول من هذه الاقوال بان حماقات مسيلمة م
ومن جرى مجراه ايضا على ذلك النظم ورد الثاني بان كثيرا مما يسلم
كلام البلغا عن الاختلاف والتناقض ورد الثالث بان كلام
الحكما كثيرا ما يشتمل على العلوم والحقايق ورد الرابع بان الاخبار
عن المغيبات لا يوجد الا في القليل من الايات فيكون الاعجاز
متوقفا على ما وجد فيه وهو خلاف الظاهر قال التفتازاني فان
قيل لا يظهر فرق بين كون الاعجاز بنظمه الخاص وبين كونه ببلاغة
النظم حتى يجعلا مذهبين متقابلين ويجعل كون الاعجاز بالامرين
جميعا مذهبا ثالثا ينسب للقاضي على ما قال امام الحرمين ان وجه
الاعجاز عندنا هو اجتماع الجزالة مع الاسلوب والنظم المخالف
لاساليب كلام العرب من غير استقلال لاحدهما اذ ربما يدعي ان بعض الخطب
والاشعار من كلام اعاظم البلغا لا يحط عن جزالة القران بخطا طايلة
قاطعا للاوهام وربما يعد نظم ركيك يضاهي نظم القران على ما روي
من تزهات مسيلمة الكذاب الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له
ذنب وثيل وخرطوم طويل فلزم كون الاعجاز بالنظم البديع مع الجزالة
اعني البلاغة وهو التعبير عن معنى سديد بنظم شريف وافٍ بتأدية
عين المقصود من غير مزيد قلت معنى الاول ان نظم القران
وتركيبه يخالف المعتاد من اساليب كلام العرب اذ لم يعهد
فيها كون المقاطع على مثل تعلمون ويعلمون ويفعلون والمطالع
على مثل يا ايها الناس ويا ايها المزمل والحاقة وعم يتساءلون
وامثال ذلك ومعنى الثاني ان نظمه بلغ في الفصاحة ○
والمطابقة لمقتضى الحال الحد الخارج عن طور البشر وكان معنى
النظم على الاول ترتيب الكلمات وضم بعضها الى بعض وعلى الثاني
جمعها مرتبة المعاني متناسقة الدلالة على حسب ما يقتضيه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العقل على ما قال عبد القاهر ان النظم هو توخي معاني النحو فيما بين الكلام
على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام ثم قال التفتازاني وقد يستدل
على بطلان الصرفة بوجوه الاول ان فصحاء العرب انما كانوا يتعجبون من
حسن نظمه وبلاغته وسلامته في جزالته ويرقصون رؤسهم عند سماع
قوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك الاية لذلك لا لعدم تاتي المعارضة مع سهولتها
في نفسها الثاني انه لو قصد الاعجاز بالصرفة لكان الانسب ترك
الاعتناء ببلاغته وعلو طبقته لانه كلما كان اترك في البلاغة وادخل
في الركاكة كان عدم تيسر المعارضة ابلغ في خرق العادة الثالث
قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فان ذكر الاجتماع والاستظهار
بالغير في مقام التحدي انما يحسن فيما لا يكون مقدورا للبعض وبتوهم كونه
مقدورا للكل فيقصد نفي ذلك فان قيل لو كان القصد الى الاعجاز بالبلاغة لكان
ينبغي ان يؤتى بجميعه في اعلا الطبقات لكونه ابلغ في خرق العادة ومعلوم
ان بعض الايات في باب البلاغة اعلا وارفع قلنا هذا اوفى بالغرض واوضح
في المقصود بمنزلة صانع يعوز من مصنوعاته ما ليس غاية مقدوره
ونهاية ميسوره فشمر يدعو اجماهير الحذاق في الصناعة الى ان يأتوا
بما يوازيه ويدانيه دون ما القاه واما قوله رسولنا
احمد المختار افضلهم الضمير المخفوض بافضل عائد على الرسل والملائكة
واذا كان افضل النوعين فهو افضل كل ما خلق الله تعالى اذ هذان
النوعان مما افضل المخلوقات فاذا كان عليه الصلاة والسلام
افضل منهما لزم ان يكون افضل المخلوقات كلها وافضليته على جميع
الخلق لا ينكرها الا جاهل او من في قلبه مرض وقد قال عليه الصلاة
والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر والاجماع على انه افضل الانبيا
والرسل ومذهب اكثر اهل السنة ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
افضل من الملائكة فيكون عليه الصلاة والسلام بالنسبة للملائكة

عليهم

عليهم الصلاة والسلام افضل من الافضل منهم وعلى القول الاخر بتفضيل
الملائكة على الانبيا على جميعهم افضل الصلاة والسلام فسيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم خارج من ذلك ويكفيك في معرفة شفوفه وعلو
منزلته على كل المخلوقات جملة وتفصيلا ما اجمع عليه من ثبوت شفاعته
الكبرى في مواطن الاخرة لاراحة الخلق من هول المحشر وشدايد احواله وقد
علم ان ذلك الموقف لها يجمع الاولين والاخرين وجميع الانبيا والمرسلين
وجميع الملائكة واشتد لهوله مناك اشتدادا لا يمكن وصفه وطال امره
وماج الخلق بعضهم في بعض حتى ان الملائكة الكرام تخشوا فيه على الركب وحتى
البرا من كل عيب انتموا انفسهم كاكابر الرسل عليهم الصلاة والسلام
يقول كل واحد منهم على سبيل الاعتذار عندما تطلب منه الشفاعة ان
ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعد مثله لا
اسأله اليوم الا نفسي اذهبوا الى غيري ويتدافعون الشفاعة من واحد الى آخر
حتى تنتهي الى عروس المملكة وسرها واكسيرها وسيد كل ما خلق مولانا واجل وأعز
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها وانا لها حتى يسجد
تحت العرش فيقال له من قبل الله تعالى ارفع راسك محمدا وقل يسمع لك
واشفع تشفع وسل تعطه فانظر هذا الخطاب العظيم لهذا السيد من المولى
جل وعلا في ذلك اليوم الهايل كيف هو صريح بالمعنى ودليل قطعي لا يرتاب
فيه عاقل انه لا اكرم منه على الله تعالى عموما وفي الحديث انه عليه الصلاة
والسلام اول من يقرع باب الجنة فيقول له رضوان خازنها عليه الصلاة
والسلام من فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيقول رضوان عليه السلام
بك امرت لا افتح لاحد قبلك وكما قال وورد معناه ان النار عند
ما تسوقها الملائكة الموكلون بها بالسلاسل لتحيط بالخلق في المحشر
فاذا قربت منهم بنحو خمسمائة سنة تشهق عليهم شهيقا عظيما منكرا
ويتقلن منها عنق طوله خمسمائة سنة له فم واسنان فيصل الى الامل
المحشور يزفر عليهم ويشهق شهيقا منكرا لا يستطاع سماعه ويملأ

شبكة الألوكة www.alukah.net

الجو عليهم ظلمة ونارا زيادة الى ما هم فيه من الاهوال الجسيمة ويتلفظ
الناس من الموقف ويبتلعهم بعد خلهم النار من ذلك العنق الطويل الى
جوفها وحينيذ تجثوا الملائكة المقربون والانبيا والرسل عليهم
الصلاة والسلام على الركب خوفا من الله تعالى فحينيذ ينهض الى النار
سيد الخلق ومولانا ومولاهم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ويقول للعنق
ارجع مكانك حتى يأتيك اصحابك فتسمع النار حينيذ ندا من قبل الله
تعالى اسمعي واطيعي وبالجملة فافضليته عليه الصلاة والسلام على
جميع المخلوقات يكاد ان تكون مما علم من الدين ضرورة والحمد لله رب العالمين
حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيد زادة الله شرفا الى اشرف زيادة لا انقطاع
لها ولا نهاية **قوله** نعم وخاتمهم هذا تمام دليل ايضا على الكتاب والسنة
واجمعت عليه الامة اما الكتاب فقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم
النبيين واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي وقوله لم يبق بعدي
الا مبشرات النبوة الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم او ترى له وغير
ذلك من الاحاديث الدالة على هذا المقصد بدلالة المطابقة او الالتزام
فان قيل قد ورد في الحديث نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام
بعده قلنا نعم لكن نزوله على انه واحد من امته صلى الله عليه وسلم يعمل
بمقتضى شريعته الناسخة لكل شريعة قبلها فيكون عيسى عليه الصلاة والسلام
خليفة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان عند ما تزلزل
في بسيط الارض قواعد الايمان وبلغت القلوب الحناجر واشرف الاسلام
واهله في شفا جرف خروج عدو الله الدجال الذي لا يقدر ان يقاوم
سطوته غير كلمة الله وروحه النبي العظيم الشان قال التفتازاني عيسى
عليه الصلاة والسلام خليفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم الاصح
انه عليه الصلاة والسلام يصلي بالناس ويومهم ويقتدي المهدي به
لانه افضل فامامته اولى **قوله** فلم يعارضه في القرآن معترض الا
مسيلمة الكذاب يعني ان البلغا كلهم مع كثرتهم كثرة لا يحاط بها هم

احسوا

احسوا بالعجز عن معارضته واستحوا من الفضيحة التي تبقى الى اخر الدهر
ان اتوا بشيء من الكلام في قالب المعارضة اذ من العقل ترك التعاطي لما
فوق الطاقة الا مسيلمة الكذاب فانه لم يستح من الفضيحة وانتهض مع
الاتصاف بغاية العجز الى معارضة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة
والاتيان بشيء من الكلام الذي يضاحك منه الى ان تقوم الساعة سماه
قرانا انزل عليه ففضح نفسه بدعواه ما لا يقدر عليه وبقي هزأة للسامعين
الى اخر الدهر واسم مسيلمة علما قاله عمر بن عبد البر هارون بن حبيب الحنفي
وكان يكنى بابي ثمامة وكان يزعم ان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتيه
وذلك انه لما سمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة يدعوا الى الله
عز وجل حملته الرياسة الحمقا الى صيرته مسخرة وضحكة لكل من يسمع بشانه
واهلكته دنيا واخرى على ان ادعى هو النبوة ايضا باليمامة وبعث الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يخبره باحواله فصار ينقل اليه ما يسمع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران وغيره فكان يقرا القران على
من عنده ويزعم انه انزل اليه ولما افتضح حين اشتهر بزعمه فاتى بما هو ضحكة
لكل سامع كقوله والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات
طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا يا ضفدع يا بنت ضفدعين
نقنقي فيما تنقنقين لا الماء تكدرين ولا الشاربين تمنعين اعلاك
في الماء واسفلك في الطين وسمع سورة الفيل فقال الفيل ما الفيل
وما ادراك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل فانظر هذا المضاك
وما بلها بقوله تعالى والنازعات غرقا الايات وبقوله والمرسلات
عرفا الايات وبقوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة
ليستبين لك تنامي حمق هذا الخبيث الكذاب وعظم تجاسره على ما فيه
اعظم فضيحة له دنيا واخرى لكن من لم يستح لم يبال بما يصدر منه من
قول او فعل وقد قيل ان هذا الخبيث هو المراد في قوله تعالى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سانزل مثل ما انزل الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم
ان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما كذاب اليمامة
مسيلمة وكذاب صنعا الاسود العنسي وكان مسيلمة قد ارسل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتشهدان أن مسيلمة رسول الله فقالا نعم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما وكتب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك
اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك فلنا نصف الارض ولقريش
نصفها ولكن قريشا يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب سلام على
من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فاخفى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعم انه
وصل كتابه بالشركة معه وكتب بذلك كتابا عن النبي صلى الله عليه
وسلم واخرجه الى اصحابه وتخرق لهم حتى افتتنوا به ومن حقهم وعمى
بصائرهم انهم اغتروا به ومنوا في احواله على الضد من احوال النبي صلى الله
عليه وسلم فكان ذميم الخلقة اصفر اللون اخنس يعكس صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجاءه قوم بمولود فمسح راسه ففزع وفزع كل مولود له
وجاءه اخر فقال يا ابا ثمامة اني ذو مال وليس لي مولود يبلغ حتى يموت
غير مولود لي ابن عشرين سنة ولي مولود ولد امس فاحب ان تبارك
فيه وتدعو ان يطيل الله عمره فقال سأطلب لك الذي طلبت
فيجعل عمر المولود اربعين سنة فرجع الرجل الى منزله مسرورا فوجد
الاكبر قد تردى في بير ووجد الصغير ينازع في الموت فلم يمس ذلك
اليوم حتى ماتا جميعا تقول امهما فلا والله ما لابي ثمامة عند الله
مثل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وحفرت بنو حنيفة بيرا فاعذبوها

فجاوا

فجاوا الى مسيلمة فطلبوا منه ان يأتيها وان يبارك فيها فاتاها
فبصق فيها فعادت اجاجا وبقي الكلام واضح وبالله تعالى التوفيق

والمعجزات سوى القرآن ليس لها ... حد فيحصرها نظم لمنتقل
فالبدر شوله والجذع حزنله ... وان يرد فيض ما التحر ينهمل
ونطق عجما بل نطق الجماد له ... ومن هجير وطيس الشمس ظلل

لاشك ان معجزاته صلى الله عليه وسلم وآياته صدقه لا يمكن استقصاؤها
ولا حصرها اذ ما من معجزة لرسول الا وقد اعطي عليه الصلاة والسلام
مثلها وما هو اعظم منها ثم زاد بعد ذلك على الجميع مما لا ينحصر ثم خص
وحده عليه الصلاة والسلام بان ابقى الله تعالى له اعظم معجزة وهي
معجزة القرآن محفوظة تشاهد وتتلى الى اقيام الساعة او قرب قيامها
وهي معجزة جمعت بين الدليل لما فيه من الاعجاز وغيره من وجود الدلالة
وبين المدلول لما فيه من بيان الايمان وادلته وبين احكام الشريعة
والمواعظ والقصص والوعد والوعيد الى غير ذلك من علومه التي لا تنحصر
ثم جعل مع ذلك حفظه وتلاوته من افضل الاعمال التي يتقرب بها
الى الله تبارك وتعالى ثم جعل في الاخرة شفيعا مشفعا لاصحابه
مقولا لكل واحد منهم اقرأ وارق ثم اعظم من ذلك كله ان مدلوله
كلام ذي الجلال الذي لا مثل له ولا نهاية لمعانيه ولا حصر لمتعلقاته
فيكون فضله على حسب فضل مدلوله العديم المثال الى غير ذلك
من بركاته وفوائده التي لا يمكن ان تحصى والجلالة مدة المعجزة ومزيد
الشرف الذي لها على سائر المعجزات قدمها المؤلف رضي الله تعالى عنه
اعتنا وتشريفا لمحلها ثم ذكر بعدها بعض معجزات مشهورة ن
مستفيضة فمنها انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم ويكفيك
في صحة اخبار الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله اقتربت
الساعة وانشق القمر ووردت به الاخبار الصحيحة منها ما روى
عن ابن عباس وانس رضي الله تعالى عنهما وغيرهما ان اهل مكة سألوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رسول الله صلى الله عليه وسلم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين وعن عبد الله
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ انشق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي بعض الروايات فقال كفار
قريش هذا سحر فابعثوا الى الملل الافاق حتى تنظروا اراوا مثل هذا ام لا فاخبر
اهل الافاق انهم راوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر وفي رواية
قالوا ان كان محمد سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا
من ياتيكم من بلد اخر فانوا فاسئلوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك فعند
ذلك قالوا هذا سحر مستمر فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر
الاية ومنها وهو مشهور متواتر حنين الجذع وبكاوه عليه حتى ناله وسلا
عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يصنع له المنبر يخطب عندها
فلما صنع له عليه الصلاة والسلام المنبر انتقل عن ذلك الجذع الى
المنبر فسمع له كل من كان في المسجد حنينا وصوتا عظيما كالعشار حتى كاد
ان يتشق اسفا على فراقه صلى الله عليه وسلم فضمه اليه فصار يئن انين
الصبي الذي تضمه الام لمليها وتسكنه عند بكايه وقد روي انه عليه الصلاة
والسلام خيره عند ذلك بين ان يغرسه في الارض فيحييه الله تعالى ويكون
شجرة مثمرة لها فروع عظيمة او يبقى حتى يغرس في الجنة ويكون من شجرها وعلى
صفتها ياكل منها اولياء الله تعالى ثم اصغى صلوات الله وسلامه عليه اذنه
اليه ليجد ثه سرا بما يختار فحد ثه انما يختار ان يغرسه في الجنة ويكون من
شجرها وسمعه من يليه وكان ذلك منه والله تعالى اعلم حرصا على مجاورته
صلى الله عليه وسلم في الجنة ولعله ليكمل له صلى الله عليه وسلم اعظم سرورا
بان يغرسه صلى الله عليه وسلم في منزله الارفع حتى يقربه كما كان في الدنيا
وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عند ما اختار ان يغرس في الجنة
لقد اختار الباقي على الفاني ومنها وجود الماء الكثير عند شدة الحاجة اليه
ببركته صلى الله عليه وسلم والى هذه المعجزة اشار المولف رضي الله تعالى عنه

بقوله

بقوله وان يرد فيض ما البحر ينهمل اى وان يرد فيض ما يشبه في الكثرة ما البحر
كانه يساعده وينهمل اى يسيل ويدخل تحت هذه المعجزة معجزات منها فيضان
مياه السما في الوقت بركة دعائه صلى الله عليه وسلم واستسقائه وذلك
مشهور في الصحاح من ذلك حديث انس المشهور المذكور في الصحيحين
وغيرهما حتى لقد رواه البخاري عن انس رضي الله تعالى عنه من نحو ثمانية
طرق منها عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة الانصاري عن انس بن مالك
قال اصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة قام اعرابي
فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ان يسقينا
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السما قزعة قال فثار سحاب
كامثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى راى المطر يتحادر عن لحيته
قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى يوم
الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي او رجل غيره فقال يا رسول الله
تهدم البنا وغرق المال فادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما جعل يشير بيده الى ناحية من السما
الا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي قناة
شهرا قال فلم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وانظر بقية الطرق فيه
ومما يدخل ايضا في هذه المعجزة التي اشار اليها المولف تفجير ما العيون
والابار ببركته صلى الله عليه وسلم وانبعاثه بمسه ودعوته مثل
ما روى مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك
والهم نزوا العين وهي تنبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين
بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجهه ويديه واعاده فيه فجرت بماء كثير فاستسقى الناس قال
في حديث ابن اسحاق فاخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال
يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا

وفى حديث البراء وسلمة بن الاكوع فى قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة
وبيرها لا تروى خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة
فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبائها واتى بدلو منها
فبصق ودعا وقال سلمة فامتدعا والماء بصق فيها فجاشت فازووا
انفسهم وركابهم والاحاديث فى هذا النوع كثيرة ومما يدخل فى هذه
المعجزة ايضا نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره بركته صلى الله عليه وسلم
والاحاديث الصحيحة فى هذا النوع كثيرة جدا منها حديث انس بن مالك
رضى الله تعالى عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت
صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الاناء يده
وامر الناس ان يتوضوا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه
صلى الله عليه وسلم فتوضا الناس حتى توضوا من عند اخرهم وفى الصحيح
عن سالم بن ابى الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا واقبل الناس نحوه وقالوا
ليس عندنا ماء الا ما فى ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون
وفيه فقلت كم كنتم قالوا لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة
قوله ونطق عجما بل نطق الجماد له مراده بالنطق الكلام العربى الواضح
وبالعجما الحيوان البهيمى الذى لا يعقل ولا يتكلم وبل فى كلام المؤلف
لاضراب لا نتقال من الادنى الى الاعلا لان الجماد ابعد فى قبول الكلام
من العجما فقد ثبت منه قضايا كثيرة منها ما روى عن عمر رضى الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى محفل من اصحابه اذ جاءه
اعرابى قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبى الله فقال واللات
والعزى لا امنت بك او يومن هذا الضب وطرحه بين يدى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه

بلسان

بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يازين من وافى
القيمة قال من تعبد قال الذى فى السما عرشه وفى الارض سلطانه
وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد افلح من صدقك وخاب من كذبك
فاسلم الاعرابى وعزم سلمة كان النبى صلى الله عليه وسلم فى صحراء فادته
ظبية يارسول الله قال لما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى
خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب ارضعهما وارجع قال وتفعلين
قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابى فقال
يارسول الله لك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت ثم
تعدو فى الصحرا وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما بين السما والارض شى الا ويعلم
انى رسول الله الا عاصى الجن والانس واما كلام الجمادات له صلى الله
عليه وسلم فقد ثبت منه كثير من ذلك ما ذكره القاضى رضى الله
تعالى عنه فى كتابه الشفا بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فدنى منه اعرابى فقال يا
اعرابى اين تريد قال الى اهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال
من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة وهى بشاطى الوادى
فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت
الى مكانها وعن بريدة سال اعرابى النبى صلى الله عليه وسلم اية فقال له
قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت
الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله قال للاعرابى

مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك المكان فاستوت
فقال الاعرابى اتاذن لى ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فاذن لى ان اقبل يديك ورجليك
فاذن له وفيه عن على رضى الله تعالى عنه كنا بمكة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال
السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل انه
الحجر الاسود وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا
شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضى الله
تعالى عنهما لم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفى حديث العباس رضى الله
تعالى عنه اذا شمل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعليه بنية بملاءة
ودعا لهم بالستر من النار كستره ايا هم بملائه فامنت اسكفة الباب
وحوائط البيت امين امين ومن هذا المعنى تسبيح الطعام بحضرته وكلام
الشاة المسمومة له واحياء الموتى له والاحاديث فى هذا الباب كثيرة
قوله ومن هجير وطيس الشمس فى ظلل الهجير والهاجرة والهجر نصف النهار
عند اشتداد الحر منه تهجر النار والتنور اذا اشتد حرها والوطيس
حفرة يختبز فيها ويشوى وهو التنور وقد يتجوز به فيقال حمى الوطيس
لشدة الحر او لشدة الحرب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى هوازن
الآن حمى الوطيس قال الاصمعى الوطيس الضرب الشديد بالكف وقال
ابو الغيث بالحق وغيره والظل جمع ظلة وهو ما اظلك من غمام وغيره
والظاهر ان المولف اراد بالهجير شدة الحر واراد بالوطيس على سبيل
المجاز حر الشمس وفى ظل خبر مبتدا محذوف وهو ضمير يعود على النبى
صلى الله عليه وسلم ومحل من هجير النصب على الحال من ظلل وهو من باب
نعت النكرة تقدم عليها فانتصب على الحال ومن فيه للتعليل وتقدير

معنى

معنى الكلام ومن اجل شدة الشمس هو عليه الصلاة والسلام فى ظلل
ويحتمل انه اراد بالهجير نصف النهار ولا يخلو من تكلف ونكر ظللا للتعظيم
ولهذا ادخل عليها فى الظرفية اشارة الى تكاثفها واحاطتها به عليه
الصلاة والسلام من جميع الجهات حتى كانه بنى من تلك الظلل بيتا
دخل عليه الصلاة والسلام فجوفه وذكر الشيخ رضى الله تعالى عنه هذه
الاية اثر نطق الجمادات لمناسبة بينهما جامعة وهى تسخير الجمادات له
صلى الله عليه وسلم ارضية كانت او سماوية على ان هذه الظلل يصح ايضا
ان تكون من غير الجماد كالطير والملائكة مثلا حسب ثبوتها من الغمام
والشجر وكل ذلك ثابت فى الاحاديث للنبى صلى الله عليه وسلم قبل
النبوة وبعدها ومما ورد فى هذا المعنى ما خرجه الترمذى عن ابى بكر
رضى الله تعالى عنه عن ابى موسى عن ابيه قال خرج ابو طالب ومعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب هبطوا
فحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا
يخرج اليهم ولا يلتفت لهم فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب
حتى جاء فاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد
العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين
فقال له اشياخ قريش ما علمك فقال انكم حين اشرفتم من العقبة لم
تبق شجرة ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبى وانى اعرفه
بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع وصنع
لهم طعاما فلما اتاهم به وكان هو عليه الصلاة والسلام فى رعية
الابل قال فارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنى من القوم
وجدهم قد سبقوه الى فى الشجرة فلما جلس مال فى الشجرة عليه
قال فبينما هو قائم عليهم بناشدهم ان لا يذهبوا به الى الروم
فان الروم ان راوه عرفوه بالصفة فيقتلوه فالتفت فاذا سبعة
من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم الراهب فقال ما جاءكم قالوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حينا لان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه
باناس وانا قد اخترناك خيرة بعوثنا الى طريقك هذه قال افرايتم
امرا يريد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا
قال فبايعوه وانا هكذا معكم قال انشدكم الله ايكم وليه قالوا ابو طالب
فلم يزل يناشده حتى رده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده
الراهب من الكعك والزيت ومن الشفا للقاضي رضي الله تعالى عنه
قال وفي رواية ان خديجة ونساها راينه لما قدم وملكان يظلانه
فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه في
سفره وقد روى ذلك عن اخيه من الرضاعة وفيه ايضا وروى
ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فحمتا
فدعي لها بالبركة وهذا كله داخل تحت قول المؤلف غفر الله تعالى له
ومن هجير وطيس الشمس في ظلل وبالله سبحانه وتعالى التوفيق
وليس يخفى الذي ابراه من سقم ٭ اعيا الاطباء افضل من العلل
هذا ايضا من ايات نبينا صلى الله عليه وسلم المشهورة المتواترة وهو
ابراء المرضى وذوي العاهات ولشهرة هذا النوع وكثرته كثرة بلغت
حد التواتر اشار المؤلف رضي الله تعالى عنه بقوله وليس يخفى الذي
الخ وجملة اعيا الاطباء في موضع الصفة لسقم وقوله ذا افضل حاله
من سقم وصح مجيء الحال منه وان كان نكرة لتخصيصه بالوصف والعضل
المنع كان هذا السقم منع الطبيب ان يفيد في امره شيئا وقد ورد
من هذا النوع قضايا كثيرة جدا تحتاج الى ديوان كبير مستقل
وقد عقد لذلك القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله فصلا اتى
فيه من ذلك بالعجب العجاب وان كان جميع ما ذكر نذرا يسيرا ٭
بالنسبة الى ما ورد فمن ذلك ان شرحبيل الجعفي كانت بيده
سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان لدابته فشكاها للنبي
صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر

واصيبت

واصيبت يوم احد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها
صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وقطع ابو جهل يوم بدر
يد معوذ بن عفرا فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم والصقها فلصقت ومن ذلك ان حبيب بن يسار اصيب يوم بدر
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وانكفات القدر
على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له ونفل فيه فبرى
لحينه واصاب ابن ملاعب الاسنة استسقاء فبعث الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض ونفل عليها ثم
اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى انه قد هزئ به فاتاه بها
وهو على شفا فشربها فشفاه الله تعالى وذكر العقيلي عن حبيب
ابن فديك ويقال فدك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما
شيا فتفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر
فرايته يدخل الخيط في الابره وهو ابن ثمانين سنة وروى النسائي
عن عثمان بن حنيف ان عمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي
عن بصري قال فانطلق فتوضا ثم صلى ركعتين ثم قال اللهم اني
اسالك واتوجه اليك بنبيي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة
يا محمد اني توجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم فشفعه
في قال فرجع وقد كشف الله عنه ورمى كلثوم بن الحصين يوم احد
في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فبرا ونفل
على شجة عبد الله بن انيس فالتامت ومثله في اثر سهم كان في وجه
ابي قتادة ونفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصح باريا
وعلى ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرات وفي رجل زيد
ابن معاذ حين اصابها السيف الى الكعبين فبرات وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذا انكسرت فبرا مكانه

وما نزا عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه فجعل
يدعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه
برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد واتته امراة من جشم معها صبي
به بلا ولا يتكلم فاتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه
وامرها بسقيه ومسته به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول
الناس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جاءت امراة بابن لها
به جنون فمسح صدره فنفع نفعة فخرج من صدره مثل الجرو الاسود
فشفي ووضع يده على راس حنظلة بن جذيم وبرك عليه فكان
حنظلة يوتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها
فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم
وهذا باب واسع وبالله سبحانه وتعالى التوفيق لا رب غيره

اما القليل وتكثيره مددا . حدث ولا حرج عن خبرة الرسل

هذا النوع من المعجزات مما كثر ايضاحا وتواتر عنه صلى الله عليه
وسلم فمن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله
عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من خبز شعير جاء به انس تحت
يده الى ابطه فامر به صلى الله عليه وسلم فقت وقال فيه ما شاء الله
ان يقول وحديث جابر رضي الله تعالى عنه في اطعامه صلى الله
عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق قال
جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط
كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصنع في العجين والبرمة ويبارك وعن ثابت مثله عن رجل
من الانصار وامراته ولم يسمهما قال وجي بمثل الكف فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله
فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلا ممن قدم
معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان

في الاناء

في الاناء وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولابي بكر من الطعام رهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم ادع ثلاثين من اشرافا لانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه
ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى
تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي
مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتى النبي صلى الله عليه
وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم
ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث
انه عجن صاعا من طعام وصنعت شاة فشوى سواد بطنها ثم
قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حزله حزة من سواد
بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل من القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري
عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا
مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
فدعى ببقية الازواد فجا الرجل بالحفنة من الطعام وفوق ذلك
واعلام الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فخرزته
كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا
ملاوه وبقي منه وعاء ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه وسلم
ان ادعوله اهل الصفة فتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا
صحفة فاكلنا ما شينا وفرغنا ومي مثلها كما وضعت الا ان
فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب فيهم من
ياكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى
شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب

وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو
له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت والحجرة وقدم الهم
تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث
اصابعه وجعل القوم يقعدون ويخرجون ويبقى التور نحو مما كان
وكان القوم احدا او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه
القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلاث مايه وانهم اكلوا
حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت الثمار حين
رفعت وفي حديث جعفر بن محمد ان فاطمة طبخت قدر الغداء لهما
ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فاخذ ما
فرقت منها لجميع نسايه صحفة صحفة ثم له عليه الصلاة و
السلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتغيض قالت
فاكلنا منها ما شا الله وامر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
ان يزود اربع مايه راكب منا خمس فقال يا رسول الله ما هي
الا اصوع قال اذهب فذهب وزودهم منه وكان قدر الفصيل
الرابض من التمر وبقي بحاله ومن ذلك حديث جابر المشهور في
دين ابيه بعد موته وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه اضاف
الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فات به فادخل يده
صلى الله عليه وسلم فاخرج قبضة فبسطها ثم دعا بالبركة
ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى طعم
الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جيت به وادخل يدك
واقبض منه ولا تكفه فقبضت على اكثر مما جيت به فاكلت
منه وطعمت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية
فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله

وذكرت

وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة
تمرة وهذا الباب بحر لا ساحل له ولكثرة ما وجد فيه جدا قال
المولف حدث ولا حرج من خبرة الرسل اي حدث عن خبرة الرسل
ولا حرج وانما قال في هذا وتكثيره له مددا دفعا لما يتوهم من ان تكثيره
بمعنى خلق القناعة في القلوب وطبق الشبع باكل الشيء اليسير حتى
يكون في الفايدة كالشيء الكثير مع بقا الطعام على ما هو عليه من القلة
فذكر ان تكثيره انما هو حقيقة وان كل واحد من الناس ياكل منه
اكلة المعتاد وكل ما اكل منه شيء مد بان يخلق على الفور مثله او
امثاله والاول وان كان خرق عادة فهذا الثاني اظهر في ذلك
وبالله تعالى التوفيق

مسراه اعظم به في القدر منزلة ٭ من قاب قوسين لم تدرك ولم تنل

لا شك ان من ايات نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم العظام واعلام
شرفه وعلو قدره عند مولاه العلي ذي الجلال والاكرام قصة الاسرا
المشهورة ولا خلاف بين المسلمين في صحة القرآن والاحاديث
الصحيحة واختلف هل كان ذلك الاسرا في النوم او في اليقظة على اربعة
اقوال الاول لعايشة رضي الله تعالى عنها وجماعة انه كان في النوم
الثاني مذهب الجمهور انه اسري بجسده في اليقظة بدليل قوله
تعالى الا فتنة للناس ولو كانت حلمية لما افتتنوا ولما قالوا يزعم
محمد انه اتى بيت المقدس ورجع الى مكة من ليلته والعير تطرد شهرا
مقبلة وشهرا مدبرة ولو كان في النوم ما استبعدوه لان الناس
لا ينكرون في حقه ان يرى نفسه في المشرق والمغرب وفي السموات
ولقوله صلى الله عليه وسلم اية ذلك اني مررت بعير بني فلان
في وادي كذا فانفرهم حتى الدابة يعني البراق فندلهم بعير فدللتهم
عليه وانا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بضجنان مررت
بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء فغطوه

شبكة الألوكة www.alukah.net

بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيته كما كان فلما قدموا
سألوهم عن الاناء فاخبروهم انهم وضعوه مملوا وغطوه ثم هبوا
من نومهم فوجدوه مغطى وليس فيه ما وسألوا الاخرين فقالوا
ندلنا بعيرا في الموضع الذي ذكر فدعانا رجل اليه فاخذناه
وسألوه عن صفة بيت المقدس وكان لم يتامله لانه دخله
ليلا فرفع له حتى اخبرهم وهو ينظر اليه عن كل ما سألوه من اوصافه
وهذا كله يدل على ان الاسرا كان في اليقظة القول الثالث ان
الاسرا كان مرتين في النوم وفي اليقظة وان اسرا النوم تقدم
لليقظة لان الاسرا عظيم امره كما ابتديت نبوته بالرويا الصالحة
في النوم ليسهل عليه حمل اعباء النبوة في اليقظة فان امرها عظيم
وهذا القول يجمع بين الاحاديث الواردة في هذا الباب القول
الرابع انه اسري بجسده الى بيت المقدس في اليقظة ثم عرج
بروحه الى فوق سبع سموات ولهذا استبعده الكفار قوله
اتيت بيت المقدس في ليلتي هذه ولم يستبعد واقوله فيما سوى
ذلك وقد اجيب بان قيل لعلهم لم يستبعدوا هذا لعدم علمهم
بتلك المسافة اقريبة ام بعيدة بخلاف ما يعلمون او يقال اقتصروا
على استبعادهم ذلك فيعلم ان استبعادهم لغيره اجرى ثم اختلف في
المنتهى الذي وصل اليه في الاسرى قال التفتازاني في شرح
عقيدة النسفي اختلف اقوال السلف في ذلك فقيل الى الجنة
وقيل الى العرش وقيل الى فوق العرش وقيل الى طرف العالم ثم
قال فالاسرى وهو من المسجد الحرام الى بيت المقدس قطعي وثبت
ذلك بالكتاب والمعراج من الارض الى السما مشهور ومن السما
الى الجنة او الى العرش الى غير ذلك احاد ثم الصحيح انه صلى الله
عليه وسلم انما راى ربه بفواده لا بعينه قلت وفي الاسرى
احاديث في بيان كيفيته وبيان من لقي من الرسل عليهم الصلاة
والسلام

والسلام وبيان كيف فرضت الصلاة حينئذ الى غير ذلك مما ورد
فيه واكثر ذلك مشهور في الصحيحين فلا نطيل به ثم يتعلق
معاني ذلك كلام كثير تركنا جميع ذلك خشية السامة **قوله**
مسراه بضم الميم اسم مصدر بمعنى الاسرا من اسرى الرباعي **قوله**
اعظم به في القدر منزلة هو تعجب اي ما اعظمه والقدر الشرف والمنزلة
هنا المرتبة ونكرها للتعظيم ومن منصوبة على التمييز وهو الحكم
ويحتمل الحال **قوله** من قاب قوسين المجرور في موضع الصفة لمنزلة
ومعنى قاب قوسين مقدار ما وقاب القوس قدر طولها وقيل
قدر الوتر منها قال الجوهري وتقول بينهما قاب قوس وقيب قوس
وقاد قوس وقيل قوس والقاب ما بين المقبض والسيبه ولكل
قوس قابان ومعنى لم تدرك لم تلحق ومعنى لم تنل لم ترتقب بوجه
من وجوه الاصابة ولو بنظر العين من بعد بل ولا بخطورها على
الذهن وفي البيت الاطناب بيان ما ابهم في قوله بمنزلة
بقوله من قاب قوسين وايجاز الحذف اذ التقدير من مقدار
قاب قوسين وقوله لم تدرك من باب التكميل المسمى بالاحتراس
دفعا لما يتوهم من مشاركة الغير له في هذه المنزلة التي وصل
اليها في الاسرا وقوله ولم تنل تكميل التكميل على ما فسرناه دفعا
لما يتوهم انها وان لم تلحق بالحلول بالبدن تنال بالعين من بعد
او بمعرفة القلب لها وان لم يرها هذا ما يتعلق باللفظ واما
ما يتعلق بالمراد من هذا الكلام فاحسن ما يشرح به الشيخ
العلامة الامام الحجة سيدي محمد بن مرزوق رحمه الله تعالى
ورضي عنه عند قول البوصيري في بردته وبت ترقى الى ان نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم قال في شرح هذا الكلام اي بت
ليلة اسرايك من مكة الى بيت المقدس بعد وصولك الى المسجد
الاقصى تصعد الى ان بلغت سما الدنيا ثم في السموات سما بعد سما

الى ان نلت وبلغت منزلة شريفة نسبتها فيما يمكن وصول منازل
البشر اليه من المحل الذى لا يصلون اليه بمقتضى ارادة الله تعالى
وما سبق فى علمه كمقدار قاب قوسين او ادنى وهذا التتبع انما
هو بحسب ما حكم به من ادراك ذلك او بقدر ان يدركه من
المخلوقين لا بالنسبة الى علم الله تعالى وهذا باعتبار ما فى الاية
والا فكلام الناظم ليس فيه او ادنى قال وهذا التقدير الذى
ذكرته فى الاية مما فتح الله تعالى به على وسترى بعض ما قال
الناس فى ذلك ان شاء الله تعالى قال فالتقدير فى كلام الناظم
ان نلت منزلة محلها من المكان الذى شرفه الله تعالى كالعرش
مثلا وغيره مما لم يقدر سبحانه ان ينالها بشر بعد من نحو قاب
قوسين حال كون تلك المنزلة التى نلت لم تدرك ولم تطلب
اذ لا يطلب الا ما يمكن ادراكه قال ويحتمل ان يكون قوله لم تدرك
ولم ترم من صفة ذلك المكان الذى لا يدركه احد الا ان التقدير
الاول امدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فيه لتنصيص
على ان منزلته لم تدرك ولم تطلب بخلاف التقدير الثانى فانه
لا يدل الا على ان ذلك المكان الذى قرب منه صلى الله عليه
وسلم قاب قوسين لم يدرك ولم يرم واما منزلته التى وصل
اليها فليس فى الكلام ما يدل على انها لم تدرك ولم ترم انتهى
قلت ولا يخفى بتنزيل هذا الشرح على كلام المؤلف حفظه الله
تعالى وفى الشفا للقاضى رضى الله تعالى عنه قال واما ما ورد
فى حديث الاسرى وظاهر الايات من الدنو والقرب من قوله
تعالى دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين
ان الدنو والتدلى منقسم ما بين محمد صلى الله عليه وسلم
وجبريل عليه السلام او مختص باحدهما من الاخر او من سدرة
المنتهى قال الرازى وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم دنى من ربه وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد
فى القرب وقيل هما بمعنى قرب وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما هو الرب دنى من محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى اليه امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنى من عبده
محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى بقربه منه فاراه ما شاء ان
يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما هو مقدم ومؤخر فتدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فجلس عليه ثم ترفع فدنى من ربه قال فارفنى جبريل
وانقطعت عنى الاصوات وسمعت كلام ربى وعن انس رضى الله
تعالى عنه فى الصحيح عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار
رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه
ما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسرى ثم قال بعد ذلك
القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه اعلم ان ما وقع من اضافة
الدنو والقرب هنا من الله او الى الله تعالى فليس بدنو مكان
ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما
دنو النبى صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم
منزلته وتشريفه بنبئه واشراقه انوار معرفته ومشاهدة اسرار
غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام
ويتناول ما يتناول فى قوله يتنزل ربنا الى السماء الدنيا على احد الوجوه
تنزل افضال وقبول واحسان وقوله قاب قوسين او ادنى ان جعل
الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا كان
عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وانضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة
وقضا المطالب واظهار التجلى وابانة المنزلة والمرتبة من الله
تعالى له ويتناول فيه ما يتناول فى قوله من تقرب منى شبرا تقربت منه

ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول
واتيان بالاحسان وتعجيل المامول

من كان للمعجزات الغر في ظماء، ففي كتاب الشفا ري من الغلل
فالله يجعلنا من خير امته ، موصلين بلا روع ولا وجل

لاخفا ان معجزات سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
واياته قد كثرت كثرة لا مطمع لاحد في حصرها واستيفاء جميعها
لكن على المكلف ان يحفظ من ذلك ما يرسخ به التصديق في قلبه
ويامن به ان شا الله تعالى التزلزل على يقينه ولا شك ان القاضي
عياض رحمه الله تعالى ورضي عنه ذكر من ذلك في كتابه الشفا
ما يحصل هذا المعنى ويقتضي بفضل الله تعالى مزيد المحبة التي تحمل
على الايمان بهذا النبي الشريف وتتبع اثاره صلى الله عليه وسلم
والغرجمع غرا واصل الغرة بياض في جبهة الفرس واستعاره المولف
هنا للشهرة والغلل جمع غلة بضم الغين وهي حرارة العطش والغليل
مثله يقال منه غل الرجل يغل غللا بالبنا للمفعول واعلم ان
المعجزات والايات وادلة الصدق وان كثرت مرجعها الى طريقين
عقلي ونقلي اما العقلي فوجوه ستة احدها معجزة بلاغة القرآن
على ما سبق وثانيها اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات
في الكتاب العزيز وفي الاخبار وذلك بحر لا ساحل له الثالث انه
صلى الله عليه وسلم قد بلغ في الحكمة النظرية كمعرفة الله تعالى
وصفاته واسمايه واحكامه وفي الحكمة العلمية وهي علم الاخلاق
وسياسة البدن وتدبير امر الخلق المبلغ العظيم الذي لا يمكن
العقلا الوصول اليه في ثلثين من السنين ووصل الموالية بغتة
من غير تعلم ولا مخالطة لاحد معروف بالعلم الرابع انه نقل عنه
معجزات خارقة للعادة كانشقاق القمر وتسليم الحجر وانقياد
الشجر الى غير ذلك مما لا ينحصر الخامس بسيرته والوصافه التي

تواترت

تواترت الينا وهي كثيرة احدها ملازمة الصدق من اول عمره
الى اخره فانا احدا ما سمع منه كذبة قط وقد اعترف له اعداؤه
بذلك وايضا لو صدر منه الكذب ولو مرة في عمره لنبزه اعداؤه
وثانيها ترك الدنيا والاعراض عنها وعن زخارفها على الدوام
حتى ان قريشا عرضوا عليه المال والرياسة لترك هذه الدعوة
فلم يلتفت اليها وثالثها كان في اعظم الدرجات في السخاوة
انه سبحانه قال له ولا تبسطها كل البسط وفي الشجاعة حتى انه
لم يعلب قط في الحروب ولا توجه للفرار ولا هم به قط ولا تزيده
كثرة العدو وقلة من معه الا قوة وزيادة شجاعة واقدام ورابعها
انه كان صلى الله عليه وسلم في غاية الفصاحة والبلاغة حتى
ان فصاحته قد اعيت بلغا الخطبا من العرب العربا ولذا قال
عليه الصلاة والسلام اوتيت جوامع الكلم وخامسها انه عليه
الصلاة والسلام تحمل في اداء الرسالة انواعا من المشاق
والمتاعب لا يثبت معها الا من هو على الحق من الله تعالى وهو
عليه الصلاة والسلام مصر على ذلك على دعوى الرسالة ولم يظهر
في عزمه فتور ولا في اصراره قصور وسادسها انه عليه الصلاة
والسلام كان مع اهل الدنيا في غاية الترفع ومع الفقرا
والمساكين في غاية التواضع وسابعها ما كان عليه الصلاة
والسلام عليه من حسن الخلق حتى انه لا يزداد مع الغضب الا حلما
وثامنها حسن ذاته الكريمة وما اشتملت عليه من المحاسن التي
هي خرق عادة ولم توجد في بشر سواه وما احسن قول عبد الله
ابن رواحة الانصاري رضي الله تعالى عنه في ذلك يشير الى محاسنه
صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا وانها وحدها كافية في الدلالة
على صدقه لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر
ولهذا اسلم ابو ذر رضي الله تعالى عنه بمجرد رؤية ذاته صلى الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه وسلم وقال المارايت وجهه عرفت انه ليس وجه كذاب
ولا خفا ان مجموع هذه الاوصاف بل بعضها لا يكون لغير الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وتاسعها انه عليه الصلاة والسلام
انتصب مع ضعفه وقلة ذات يده وعدم الملك في ابايه وقلة
اعوانه وانصاره حربا لجميع اهل الارض ذات الطول والعرض اجادهم
واوساطهم اشرافهم واكاسرتهم وجبابرتهم فضلل اراهم وسفه احلامهم
وابطل ملكهم وهدم دولهم وظهر دينه عليه الصلاة والسلام كما وعده
ربه تعالى على جميع الاديان وزاد على ممر الاعصار والازمان وانتشر
في الافاق والاقطار وشاع في المشارق والمغارب من غير ان يقدر
الاعدا مع كثرة عددهم وقوة عددهم وشدة شوكتهم وحدة شكيمتهم
وفرط حميتهم وعصبيتهم وبذلهم غاية الوسع في اطفاء نوره وطمس
اثاره على اخماد شرارة من ناره فهل يكون ذلك على القطع الا بعون الهي
وتاييد سماوي وليس لما ابتنيه يد الله تعالى هادم التاسع انه عليه
الصلاة والسلام ظهر في زمان احوج ما كان الناس فيه الى من يهدي
الى صراط مستقيم ويدعو الى الدين القويم وينظم الامور ويضبط حال
الجمهور لكونه زمان فترة من الرسل وتفرق السبل واغراف في
الملل واختلاف للدول واشتغال للضلال واشتغال بالمحال فالعرب
على بكرة ابيها عاكفة على عبادة الاوثان ووأد البنات وادعا
كثير منهم ان الملايكة لله عز وجل بنات والفرس مع كثرتها كثرة الحصا
دايبة على ايقاد النيران واتخاذها الهة من دون الرحمن وابا حتها
وطي الامهات وتحليلها نكاح الاخوة للاخوات والاتراك جاهدة
جهدها في تخريب البلاد وتعذيب العباد والهند جاثمة على عبادة
البقر والسجود للحجر والشجر واليهود قد اولعت بالجمود واخماد
الحق وتمسكت بحق الرياسة وقول الباطل واعتقاد الجسمية
والصورة ونحوها لمن تنزه عن النقايص وسمات الخلق وتدينت

بالغش حتى في تبديل الدين والشرايع وصفات الرسل وسيرها وما
تقرر من عصمتها التي كانت مكتوبة عندهم في الالواح والورق
والنصارى اصبحت حيارى سكارى في خبط عظيم وتناقض بلغت فيه
بعقولها الشيطان الرجيم حتى تجرأت ونسبت الولد للمولى الذي
جل ان يكون والدا او مولودا او ثلثت الالهة وفاهت بهذيان
لا يرضى به ذو عقل وامست لغير مولانا جل وعز ركعا وسجدا وهكذا
سايرالفرق كل يخوض في بحار ودية الضلال قد عمرته بحر الجهالات
وتخليصات الخيالات وبلغت انواع الشرور حدها وتناهى في الباطل
وكمل وعم الامصار والقرى والبر والبحر والسهل والجبل ولا
شك انه قد الف من عادة مولانا الكريم جل وعز ان عباده اذا بلغوا
هذا المبلغ في الفساد المتناهي المبين يبعث اليهم بمحض فضله من
يجدد لهم ما عمي عنهم من امر الدين ويرسل حينيذ الرسل رحمة للعالمين
كما قال الله جل من قايل كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين ومن المعلوم ضرورة انه لم يظهر احد استن
الله تعالى به منهدم مذا البنيان سوا سيدنا ونبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فيليق ان يختلف بعده في رسالته صلى الله عليه وسلم
اثنان فهو الذي اصلح الله تعالى ما فسد من شان الناس وميز به
الحق من الباطل واشاد به الدين الحنيف على امتن اساس واجلابه عن
القلوب ظلماتها وانقدت به من لجج الفساد وطلعت على افاقها
شموس المعارف وانتشرت بركة انواره في البلاد والعباد وارتجت
الارض بذكر الله تعالى حق ذكره وظهر سنده من اسند على سبيل
الحقيقة اثرا من الاثار الى غيره وارتفعت بتحميده جل وعلا
وتوحيده وتقديسه عن سمات الحدوث وافتقار الاصوات
في المساجد والمواضع والمنابر ونبعت ينابيع الحكم الجمة والمعارف
النورانية وفاضت على القلوب والالسنة حتى امتلا بعضها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما لا يحاط به ولا يحصى من عدد الاوراق والدفاتر فلمولانا جل وعلا
الحمد على نعم عجز عن احصاء القليل منها الاوائل والاواخر وعلى
نبيه ومصطفاه من خلقه الذي انعم جل وعلا به علينا بمحض فضله
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم افضل الصلوات واكمل
التحيات ما استمدت لاشادة محاسنه واقادت معارفه الاقلام
من المحابر واما الدليل النقلي على نبوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم فهو نصه تعالى على نبوته في الكتب الماضية وذكر الانبيا
له وايصاؤهم على اتباعه وهذا الدليل وحده كاف في اثبات نبوته
عليه الصلاة والسلام بدون المعجزة فان شهادة من ثبتت
نبوته وان لم تظهر معجزة على يده وقد تواتر عن الاحبار الاخبار عن
كتبهم وانبيائهم بنبوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه معينين اسمه وبلده وصفته وايضا فلم تزل نصوص نبوته
صلى الله عليه وسلم والحمد لله على ذلك موجودة في التوراة والانجيل
والزبور الى الان مع مبالغة الكفرة في تبديلها وذلك يدل
على عظم اعتنا الله تعالى بامره صلى الله عليه وسلم فيها وكثرة ترديد
ذكره عليه الصلاة والسلام فيها على وجه لا يزيل جميعه التبديل
وقد اطلع علما ونا رضي الله تعالى عنهم على كثير من تلك النصوص
فيما بايدي اليهود والنصارى من الكتب الان وهي نصوص كثيرة جدا
نذكر بعضها اما في التوراة في السفر الخامس منها جا الله من طور
سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وذلك كناية
عن انزال الله تعالى التوراة على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام
بطور سيناء والانجيل على سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام
بساعير وهو جبل من جبال الشام وانزال القران على سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فان فاران هو مكة او من
طريق قريب منها ومعنى جاء الله جاء شرعه ودينه الحق وانظر

كيف

كيف عبر في التوراة عن ظهور دين نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
بالاستعلان اشارة الى كثرة معجزاته واظهار دينه على الاديان
كلها وانتشاره وبقايه الى ان تقوم الساعة ومنها ما في السفر
الخامس منها ايضا انه تعالى قال لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام
اني مقيم لبني اسرايل نبيا من بين اخوتهم مثلك واجري قولي في فيه
ويقول لهم ما امرهم به والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي
يتكلم باسمي فانا انتقم منه والمراد ببني اخوة بني اسرايل
بنوا اسماعيل اذ اسرايل من ولد اسحاق اخي اسماعيل عليهم الصلاة
والسلام ولم يبعث من ولد اسماعيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام
غير سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قوله تعالى
في التوراة اني مقيم لبني اسرايل نبيا الخ يقتضي ان يكون هذا
النبي من اولاد قوم يشاركون بني اسرايل في الانتساب الى ابيهم
اسرايل الذي هو يعقوب عليه الصلاة والسلام اذ هو المذكور
هنا من ابائهم ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم من بني اخوة
بني اسرايل وهو من اولاد بني عمهم وهو اسماعيل فلا حجة اذن
في هذا النص على ثبوت نبوة سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم وانما تكون الحجة فيه لو قال اني مقيم لبني اسرايل نبيا
من اولاد عمهم وهو اسماعيل عليه الصلاة والسلام قلت ليس المراد
ببني اسرايل الذين يقام لهم النبي من بني اخوتهم بعضهم او فريق منهم
مخصوص فيقام لهم النبي من البعض الاخر او الفريق الاخر الذين
هم بنوا اخوة ذلك البعض المخصوص او الفريق المخصوص لاشتراك
جميعهم في الانتساب الى اسرايل عليه الصلاة والسلام وانما
المراد جميع بني اسرايل الموجودين بعد موسى عليه الصلاة والسلام
سيبعث الله تعالى لهم نبيا من بني اخوتهم فقول لا يخلوا اما ان يكون
هذا النبي المبعوث اليهم من قوم يشاركون بني اسرايل في ابيهم

المذكور وهو اسرايل او يكون من قوم يشاركون في اب اخر كابراهيم
عليه الصلاة والسلام او يكون من قوم يشاركون في اب دون
اسرايل عليه الصلاة والسلام لما كان من بني اخوة بني اسرايل
بل هو قطعا من بني اسرايل الذين اقيم لهم النبي فيلزم ان يكون هذا
النبي اقيم لنفسه وان يكون من ابناخ نفسه لان بني اسرايل
المذكورين في نص التوراة عام على ما تقدم والعام كلية فالمعنى
اذن اني مقيم لكل واحد من بني اسرايل نبيا يكون من بني اخوته
واذا كان كذلك لزم قطعا ان هذا النبي من بني اسرايل واذا
لم يكن من بني اسرايل لزم ان لا يكون من ذرية اسرايل ولا من
قوم يشاركونهم في الانتساب الى اسرايل عليه الصلاة والسلام
والا كان هو ايضا منتسبا الى بني اسرايل عليه الصلاة والسلام
فيكون من جملة بني اسرايل وهو باطل على ما تقدم والقسم الثالث
ايضا باطل مثل ما بطل به الاول لان النبي المشارك لبني اسرايل
في اب دون اسرايل يلزم ايضا ان يكون من بني اسرايل فلا يكون
من بني اخوتهم واذا بطل القسم الاول والثالث تعين القسم
الثاني وهو ان يكون هذا النبي من بني اخوة بني اسرايل بمعنى انه
من قوم يشاركون بني اسرايل في الانتساب الى اب فوق اسرايل عليه
الصلاة والسلام ولم نجد بالاستقراء التام العام القطعي نبيا
بعثه الله تعالى بعد موسى عليه الصلاة والسلام لجميع بني اسرايل
كما بعثه الله تعالى لغيرهم من الجن والانس وهو من قوم يشاركون
بني اسرايل في الانتساب الى اب لهم فوق بني اسرايل عليه الصلاة
والسلام غير نبينا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام فانه
صلى الله عليه وسلم من ابنا العرب الذين هم اولاد اسماعيل عليه
الصلاة والسلام واولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام
واولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام اخوة بني اسرايل

لمشاركتهم

لمشاركتهم لهم في الانتساب الى ابيهم ابراهيم عليه وعلى نبينا ومولانا
محمد الصلاة والسلام انه من اولاد اخوة بني اسرايل ليس هو من بني
اسرايل وقد اقامه الله تعالى بعد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام
نبيا لجميعهم كما اقامه الله تعالى لغيرهم واما كل من بعثه الله تعالى
بعد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الى بني اسرايل من الانبيا
غير نبينا عليه الصلاة والسلام كسيدنا داود وسليمان وزكريا
ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام فهم من جملة بني اسرايل وليسوا
من بني اخوة جميع بني اسرايل فليسوا اذن مرادين بنص التوراة
قطعا ومثار الغلط عند السايل توهمه عدم العموم في بني اسرايل
المقام لهم النبي وحكمة العدول في نص التوراة عن ان يقول نبيا من
ابناء عمهم الى قوله نبيا من ابنا اخوتهم تسكين خميتهم واستعطافهم
لقبول ما جاهم به نبينا عليه الصلاة والسلام لانه حين جعل من ابنا
اخوتهم فمن لازمه انهم اعمام له والعم اب كما قال عليه الصلاة والسلام
في العباس هو احد اباي وقال تعالى ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك
واله اباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق الاية فسمى ابنا يعقوب عليه
الصلاة والسلام اسماعيل ابا يعقوب مع انه عم له لان العم اب
فكانه تعالى سهل على بني اسرايل اتباعهم لنبينا عليه الصلاة والسلام
لانه انما بعث لهم من هو مقام ولدهم اذ هو من بني اخوتهم وهم كالابا
له اذ هم اعمامه والعم اب والانسان لا يانف من رياسة ولده ولا
يكرهها ولا يانف من متابعة ولده واهتدايه به ولو قال من بني عمهم
لتحركت انفتهم واشتعلت عصبيتهم اذ ابن العم يانف من تريس
ابن عمه ومن متابعته له فهذا سر التعبير في نص التوراة ببني
الاخوة دون بني العم والامر في ذلك جلي لمن هداه الله تعالى بفضله
قلت وليس في قوله تعالى اني مقيم لبني اسرايل الخ ما يقتضي انحصار

بعثه صلى الله عليه وسلم لهم فقط اذ ليس في اللفظ شئ من ادوات
الحصر انما عنوا بالذكر دفعا لما يتوهم ان شريعته وبعثه صلى الله عليه
وسلم انما هو لغيرهم ممن لا كتاب لهم ولا شرع واما اهل الكتاب فهم مستغنون
بكتابهم وشرعهم فنبه لفظ التوراة على ان اهل الكتاب هم اول من يدخل
في تكاليف شريعته صلى الله عليه وسلم الناسخة لكل شريعة قبلها قال
بعض علما قرطبة ناظرني يوما احد احبار اليهود واهل الذكا منهم
في هذا فسردت عليه هذا النص من التوراة فقال هذا كله صحيح لا جدل
اعترضا عليه غير انه قال تعالى ساقيم لبني اسرايل ولم يكن محمد رسولا الا
الى العرب فقلت ما على الارض من يجهل امر محمد صلى الله عليه وسلم وانه
بعث الى الاحمر والاسود والحر والعبد والذكر والانثى والجن والانس
وهذا كتابه ينطق انه بعث الى الخلق كافة فقال ذلك الخبر ما يمكنني
ولا غيري دفع ذلك وبذلك اخبرنا اسلافنا اليهود عنه انه قال
بعثت الى الخلق كافة الا فرقة من اليهود يقال لها العيسوية تقول
بنبوته ومعجزاته وتنكر انه بعث الى غير العرب ولست على شئ
مما هم عليه ثم عطف الي يهودي الى جنبه وقال له نحن جرت نشأتنا
على اليهودية وتالله ما ادري كيف الخلاص من امر هذا العربي انتهى
ومنها ما جا في السفر الاول من التوراة انه تعالى قال لابراهيم عليه
الصلاة والسلام انها هاجر تلد ويكون من ولدها من تكون يداه
فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع ولا خفا انه لم يكن
من ولدها هاجر من يده فوق الجميع غير سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم فانه بعث الى اهل الارض كافة واظهر الله دينه على
الاديان كلها واذعن له جميع اهل الارض وبسطوا ايديهم اليه
بالذلة والخشوع بعد ما كانت اليد لولد اسرائيل الذي هو يعقوب
ابن اسحاق عليهما الصلاة والسلام اذ اكثر الانبيا من ولده واما
الانجيل فمنها ما ورد في المصحف الرابع عشر انا اطلب لكم الي اني

حتى

حتى يبعثكم ويعطيكم بارقليطا يكون معكم الى الابد والبارقليط
روح الحق واليقين ومعنى قوله الى ابي اي الى ربي والهي وفي الخامس عشر
منه فاما بارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي هو يعلمكم
ويبعثكم جميع الاشيا وهو يذكركم ما قلت لكم ثم قال وانى اخبركم عبدا
قبل ان يكون حتى اذا كان ذلك تؤمنوا به قوله باسمي يعني بالنبوة ومعنى
البارقليط النبي كاشف الخفيات ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم روح
الحق واليقين وروح القسط اي العدل ان هذه الاشيا كانت لا
حراك لها بل هو مدفونة خفية لا يعدل عليها قبل بعثه صلى الله
عليه وسلم والبارقليط وهو نبينا صلى الله عليه وسلم اذ بعث
هو كالروح لها تنتعش ببعثه عليه الصلاة والسلام وتظهر ظهور
الاحيا والاشكال الذي احيى الله تعالى به الحق واليقين والعدل وتبقى
شرعه مع الخلق الى الابد يعد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام
وبعد ما خمد الحق من الارض واحيل الباطل انما هو خاتم النبيين
ومن هو رحمة لجميع العالمين سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم وفي المصحف السادس عشر من الانجيل اقول لكم الآن حقا
ان انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ابي لم ياتكم البارقليط
وان انطلقت ارسلت به اليكم فاذا ما جا هو يفيد اهل العالم ويبين
ويريحهم ويوقفهم على الخطيئة والبر ثم قال اذا جا روح الحق واليقين
يرشدكم ويعلمكم ويدبركم بجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقا
نفسه قلت ومعنى انطلاق عيسى عليه الصلاة والسلام الى ابيه اي
ربه جل وعز انطلاقه الى محل كرامته ورفعته والاستراحة من
الناس بتوجيه القلب الى محض الجولان في جلال الله تعالى وعظمته
على حد قوله تعالى في القرآن له عليه الصلاة والسلام اني متوفيك
ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومعنى ارساله نبينا صلى الله
عليه وسلم انه يتسبب في ذلك برغبته الى الله تعالى ولما علم

شبكة الألوكة www.alukah.net

ان بعث سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم انما يكون بعد
رفعه وتغييبه عن الناس كان رفعه من امارات بعثه صلى الله
عليه وسلم فاسند ارساله الى نفسه بهذا المعنى وفى الانجيل
ايضا ان المسيح قال للحواريين من ابغضنى فقد ابغض الرب ثم
تمادى الى ان قال فلابد ان تتم الكلمة التى فى الناموس لانهم
ابغضونى مجانا فلو قد جاء المنحمنا هو الذى ارسله اليكم من عند
الرب روح القدس فهو شهيد على وانتم ايضا لكنكم قديما كنتم
معى هذا قولى لكم لكيلا تشكوا اذا جاء والمنحمنا بلسان السريانيه
وهو بالرومية البارقليط وبالعربية محمد صلى الله عليه وسلم
وفى الانجيل عن المسيح انه ضرب مثلا للدنيا فقال مثل الدنيا كمثل
رجل اغرس كرما ومضى على ذلك ثم ضرب مثلا للانبيا وللنفسه
عليه الصلاة والسلام فى كلام كثير ثم لسيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم وجعله الموكل اخرا بالكرم وافصح عن امته
صلى الله عليه وسلم فقال اقول انه سيزاح عنكم ملك الله تعالى
وتعطاه الامة العاملة المطيعة ثم ضرب مثلا بصخرة وقال
من سقط على هذه الصخرة سيكسر ومن سقطت عليه سيهشم
يريد بذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من ناواه وحاربه
اظهره الله تعالى عليه واما الزبور ففيه قوله تعالى خطابا
لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم تقلد ايها الجبار
السيف فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ©
وسهامك مسنونة والامم يخرون تحتك قلت ومعنى يخرون
تحتك انهم يذلون له حتى يدخلوا فى الاسلام طوعا او كرها
او يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون وفى الزبور ايضا يقول
الرب لداود عليه الصلاة والسلام سيولد لك ولد ادعى له
ابا ويدعى لى ابنا فقال سيدنا داود عليه الصلاة والسلام

اللهم

اللهم ابعث جاعل السنة كى يعلم الناس انه بشر وهذا الولد الذى
ولد لسيدنا داود عليه الصلاة والسلام بتلك الصفة هو
سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ولم يبعث الله بعده جاعل
السنة وخامد البدعة وكاشف الغمة الا نبينا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم فاعلم الناس ان عيسى صلى الله عليه وسلم عبد الله
تعالى ورسوله وانه لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة
المقربون وانه ما كان للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات
والارض الا اتى الرحمن عبدا وان مولانا جل وعز احد صمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقد وقع فى الانجيل الذى هو
بايدى الكفرة اليوم نظير هذا الذى وقع فى الزبور يقول فيه
عيسى عليه السلام اللهم ابعث البارقليط ليعلم الناس ان ابن
الانسان بشر وقال اشعيا النبى عليه الصلاة والسلام حاكيا
عن الله تعالى عبدى الذى سرت به نفسى انزل عليه وحيى فيظهر
فى الامم عدلى يوصى الامم بالوما يا لا يضحك ولا يسمع صوته
فى الاسواق يفتح العيون العور ويسمع الاذان الصم ويحيى القلوب
الغلف وما اعطيه لا اعطيه غيره احمد يحمد الله حمدا ثم
اشار الى بلده مكة فقال تفرح البرية وسكانها يهللون الله
على كل شرف ويكبرونه على كل رابية لا يضعف ولا يغلب ولا
يميل الى الهوى ولا يسمع فى الاسواق صوته ولا يذل الصالحين
الذين هم كالقصبة الضعيفة بل هو يقوى الصادقين وهو ركن
للمتواضعين وهو نور الله الذى لا يطفى ولا يخمد حتى تثبت فى الارض
حجتى وينقطع به العذر والى نوراته ينقاد الخلق فانظر الى هذا
التصريح العظيم بنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم من
غير ما وجه منها قوله يوصى الامم فان هذا يقتضى انه بعث
الى الغنم الرابضة من نسل بنى اسرايل ومنها قوله احمد يحمد الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فهذا تصريح باسمه ومنها قوله تفرح البرية وسكانها الى اخر ما
ذكر من اوصافها ولاخفا انها اوصاف مكة الذى بعث منها سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم على القطع لا لغير ذلك مما ذكر
من اوصافه التى اشتمر بها صلى الله عليه وسلم بلا منازع وفى
صحف اشعيا عليه الصلاة والسلام لتفرح ارض البادية العطشى
ولتبتهج البرارى والفلوات لانها ستعطى باحمد محاسن لبنان
ومثل حسن الدساكر والرياض فانظر ايضا الى هذا التصريح
الواضح باسمه وبما اكرم الله تعالى به بلده مكة بسبب بركة
وجوده ونشاته فيها وبعثه منها ومعنى كونها عطشى اى
من الرسل والانبيا عليهم الصلاة والسلام لان بلد معظمهم
الشام ومكة كانت مهملة من النبوة من عهد سيدنا اسمعيل
عليه الصلاة والسلام فاعطى الله سبحانه لمكة ببعث اشرف
الخلق منها صلى الله عليه وسلم محاسن لبنان اى الشام لان
لبنان من جباله وفى مصحف اشعيا ايضا عليه الصلاة والسلام
انت ايام الافتقاد انت ايام الكمال ثم قال لتعلموا يا بنى اسرايل
الجاهلين ان من تشمونه ضالا هو صاحب النبوة تفترون ذلك
على كثرة ذنوبكم وعظيم فجوركم وفى صحف خرقيل النبى صلى الله
عليه وسلم يقول عن الله تعالى بعد ما ذكر معاصى بنى اسرايل
وشبههم بكرمة ومى شجرة العنب وقال لم تلبث تلك الكرمة
ان قلعت بالسخطة ورمى بها على الارض واحرقت بالسمايم
ثمارها فعند ذلك غرس غرس فى البدو وفى الارض المهملة
العطشى وخرجت من اغصانها الفاضلة نارا كلت تلك الكرمة
حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب فاعتبر هذا التصريح
العظيم به صلى الله عليه وسلم وبصفة بلده مكة والتصريح
بما وقع له صلى الله عليه وسلم مع اليهود بنى اسرايل من تمكينه

تعالى

تعالى له عليه الصلاة والسلام منهم بالقتل الذريع والتبى والاسر
لا لهم بضرب الجزية فى جميع بلاد الاسلام وفى صحف دانيال النبى
عليه الصلاة والسلام وقد نعت الكذابين وقال فيه لا تمتد
دعوتهم ولا تمتد قرباتهم واقسم الرب بساعده لا يظهر الباطل
ولا تقوم لمدع كاذب دعوة اكثر من ثلاثين وهذه دعوة سيدنا
ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم قايمة ظاهرة والحمد لله
قريبا من تسع مايه سنة وهى بفضل الله تعالى باقية الى يوم القيامة
ومعنى اقسم الرب بساعده انه اقسم بقدرته على حد قوله تعالى
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اى بقدرتى وقال ايضا دانيال
النبى عليه الصلاة والسلام وقد سأله الملك تحت نصر عن
منامة راها ان يخبره بها وبتفسيرها فقال له دانيال عليه
الصلاة والسلام ايها الملك رايت صنما بارع الجمال اعلاه
من ذهب ووسطه من فضة واسفله من نحاس وساقه من حديد
ورجلاه من فخار فبينما انت تنظر اليه وقد اعجبك اذ نزل
حجر من السما فكسره وضرب راس الصنم فطحنه حتى اختلط ذهبه
وفضته ونحاسه وحديده وفخاره ثم ان الحجر ربا وعظم حتى ملاء
الارض كلها فقال له نحت نصر صدقت فاخبرنى بتاويلها فقال له
سيدنا دانيال عليه الصلاة والسلام اما الصنم فامم مختلفة
فى اول الزمان وفى وسطه واخره فالراس من الذهب انت ايها الملك
والفضة ابنك من بعدك والنحاس الروم والحديد الفرس والفخار
امتان ضعيفتان تملكهما امراتان باليمن والشام والحجر
النازل من السما دين نبي وملك ابدي يكون فى اخر الزمان يغلب
الامم كلها ثم يعظم حتى يملا الارض كلها كما ملاها ذلك الحجر فانظر
هذا التصريح الجلى المطابق لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم اذ هو الذى بعث فى اخر الزمان وهو الذى نبوته وملكه

ابدى الى قيام الساعة اذ لا نبى بعده صلى الله عليه وسلم ولا
نسخ لشرعه الشريف مما بقيت الدنيا وهو الذى بعث الى جميع الامم
وظهر عليها كلها وخلط بين اجناسها وجعلها على اختلافها دينا
واختلاف لغاتها جنسا واحدا وعلى لغة واحدة ودين واحد
اذ كلهم يقرون بالقران بلغة العرب ولها يصلون الى غير ذلك
وكلهم يدينون بدين واحد ومودين الاسلام وبالجملة فنصوص
الكتب السابقة الدالة على ثبوت نبوة سيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم وتعظيم شانه وايضان الانبيا الماضيين
عليهم الصلاة والسلام على اتباعه ونصرته واشادتهم ذكره
وتبشيرات الاحبار به وهتف الكهنة والجان به قبل مبعثه لا يكاد
يحصر وثبوت رسالته وشرفه على كل ما خلق الله تعالى اجلى
من الشمس نسالله سبحانه يحاهه صلى الله عليه وسلم عنده
ان يجعلنا دنيا واخرى من خيار امته المتبعين سنته بلا محنة

فصل في خوارق العادة كرامة للاولياء الى الساعة

ان الكرامة للقوم الالى وصلوا ، على مقام تقى مما يناك ولى
صدق بها خارقا والسحر يشبهها ، حقيقة عندنا قد نيل بالحيل
لكنها عندنا تمتاز عنه بما ، يبديه وصفها بالشبه والمثل
اذ حالة السحر لا تخفى فضاحها ، مع الشريعة لا ينفك عز وجل
كذاك من معجزات الرسل ميزتها ، فرق التعدى وذا عند الجميع جلى
مع انها عندهم جاءت موكدة ، للمعجزات تبين المصدق للرسل
فى ال عمران ثم الكهف قد ثبتت ، والنمل يبدى صحيح النقل من قبلى

لما فرغ المولف رضى الله تعالى عنه مما يتعلق باثبات رسالة
الرسل عليهم الصلاة والسلام تكلم هنا على ما يظهر على يد من صدق
فى اتباعهم ظاهرا وباطنا من اوليا الله تعالى ولا بد فى شرح

هذا

هذا الفصل من تحقيق مسايل الاول حقيقة الولى والكرامة وما
يتعلق بذلك الثانية فى حكم الكرامة باعتبار الجواز والوقوع وما
يتعلق بذلك الثالثة فى الولى هل يمكن ان يصل فى ولايته الى درجة النبوة
ام لا الرابعة فى حقيقة السحر وما يتعلق بذلك اما المسالة الاولى
فقال التفتازانى فى شرح المقاصد له حقيقة الولى هو العارف
بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المتجنب عن المعاصى المعرض
عن الانهماك فى اللذات والشهوات وكرامته ظهور امر خارق
للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوة ولهذا تمتاز عن المعجزة وبقارنه
الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح والتزام متابعة النبى صلى الله عليه
وسلم تمتاز عن الاستدراج والسحر وعن موكدات تكذيب الكاذبين
كما روى ان مسيلمة دعى لاعور ان تبصر عينه العورا صحيحة فصارت
عينه الصحيحة عمياء وسمى هذا اهانة وقد يظهر الخارق من قبل
عوام المسلمين ليخلصهم الله تعالى من محن الدنيا ومكارهها وان لم
يتصفوا بالولاية وتسمى هذه الخوارق الظاهرة على ايديهم معونة
قلت وقد قدمنا عند التحدث فى معجزات الانبيا ان الخوارق
تنقسم الى سبعة اقسام معجزة وكرامة ومعونة وارهاص واهانة
واستدراج وابتلا وقد عرف الشيخ ابن عرفة فى شامله الكرامة
بانها ظهور غير معتاد من ذى صلاح غير نبى عنده ولا بعده فقوله
من ذى صلاح مخرج للسحر والاهانة وما ذكر بعدها وقوله غير
نبى عنده اى عند ظهور غير معتاد مخرج للمعجزة وقوله ولا بعده
مخرج للارهاص وهو ما يظهر من الخوارق على يد النبى قبل ان
يتنبا وقد عرفه ابن عرفة بنحو هذا فانه عنده عبارة عن ظهور
غير معتاد من ذى صلاح غير نبى عنده لكن بعده وظاهر كلامه
التفتازانى ان الارهاص مما يتقدم من الخارق قبل النبوة دالا
عليها سوا تقدم ذلك الخارق من النبى او من غيره ولهذا جعل النور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الظاهر في جبين عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم ارهاصا
وهو خلاف ما اقتضاه حد الشيخ ابن عرفة للارهاص وكذا المعونة
عند ابن عرفة داخلة في حد الكرامة ان كان العامي الذي ظهرت
على يده ذا صلاح وعند التفتازاني هي خارجة منها مطلقا على ما سبق
قال ابن دهاق في شرح الارشاد للولي اربعة شروط احدها ان يكون
عارفا باصول الدين حتى يفرق بين الخلق وبين الخالق وبين النبي
والمدعي الثاني ان يكون عالما باحكام الشريعة نقلا وفهما بكثفي
بنظره عن التقليد في الاحكام الشرعية كما اكتفي عن ذلك في احوال
التوحيد فلو اذهب الله سبحانه وتعالى علم اهل الارض لوجد عنده
ما كان عندهم ولاقام قواعد الاسلام من اولها الى اخرها فانه لا
يفهم من قولنا ولي الله تعالى الا الناصر لدين الله تعالى وذلك ممتنع
في حق من لا يحيط علما بدين الله تعالى قواعده واصوله وفروعه
الثالث ان يتحلى بالخلق المحمود الذي يدل عليه الشرع والعقل فاما
ما يدل عليه الشرع فالورع عن المحرمات وامتثال جميع المامورات
واما ما يدل عليه العقل فهو ما يثمره العلم باصول الدين وهو انه
اذا علم حدوث العالم باسره لم يتعلق قلبه بشيء منه خوفا ولا
طمعا لعلمه انه في قبضة الله تعالى واذا علم الوحدانية اخلص لله
تعالى في سائر اعماله اذ الربوبية لا تحتمل الشركة في شيء واذا علم
ان القدر سابق بما هو كائن لم يخف فوت شيء مما قدر ولم يرج
نيل شيء مما لم يقدر وهذا المعبر عنه بالرضى وخرج من ذلك
الرفق بالخلق والصفح عنهم عند اذايتهم لعلمه انهم لا يستطيعون
لانفسهم فضلا عن غيرهم دفع ضر ولا جلب نفع الرابع ان يلازمه
الخوف ابدا سرمدا ولا يجد لطمانينة النفس سبيلا فانه لا يحيط
علما بانه من فريق السعادة في الازل او من فريق الشقاوة ثم
ينظر الى اسباب الشقاوة واماراتها فيجدها منحصرة في المخالفا

فهو

فهو يخاف الوقوع فيها ويجتنبها وهذا هو المعبر عنه بالورع وما حصل
له من المخالفة فهو يخاف زوالها باضدادها حتى يخاف ان يسد
علمه وفهمه الى الشك والجهل وكذا يخاف ان يطالبه ربه بالقيام بشكر
فيما انعم عليه فلا يطيق ذلك وكذا يخاف ان تخدعه نفسه فيحصل
في علمه ما يفسده ويحبطه بالرياء والتسمعة والعجب وكذا يخاف من
توجه حقوق عليه للادميين تثقل له اعماله الى اصحابهم وهذه احوالهم
ونعاوتهم على حسب الحضور مع الله تعالى في ابواب القربات واعمال الخير
والله يرزق من يشاء بغير حساب انتهى وفي رسالة القشيري الولي يحتمل
امرين احدهما ان يكون فعيلا لمبالغة من الفاعل كالعليم والقدير
وغيره فيكون معناه من توالت طاعاته من غير تخلل معصية ويجوز
ان يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وخريج بمعنى مخروج
وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الادامة والتوالي
فلا يخلي له الخذلان الذي هو قدرة العصيان ويديم توفيقه
الذي هو قدرة الطاعات قال تعالى وهو يتولى الصالحين ثم قال
بعد ذلك فان قيل فليسقط الخوف عن الاولياء قيل اما الغالب على
الاكابر فكان الخوف وذلك الذي قلنا فيما تقدم على جهة الندرة
غير ممتنع وهذا السري السقطي يقول لو ان احدا دخل بستانا فيه
اشجار كثيرة وعلى كل شجرة طاير يقول بلسان فصيح السلام عليك
يا ولي الله فلو لم يخف لكان مهجورا به واما المسالة الثانية
فالذي ذهب اليه جمهور المسلمين جواز كرامات الاولياء وان الخوارق
يجوز اظهارها على ايديهم جملة من غير تفصيل وانما تمتاز عن
بخلوها عن دعوى النبوة ومنعها المعتزلة والاستاذ ابو اسحاق
يميل الى قريب من مذهبهم هكذا نقله عنه امام الحرمين والذي
نقل عنه الفخر في الاربعين المنع راسا ونقله بعضهم عن الشيخ ابن
ابي زيد ونفاه بعضهم عنه والذي ذكر الاستاذ في جامعه ان

المعجزات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من ادعى المشي على الماء او في الهوى وقطع مسافة بعيدة في ليلة
فكذبوه قال المقترح يحتمل ان يكون قال ذلك فيمن ادعاه دليل
ولا بينة بنا على قول كثير من اهل السنة الكرامة لا تقع من الولي
مدعيا لها دليلا على ولايته ونقل الامام عن الاستاذ ان الكرامة
من الولي لا تبلغ مبلغ خرق العادة لقوله في كتابه في باب اثبات
الكرامة مع قوله هذا فانه يخص الكرامة بنحو اجابة الدعوة
ومصادفة الملهم والبرية والمكاشفة وقد اختلف فيها فقال
بعض علمائنا هي ظنون تصدق غالبا لا تبلغ مبلغ العلم والصحيح
ان منها ما يبلغه قال التفتازاني ويدل على الوقوع وجهان الاول
ما ثبت بالنص من قصة مريم عنده ولادة سيدنا عيسى عليه الصلاة
والسلام وآية كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا
وقصة اصحاب الكهف ولبثهم في الكهف سنين بلا طعام ولا شراب
وقصة آصف في سورة النمل واتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد
الطرف فان قيل كان الاول ارهاصا لنبوة سيدنا عيسى عليه
الصلاة والسلام والثاني لمن كان نبيا في زمن اصحاب الكهف
والثالث لسيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام قلنا سياق
القصص يدل على ان ذلك لم يكن لقصد تصديقهم في دعوى النبوة
بل لم يكن لزكريا علم بذلك ولذلك سأل ونحن لا ندعي الا جواز
ظهور الخوارق من بعض الصالحين غير مقرونة بدعوى النبوة
ولا مسوقة لقصد التصديق لنبي ولا يضرنا تسميتها ارهاصا
او معجزة لنبي هو من امته على ان ما ذكرتم يرد على كثير من معجزات
الانبياء لجواز ان يكون معجزة لنبي آخر الثاني ما تواتر معناه
وان كانت التفاصيل آحادا من كرامات الصحابة والتابعين
ومن بعدهم من الصالحين الى هلم جرا حتى كاد ان يكون حصولها
من اولياء الله تعالى مما علم ضرورة ولا غرابة في انكار معظم

المعتزلة

المعتزلة لها اذ هم لم يشاهدوا في جماعتهم الضالة المضلة وليا
لله تعالى وانما الغرابة فيمن ينكرها من اهل السنة ان صح عنه ذلك
قلت ولعله انما انكرها من انكرها منهم لما اكثر المدعون لها في
زمنهم ممن ليس من اهل الولاية وكثر اهل البدع والدجاجلة
الفتانون الجهلة بالحيل والتمويهات او ما هو من قبيل الابتلا
والاستدراجات فاراد سد بدعتهم وفتنتهم للعوام بحصر
الكرامة في اتباع الكتاب والسنة والسلف الصالح لا غير
ذلك ولا حقا انه من الحسن ان تحدث للناس اقضية بقدر ما
احدثوا من الفجور والبدع وقد اختلف المتكلمون في امتناع
صدور الكرامة عن اختيار وقصد من الولي على قولين وكذا اختلف
في صحة وقوعها مقارنة لدعوى الولاية فاجازه الكل القاضي ومنعه
غيره وفي صحة وقوعها على العموم في الخوارق ومقيدة بما لم يقع
معجزة للنبي قولان لامام الحرمين وبعض المتكلمين وكذا اختلفوا
في صحة وقوعها بالاخبار بالغيب على قولين مبنيا ما على الاختلاف
في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول اهل
المنفي غيب خاص كالاحكام الشرعية وما يتعلق بها او غيب عام
وفي الارشاد لا تفارق الكرامة المعجزة الا بوقوع المعجزة على
حسب دعوى النبوة ووقوع الكرامة دون ادعائها واما المسألة
الثالثة في الولي هل يمكن ان يصل في ولايته الى درجة النبوة
اهلا في شرح المقاصد الدينية للتفتازاني اجمع المسلمون
ان الولي لا يصل الى درجة النبي اذ من خاصية النبي مع ما جاز
من شرف الولاية انه معصوم من المعاصي مأمون من سوء العاقبة
بحكم النصوص القاطعة مشرف بالوحي ومشاهدة الملك
مبعوث لاصلاح حال العالم ونظام امر المعاش والمعاد الى
غير ذلك من الكمالات ولا يعتد بقول بعض الكرامية المبتدعة

ان الولي قد يبلغ درجة النبي وان التحرز من هذا المذهب ه
الخسيس اشار المولف بقوله اعلا مقام تقي ما ينال ولي فقيد
اعلا مقام يصل اليه الولي بانه من المقامات التي اجرى الله تعالى
العادة ان ينيلها الولي لا انه من المقامات التي اجرى الله تعالى
العادة ان ينيلها للانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام ولهذا
قيل اول مقامات النبوة تحتها اعلا درجات مقامات الولاية
وقالوا نسبة ما قسم بين الاوليا كلهم من المراتب والكمالات
الى ما اعطي للانبيا عليهم الصلاة والسلام كنسبة رشح من
رق مملو عسلا الى ما داخل الرق من العسل وكذا اجمع المسلمون
على ان النبي افضل من الولي لان النبي جمع بين مرتبة الولاية
ومرتبة النبوة ولا يعتد بقول بعض الباطنية ان الولاية
افضل من النبوة نعم قد يوقع تردد في ان نبوة النبي افضل
ام ولايته فمن قايل بالاول لما في النبوة من معنى الواسطة
بين الجانبين والقيام بمصالح الخلق في الدارين مع شرف
مشاهدة الملك ومن قايل بالثاني لما في الولاية من معنى
القرب والاختصاص الذي يكون في النبي في غاية الكمال
بخلاف ولاية غير النبي وكذا اجمع المسلمون على ان الولاية
وان تناهت لا يسقط معها تكاليف الشرع وعن اهل الاباحة
من الباطنية والاحاد اذ لهم الله تعالى واخلاصهم الارض
ان الولي اذا بلغ الغاية في المحبة وصفا القلب وكمال الاخلاص
سقط عنه الامر والنهي ولم يضره حينيذ الذنب ولا يدخل
النار بارتكاب الكبيرة وهذا كفر لا محالة اذ لا معنى للولي
الا مظهر تصرف النبي في الخلق بالحق قال التفتازاني بعد ان
رد عليهم باجماع المسلمين وعموم الخطابات قال ولان اكمل
الناس في المحبة والاخلاص هم الانبيا عليهم الصلاة والسلام

سيما

سيما حبيب الله تعالى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
مع ان التكاليف في حقهم اتم واكمل حتى انهم يعاتبون بادنى زلة
بل بترك الافضل لعمر حكي عن بعض الاوليا انه استعفى الله تعالى
عن بعض التكاليف وسأله الاعتاق عن ظواهر العبادات
فاجابه الى ذلك بان يسلبه العقل الذي هو مناط التكليف
ومع ذلك كان من علو المرتبة على ما كان وانت خبير بان العارف
لا يسأم من العبادة ولا يفتر في الطاعات ولا يسأل الهبوط
من اوج الكمال الى حضيض النقصان والنزول من مدارج الملك
الى منازل الحيوان بل ربما يحصل له كمال الانجذاب الى عالم القدس
والاستغراق في ملاحظة جانب الحق فيذهل عن هذا العالم ويخل
بالتكاليف من غير تاثم بذلك لكونه في حكم غير المكلف كالنايم
وذلك لعجزه عن مراعاة الامرين وملاحظة الجانبين فربما
يسأل دوام تلك الحالة وعدم العود الى عالم الظاهر وهذا
الذهول هو الجنون الذي ربما يرجح على بعض العقول والمتسمون
به هم المتسمون بمجانين العقلا وبهذا يظهر فضل الانبيا عليهم
الصلاة والسلام على الاوليا فانهم مع ان استغراقهم اكمل
وانجذابهم اشمل لا يخلون بادنى طاعة ولا يذهلون عن هذا الجانب
ساعة لان قوتهم القدسية من الكمال بحيث لا يشغلها شاغل
عن ذلك الجانب ولهذا يعاتبون على ادنى ذهول حتى عن الاولى
في مراتب الصواب واما المسالة الرابعة في حقيقة التسخير
فالذي رسمه به الشيخ ابن عرفة في شامله انه امر خارق للعادة
مطرد الارتباط بسبب خاص به فيخرج بقوله مطرد الارتباط
الخ المعجزة والكرامة قال وزعم القرافي انه غير خارق للعادة
وغرابته انما هو بجهل اسبابه لاكثر الناس كصنعة الكيميا
بعيد ورسمه التفتازاني في شرح مقاصده بانه اظهار امر

خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة مباشرة اعمال مخصوصة
يجري فيها التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين وهما قوله من نفس
شريرة الخ يفارق المعجزة والكرامة وتفارقهما ايضا بانه لا يكون
بمجرد اقتراح المقترحين وبانه يختص ببعض الازمنة والامكنة
والشرائط وبانه قد يتصدى لمعارضته وبذل الجهد في الاتيان
بمثله وبان صاحبه ربما يعلن بالفسق ويتصف بالرجس في الظاهر
والباطن والخزي في الدنيا والاخرة الى غير ذلك من وجوه المفارقة
وهو عند اهل الحق جائز عقلا ثابت سمعا وكذا الاصابة بالعين
وقالت المعتزلة بل هو بمجرد اراة وتخييل لا حقيقة له بمنزلة
الشعوذة التي سببها خفة حركات اليد واخفا وجه الحيلة فيه
ودليل الجواز عند اهل الحق امكان ذلك الامر في نفسه وعموم
قدرة الله تعالى فانه جل وعلا مولى الخالق لا مخترع سواه وانما
الساحر يضاف اليه الفعل لا على سبيل انه اخترعه اوله فيه
تاثير ما بل على انه سبب عادي لذلك كالطعام للشبع ونحوه
من العاديات وهذا قال تعالى يعلمون الناس السحر الى قوله تعالى
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله ففي الاية اشعار بان السحر ثابت واقع
حقيقة ليس بمجرد اراة وتمويه ودلت على ان المؤثر والخالق
انما هو الله تعالى وحده فان قيل قوله تعالى في قصة سيدنا موسى
عليه الصلاة والسلام يخيل اليه من سحرهم انها تسعى يدل على انه
لا حقيقة للسحر وانما هو تخييل وتمويه اجيب عنه بانه يجوز ان يكون
سحرهم ايقاع ذلك التخييل وقد خلقه الله تعالى عند ذلك
الفعل الذي وقع على ايديهم ولو سلم فكون اثره في تلك الصورة
هو التخييل لا يدل على انه لا حقيقة له اصلا والى هذين القولين
في السحر اشار المولف بقوله والسحر يشبهها حقيقة عند نا قد

نيل

١٦٨

١٦٩

نيل بالجيل فقوله يشبهها يعني يشبه الكرامة في كونه خارقا
للعادة مثلها لانه مجرد تخييل وقوله عندنا يعني معاشر اهل
السنة قوله قد نيل بالجيل هو قول المعتزلة وقريبة كون هذا القول
للمعتزلة لاهل السنة قوله في الاول عندنا تنبيه من معنى اصابة
السحر اصابة العين ومن ان يكون لبعض النفوس خاصية انها اذا استحسنت
شيئا لحقته الافة بمحض خلق الله تعالى ولا اثر لتلك النفس اصلا
وانما استحسانها مجرد امارة عادية فقط وشبوتها يكاد يجري
مجرى المشاهدات التي لا تفتقر الى حجة وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم العين حق وقال العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر
نساله سبحانه وتعالى السلامة الى الممات من شر انفسنا ومن
شر كل ذي شر بمنه وكرمه **فصل في وجوب التوبة على الفور**
وتب على الفور ان قارفت سيئة، لا تمهلن ساعة فالذنب للمهل
وقل لعل رسول الموت يعجلني، في ساعتي بذه قدتم الى اجلي
لا بد تعقبها عما مضى ندما، كذا المظالم فاردد ها ولا تطل
لما فرغ المؤلف حفظه الله تعالى من رسالة سيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم وذكر ما يتعلق بذلك شرع هنا في ذكر بعض
ما يتلخ عليه الصلاة والسلام من الاحكام عن الله تعالى وعلم من
شريعته المشرفة ضرورة فمن ذلك وجوب التوبة على الفور
من مواقعة المعصية وقد دل على وجوبها الكتاب والسنة
واجمعت الامة على ذلك فيلزم بتاخير التوبة عن معصية لحظة
ذنب اخر وموذ نب التاخير المحرم بالاجماع فتجب التوبة من هذا
التاخير ايضا كما وجبت من المعصية الاولى وهلم جرا حتى ذكروا ان
تاخير التوبة عن الكبيرة زمانا واحدا تلزم كبيرتان المعصية
وترك التوبة عنها وزمانين اربع الاوليان وترك التوبة عن كل
منهما وثلاثة ازمان لها ثمان كبائر واربعة ازمان لها ستة عشر

كبيرة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخمسة ازمان لها اثنان وثلاثون كبيرة وهكذا تضاعف الكبائر
بحسب تضاعف بيوت الشطرنج فى فن الحساب فمهما زاد فى التاخير
زمانا زاد من الكبائر ضعف ما حصل قبل ذلك والى هذا اشار المؤلف
بقوله لا تمهلن ساعة فالذنب فى المهل يعنى لا تمهلن لحظة وسماها
ساعة على طريق المجاز من باب تسمية الجزء باسم الكل وفيه اشارة الى
انه يحصل بتاخير التوبة لحظة من مضاعفة الذنوب وكثرتها
ما صير تلك اللحظة فى حكم الازمنة الكثيرة ولهذا قال فالذنب
فى المهل اى ثابت فى المهل بالتوبة فالف واللام فى قوله فالذنب
يحتمل ان يكون للحقيقة ويحتمل ان يكون للاستغراق على طريق
المبالغة لما عرفت من المضاعفة للذنوب اضعافا مضاعفة
حتى يحصل منها فى الساعة الكاملة من الذنوب ما لا يمكن حصره
وكانه يقول وكل ذنب ثابت فى المهل ولهذا قيل لا صغيرة مع اصرار
ولا كبيرة مع استغفار اى مع التوبة الصادقة المنضرع فى
قبولها ومغفرة الذنوب معها الى رب تبارك وتعالى واما قوله
وقل لعل رسول الموت يعجلنى يعنى قل لنفسك انا بت ان تنقاد
لامتثال ما امره به المولى تبارك وتعالى من تعجيل التوبة على
الفور وارادت ان تستمتع بالمعصية فى بعض زمان ثم تتوب
ان الحياة ليست بيدك وما من زمان الا ويخشى عليك الموت
فيه فلعل الزمان الذى اجلت له التوبة لا تدركينه اصلا
وتموتين قبله وانت على معصيتك معرضة بها لما لا يطاق من
غضب الله تعالى وايضا فعلى تقدير ان تتاخر حياتك الى ذلك الزمان
المؤجل للتوبة لعلك لا توفقين فيه للتوبة عقوبة لك على عدم
الامتثال او يختم على قلبك من الزان ورسوخ حب المعصية فى
القلب اضعافا مضاعفة مما حصل فى الزمان الاول فلا تقدرين
مع ذلك على توبة ابدا وايضا فعلى تقدير ان تعيشى للزمان

المؤجل

المؤجل وتوفقين فيه للتوبة كما اردت فقد فاتك خير عظيم فى مدة
التاخير لا يمكن ان تستدركيه ابدا من المبادرة لامتثال امر الله
تعالى والمسارعة لطلب رضاه والمسابقة لنيل محبته العظمى
التى يصغر كل شىء دونها فهذه الامور ونحوها تقرع بها النفس الامارة
او اللوامة لعلها تستفيق من سكرها بعظ الاستفاقة فتبصر
مراشدها ان سبق لها نصيب من السعادة الازلية واما قوله
لا بد تعقبها عما مضى ندما فقد اشار بهذا الكلام الى تحقيق
معنى التوبة التى قدم وجوبها فاعلم ان حقيقة التوبة فى الشرع
الندم على المعصية لاجل انها معصية وان شئت قلت هى الندم
على المعصية لاجل قبحها شرعا فالندم على المعصية لاضرارها
ببدنه واخلالها بعرضه او حسبه او ماله ونحو ذلك ليس بتوبة
قال التفتازانى واما الندم لخوف النار او طمعا فى الجنة هل
يكون توبة ففيه تردد مبنى على ان ذلك هل يكون ندما على قبحها
لكونها معصية امر لا وكذا وقع التردد فى الندم عليها
لقبحها مع غرض اخر والحق ان جهة القبح ان كانت بحيث لو انفردت
لتحقق الندم فتوبة والا فلا كما اذا كان الغرض مجموع الامرين
لا كل واحد منهما وكذا وقع التردد فى التوبة عند مرض مخوف بنا
على ان ذلك الندم مما يكون لقبح المعصية امر لا بل للخوف كما فى
الاخرة عند معاينة النار والظاهر من كلام النبى صلى الله عليه
وسلم قبول التوبة ما لم يظهر علامات الموت ومعنى الندم حزن
وتوجع على ان فعل وتمنى كونه لم يفعل ورسمه الشيخ بانه تالم
نفس الفاعل لكراهة ما فعل قال التفتازانى وقد يراد فى التوبة
قيد اخر وهو العزم على ترك المعاودة فى المستقبل واعترض
بان فعل المعصية فى المستقبل قد لا يخطر بالبال لذهول او جنون
او موت ونحو ذلك وقد لا يقتدر عليه لعروض افة كخرس فى القذف

شبكة الألوكة www.alukah.net

اوشلل اوجب في الزنا فلا يتصور العزم على الترك لما فيه من الاشعار
بالقدرة والاختيار واجيب بان المراد العزم على الترك على تقدير
الخطور والاقتدار حتى لو سلب القدرة لم يشترط العزم على الترك
وبهذا يشعر كلام امام الحرمين قلت ردا لامدي ذكر هذه الزيادة
في حقيقة التوبة وقيدها بالامكان فقال في حقيقة التوبة
هي الندم على المعصية لاجل ما يجب الندم مع العزم على ان لا يعود
لمثله ان امكنه كتوبة الزاني التسليم لا المجبوب لا يشترط
في توبته هذا العزم خلافا لابي هاشم في قوله لا تتصور توبته
وهو مردود بصحة توبة ذي مرض مخوف اجماعا قال الشيخ ابن عرفه
وفيه نظر لتبقي الامكان في المجبوب وتوبته في المرض قال وقول
ابي هاشم هو الجاري على المشهور في الحالف بالطلاق لو كنت
حاضر الشرك مع اخي لفقات عينك ان اعتبرنا العزم لذاته في
وان اعتبر لترك المعزوم عليه فحصوله في المجبوب ثم قال التفتازاني
في التحقيق ان ذكر العزم انما هو للبيان والتقدير لا للتقييد
والاحتراز اذ الندم على المعصية لقبحها لا يخلو عن ذلك العزم
البتة على تقدير الخطور والاقتدار هذا وقد شاع في عرف
العوام اطلاق التوبة على مجرد العزم على ترك المعصية في
المستقبل وليس ذلك من التوبة في شيء ما لم يتحقق الندم والاسف
على ما مضى وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع ومن
نظر في باب التوبة من كتاب الاحيا للامام حجة الاسلام الغزالي
رحمه الله تعالى وتامل فيما يروى من قصة سيدنا داود عليه
الصلاة والسلام علم صعوبة امر التوبة وانها لم تحصل على
الحقيقة الا للاحاد والفرد النادر من الناس قوله كذا المظالم
فاردد ها ولا تظل يعني ان الندم على ما مسه التوبة ملزوم لتركه
في الحال كتوبة الغاصب المتلبس بالغصب وشارب الخمر فالمظالم لم

في كلام

في كلام المؤلف ان كان مراده منها المغصوبات الموجودة بعينها
غير متعلقة بالذمة فردها شرط في صحة التوبة عن الغصب وان كان
مراده ما هلك منها وتعلق بالذمة فرد عوضه حينئذ ليس بشرط
في صحة التوبة عن الغصب عند الجمهور وانما هو واجب مستقل بنفسه
قال الشيخ ابن عرفة ونقل المسيلي في تذكرته صحة التوبة في الغصب
مع بقا المغصوب بيد غاصبه النائب لا اعرفه وهو خلاف نقل
المعالم والارشاد قال المتوب منه ما تخمض حقه لله صحت التوبة
فيه دون مراجعة غيره وما تخمض حقه للعبد لم تصح فيه دون الخروج
عنه كغاصب شيء لا تصح الندم مع بقا يده عليه وما فيه شركة هـ
كقتل النفس عمدا يصح في حق الله تعالى دون تمكينه نفسه من القصاص
وعدم تمكينه معصية تستقل بتوبة منها ومآله من متوب منه
عوض من قضاء وقصاص وغرم وعوض ومحاله في صحتها دون فعل
عوض قولان للاكثر ونقل عياض عن ابن المبارك من شرطها قضا
حقوق الله تعالى والخروج من مظالم العباد فلعله يريد شرط كمالها
لا صحتها قلت ونص القنازاني في شرح مقاصد قالوا ان كانت
المعصية في خالص حق الله تعالى فقد يكفي الندم كما في ارتكاب
الفرار من الزحف وترك الامر بالمعروف وقد يحتاج الى امر زايد
كتسليم النفس للحد في الشرب وتسليم ما وجب في ترك الزكاة هـ
ومثله في ترك الصلاة وان تعلقت بحقوق العباد لزم مع الندم
ايصاله حق العبد او بدله اليه ان كان الذنب ظلما كما في الغصب والقتل
العمد ولزم ارشاده ان كان الذنب ضلالا والا عتذار اليه ان كان
ايذاء كما في الغيبة ولا يلزم تفصيل ما اغتاب الا اذا بلغه على
وجه الفحش ثم التحقيق ان هذا الزايد واجب خارج عن التوبة
قال امام الحرمين رحمه الله تعالى ان القاتل اذا ندم من غير تسليم
نفسه للقصاص صحت توبته في حق الله تعالى وكان متعلق القصاص

شبكة الألوكة www.alukah.net

من مسحقة معصية متجددة تستدعي توبة فلا تقدح في التوبة
عن القتل ثم قال وربما لا تصح التوبة بدون الخروج من حق العبد
كما في الغصب فانه لا يصح الندم عليه مع ادامة اليد على المغصوب
ففرق بين الغصب والقتل وبالله تعالى التوفيق لا رب غيره انتهى

وان بليت بذنب بعد صحتها، لم تنتقض لك لكن تب كمقتبل هذا الصحيح فلا تسمع لمنكره، مثل العبادات لم تنقض بمفعل

يعني ان من صحت توبته عن ذنب لم تبطل توبته بمعاودته ما منه
تاب ومثال ذلك ما ذكره المؤلف وهو انه لو صحت منه عبادة
كالصلاة في وقتها ثم تركها في وقت آخر عمدا لم تفسد بهذا الترك
الصلاة الاولى وهو ظاهر بتنبيهات الاول اختلفوا في لزوم تجديد
التوبة كلما ذكر المعصية فاوجب القاضي منا وابو علي من المعتزلة
ولم يوجب ذلك امام الحرمين الا ان يذكرها مشتهيا لها فرحا بها
قال الشيخ ابن عرفة وظاهر لفظ عياض بطلان التوبة الاولى بعدم
تجديد الندم عند ذكر الذنب الثاني تقبح التوبة عندنا من بعض
المعاصي دون بعض خلافا لابي هاشم من المعتزلة قال اصحابنا كما
يجوز الاتيان بواجب لحسنه وقوة دواعيه مع ترك واجب اخر كذلك
يجوز ترك قبيح لقبحه وضعف دواعي فعله مع الاصرار على قبيح اخر
قال الشيخ ابن عرفة وظاهر قول الفهري شرطها بتوبته عن المساوي
والاعلى في القبح الشرعي لا العكس وذكر في الارشاد اجماع الامة
على ان الكافر اذا اسلم وتاب من كفره صحت توبته وان استدام زلة
واحدة وقول ابي هاشم لا تصح توبته وهو بعد سلامه ملتزم لوزر
كفره وهو خروج عن اجماع المسلمين فان قيل التوبة عن الذنب
انما هو لقبحه وقبحه عام في كل ذنب فتصور الندم على قبح المعصية
مع الاصرار ممتنع اجيب بمنع امتناعه والا لما صحت طاعة
لحسنها مع ترك مثلها واعترضه الشيخ ابن عرفة بان عموم تعلق

الندم

الندم بالكل متيسر عادة وعموم الفعل بالكل متعذر او متعسر
قال والصواب جواب الفهري بلزوم عموم الندم في كل مساو واعظم
لا في الادنى كالندم على الزنا باجنبية يستلزم شموله في ذات
محرم والندم على قتل انسان لا يستلزمه في قتل هدهد او حرد
الثالث قال التفتازاني يكفي في التوبة عن المعاصي كلها الاجمال
وان علمت مفصلة خلافا لبعض المعتزلة انه لا بد من الندم تفصيلا لكل
قال والذي لكفر تحمله قبلت، قطعا وفي غيره ترجى لمستثل
واعلم بان مجال القول متسع، فيها وفي الطول ما يخشى من الملل

يعني ان التوبة اذا وقعت متوفرة الشروط فان كانت من الكفر
قبلت قطعا ثم هل توبة الكافر نفس اسلامه ام لا بد مع ذلك من الندم
على الكفر فاوجبه امام الحرمين رضي الله تعالى عنه وقال غيره يكفيه
ايمانه لان كفره محي بايمانه واقلاعه عنه لقوله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان كانت غيره قبلت على سبيل
الظن وقيل على سبيل القطع ودليل الاول اجماع السلف على الرغبة
لله تعالى في قبول التوبة فدل على انها على الرجا ودليل الثاني قوله
تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ونحو من الايات الواردة
في ذلك وبا في كلام المؤلف ظاهر وبالله تعالى التوفيق لا رب غيره

فصل في حكم الامامة الكبرى وشرطها

الامامة صغرى وكبرى فالامامة الصغرى امامة الصلاة ونحوها
والامامة الكبرى هي التي تعرض لها المؤلف هنا وحقيقتها على ما في
النهاية رياسة في الدين والدنيا عامة لشخص واحد فخرج بعامة
القضاء ونحوه وبقوله لشخص واحد كل الامة اذا عزلت
الامام لفسقه وتقض الامدي هذا التعريف بالنبوة قلت
ولو زاد في الحد فقال رياسة بغير معجزة في الدين والدنيا الخ
لصلح طرده قال الامدي والحق انها خلافة شخص للرسول صلى الله

عليه وسلم في اقامة الشرع وحفظ الملة على وجه يوجب اتباعه
كافة الناس قال الشيخ ابن عرفة انظر هل يخرج عنه امامة
ذي فسق وظاهر نصوصهم والاحاديث انها امامة لا تنفق
قال والاقرب انها صفة حكمية توجب امتثال مستطاع امر
موصوفها في غير منكر عموما فيخرج القضا لخصوصه باخراج
احكام الحروب والعطايا ونحوهما

وجوب نصب الامام العدل انتبه بالشرع لا العقل فانبذ قول المعتزلي

قال التفتزاني في الاربعين قال اصحابنا والمعتزلة يجب على الخلق
نصب امام وطريق وجوبه السمع الا انا الحسن البصري والجاحظ
وابا الحسين الخياط وابا القاسم الكعبي قالوا طريق وجوبه
العقل وقالت الملاحدة والاسماعيلية يجب على الله تعالى
نصب الامام المعصوم ليرشد الى معرفته وقالت الاشاعرة
بل يكون لطفا في اداء الواجبات العقلية واجتناب القبايح
العقلية وحافظا للدين عن الزيادة والنقصان ثم ذكر
عن اكثر الخوارج عدم وجوب نصبه اصلا وعن بعض الناس
انه يجب عند ظهور الفتن دون وقت الامن والعدل ومنهم
من عكس وبطلان هذه المذاهب على الجملة معلوم مما سبق
ثم اشار المؤلف الى دليل الوجوب الشرعي بقوله

ثم الامامة ليست ركنا معتقد، وان به وصلت في الحكم منفصل
لاشك في انها ركن لمصلحة، اذا اقيمت على شرط المعتدل

اشار المؤلف بهذا الكلام الى ان دليل وجوب نصب الامام
على الخلق ما تضمنه نصبه من المصالح الضرورية ودفع ضرر
لا يندفع الا به وذلك انا نعلم ضرورة بعد الاستقرا ان البلد
اذا حصل فيه رئيس قاهر يامرهم بالافعال الجميلة ويزجرهم
عن القبايح كان حالها في البعد عن الفساد عن النفس

والحريم

والحريم والمال والدين والدنيا قريبا متيسرا وكل ما يوجب
الحفظ لما ذكر ويبعد عنه الفساد فهو واجب باجماع الانبيا
والرسل عليهم الصلاة والسلام وكل الامم والاديان لا يقال
هذه المصالح التي ذكرتم في نصب الامام معارضة بمفاسد
لانه ربما يستكفون عن طاعته فيزداد الفساد او يستولي
عليهم فيظلمهم او يكثر عليهم الخروج فياخذ اموال الضعفا لان
كل عاقل يعلم رجحان تلك المصالح على هذه المفاسد والمعتبر
شرعا وعقلا الراجح فاترك الخير الكثير لاجل الشر اليسير شر
كثير والى كون تلك المصالح التي في نصب الامام لا يمكن الغناء عنها
وان الامامة نسبتها الى المصالح الضرورية كنسبة ركن الماهية
الى الماهية المعلوم انعدامها بانعدام ركن من اركانها اشار
المؤلف حفظه الله تعالى بقوله لا شك في انها ركن لمصلحة ونكر لفظ
المصلحة للتفخيم والتعظيم والتكثير ونبه بقوله ليست ركن معتقد
على ان نصب الامام ليس ركنا في عقايد الايمان بحيث يقدح الاخلا
به في اصل الايمان بل هو واجب فرعي ينتظم به مصالح الدين والدنيا
وذكر هذا دفعا لما يتوهم ان ذكر المتكلمين لبحث الامامة في كتب
العقايد يقتضي انها من اركانه وهم انما تبعوا بها في كتب العقايد لما
كانت فيها اقوالا للمبتدعة ناشية عن فساد في اصول العقايد
كقول المعتزلة والاسماعيلية واضرابهم فقعدوا على سبيل النصيحة
ان يتكلموا معهم ويبينوا فساد اقوالهم في ذلك ليتحرز منها ولا
يعتبر بها ويحتمل ان يكون سبب ذكرهم لها في كتب الكلام مشابهتها
لعقايد الايمان في شهرة انتسابها للدين وانها مما علم منه
ضرورة كما ذكروا ذلك ايضا في وجه التوبة والشفاعة
وسؤال القبر ونحوها وعلى كل من الاحتمالين فالسبب الذي
لاجله ذكرت الامامة في كتب العقايد منفصل عن كونها ركنا

من المعتقدات والى هذا اشار بقوله وان به وصلت فى حكم منفصل
اى الامامة ليست ركنا من المعتقدات وان وصلت بها وكتب
الكلام بسبب حكم منفصل عن كيفية الاعتقاد ففى على هذا من
قوله فى حكم سببية ويحتمل ان يكون اراد بالحكم المنفصل مجرد
ذكرها وكتبها مع اركان العقايد فكانه قال ليست الامامة
ركنا معتقدا وان وصلت به فى الذكر والكتب ولا شك ان مجرد
ذكر شىء وكتبه مع ما هو ركن فى الاعتقاد ومنفصل عن كيفية
الاعتقاد اى خارج عنها لا يدل عليها ولا يستلزمها ففى على
هذا الوجه تفصل للظرفية والسببية وهذا الوجه اظهر فى
كلام المولف والله تعالى اعلم وبه التوفيق

شروطها جمعت فى الكتب قد بسطت من نالها كلها حقا لها ينل

يعنى انه يشترط فى من يصح نصبه للامامة شروط كثيرة منها
ما هو مجمع عليه ومنها ما هو مختلف فيه الاول من الشروط المجمع
عليها الاسلام الثانى العدالة لان الفاسق بما يصرف الاموال
لغرض نفسه ويتعدى على الانفس وعلى الاموال يغير موجبها فيضيع
الحقوق وتكثر المفاسد الثالث الذكورية الرابع الحرية لانها
مظنة فراغ البال عن الاشتغال بخدمة الغير قال الشيخ ابن
عرفة ولان الرق مظنة الاستخفاف واذا نافى منصب الشهادة
فاحرى الامامة وحديث ابى ذر رضى الله تعالى عنه اوصانى
خليلى ان اسمع واطيع وان كان عبدا مجدع الاطراف محمول على
انه نائب امير المومنين الخامس البلوغ السادس العقل السابع
ان يكون مجتهدا فى اصول الدين وفروعه يتمكن من ايراد الادلة
وحل الشبهات والفتوى فى احكام الشرع لانا لمقلد تتلاعبه
به الاراء فلا يهتدى الى الصواب الثامن ان يكون شجاعا فلا
يضعف عن لقاء العدو واقامة الحدود التاسع ان يكون

ذا راى

ذا راى وسياسة بتدبير الحرب والسلم يشتد فى موضع الشدة
ويلين فى موضع اللين وذكر فى الطوالع ان جمعا تساهلوا
فى هذه الثلاثة اعنى السابع وما بعده وقالوا تصح امامة
من لم يتصف بها ويستثنى من كان موصوفا بها قال الشيخ
ابن عرفة وهو خلاف عد الامدي لها فى الشروط المتفق
عليها العاشر ان يكون مقتدرا على انفاذ حكمه **فان قيل**
يلزم سقوط امامة عثمان بن عفان رحمه الله تعالى ورضى عنه
حين حصر **اجاب** الامدي بانا لا نسلم عدم قدرته بل
كان امره نافذا شرقا وغربا وانما هاش عليه رعاع واوباش
فقصد السلم وترك الفتنة الحادى عشر ان يكون قرشيا وهو
مذهب جميع اهل السنة وخالف فى ذلك الخوارج وبعض
المعتزلة قال المازرى غلا بعضهم فقال لو استوى قرشى ونبطى
فى شروط الامامة ترجح النبطى لانه اقرب لعدم الظلم والجور
احتج اصحابنا باجماع الصحابة حين قال الانصار يوم السقيفة
منا امير ومنكم امير فمنعهما ابو بكر رضى الله تعالى عنه محتجا
بقوله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش وبقوله صلى الله
عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها واحتج المخالف بقوله
صلى الله عليه وسلم اطيعوا السلطان ولو امر عليكم عبد
حبشى اجدع واجيب بانه ليس كل سلطان امام ولا يشترط
فى الامام ان يكون هاشميا للاجماع على صحة امامة الشيخين
وخالف فى ذلك الشيعة وكذلك لا يشترط عصمته خلافا
للاسماعيلية والى الشروط الاحدى عشر السابقة اشار
المولف بقوله شروطها جمعت واشار بقوله من نالها كلها
حقا الى وجوب البحث عمن توجد فيه هذه الشروط على سبيل
التحقيق اذ كثيرا ما يلتبس بعض من لا يستحقها بتكلف بعض

شبكة الألوكة www.alukah.net

المحاسن قبل الظفر بها تخيلا على حب الناس واعانتهم له على
سبيل الظفر بهذه الرياسة فاذا نال غرضه منها وتولى
سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله
لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقوله لها ينل اي للامامة وقوى
العامل باللام مع كونه فعلا يتعدى بنفسه لضعفه بالتاخير
عن معموله كقوله تعالى ان كنتم للرويا تعبرون وبالله التوفيق
ولا يكون بطاري الفسق منعزلا، الا بكفر فلا بد من بدل
فلا خروج بوصف الفسق ما وجد، منه الصلاة لنا والفسق لم يزل
بمثل هذا انا غره ما خبر، اذ في الخروج مزيد الفسق والشر
يعني ان العدالة وان كانت شرط صحة باتفاق في الامام فعدمها
ان كان قبل الامام لم يجز نصبه بلا خلاف وان كان بعد نصبه
بان طرا عليه لفسق لم يجز عزله ولا الخروج عليه عند بعض اهل
السنة لما في ذلك من ثوران الفتن وانتشار المفاسد باضعاف
مضاعفة مما كانت مع بقايه بل ظاهر النصوص والاحاديث ان
الامامة اذا وقعت لمتصف بالفسق ابتدا نفذت ولا
تنقض لما ينشأ عن نقضها من المفاسد وقد وصف النبي
صلى الله عليه وسلم الائمة الفاسدة ووصف ملوكها
بما هو مشهور ولم يؤمر بالقيام عليهم ولا بالخروج عنهم بل
امر ان تؤدى اليهم حقوقهم ويسال الانسان حقه من الله تعالى
وقد قال عليه الصلاة والسلام للانصار رضي الله تعالى عنهم
انكم ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على
الحوض وقد ادرك كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم
وايمة التابعين ومن يقتدي بهم من السلف الصالح ايمة السوء
فدخلوا تحت طاعتهم وبذلوا لهم النصيحة في الامر بالمعروف
والنهي

والنهي عن المنكر بقدر الاستطاعة ولم يسعوا في عزلهم ولا انتصبوا
لحربهم ولا اهانوهم عند العامة ولا حرضوا على مخالفتهم ولا يحتج
على جواز الخروج على الايمة الفساق بخروج كثير من التابعين
كسعيد بن جبير واضرابه على الحجاج والسعي في محاربته وعزله
لانا نقول انما خرج اولئك عليه لانهم راوه كافرا بشواهد دلتهم
على كفره وهو راى كثير من المحققين فيه من المتقدمين والمتاخرين
كالشيخ ابن عرفة وذويه ولا خلاف ان الكافر لا يحل اقراره
على التقدم على المسلمين ولا يحتج على ايمان الحجاج بقوله
لعمر بن عبد العزيز في النوم وانا انتظر ما ينتظر الموحدون
امتا او لا فلانها رويا نوم فلا يترك لاجلها ما دلت عليه
الشواهد المحققة من كفره واما ثانيا فلان غاية ما فيها
الاخبار عنه بما اعتقد في نفسه انه من الموحدين وانه ينتظر
ما ينتظرون وان لم يكن منهم ولا شك ان كثيرا من جهلة ذوي
العقايد الفاسدة والكفرة والمنافقين على هذا النمط
حتى يستبين الامر لهم في الاخرة بعد البعث وقد قال تعالى
في حقهم وبيان ما يفعل بهم في الاخرة فضرب بينهم بسور له
باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم
الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم الاية وبالجملة
فانما يستبين لاهل النار انهم لا يلحقون بالموحدين في الخروج
منها وانهم مخلدون فيها ابد الاباد عند ما يذبح الموت
في صورة كبش بين الجنة والنار ويقال يا اهل الجنة خلود
لا موت ويا اهل النار خلود لا موت نسأله سبحانه ان
يلحقنا بزمرة الموحدين لتسعد ظاهرا وباطنا في الدنيا
والاخرة بفضله واحسانه ويحتمل ان يكون خروج من خرج
على الحجاج وان قلنا بفسقه دون ان يصل الى درجة الكفر

شبكة الألوكة www.alukah.net

انهم بنوا على ان الفاسق يصح خلعه ان قدر على ذلك دون
اراقة دما وكشف حرم وهو احد قولى الشيخ الاشعري
واختاره امام الحرمين في الارشاد قال الشيخ ابن عرفة
في شامله حاكيا عن المازري ومن ثبتت امامته وجبت
طاعته واتباعه في اجتهاده ومذهبه فيما ليس بمعصية
فان تغيرت حاله بكفر فواضح خلعه وببدعة كالاعتزال فان
دعى اليها لم يطع فان قاتل قوتل وان لم يدع اليها فعلى
تكفيره يخلع وعلى فسقه في خلعه ان امكن دون اراقة دما
او كشف حرم مذهبان الاول خلعه ان تغيرت حاله بفسق
كالزنا وشرب الخمر فان قدر على خلعه دون سفك دماء
ولا كشف حرم ففي وجوبه اول قولى الشيخ وثانيهما مع كثير
من اهل السنة والقاضي مستندا لاباً لاحاديث قلت وهو
قول ابن عمر في عدم الخروج من ولاية يزيد في جيش الحرة حسبما
ذكره مسلم في صحيحه والاول قول عبد الله بن الزبير في القصة
كما ذكره المؤرخون انتهى **فصل فيما اتت به السمعيات من الامور**
واعلم بان رسول الله اخبرنا، عن الغيوب بحق غير مفتعل
كالقبر فالمرء فيه ذو مسايله، اما نجاة له او بالعذاب بلى
لقن عبيدك يا مولاي حجته، عند السؤال محل الروع والوجل
لاخفا انه بعد ما علم علم يقين ضروري بثوت رسالة سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وجب تصديقه في كل ما اخبر
به وكل ما بلغ عن الله تعالى لان الله تعالى قد صدقه في ذلك
ومن جملة ما اخبر به عليه الصلاة والسلام سؤال القبر وعذاب
للكفار وللبعض عصاة المومنين ونعيمه للطايعين وقد
اجمع اهل الحق على ثبوت ذلك لانه امر جايز شهد به السمع
لانه قد تواترت الاخبار باستعاذته صلى الله عليه وسلم منه

وذلك

وذلك مغن عن تكلف نقل اخبار الاحاد فيه ولم يزل مستفيضا
في السلف قبل ظهور اهل الاهوا ونقل عن المعتزلة انكار
ذلك قال التفتازاني قد اجمع الاسلاميون على ان ذلك
حق واقع لا ريب فيه ونسب خلاف ذلك الى بعض المعتزلة
وبعض المتاخرين قال وانما حكي انكار ذلك الى ضرار بن عمرو
وانما نسب للمعتزلة وهم برآء منه لمخالطة ضرار لهم وتبعه قوم
من السفهاء المعاندين للحق ودلايل اهل الحق كثيرة كقوله
تعالى في ال فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اي قبل
القيامة وذلك في القبر بدليل التقييد بالغدو والعشي
وعذاب الاخرة مقول لا تقييد فيه وبدليل قوله تعالى ويوم
تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وقوله تعالى
في قوم نوح اغرقوا فادخلوا نارا والفا للتعقيب وقوله تعالى
ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين واحدى الحياتين
ليست الا في القبر اذ الاحيا انما يتباد رمنه خلق الحياة
بعد الاماتة والحياة الاولى قبل الاقبار لم تكن بعد الاماتة
ويحتمل انهم انما خصوا الحياتين بالذكر لانهما اللتان انكروهما
بعد الموت اما الحياة الاولى فمحسوسة اولا فلا تحتاج
الى النص عليها وكقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما
اتاهم الله من فضله والاحاديث المتواترة المعنى كقوله
عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة او
حفرة من حفر النار وكما روى انه عليه الصلاة والسلام مر
بقبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير الحديث
وكالحديث المشهور في الملكين الذين يدخلان القبر ومعهما
مرزبتان فيسالان الميت عن ربه وعن نبيه الى غير ذلك

من الاخبار والاثار المسطورة في الكتب المشهورة وقد
تواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذته من عذاب
القبر واستفاضت ذلك في الادعية المشهورة وقد تمسك
نفاة حياة القبر وسؤاله بقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى قالوا الواحيوا في القبر لذاقوا موتتين
لا واحدة وبقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى وما
انت بمسمع من في القبور وبانا نرى من دفن فيه على حاله
ويعلم بالضرورة كونه ميتا والجواب عن الاول ان المنفي في تلك
الاية انما هو ان يذوقوا في الجنة غصص الموت التي لم تثبت
الا للموتة الاولى فمن ثم خصت بالذكر او يكون معنى الاية وهو
الاظهر الاخبار بان نعيم اهل الجنة لا ينقطع بموت كنعيم
اهل الدنيا بدليل ان الله تعالى احيى كثيرا من الاموات في
زمن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وسيدنا عيسى
عليه الصلاة والسلام وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وعن الثاني بان المراد في الايتين تشبيه الكفرة بالموتى
واهل القبور المكنى بهم عن الموتى ايضا ونحن نعترف بان الذين
في القبور لا يسمعون حين ما يكونون موتى وعن الثالث بان
فصاراه استبعاد عادي وصدوره من قايله يؤذن بعدم
طمانينته للايمان وهو بمثابة استبعاد الكفرة حشر العظام
البالية ومن ثم اختصارا لرسل عليهم الصلاة والسلام
برؤية الملك دون القوم وتعاقب الملايكة فينا وقوله
تعالى في ابليس وجنوده انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
لا يشك في التصديق بذلك كيف والنايم يدرك احوالا
من السرور والغموم والالام من نفسه ونحن لا نشاهد ذلك
منه والبرزخ اول منازل الاخرة وفيه تغيير العادات

وخرقها

وخرقها فيصح ان يكون الميت حال مشاهدتنا والقبر حال نظرنا
فيه على غير الحالة التي نشاهدهما عليها ولا نشعر نحن بشيء
مما مسالك والادراكات وغيرها بيد المدبر تبارك وتعالى
فيظهر جل وعلا ما شاء منها ويحجب ما شاء نسأله سبحانه وتعالى
ان يجعلنا دنيا واخرى ممن آمن به وملايكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر وان يختم لنا بخاتمة السعداء ويومن روعنا في
الدنيا والاخرة بجاه نبيه ومصطفاه من خلقه سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم

والروح باقية ليست بفانية، والجسم من جنس ذا التراب حري بلى
غير الالى خصهم بالحفظ خالقهم، كالانبياء ومن امل الخصوص لدى

يعني ان الله تعالى بموالات خلق اعراض الحياة في اجزاء البدن وفي
اجزاء الروح مادامت مشتبكين فاذا نزع الروح من البدن اجرى
سبحانه العادة بخلق اعراض الموت وموالاتها في اجزاء البدن
الذي فارقته الروح مادامت مفترقين وابقى سبحانه للروح ما
اعتاد منه من موالات خلق اعراض الحياة في اجزايه بحسب ما دل
عليه السمع وكل هذا واقع بمحض اختياره تعالى والا فمن الجايز ان
يبقي سبحانه البدن حيا بعد مفارقة الروح له كما كان حيا
قبل مفارقته اياه او يخلق فيه الموت والروح متصل به كما
خلقها فيه حال انفصاله عنه اذ لا اثر لانفصال الروح ولا
لانفصاله في حياة ولا موت قطعا وكذا من الجايزات ان يخلق
سبحانه في اجزاء الروح من الموت او الاعدام ما خلق في اجزاء
البدن اذ هما في قبول جميع الاعراض على حد السوا وانما المولى
العظيم القهار الفعال لما يريد نصب بمحض اختياره على الحيا
والموت ما شاء من الامارات واحيا ما شاء احياه وامانة
ما شا امانته وتصرف كيف شاء جل رب الارض والسموات

شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله غير الاولى خصهم بالحفظ خالقهم يعني ان عود الجسم
بطول الليالي من جنس التراب ليس بعام بل اختار سبحانه
ان يحفظ من ذلك اصنافا شرفهم بالامتياز عن غيرهم
وهي اربعة الانبيا والعلما والشهدا والموذنون المحتسبون
الا ان المولف رضي الله تعالى عنه عبر عن غير الانبيا من الاصناف
الثلاثة بالالى وما ابدع ذلك واحسنه اذ فيه اشارة
الى ان تلك الاصناف ليس بنالون هذه الرتبة الشريفة
بمجرد تعاطيهم صور تلك الاعمال التي جعلت سببا لنيل
هذه الرتبة بل حتى يتيقنوها ويخلصوا فيها ويقوموا بجميع
حقوقها الظاهرة والباطنة فيا ما الى رتبة الولاية
والافكم من عالم وشهيد وموذن لم ينفعهم الله تعالى
باعمالهم ولا بورك لهم فيها بل كانت والعياذ بالله سببا
في زيادة عذابهم وهذا هو الغالب لاسيما في هذه هو
الازمنة الغاسدة الا من عصمه الله تعالى بمحض فضله
مع قلة اسباب العون على الهداية وتلاطم امواج الفتن
على الظاهر والباطن اللهم لك الحمد واليك المشتكى
وبك المستغاث وانت المستعان وعليك المتكل
ولا حول ولا قوة الا بك **فصل في البعث والحشر**
الفرق بين البعث والحشر ان البعث عبارة عن احيا الموتى
واخراجهم من قبورهم والحشر سوقهم جميعا الى الموقف
الهايل مجمع الاولين والاخرين الجن والانس والعاقل
وغير العاقل واهل السموات واهل الارض والله تعالى
المستعان وبه التوفيق لا رب غيره ولا خير الا خيره
والبعث حق باحيا المصوم كما ، قد كان انشاوها بدا بلا مثل
ان الفلاسفة الضلال مذهبهم ، انكار احيايها بالعقل والجدل

فليس

فليس بحشر الا الروح عندهم ، كان قدرته للجسم لم تصل

لاشك ان الملل كلها من لدن ادم عليه الصلاة والسلام الى
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم مجمعة على ان الله تعالى
يحيي الابدان بعد موتها ويرد الارواح الى مشاكلها كما كانت
اول مرة والدليل على ذلك ان الاعادة اما ان تكون بمعنى
اعادة الجواهر بعد اعدامها او بمعنى ضمها وجمعها بعد تبددها
وكلاهما ممكن وكل ممكن اخبر الصادق بوقوعه فهو حق فالاعادة
اذن على كلا الوجهين حق لا مرية فيها وانما قلنا ان الاعادة
بالمعنى الاول ممكنة لان ماهية الجواهر والاعراض تقبل
الوجود والعدم لذاتها لان القبول لا يكون الا نفسيا والا
لافتقر القبول الى قبول اخر ويتسلسل واذا كان نفسيا فما
بالنفس لا يتخلف وانقلاب الحقايق مستحيل فلا يتصور ان
ينقلب الممكن واجبا او مستحيلا وانما قلنا ماهية الجواهر
والاعراض تقبل الوجود والعدم لانها لو لم تقبل الا الوجود لكانت
قديمة واجبة الوجود وهو باطل لما سبق من برهان حدوثها
ولو لم تقبل الا العدم لكانت مستحيلة الوجود والعيان يكذبه
فلزم من هذا ان ماهية كل ذات من ذوات العوالم تقبل الوجود
والعدم بعد العدم الطاري عليها ما قبلت في حال العدم الاصلي
لها فحقيقة زيد مثلا عند اعدام الله تعالى لها عدما محضا يصح
ان يوجدها الله تبارك وتعالى بعينها لا حقيقة اخرى مثلها
كما انها عند ما كانت معدومة في الازل يصح بعينها اوجدها الله
تعالى فيما لا يزال لا مثلها فقد خرج لك من هذا العلم الضروري
بامكان اعادة ذوات العالم كلها بالمعنى الاول وهو ايجاد
اعيانها لا مثلها بعد اعدامها عدما محضا واما امكان
الاعادة بالمعنى الثاني وهو جمع الاجزا بعد تفريقها وخلق

الحياة فيها فاوضح من الاول لمخرج من هذا ان ذوات العوالم
قابلة للاعادة على كل تقدير هذا اذا نظرنا للاعادة بحسب
فاعلها وهو مولانا جل وعلا فلاحقاء ان قدرته تعالى وارادته
لاتتعاصى عليها ممكن وعلمه تعالى محيط بجميع المعلومات التى
لانهاية لها فلا تتعذر اذن الاعادة لامن جهة قابلها وهو
الممكن المعاد ولامن جهة الفاعل وهو الرب تبارك وتعالى
والى نفى التعذر من جهة الفاعل اشار القران فى قوله تعالى قال من يحيي
العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو
بكل خلق عليم فنفى التعذر من جهة الممكن المعاد بقوله
انشاها اول مرة اى ذواتها قابلة للوجود بدليل النشاة
الاولى ويستحيل ان تنقلب حقيقة من امكان شئ الى
استحالته ونفى التعذر من جهة الفاعل بقوله وهو بكل خلق
العليم بصيغتى المبالغة وبقوله انشاها ثم ارشد تعالى
الى الجواب عن شبه المنكرين فمن شبههم استبعاد جمع الاجزا
الى بدنها المخصوص بعد اختلاطها بغيرها اختلاطا يتعذر
معه التمييز كما قالوا ايذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد
والجواب انه تعالى عالم بجميعها غير عاجز عن تاليفها وخلق
الحياة فيها كما قال تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم
الاية فهو سبحانه برد بلا تعب ولا مؤونة ولا معالجة ولا
واسطة البنية الجوهر الفرد بعد شدة الاختلاط بغيره الى
محله المخصوص الذي كان فيه من البدن المخصوص ومن شبههم
انها اذا صارت ترابا فقد تغير طبعها عن طبع الحياة التى
هي الحرارة والرطوبة فرد سبحانه هذا الاستبعاد بقوله
عزوجل الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونحو ذلك من الايات
واما ان الصادق اخبر بوقوع هذا الممكن فهذا مما علم من الدين

ضرورة

ضرورة واختص المنكرون لبعث الاجساد وقصر البعث على الارواح
بوجهين الاول لو ان انسانا اكل انسانا اخر وصار الماكول
جزا من بدن الاكل فلو اعادهما الله تعالى بعينهما فاما
ان تكون الاجزا الماكولة معادة فى بدن الماكول او فى بدن
الاكل وايا ما كان فلا يكون احدهما معادا بعينه وبتمامه
وهو خلاف الغرض وايضا جعل الماكول جزا من بدن احدهما ليس
اولى من جعله جزا البدن الاخر لانه كان جزا البدن كل واحد
منهما قبل العدم فى الجملة ويستحيل جعله جزا منهما معا لاستحالة
حلول الشئ الواحد بالشخص فى محلين الوجه الثانى ان البدن
لو اعيد لم يخل اما ان يكون لغرض مقصود او لا وكلاهما باطل
اما الثانى فلانه يودى الى العبث والسفه واما الاول فلان
ذلك الغرض المقصود اما الايلام او تحصيل لذة او دفع الم
والاول لا يصح ان يكون مقصودا للحكيم والثانى باطل لانه
ليس فى هذا العالم الجسمانى لذة فى الحقيقة بل كل ذلك
خلاص عن الم والثالث ايضا باطل لانه يحصل بالبقا على العدم
والجواب عن الاول ان لكل بدن اجزا اصلية واجزا فضلية ٥
والمعاد لكل واحد اجزاوه الاصلية والماكول فضل من التغذى
فلا يعود فيه والجواب عن الثانى ان افعاله تعالى يستحيل تعليلها
بالاغراض وقد سبق بيانه ولو سلم الغرض على سبيل الفرض
والجدل فنقول لم لا يجوز ان يكون الغرض الاصلى الا لذاذ
قولهم الاستقرا دل على ان اللذة دفع الم ممنوع بدليل ان الشئ
الملتذ به قد يحصل فجاة فيلتذ به من غير ان يسبق الم الشوق
اليه بل ولا الشعور به اصلا وعلى تسليم كون اللذة الجسمانية
فى هذا العالم دفعا للالم فلا نسلم ان لذات الاخرة كذلك ٥
فان قيل قد دل التسمع على ان لذات الاخرة من جنس لذات الدنيا

كالاكل والشرب والجماع وغيرها فتكون ايضا دفعا للالم فالحق ان
لذة الاخرة يشبه بعضها لذات الدنيا في الصورة ويخالفها
في الحقيقة كما نقل انه لاشركة بينهما الا في الاسماء وحينئذ
لا يلزم اشتراكهما في دفع الالم تنبيهان الاول ذهب الفخر
الى انه لم يثبت بدليل قطعي عقلي او نقلي ان الله سبحانه وتعالى
يعدم الاجزاء اعداما محضا ثم يعيدها واحتج غيره ممن جزم
بعدمها بقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والهلاك الفنا
وجوابه لانسلم ان الهلاك بمعنى الفنا والعدم فقط بل
التفريق وتغيير الشيء عن وضعه الذي كان عليه هلاك
ايضا الثاني اذا قلنا بعدم الاجسام فالمعاد عين تلك الاجسام
المعدومة لامثلها والا لزم ان المعذب او المثاب غير
هذه الاجسام التي اطاعت او عصت وهو باطل بالاجماع و
اختلف اصحابنا في اعادة اعيان الاعراض والصحيح اعادة اعيانها
وقال ابن العربي في سراج المريدين الذي عند اهل السنة
ان تلك الاجسام الدنيوية تعاد باعيانها واعراضها
بلا خلاف بينهم قال بعضهم باوقاتها فيعاد الوقت ايضا
كما يعاد الجسم واللون وذلك جائز في حكم الله تعالى وقدرته
وهين عليه جميعه ولكن لم يرد باعادة الوقت خبر وقد قال
في القرآن ما يدل على ان الوقت لا يعاد ومو قوله تعالى كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها يعني بها غيرها في الوقت
والا فالجلود الاوايل باعيانها التي عصت هي التي تعاد ابدا
تاليفها اذا تفرقت واعيانها اذا عدمت وقد بينا ذلك في كتاب

صول

بمثل ذا كفروا كفر الذين يقولوا اعادة مطلقا وفي الكتاب تا
كذا لك من شك فالاجماع منعقد منهم على كفره والنص فيه جلي
حكى الشهاب لنا ذا في قواعده اذ جا في الذكر نصا غير محتمل

من

من اجل ذلك في القرآن كرره ، بل اوضح الامر في معناه بالمثل
يعني ان من انكر المعاد الجسماني وقصر البعث والثواب والعقاب
على مجرد الارواح كالفلاسفة فهو كافر مثل كفر من نفى البعث مطلقا
اي للاجسام والارواح كالدهرية لان الفريقين اشتركا في تكذيب
الرسل وانكار ما علم من الدين ضرورة ولهذا قال الامام الفخر
في الاربعين الجمع بين انكار المعاد الجسماني والاقرار بالقرآن
متعذر لان ورود في القرآن لا يقبل تاويلا وقد نص الغزالي
على كفر الفلاسفة وعلل ذلك بانكارهم حشر الاجساد والتنعم
الحسي وعلم الله تعالى بالجزئيات وحدوث العالم وذكر غيره الاجماع
على كفرهم **قوله** وفي الكتاب تلى يعني في القرآن العزيز ثلثت
ايات دالة على كفر الدهرية المنكرين للمعاد **قوله** كذلك من شك
يعني ان حكم من شك في المعاد الجسماني واحرى ان يشك في مطلق
الاعادة حكم من جزم بنفي المعاد في انه مجمع على كفره ايضا اذ من
شك في صدق ما علم ضرورة مجيء الرسل به مساو في الكفر لمن جزم
بنفيه وجعله صلى الله عليه وسلم الايمان باليوم الاخر جزءا من حقيقة
الايمان عند تفسيره له في حديث جبريل المشهور دليل على ان
من لم يجزم بالمعاد جزما لا تردد فيه فهو غير مومن لانه قد انعدم
من قبله جزء من حقيقة الايمان فتنعدم حقيقة الايمان في حقه
لان الحقيقة تنعدم بانعدام جزئها **قوله** حكى الشهاب الخ هو
بيان للنص الذي ذكره في كفر من شك في الاعادة **قوله** اذ جا في
الذكر الخ هو تعليل لما ذكره القرافي في قواعده من كفر الشاك في
الاعادة وذلك لان الاعادة وقعت في القرآن على وجه قطعي
لا يحتمل التاويل بوجه من الوجوه ثم تكرر ذلك فيه تكرارا يمكن
ان يدعى فيه الجهل وعدم وصول العلم فصار كل من الكذب بالمعاد
والشاك فيه مكذبين بالقرآن غير مومنين له ومن لم يومن بالقرآن

فهو كافر قطعا **قوله** بل اوضح الامر في معناه بالمثل هو اضراب
انتقال من الادنى الى الاعلى اى لم يكتف سبحانه في بيان امكان
الاعادة بمجرد النص القطعي على وقوعها بل زاد الى ذلك ضرب
المثل التي يسلمها كل عاقل حتى جمع سبحانه في تثبيت المعاد
الجسماني بين الدليل النقلي والدليل العقلي ومن ايات
ضرب المثل في ذلك قوله تعالى وكانوا يصرون على الحنث
العظيم وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما ايانا
لمبعوثون او اباونا الاولون قل ان الاولين والاخرين
لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم ضرب المثل الدالة
على امكان ذلك عقلا فقال افرايتم ما تمنون الى قوله تعالى
افرايتم النار التي تورون انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون
ومنها قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي
انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم فضرب المثل بالنشاة
الاولى ومنها قوله تعالى وقالوا ايذا كنا عظاما ورفاتا
اينا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فضرب المثل بخلق
السموات والارض ومنها قوله تعالى واما الذين كفروا وكذبوا
بايانتا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون ثم قال
بعد ذلك ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون
الى اخر الايات ونحو ذلك في القران كثير جدا يطول تتبعه

فصل في اخذ صحف الاعمال

ويأخذ الكتب بالايمان ايمننا، ممن له سابق التخصيص بالاز
طولي له قد انت في الايدخته، وذو الشمال لذاك المدح لم ينل
حضا على الخير كي تقوى بواعثنا، والشر نحذره خوفا من الزلل
فنفرد ذلك في القران خالقنا، وخص من شاء فضلا فيه لا نسل

فامن

فامن علينا فانت الله ذو كرم، ونجنا يوم ذاك الهول من وجل

هذا مما يجب الايمان به لمجيئه في نصوص الكتاب والسنة ووقع
عليه اجماع الامة قال تعالى واما من اوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا واما من اوتي
كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا انه كان في
اهله مسرورا الاية فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم
اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه وقال اذا الصحف
نشرت وقال فاما من اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرأون
كتابهم ولا يظلمون فتيلا وقد ورد ان صحيفة الانسان
تطوى عند موته ثم تنشر اذا حوسب وعن قتادة صحيفتك
يا ابن ادم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل
ما يملي في صحيفته وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر
الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال
صلى الله عليه وسلم شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم
قال عليه الصلاة والسلام نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثا
قيل
الخردل وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت
الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المومن في يده في جنة عالية
وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك
قوله ويأخذ الكتب بالايمان ايمننا اى اسعدنا وابركنا **قوله**
ممن له سابق التخصيص يعني السعادة **قوله** وذو الشمال
لذاك المدح لم ينل اى لم ينل ذلك المدح الذي ثبت لاخذ
الكتاب بيمينه بل ثبت له في القران ضد ذلك **قوله**
حضا على الخير منصوب على انه مفعول له والعامل فيه انت
قوله وخص من شاء فضلا منه يعني ان مولانا جل وعلا وان
شرك بين جميع العقلاء في اسماع ما يلقاه المطيع والعاصي

في الاخرة وبين لكل حال من ياخذ كتابه بيمينه وحال من ياخذ
كتابه بشماله فقد خص من شاء منهم بمحض فضله منه بالتوفيق
للطاعات وما يحصل له به الامن من المخاوف والعقوبات
وقهر من شاء منهم بعدله على ان سلك به طرق حتفه وهلاكه
واعماه واصمه عن مراشده وطبع على قلبه وحقت عليه كلمة
العذاب وسبق عليه الحكم الازلي بذوق اليم العذاب اللهم
عافنا من مهالك الدنيا والاخرة بمحض فضلك وادخلنا
في واسع رحمتك وبحار كرمك وعظيم طولك يا ارحم الراحمين
يا ذا الجلال والاكرام بجاه نبيك ومصطفاك سيدنا
ومولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى السلام

وآية الوزن في القرآن بينة، والوزن في صحف الاعمال للثقل
على الحقيقة لاعدل مراد به، فذاك قول ركيك غير معتدل
ثم المقادير في الله تعلمها، صدق وما جاء نسلك اعدل السبل
ثقل موازين من يرجوك تثقلها، يا افضل منك ولا تحوجه للعمل

لاشك ان وزن الاعمال في الاخرة بميزان محسوس مما يجب الايمان
به قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال تعالى
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون الاية وقال تعالى
فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية الاية ذهب
كثير من المفسرين الى انه ميزان له كفتان ولسان وساقان
عملا بالحقيقة لامكانها وقد ورد في الحديث تفسيره بذلك
وانكره بعض المعتزلة قال لان الاعمال اعراض لا يمكن وزنها
حال وجودها فكيف اذا زالت وتلاشت بل المراد به
العدل الثابت في كل شئ ولذا ذكره بلفظ الجمع وقيل المراد
الادراك فميزان الالوان البصر والاصوات السمع والطعام
الذوق وكذا سائر الحواس وميزان المعقولات العلم والعقل

ورد

ورد عليهم بان الموزون صحايف الاعمال التي هي اجسام لا نفس
الاعمال التي هي اعراض وقيل بل تخلق امثلة للحسنات اجسام
نورانية وللسيئات اجسام ظلمانية واما لفظ الجمع فللاستظهار
لكثرة ما يوزن وقيل لكل مكلف ميزان ولذلك جمع والميزان
الكبير واحد اظهار الجلالة الامر وعظم المقام قال ابن دقيق
ولا يكون الوزن مقاصة بين العبد وربه كما ذهب اليه الجبائي
من المعتزلة فقال توزن السيئات والحسنات فما فضل
من الخير للعبد دخل به الجنة وما بقي عليه من السيئات خلد
في النار فان ذلك باطل لا يصح وقد قال عليه الصلاة والسلام
لو وضعت السموات والارض في كفة ووضعت لا اله الا الله
في كفة لرجحت لا اله الا الله هذا في القول بها فكيف بالمعرفة
بمعانيها والايمان بها ومذهب اهل الحق ان العبد اذا اتى
بطاعات كامثال الجبال ثم كانت له مخالفة واحدة فهو في
المشيئة فلله سبحانه ان يعاقبه عليها ويعطيه ثواب طاعته
وله ان يغفرها وقد قيل لابي القاسم الجنيد ما تقول فيمن خرج
من الدنيا ولم يبق عليه الا قدر نواة فقال مجيبا المكاتب عبد
ما بقي عليه درهم قالوا وانما فايدة الوزن ان العبد اذا وضعت
صحيفته في الميزان اطلعه الله تعالى على ما وجه اليه من الثواب
او العقاب ان شاء كثيرا وان شاء قليلا فيكون الاخذ للكتاب
باليمين علامة على انه لا يخلد في النار وعند الحساب يعلم
المقبول من الاعمال الصالحة من المردود منها ويعلم المغفور
من الاعمال السيئة من المواخذ بها وعند الميزان يعلم مقدار
ثواب المقبول من الاعمال الصالحة ومقدار المؤاخذ بها من الاعمال
السيئة وتقع النصفة بين المظلومين والظالمين عند ذلك

قوله والوزن في صحف الاعمال للثقل يعني اذا ثقل لما كان

شبكة الألوكة www.alukah.net

من خصايص الاجرام وقد وصف به الشئ الموزون لزم ان يكون
الموزون اجراما اذا لثقل والخفة من صفة الاجرام والاعمال
اعراض لا تقبل ذلك فوجب ان يكون الموزون اقرب شئ اليها
من الاجرام وذلك اما صحايفها على قول او امثلتها على قول آخر
فاللام في قوله للثقل لام العلة اى انما كان الوزن في صحف
الاعمال لا في الاعمال انفسها لاجل ان الثقل الذى وصفت به
الموازين لا يتاتى في الاعمال لانها اعراض ويتاتى في صحفها ○
لانها اجرام فوجب حمل الوزن عليها لا على نفس الاعمال **قوله**
على الحقيقة خبر ثان عن قوله والوزن او حال من الضمير في خبره
المقدر في المجرور **قوله** لا عدل يراد به هو مقابل الحقيقة
وهو قول المعتزلة كما مر **قوله** فذاك قول ركيك غير معتد
اى ساقط غير مستقيم على قوانين الشرع والعقل اذ القاعدة
ان كل ما امكن عقلا واخبر به الشرع فانه يجب الاعتراف به
فان قالوا الظاهر من وزن الاعمال غير مراد قطعا فتعين
التاويل وليس تاويلكم بحمل الوزن على الصحف وغيرها
اولى من تاويلنا بحمل الوزن على اظهار العدل في الاعمال
قلنا تاويلنا ارجح لانه يبقى معه الثقل والخفة على ظاهرها
وكذا ما وصف به الميزان من كفتين ولسان وساق يبقى
ذلك كله على ظاهره الى غير ذلك مما يوزن بانه ميزان محسوس
وتاويلكم الى ابطال هذه الظواهر كلها فتعين ارتكاب
ما سلكناه من التاويل لانه اقرب الى الحقيقة واحرى
مع الظواهر والاجماع على تقديم الراجح على المرجوح **قوله**
تم المقادير فيه الله يعلمها هذا بيان لفائدة الوزن وقد
سبق في نص ابن دهاق وفي من قوله فيه الله يعلمها سيئة
قوله بالفضل منك ولا تحوجه للعمل اشارة الى ما قال

ابن

ابن عطاء الله لولا عظيم فضله لم يكن عمل اهلا للقبول

فصل في الصراط

ولتعتبر بعد ما يلقاه من خطر ○ على الصراط جميع الخلق من دخل
كالريح ثم كلمح البرق سابقهم ○ او سرعة الخيل سقا ثم ذي مهل
ولا احالة في مذ افتكره ○ كالطير تبصره في الجو ثم تميل

الصراط ايضا مما يجب الايمان به وهو جسر ممدود على متن
جهنم يرده الاولون والآخرون لا طريق للجنة الا عليه
وهو ادق من الشعر واحد من السيف على ما ورد به الحديث
الصحيح واجمع عليه اهل السنة رضى الله تعالى عنهم قال
ابن دهاق في شرح الارشاد اختلفوا في صفته فذهبت
فرقة على انه بسيط يقف الناس باجمعهم عليه وعليه يكون
حسابهم وهذا ما ذهب اليه ابو الحسن رحمه الله تعالى وهو
ما ذكره ابو المعالى انفا حيث قال يرده الاولون والآخرون
فاذا توافوا عليه قيل للملايكة قفوهم انهم مسئولون وجعلوا
وصفه عليه الصلاة والسلام له بالدقة كالشعر والحد
كالسيف واكثر في بساطته ومن اهل العلم وهم الاكثرون
من قال ان الصراط جسر طرفه في ارض القيامة وطرفه
الثاني في الجنة وهو على متن النار وقالوا ان ارض القيامة
تكون على النار وعليها يكون اجتماع الخلايق باسرهم وان
النار لتفور حتى تعلوا من جوانبها وتخرج منها اعناق ○
كالجداول تسري بين الناس فتحمل من شاء الله تعالى الى نفسها
قال عليه الصلاة والسلام نقول وكلت بكل جبار عنيد وهي
اعرف بهم من الوالدة بولدها ويكون الذهاب الى الجنة
على الصراط ولا سبيل لها الى عليه وهو المعنى بقوله تعالى
وان منكم الا واردها ثم ظهر من كتاب الله سبحانه وتعالى ومن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ماثورا الاخبار ان النار يدخلها اهلها على اصناف فمنهم من
يكون واقفا على ارض القيامة فتزدرده النار وتبتلعه من
موضعه كما يخسف بمن يخسف به على الارض ومنهم من تخرج ٥
الاعناق من النار فتلتقطهم من بين الناس الى نفسها ومنهم
من يدخل من ابواب النار كما ورد في الكتاب العزيز ومنهم من
يكب من الصراط في النار ومن اهل النار من يسلط عليه العطش
قبل دخولها ثم يرفع لهم سراب يتوهمونه ماء فاذا ذهبوا اليه
ليشربوا منه كبكبوا في النار وهؤلاء هم اهل الكتاب وفرقة
يحال بينهم وبين المومنين بان يضرب بينهم بسور دون الجسر
وهؤلاء هم الشاكون المرتابون وكانوا يصلون في المساجد
ويدخلون مداخل اهل الايمان في معالم الاسلام ولذلك هم
ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم
وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا قد كان على انهم
لم يعبد واصنما ولكنهم كانوا متبع المومنين غير عارفين بما
وجب عليهم معرفته من امر الله تعالى ورسله عليهم الصلاة
والسلام والعياذ بالله تعالى من الاغترار بالله تعالى فانهم
كما قال تعالى وغركم بالله الغرور وهو الشيطان الرجيم لعنه الله
يزين لهم ما هم فيه ويقول لهم لا حاجة بكم الى اقامة برهان ولا
الى زيادة ايمان وانتم اهل الجنة فلم يتفقدوا انفسهم في شكها
او يقينها حتى جاء امر الله الذي هو الموت فوجدوا انفسهم
غير عالمة الا بمجرد الاعتقاد والتقليد للاباء والاجداد ٥
واما المنافقون الذين كانوا يعبدون الاصنام سترا فقد
ذهبوا مع ما كانوا يعبدون الى النار ويدخلونها من ابوابها
ويكونون من الدرك الاسفل من النار واما الطايفة التي

تخرج

تخرج من النار وهم اصحاب الكبائر من اهل الايمان فيكونون
على الصراط كل على حسب تقصيره في امر دينه يكون بطوه
على الصراط قال عليه الصلاة والسلام حتى يقول العبد يارب
ابطأت بي فيقال له ابطأ بك عملك انتهى وقد انكر المعتزلة
الصراط ان يكون على ظاهره زعما منهم انه لا يمكن العبور عليه
ولو امكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المومنين والصلحا يوم
القيامة قالوا وانما المراد بالصراط طريق الجنة المشار اليه
بقوله تعالى سيهديهم ويصلح بالهم وطريق النار المشار اليه
بقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم ومنهم من حمله على
الادلة الواضحة ومنهم من حمله على العبادات كالصلاة ٥
والزكاة ونحوهما ومنهم من حمله على الاعمال الردية التي يسال
عنها ويواخذ بها كانه يمر عليها ويطول المرور بكثرتها ويقصر
بقلتها والجواب ان امكان العبور ظاهر كالمشي على الماء والطيران
في الهواء غايته مخالفته العادة ولا شك ان الاخرة اكثر
احوالها خوارق وملوحل امتحا اكثر الرسوم المعتادة ومعدن
انفجار امور لم تخطر قط ببال اكابر العلما السادة وما جاز في
محله لا يستغرب ولا يسال عنه كيف وقد شاهدنا في الدنيا
حساما يوكد جواز ذلك فان الطير في الهوا يسيره الله تعالى
فيه على ثلاثة انواع الاول انه يذهب في الهوا قابضا ٥
جناحيه غير محركهما والثاني انه يذهب فاتحا جناحيه غير
محركهما اصلا والثالث انا شاهدناه يذهب في سرعة شديدة
قابضا جناحيه لا محركهما ولا ناشرهما واذا شوهد هذا المعنى
واستبان بالعيان انه لا اثر للجناح ولا لتحريكه في الطيران
ولا لجسم ثقيل في استقرار جسم اخر عليه كما سبق بيانه او الكتاب
وانما الله سبحانه يمسك ما شا ويسير ما شا كيف شا فكيف

يستتعد مرور الخلايق على الصراط على الوصف الذي وصف
به النبي صلى الله عليه وسلم ثم انا الله تعالى يسهل الصراط
على من اراد كما جاء في الحديث ان منهم من يمر كالبرق الخاطف
ومنهم من يمر كالريح العاصفة ومنهم من يمر كالجواد ومنهم من
تسوخ رجلاه في النار وتتعلق يداه ومنهم من يجر على وجهه
اللهم يا ذا الفضل العظيم والخير الجسيم ثبت اقدامنا عليه
يوم تزل عليه الاقدام واجعل مرورنا عليه كالبرق الخاطف يا
ارحم الراحمين يا ذا الجلال والاكرام بجاه نبيك ومصطفاك
من خلقك الشفيع المشفع عندك سيدنا ومولانا محمد عليه
افضل الصلاة واتم التسليم وكلامنا المولف واضح وقد جمع رضي الله
تعالى عنه بين اثبات الصراط واقامة الدليل العقلي على امكانه
وبيان كيفية تفاوت المرور من السعداء عليه والحض على
الاعتبار بما ينال الخلق من قطيع هول مجرد النظر اليه فكيف
باكراه الذوات المثقلة باوزار الذنوب على المرور عليه اللهم
يا عفو يا كريم يا لطيف اعف عنا والطف بنا في الدنيا والاخرة
ولا تكلنا فيهما الى انفسنا طرفة عين ولا اقل من ذلك يا
من يهب لمن يشاء بمحض الفضل المنازل الفاخرة

قال كيف الجواز لنا يوم الجواز على ارق من شعر وصارم البطل
اذ لا ثبات الا لذي قدم على الصراط صراط الحق لم يزل
فالله اسال في نيل النجاة به فالخوف من زلل من سابق الزلل

لاشك ان الصراط اعظم اهوال الاخرة التي تذوب لها الاكباد
وتنفطر لمجرد سماع امره والخوف من مقاساة شدايده فضلا
عن رويته والكينونة فوق متنه قلوب من هم اهل الامن
من كل مخوف من اولياء الله تعالى الاكابر العباد فكيف بغيرهم
ممن هو المقصود بتلك الاهوال من ذوي المعاصي واهل العتو
والفساد

ولو لم يكن في الاخرة وشدايدها الا هول الصراط
وشدته لكان كافيا وكيف لا وقد ثبت انه جسر منصوب على
متن جهنم وانه احد من السيف وادق من الشعر ثبت ذلك
في الروايات المشهورة وورد ان عليه مع ذلك سبع عقبات
يحبس الناس فيها للسؤال كل عقبة منها ثلاثة الاف سنة
وفي الصحيح يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون انا وامتي
اول من يجوزه ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل
يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان
هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري وبه كلاليب يعني الصراط ثم
لفظ مسلم هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله
قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم مقدار عظمها الا
الله تعالى تخطف الناس باعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم
المجازى حتى ينجى وفي البخاري المخردل ثم ينجوا والحديث
طويل مشهور فتامل ايها المسكين كيف حالك اذا كلفت
في الاخرة بالمرور على ما هذا صفته وكيف يكون قلبك
وجوارحك اذا رفعت رجلك لتضعها عليه وشاهدت ارتفاع
ورقته وحدته تحت قدمك ثم شاهدت جهنم وصواعقها
وبعد قعرها وعظم زبانيتها ومقامعها تحته وسمعت باذانك
شهيقها الذي يخلع القلوب ويقطع الاوصال تحتك وفوقك
وعن يمينك وعن شمالك ورايت بعينك كيف تغور من
جوانب الصراط وتصعد لهبها والسنتها واعناقها المستطيلة
فوقك وفوق الصراط ورايت الزالين والزالات والمختطفين
بالكلاليب الى قعر جهنم امامك وخلفك وكثرة عويلهم امامك
وخلفك عددا لا يحصرهم الا خالقهم ثم علمت انهم لم يصبهم تلك المحن
العظيمة الا بسبب ذنوب فعلت انت مثلها او اكثر منها

وانما انت واحد منهم لا عذر لك به تعتذر ولا ناصر لك به تنتصر فتخيل هذا الامر العظيم الذى لابد لك منه بفكرة خاذ
وذهن حاضر لعلك تستفيق من سكرتك واستغراق نومك
الثقيل الذى غيبك عن ذكر هذه الدواهى العظام وعن الاستعداد
لها بالتوبة الصادقة والاعمال الصالحة قبل نزولها اللهم
ايقظنا من سنة الغفلة فقد استطالت ومل نفوسنا الى
طاعتك فقد عدلت عن سبيلها ومالت وقول الشيخ او صارم
البطل يعنى او قاطع البطل وهو الرجل الشجاع وانما اضاف
الصارم الى البطل لينبه على كمال حده ان الرجل الشجاع لا
يتخذ من السيوف الا احدها واقطعها ووصف الصراط بانه
ارق من السيف وان كان الذى وقع فى الحديث انه احد من
السيف لان رقة الحاد هى السبب فى حدته فكانه قال هو
احد من صارم البطل **قوله** فالله نسأل فى نيل النجاة به
الباء ظرفية بمعنى فى والضمير المجرور يعود على الصراط **قوله**
فالخوف من زلل من سابق الزلل اراد بالزلل الاول السقوط
عن الصراط فيما تحته من النار واراد بالزلل الثانى المعصية
والجمع بينهما المعنيين يسمى جناسا وهو انواع والواقع فى
كلام المؤلف من التام منه ومن فى قوله من سابق للتعليل
فالمعنى فالخوف من سقوط عن الصراط الى النار كائن من
اى لاجل ما سبق من المعصية هذا اذا جعلت قوله من سابق
خبرا عن الخوف ويحتمل ان يكون قوله من زلل هو الخبر ومن
سابق يتعلق به وهو ظاهر والله سبحانه وتعالى الموفق

فصل فى حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

قد اولى المصطفى حوضا لعظم، من خير ما قد اتاه الله للرسل
لاشك فيه كما صح الحديث به، عن صدق وعد فيسقى كل ذى عمل

اصفى

اصفى بياضا من الالبان اجمعها، من عذب الماء ابرد من العسل
فلترونا منه يا مولاى من ظمإ، قد انضج القلب والاكباد من علل
يذاد عنه اناس لا خلاق لهم، قد قلبوا الدين بالتغيير والبدل
والحوض من بعد لاقبل الصراط اتى، وقيل قبل وقيل اثنان قل لتسل

الحوض ايضا مما يجب الايمان به وهو ثابت باجماع اهل السنة
والاحاديث الصحيحة المستفيضة شاهدة بذلك وهو حوض
كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماؤه اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل يصب فيه ميزابان من الكوثر عليه
من الاوانى عدد نجوم السماء حافاته وريحته المسك وحصاه
اللؤلؤ لا يظمأ من شرب منه ابدا ويذاد عنه من بدل وغير
وقد روى فى حديث ذكره التميمى فى الروض الانف ان من
اراد ان يسمع خرير الميزابين اللذان يصبان من الكوثر
فى الحوض فليجعل اصبعيه فى اذنيه ويسدهما فانما يسمع عند
ذلك هو صوت الميزابين ولا يستغرب ان يكون هذا على ظاهره
ان صح فان السمع عند اهل الحق كالرؤية عندهم لا يمنع منه
بعد مفرط ولا غير قال ابن دهاق واختلف اهل الحق فى مكانه
فذهبت طايفة الى انه خلف الصراط ويعزى ذلك الى اصحاب
الشافعى وقالوا لو كان الحوض فى الموقف لكان من شرب منه
لا يدخل النار لانه قال عليه الصلاة والسلام من شرب منه
لا يظمأ بعده ابدا وقد صح ان قوما من اهل الاسلام يدخلون
النار ويخرجون منها بالشفاعة فمتى يكون شربهم من الحوض
حتى قالت طايفة تبقى كؤسهم حتى يخرجوا من النار وعند ذلك
يشربون وصاروا هولا الى كون الحوض فى ارض القيامة على هذه
الشرايط وذهبت جماهير اهل السنة الى ان الحوض داخل
فى ارض القيامة وفيه يكون الشرب وعنه تكون المذادة

لمن بدل وغير ولو كان بعد الصراط لما صح ان يذاد عنه احد
الى النار فانه من جاوز الصراط لا رجوع له الى النار ابدا
وما ذكره من شرب لطايفة التى تدخل النار من المومنين فان
الشرب يصح مع ذلك ويكون الشرب منه اما نامن ان تحرق النار
اجوافهم واما نامن ان يدركهم الجوع والعطش وقد نقل ان الطايفة
التى تدخل النار من المومنين لا تحرق النار بواطنهم ولا مواضع
الوضوء والسجود من ابدانهم وعذابهم انما هو على الطبقة العليا
من النار ومنتهى الى نواحى الصراط ولا يكبكبون فى النار الا اهل
الكفر لقوله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس
اجمعون وقال فيمن يدخل من ابواب النار فادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها والله تعالى اعلم بكيفية ذلك فقد وردت
اخبار صحيحة نقلها الثقاة ان طايفة يخرجون من النار من
اهل الاسلام ولا بد من الايمان لهذه الاخبار الواردة موارد
الصحة فى طرقها والخروج لا يكون الا بعد الدخول ويحتمل
ان يكون حرق جهنم من اعلى الصراط فانه يلفح عليهم لهب النار
من جوانبه ثم يسرع الله العظيم باخراج من شا بالشفاعة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد فى الحديث
ان الله تعالى يميتهم فى النار اماتة حتى لا يجدوا الم النار
ويخرجون منها كالحممة وقد امتحشوا قلت وقيل ان له صلى الله
عليه وسلم حوضين احدهما قبل الصراط والاخر بعده فالاول
هو الذى يذاد عنه من بدل وغير والثانى لا يذاد عنه احد
لانه لا يختار اليه الا من تخلص من العذاب والله تعالى اعلم
واذا قالت المعتزلة ان الحوض كناية عن اتباع السنة رد
عليهم بان ذلك لا يتصور الذود عنه فى الاخرة اذ لا هم
تكليف فيها فلا يذاد فيها احد عن السنة وانما يذاد عن

الحوض

الحوض المحسوس وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم طوله
وعرضه وقدرهما بالمسافات والمساحات يدل على انه
حوض محسوس وقوله صلى الله عليه وسلم يصب فيه ميزابان
من الكوثر فيه دليل ايضا على انه حوض محسوس يصب فيه
الما من الجنة تفخيما لكرامته عليه الصلاة والسلام
ولكرامة امته يوم القيامة قال ابن دحاق وقال عليه
الصلاة والسلام لكل نبى حوض فى ارض القيامة ترده
امته وقال بعض اهل العلم ليس فى الموقف ماء ولا حوض
الا حوض نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اظهارا
لكرامته عند الله سبحانه وتعالى ولا يذاد عنه متبع لسنته
عليه الصلاة والسلام لكن من بدل وغير واحدث ما ليس
فى سنته عليه الصلاة والسلام ومن يذاد عن الحوض فلا هم
لا شفع الله تعالى فيه احدا لقوله عليه الصلاة والسلام
فاقول سحقا سحقا ولذلك اختلف الناس فى خلودهم
فى النار وتمسك من قال بالخلود بان قال لا يقول الرسول
عليه الصلاة والسلام فسحقا الا لاهل الكفر لان السحق
فى لغة العرب هو البعد واللعنة ولا يطلق اسم البعد الا على
ملعون عند الله تعالى سيما اذا اطلقه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام سمع قايلا يقول
لسكران جيئ به اليه صلى الله عليه وسلم لعنه الله ما اكثر
ما يوتى به فقال له عليه الصلاة والسلام لا تلعنه فانه
يحب الله ورسوله والشرك كما يحبط الاعمال كذلك البدعة
تحبط الاعمال ولذلك قيل فى قوله تعالى انا لا نضيع
اجر من احسن عملا هو من اتبع السنة فيقتضى دليل
خطابه ان من خالف السنة لم يقبل منه عمل وان كان

صالحا بزعمه **قوله** من خير ما قد اتاه الله للرسل هذا
يقتضي ان لكل رسول حوضا في الاخرة وقد ورد ان لكل نبي
حوضا وورد لكل نبي حوض الا صالحا فانه يضرع ناقته يقوم
له في الاخرة مقام الحوض وقد قدمنا الخلاف في هذا **قوله**
قد انضج القلب والاكباد اي طبخها واحرقها ذلك الظمأ
قوله من غلل هو جمع غلة بضم الغين وهي حرارة العطش
وتكثيره للتعظيم ومتى تعليلية اي انضجها الظمأ من اجل
حرارة عظيمة في القلب والكبد وبا في الكلام واضح وبالله التوفيق

فصل في شفاعة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ثم الشفاعة للمختار سيدنا، كي ينقذ الخلق من هول ومن وجل
قد ردها الرسل في ذاك المقام، فحاز فضل مقام القرب فيه على
وللرسول شفاعات واخرها، لكل عاص توى نارا بجحيم صلى

لا شك انه مما يجب الايمان به لتواتره ووقوع الاجماع عليه في
ثبوت الشفاعة لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
في راحة الناس من الموقف وفي انقاذ العصاة الموحدين
من النار اما بدا قبل الدخول فيها واما بعد ان يدخلوها
وله عليه الصلاة والسلام شفاعات اخر غير هاتين اما
شفاعته عليه الصلاة والسلام في راحة الناس من الموقف
واختصاصها به فامر مستفيض مشهور في الصحاح ففي رواية
انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض
قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة
فيهتمون او قال يهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا
ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم
ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من

يشفع

يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون انت آدم ابو البشر خلقك
الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد
لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا الى ربك حتى
يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل
الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه
الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته بسؤاله ربه
بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها
على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله
فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل
الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله
وذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي فيقول لست لها ولكن
عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد الله اتاه
التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول
لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب قتله النفس نفسي
نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى
فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فانه عبد غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها فانطلق
فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا
وفي رواية فاتي تحت العرش واخر ساجدا وفي رواية

فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال وفي رواية ابي هريرة فيقول يا محمد ارفع راسك وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يارب امتي يارب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب وفي رواية انس ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى من مثقال حبة من خردل قال فافعل وذكرت في المرة الرابعة فقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه عليه الصلاة والسلام توضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيجاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت

لغضب

عليه

ما تقدم

يوليني

وذكر

لغضب ربك في امتك من نقمة وفي رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر وعن ابي موسى رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم انزونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله ما ازال عليك في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دما بعض وسبق لهم من الله تعالى ما سبق للامم قبلها فسالت الله تعالى ان يولني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم وكل يعتذر حتى يا توا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود وروه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره عن ابن حسين عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله قد ردها الرسل في ذلك المقام له يعني ردوها اليه بالتدريج له كما وقع في الحديث وحكمة طلب الشفاعة منهم قبله عليه الصلاة والسلام ليظهر بعجزهم عنها دونه في ذلك المواطن لها يل عظيم شرفه صلى الله عليه وسلم وجلالة قدره وعلو كرامته عند الله تعالى ويتقرر مزيد فضله في ذلك المحفل العام على جميع الخلق عموما والاقلوجاوه عليه الصلاة والسلام بداء للشفاعة

يوليني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واسعفهم بها لجوزوا ان يكون غيره من سائر الرسل عليهم
الصلاة والسلام مثله فى ذلك لواتوه والى ظهور عظيم
هذا الشرف الذى لاينازع صلوات الله وسلامه عليه
فيه بسبب عجز اكابر الرسل عليهم الصلاة والسلام عن
ما طلب منهم من تلك الشفاعة وتردادها بينهم حتى انتهوا
الى عروس المملكة وقطب الكائنات كلها سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم فقال انا لها وذهب فخاطبه
المولى العظيم بذلك الخطاب اللطيف الكريم فى ذلك
اليوم الهائل الذى غضب الله تعالى فيه غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله اشار المؤلف بقوله
فحاز فضل مقام القرب فيه على اى حاز بسببه ذلك فضل
مقام على من القرب الى الله تعالى قرب تشريف وتعظيم وكرامة
على كل ما عداه من المخلوقات **قوله** وللرسول شفاعات
يعنى زايدة على الشفاعة الكبرى التى هى لتعجيل الحساب
وراحة الخلق من هول الموقف كشفاعته صلى الله عليه
وسلم فى ادخال قوم الجنة بغير حساب وشفاعته فى
زيادة الدرجات وتعظيم المثوبات وشفاعته فى
قوم استوجبوا النار حتى لايدخلوها اصلا وشفاعته
فى قوم دخلوها فاخرجوا منها وشفاعته صلى الله عليه
وسلم لمن مات من المومنين بالحرمين وشفاعته لمن
زار لحقه سببا وشفاعته لعمه ابى طالب فى اخراجه من
غمرات النار الى ضحضاح يصل الى كعبيه الى غير ذلك من
شفاعته صلى الله عليه وسلم العامة والخاصة **قوله**
واخرها لكل عاص توى اى اقام فى النار وطال فيها وصلى
نار الجحيم بسبب ذنوبه حتى تغيرت ذاته وامتحت صورته

ويصح

ويصح ضبطه بالنا المثناة من فوق بمعنى هلك ويكون قوله
بعد نار الجحيم صلى تفسيرا لوجه هلاكه وبالله تعالى التوفيق
فلا خلود لعاصى المومنين كما، ان الشفاعة للكفار لم تحل
وبالخلود لهم قد قال الملحدة، ان لم يمت تائبا بل مات ذا وجل
يعنى انه لما ثبت بالاحاديث الصحيحة المستفيضة فى
الشفاعة وغيرها انه لايبقى فى النار احد من اهل الايمان
كان له عمل زايد عليه ام لا لزم ان عصاة المومنين الذين
نفذ فيهم الوعيد وادخلوا النار لابد لهم من الخروج منها
الى الجنة ولا يخلدون فى النار وان دخلوها وطالت اقامتهم
فيها بفضل الله تعالى ثم بشفاعة سيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم وانما المحكوم عليهم بالخلود فى النار ابد
الاباد ولا يشفع لهم البتة الكفار وهذا ما اجمع عليه اهل
السنة والسلف الصالح قبل ظهور البدع وذهبت المعتزلة
والخوارج الى خلود ذوى الكبايرغير التائبين فى النار وانهم
ليسوا بمومنين ولا كفار عند الخوارج وفساق عند المعتزلة
لايسمون كافرين ولا مومنين وذهبت المرجئة الى تحتم العفو
عن كل عاص مومن وانه لا يعذب ولا يدخل النار الا الكفار
فقط فقول اهل السنة بان الفسقة غير التائبين فى مشيئة الله
تعالى يعذب من يشا ويرحم من يشا وانه لابد لكل مومن من النعيم
المؤبد وان عذب ولا على ذنوبه وسط بين المذهبين الفاسدين
لم يفرطوا كما قالت المعتزلة والخوارج ولا فرطوا كما قالت
المرجئة وبهذا نظر قولهم بالاكتساب للافعال بالقدرة
الحادثة بمعنى انها تتعلق بها فى محلها بغير ان تؤثر فيها البتة
فتوسطوا ايضا فى ذلك بين القدرية مجوس هذه الامة
القايلين بان القدرة الحادثة هى مؤثرة فى وجود الافعال

شبكة الألوكة www.alukah.net

على حسبما شاء العبد وبين الجبرية القائلين بان لا قدرة
للعبد ولا اكتساب له اصلا واحتج اهل السنة على ان اهل
الكبائر من المؤمنين لا يخلدون في النار وان ماتوا على غير توبة
بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ونفس الايمان عمل خير
لا يمكن ان يرى جزاؤه قبل دخول النار ثم يدخل النار لانه
باطل بالاجماع فتعين ان يكون بعد الخروج من النار واحتجوا
ايضا بقوله تعالى وعد الله المومنين والمؤمنات جنات
وبقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم
جنات الفردوس نزلا وباطلاق المومن على العاصي في الايات
والاحاديث كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى فسمى القاتل عدوانا مومنا وقوله تعالى وان
طايفتان من المومنين اقتتلوا فسمى الباغي مؤمنا وقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وبان
الطاعات لو كانت جزاء من الايمان لكان تقييد الايمان
في الكتاب والسنة بالطاعات كقوله تعالى ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات تكريرا وبالمعصية نقصا ولان الامة
اجتمعت من عصر النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا بالصلاة
على من مات من اهل القبلة من غير توبة والدعاء والاستغفار
لهم مع العلم بارتكابهم الكبائر بعد الاتفاق على ان ذلك لا
يجوز لغير المومن وبما تقدم من احاديث الشفاعة الموذنة
بخروج كل من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه من النار
احتج المعتزلة على خلود الفساق في النار ابدا باوجه الاول
الايات المشتملة على لفظ الخلود في حق كل من عصى الله
تعالى كقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها وقوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما

يضاعف

يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الاية م
وقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها
وغضب الله عليه الاية الثاني في حق الفجار وما هم عنها
بغايبين ولو خرجوا من النار كانوا عنها غايبين الثالث
استحقاق الفاسق العقاب يبطل ما كان له قبل ذلك من الثواب
لان العقاب مضرة خالصة دايمة والثواب منفعة خالصة
دايمة والجمع بين استحقاقهما محال فباستحقاق العقاب ال
استحقاق الثواب وهذا عمدة ذوي القول بالاحباط قالوا
فلو نقل الفاسق من النار الى الجنة لكان دخوله اياها امبا
باستحقاق او بفضل والاول باطل لما تقدم من ان استحقاق
العقاب بالمعصية يبطل استحقاق الثواب بالطاعة ○
والثاني باطل لان الجنة دار الثواب لا دار الفضل بدليل
قوله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الى قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون وقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
وقوله جل وعلا كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام
الخالية الرابع الاجماع ان الجنة لا يدخلها الا مومن والفاسق
ليس بمومن بدليل قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون جعل المومن مقابلا للفاسق فيلزم ان لا يصدق
عليه انه الشيء لا يصدق على مقابله وبقوله صلى الله عليه وسلم
لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وقوله عليه الصلاة والسلام
لا ايمان لمن لا امانة له وانما قلنا ليس بكافر ايضا لما تواتر
من ان الامة كانوا لا يقتلونه ولا يجرون عليه احكام
المرتدين ويدفنونه في مقابر المسلمين ورد الاول بمنع كون
الخلود المكث الدايم بل الطويل ولذا حسن توكيده بالابد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَرَدَّ الثانى بان لفظ الفجار لا يتناول الا الكامل فى الفجور
وَهم الكفار وَبدليل اولئك هم الكفرة الفجرة وَالتوفيق
بين هذه الاية وغيرها من الآي الدالة على اختصاص العذاب
بالكفار وَسنذكرها فى ادلة الحشوية وَرد الثالث بانه
مبنى على استحقاق الثواب وَالعقاب بالاعمال وَهو باطل
لما سبق برهانه من ان الله تعالى لا يجب عليه شئ وَلا يستحق
عليه مرو ان الاعمال انما هي مجرد امارات جعلية من الله
تعالى لا اثر لها البتة فى شئ من ثواب وعقاب بل كل نعمة
منه تعالى دنيا واخرى فهي بمحض فضله وكل نقمة منه فيهما
فبمحض عدله لا يسئل تعالى عما يفعل ولو سلم لهم ذلك الاصل
الفاسد لم يتم لهم مع ذلك هذا القول الفاسد لا وجه م
مبنية فى المطولات لا حاجة لنا الى ذكرها هنا ورد الرابع
بان القول باثبات منزلة بين المومن والكافر مخالف لما
اجمع عليه السلف من نفي الواسطة بينهما وقد قال تعالى هو
الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن فدل ان لا واسطة وَالمراد
بالفاسق المقابل للمومن فى الاية هو الكافر المكذب لان
الكفر من اعظم الفسوق بدليل قوله تعالى اثرها واما الذين
فسقوا فمأواهم النار الى قوله تعالى ذوقوا عذاب النار الذى
كنتم بها تكذبون وَحديث لا يزنى الزانى حين يزنى وَهو
مومن مأول بالزانى المستحل او المراد وَهو كامل الايمان
او وهو مستحضر لعقايد الايمان التى من جملتها احاطة
علم الله تعالى به فى حال المعصية وقدرته وارادته وسمعه
وبصره وَامره ونهيه وَوعده ووعيده مع كثرة نعمه وعظيم
كبريائه وجلاله وَالايمان باليوم الاخر الذى تضمن من
الاهوال القطعية ما تنفطر اكباد المطيعين الامنين

هناك

هناك لمجرد سماعه فكيف بالعاصين المباشرين لشدايد تلك
الاهوال التى لا طاقة لمخلوق عليها الا ان يعفو المولى الكريم
بمحض فضله وَيحتمل ان يكون النفي فى الحديث على طريق المجاز
تنزيلا لعدم ثمرة الايمان منزلة عدمه او تشبيها لحالة
العاصى فى عدم الالتفات الى تعظيم حرمات الله تعالى بحالة
من لم يومن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم واليوم
الاخر فاطلق عليه من التعبير ما يطلق عليه وهذا كقولك على
طريق المبالغة وَالمجاز لمن لم توجد له ثمرات العقل ليس
بعاقل وقولك لمن غلب عليه الشبه بالحيوان البهيمى ليس
بانسان ونظير هذا قوله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
وهم لا يسمعون الى قوله لا يعقلون فنفى عنهم السمع وَالعقل
وان وجد تنزيلا لوجود بما منزلة العدم لما لم توجد ثمرتهما
من جلب منافع الاخرة بهما ودفع مضارهما ولهذا قال العلما
الايمان فى القلب كسراج فى البيت فهو للمطيع الذى انفتحت
له به مراشده وانكشفت له به عيوب المعاصى وَالنفس
والدنيا وابصر به الجنة وَالنار وما فيهما والموت وما
بعده من هول القبر وَالبرزخ وَالبعث وما نضمنه من الشدائد
التى لا تحصر كالسراج المنكشف الذى لا غطاء عليه وهو
للعاصى الذى غيب عن مطالعة جميع هذه الامور كالسراج
الذى غطى عليه بغطاء ولا شك ان البيت الذى فيه هذا
السراج المغطى بغطاء حاله فى انبهام ما يكون فيه من محاسن
ومعايب واعداء قاتله كحيات ونحوها كحال البيت الذى
لا سراج فيه اصلا فكذلك ايمان العاصى الذى غطى بحب الدنيا
وَالشهوات حاله فى انبهام المحاسن وَالمضار الاخروية
عليه وَالعيوب النفسية وَالاعداء الشيطانية كحال

من لا ايمان في قلبه اصلا من الكفار ولهذا نجد هؤلا المبتلين
بحب الدنيا والشهوات غطت عقولهم وايمانهم يتعاطون
من رذايل الامور والحرص على جمع الدنيا وحطامها من حل
وغير حل ما يتعاطاه الكفار سوا بسوا وبالجملة فالحديث
وارد على سبيل التغليظ والمبالغة في الزجر عن المعاصي
لا على سبيل افادة نفي اصل الايمان بالكبيرة بدليل
الايات والاحاديث الدالة على ان الفاسق مؤمن من
اهل الجنة من ذلك ما ثبت في الحديث الصحيح من قوله
صلى الله عليه وسلم لابي ذر رضي الله تعالى عنه ما من عبد
قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قال
ابو ذر وان زنا وان سرق قال عليه الصلاة والسلام
وان زنا وان سرق ولم يزل يراجعه ابو ذر حتى قال
عليه الصلاة والسلام في الرابعة على رغم انف ابي ذر
فخرج ابو ذر وهو يقول على رغم انف ابي ذر واحتجت
الخوارج على خلود العاصي في النار بمثل ما احتجت به
المعتزلة وزادوا الاستدلال على انه كافر مع ذلك
بالنصوص الظاهرة في ان الفاسق كافر لقوله تعالى ومن
لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكقوله جل
من قايل ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون
وقوله صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد
كفر والجواب انها متروكة الظواهر للنصوص القاطعة
على ان مرتكب الكبيرة ليس بكافر والاجماع منعقد على
ذلك كما مر واحتج المرجية على اختصاص العذاب بالكافر
بقوله تعالى ان نجزي اليوم والسوء على الكافرين وقوله
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقوله

كلما

كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الى قوله تعالى فكذبنا وقوله
تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى ولان صاحب
الكبيرة لا يجزى وكل من يدخل النار يجزى فصاحب الكبيرة
لا يدخل النار دليل الاول انه مومن والمؤمن لا يجزى امنا
انه مؤمن فلقوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا
فسماهم مؤمنين حال ما وصفهم بالبغي واما ان المومن لا يجزى
فلقوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يوم لا يخزي الله
النبي والذين امنوا معه والجواب ان المراد بالخزي والعذاب
والصلي خزي خاص وصلي خاص وعذاب خاص وموخزي الخلود
في النار وعذابه وصليه اما المومن الذي ينتظر التنعم
الموبد في الجنان والنظر الشريف الذي ليس فوقه فضيلة
الى ذات من لا مثل له الرب الملك الرحمن وسماع كلامه
المولى الرحيم الذي لا مثل له بالعفو والتجاوز وعظيم
الرضوان فاي خزي او عذاب على من ينتظر وان كان بين
طبقات النار مثل هذا الخير العظيم الشان وايضا فالاجماع
الثابت بنفوذ العذاب في جماعات من عصاة المومنين
يقضي بتاويل كل ظاهر يخالفه وبالله تعالى التوفيق

بعد المذهب قوم ابطلوا اسمها، شفاعة المصطفى والملك للرسل
اذ الذنوب سوى الاشراك يغفرها، رب غفور بلا توب ولا عمل
لان الايمان تصديق حقيقته، وقد اقروا بلفظ غير محتمل
نعم يزيد بما يزداد من عمل، كذاك ينقص كالتعديل والبدل
هذا الصحيح وفي القران حجته، فراجع النص للتحقيق وامتثل

لا شك ان المعتزلة والخوارج والمرجية نفوا الشفاعة لعصاة
المومنين الذين ماتوا غير تايبين اما المعتزلة والخوارج
فلقولهم بانهم مخلدون في النار واخراجهم لهم من حزب المومنين

اما الى الكفر كما قالت طايفة الخوارج او الى منزلة بين منزلتين
وهي الفسق كما قالت المعتزلة واما المرجية فلقولهم بان
الايمان لا تضر معه معصية في الاخرة فلا يحتاج صاحبه
الى شفاعة وقد تقدم الرد على الفرق الثلاث وتقدمت
احاديث الشفاعة لعصاة المومنين على وجه لا يقبل
التاويل اصلا وتقدم نقل الاجماع على ذلك والمعتزلة
قصروا الشفاعة على المطيعين والتابيين لرفع الدرجات
وزيادة المثوبات واحتجوا على نفيها لمن مات مصرا على
كبيرة باوجه الاول الايات الدالة على نفي الشفاعة
بالكلية كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا
الاية وقوله تعالى وما للظالمين من انصار فيخص المطيع
والتايب بالاجماع فتبقى حجة فيما وراء ذلك وجوابه
بعد تسليم العموم في الازمان والاحوال انها تختص بالكفار
جمعا بين الادلة على ان الظالم اذا اطلق فهو الكافر
وان نفي النصرة المذكورة في بعض الاي لا يستلزم نفي الشفاعة
لانها طلب على خضوع والنصرة ربما تبنى عن مدافعة ومغالبة
وذلك مناف للخضوع الذي هو لازم للشفاعة هذا بعد
تسليم كون الكلام لعموم السلب لا لسلب العموم الثاني
ما يشعر بنفي الشفاعة لصاحب الكبيرة كقوله تعالى ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وذو الكبيرة ليس بمرتضى وكقوله
تعالى حكاية عن حملة العرش ويستغفرون للذين امنوا
الى قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ولا فارق
بين شفاعة الملايكة والانبيا وجوابه انا لا نسلم ان
الفاسق غير مرتضى بل مومن مرتضى من جهة الايمان وما له
من عمل صالح فيتناوله قوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى

بخلاف

بخلاف الكافر فانه ليس بمرتضى اصلا لانتفاء اصل الحسنات
واساس الكمالات وهو الايمان ولا نسلم ان الذين تابوا لا
يتناول الفاسق فان المراد تابوا عن الشرك اذ لا معنى لطلب
مغفرة من تاب من المعاصي وعمل صالحا عندهم الثالث الاجماع
على الدعا بقولنا اللهم اجعلنا من اهل شفاعة سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولو خصت الشفاعة
باهل الكبايركان ذلك دعاء بجعلنا منهم وجوابه ان المراد
جعلنا في الاخرة من اهل الشفاعة على تقدير المعاصي كما
في قولنا اجعلنا من اهل المغفرة واهل التوبة اي اجعلنا
مومنين مرتضين عند الله تعالى اذ لا تكون الشفاعة لغير
المومنين فيكون الدعا باللازم وهو حسن الخاتمة قال
التفتازاني وتحقيقه ان المتصف بصفات اذا اختص بكرامة
منشاؤها بعض تلك الصفات دون بعض لم يكن استدعا
اهلية تلك الكرامة الا استدعا تلك الصفة التي هي
منشا تلك الكرامة الا ترى ان المعالجة وان لم تكن الا
للمريض لكن قولك اللهم اجعلني من اهل العلاج ليس طلبا
للمرض بل لقوة المزاج قلت فكانه قال اللهم اجعل لي مزاجا
طيبا قويا من الامزجة التي ينفعها العلاج على تقدير
المرض قال فكذلك هذه الشفاعة وان اختصت باهل
الكبابر لكن منشاوها الايمان وبعض الحسنات التي
سببا لرضى الشفيع عنه وميله اليه وبهذا يخرج الجواب
عما قالوا ان من حلف بالطلاق ان يعمل ما يجعله اهلا
للشفاعة ان يومر بالطاعات لا المعاصي **قوله** بعد
المذاهب الخ اي هلاكا له **قوله** ابطلوا سفها اي جهلا
وخفة عقل **قوله** اذ الذنوب سوى الاشراك يغفرها

شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا استدلال منه على ابطال مستند الخصوم القائلين
بنفي الشفاعة لعصاة الموحدين وهو ان حكمهم عندهم
في عدم رجاء العفو لهم والمغفرة وتحتم الخلود في النار ابد
الاباد حكم اهل الشرك فلم يقبلوا ان يشفع لهم كما لا يقبل
ذلك اهل الشرك فرد عليهم بقوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال الامدي وهذه
الاية صريحة في المطلوب يريد ان المغفرة لما دون الشرك
لو كانت مقيدة بالتوبة كما تقول المعتزلة لم يتقرر فرق بين
الشرك وما دونه اذ الشرك ايضا مغفور لصاحبه اذا تاب
منه وايضا كيف يصح تعليق المغفرة للتائب بالمشيئة حينئذ
ومتى عند المعتزلة واجبة له عقلا وما وجب عقلا لا يقيد
وجوده بالمشيئة واستدل الفخر في المحصل بان المسلمين
اجمعوا على انه تعالى عفو والعفو لا يتحقق الا باسقاط
العذاب المستحق وعند الخصم ترك العقاب على الصغيرة
قبل التوبة وعلى الكبيرة بعدها واجب فلا يبقى للعفو
معنى الا اسقاط عذاب الكبيرة قبل التوبة واستدل ايضا
بقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال وكلمة
على للحال وقد ذكرنا في الارشاد شواهد كثيرة لمن الكتاب
والسنة على ثبوت العفو للعاصي غير التائب تركناها
لشهرتها وعدم الحاجة اليها **قوله** لان الايمان تصديق
حقيقته الخ هذا استدلال منه على ابطال موجب خلود العاصي
في النار كاهل الشرك عند المعتزلة والخوارج وذلك
الموجب هو كون العاصي غير مومن عندهم فرد عليهم بان الايمان
محله القلب كما قال تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
وقال تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقال اولئك كتب

في قلوبهم

في قلوبهم الايمان وحقيقته تصديق القلب بكل ما علم بالضرورة
مجيء الرسول به واختلف جواب شيخنا الاشعري رضي الله تعالى
عنه في معنى التصديق فقال مرة هو المعرفة ومرة قال هو
قول النفس على تحقيق ومن ضرورته مقارنة المعرفة ثم
اختلف هل يشترط في صحته فيما بين العبد وربه تبارك
وتعالى النظر في الشهادتين للقادر عليه على قولين والشرطية
هي القول المشهور والمعروف لاهل السنة واذا عرفت
حقيقة الايمان لزم ان لا يخرج العبد عن الاتصاف به
الا بما ينافيه من الكفر وهو عدم التصديق الممكن بما علم
ضرورة مجيء الرسول به او الامتناع من شرطه النطق
بالشهادتين مع القدرة عليه وانما قيدنا التصديق
بالممكن ليخرج الصبي ومن جن قبل البلوغ ومن لم تبلغه
الدعوة فان مولاء وان لم يوجد منهم التصديق فلا يحكم
عليهم بالكفر لعدم امكان التصديق في حقهم ولا شك
ان ما وقع من المعاصي من مجرد الاقدام على الكبيرة
لغلبة شهوة او حمية او انفة او حسد لا سيما اذا اقترن
به خوف العقاب ورجاء العفو والعزم على التوبة في
المستقبل لا ينافي الايمان اذ لم يتزلزل منه القلب ولا
اللسان في تصديقه واقراره فلا يحكم عليه بالخروج منه
لا دنيا ولا اخرى نعم اذا وقعت منه تلك الكبيرة على
سبيل الاستحلال لها او الاستخفاف بنهي الله تعالى
عنها حكم عليه بالكفر لكون الاستحلال والاستخفاف
علامتين على التكذيب والجهل بالله تعالى وبالرسول
صلى الله عليه وسلم وباليوم الاخر ثم لا نزاع في ان من التعاطي
ما جعله الشارع صلى الله عليه وسلم امارة على التكذيب

وعلما على الكفر كالسجود للصنم ونحوه وقتل نبيه او سبه
او القاء المصحف في القاذورات والتلفظات بكلمات
الكفر ونحو ذلك مما يثبت بالادلة الشرعية انه كفر
وبهذا تعرف الجواب عما يقال ان الايمان اذا كان عبارة
عن التصديق والاقرار ينبغي ان لا يصير المقر المصدق
كافرا بشئ من افعال الكفر ما لم يتحقق منه التكذيب
او الشك وذلك ان يقال لم يحكم بالكفر بتلك الافعال
من حيث ذواتها بل من حيث دلالتها شرعا وعادة على
اتصاف صاحبها بالكفر الذي هو التكذيب او الشك
ونحوهما قوله نعم يزيد بما يزداد من عمل كذلك ۝
ينقص يعني ان الايمان يزيد كما له بزيادة الاعمال وينقص
كماله بنقصها لا ان نفس التصديق القلبي والاقرار به
يزيد بالعمل او ينقص اللهم الا على مذهب لقدما واهل
الاثر ان الايمان هو معرفة بالجنان واقرار باللسان
وعمل بالاركان فانه يقبل حينئذ الزيادة والنقص
وعبارة ابن التلمساني عنهم ان الايمان هو الاتيان بما
امر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم به فرضا او نفلا
وترك ما نهى عنه تحريما وادبا قال ومرادهم الايمان الكامل
لتصريحهم بانا لا نخرج عن الايمان بترك العمل وفي الشامل
لامام الحرمين من اطلق الايمان على فعل الطاعات زاد
وتنقص بها ولبعض السلف يزيد ولا ينقص وقال بعض المتقدمين
ايمان الملايكة والنبيين يزيد ولا ينقص وايمان غيرهم
ينقص اي ويزيد قال وعلى جعله المعرفة او التصديق لم
يزد ولم ينقص وهو موجب قول شيخنا يعني الاشعري وقد
بينا ان العلم الضروري لا يزيد على العلم النظري ولا يتصور

علم

علم ابين من علم وقال ابن التلمساني تفريعا على ان الايمان
هو المعرفة او التصديق التابع لها يمكن فيها الزيادة بكثرة
المتعلقات فمن زاد علمه بصفات الله تعالى كان اكثر ايمانا ممن
علمه لم يزد لقوله تعالى ايكم زادته هذه ايمانا وبدوام رسوخه
في القلب وقال التفتازاني في شرح عقيدة النسفي الايات
الدالة على زيادة الايمان محمولة على ما ذكره ابو حنيفة رحمه الله
تعالى انهم كانوا امنوا في الجملة ثم يأتي فرض بعد فرض فكانوا
يؤمنون بكل فرض خاص وحاصله انه يزيد بزيادة ما يجب
الايمان به وهذا لا يتصور في غير عصر النبي صلى الله عليه وسلم
وفيه نظر لان الاطلاع على تفاصيل الفرايض ممكن في غير عصر
النبي صلى الله عليه وسلم والايمان واجب اجمالا فيما علم اجمالا
وتفصيلا فيما علم تفصيلا ولا حقا ان التفصيل ازيد بل اكمل
وما ذكر من ان الايمان الاجمالي لا ينحط عن درجته فانما هو
في الاتصاف باصل الايمان قال وقيل ان الثبات والدوام
على الايمان زيادة عليه في كل ساعة وحاصله انه يزيد
بزيادة الازمان لما انه عرض لا يبقى الا بتجدد الامثال وفيه
نظر لان حصول المثل بعد انعدام الشئ لا يكون من الزيادة في شئ
قلت لا يعنون انه زيادة في حقيقة الايمان بل في جزئياته
وافراده ولا شك ان من استحضر الايمان الفرض في اليوم مثلا
ليس كمن استحضره اقل من ذلك وهو من باب التزايد في الذكر
الخفي الذي هو افضل الذكر بل وافضل الاعمال ولنرجع الى
بقية كلام التفتازاني قال وقيل المراد زيادة ثمرته ۝
واشراق نور وضيايه في القلب فانه يزيد بالاعمال وينقص
بالمعاصي قال ومن ذهب الى ان الاعمال من الايمان فقبوله الزيادة
والنقصان ظاهر وبهذا قيل ان هذه المسألة فرع كون الطاعة

من الايمان وقال بعض المحققين لانسلم ان حقيقة التصديق
لاتقبل الزيادة والنقصان بل تتفاوت قوة وضعفا ه
للقطع بان تصديق آحاد الامة ليس كتصديق النبي صلى الله
عليه وسلم ولهذا قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولكن
ليطمئن قلبي قلت وهذا مبني على ان اليقينيات تتفاوت
وفيه خلاف مشهور ثم قال التفتازاني بقي هنا بحث اخر
وهو ان بعض القدرية ذهب الى ان الايمان هو المعرفة
واطبق علماؤنا على فساده لان اهل الكتاب كانوا يعرفون
نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما كانوا يعرفون ابناءهم
مع القطع بكفرهم لعدم التصديق ولان من الكفار من كان
يعرف الحق يقينا وانما كان ينكره عنادا واستكبارا قال الله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم الاية فلابد من بيان الفرق
بين معرفة الاحكام واستيقانها وبين التصديق بها واعتقادها
ليصح كون الثاني ايمانا دون الاول والمذكور في كلام بعض المشايخ
ان التصديق عبارة عن ربط القلب على ما علم من اخبار المخبر
وهو امر كسبي فيثبت باختيار المصدق ولذا يثاب عليه ويجعل
راس العبادات بخلاف المعرفة فانها ربما تحصل بلا كسب كمن
وقع بصره على جسم فحصل له معرفة انه جدار او حجر وهذا
ما ذكر بعض المحققين من ان التصديق هو ان تنسب باختيارك
الصدق الى المخبر حتى لو وقع في القلب من غير اختيار لم يكن
تصديقا وان كان معرفة وهذا مشكل لانا لتصديق من
اقسام العلم وهو من الكيفيات النفسانية دون الافعال
الاختيارية لانا اذا تصورنا النسبة بين المنتسبين هـ
وشككنا في انها بالاثبات او النفي ثم اقمنا البرهان على ثبوتها
فالذي يحصل لنا هو الاذعان والقبول لتلك النسبة

وهو

وهو معنى التصديق والحكم والاثبات والايقاع نعم تحصيل
تلك الكيفية تكون بالاختيار في مباشرة الاسباب وصرف
النظر وصرف الموانع ونحو ذلك وبهذا الاعتبار يقع التكليف
بالايمان وكان هذا هو المراد بكونه كسبيا اختياريا ولا
تكفي المعرفة لانها قد تكون بدون ذلك نعم يلزم ان تكون
المعرفة اليقينية الكسبية بالاختيار تصديقا ولا باس بذلك
وليس الايمان والتصديق سوى ذلك وحصوله للكفار المعاندين
المستكبرين ممنوع وعلى تقدير الحصول فتكفيرهم يكون بانكارهم
باللسان واصرارهم على العناد والاستكبار وما ثمة من علامات
التكذيب والانكار **قوله** هذا التصحيح وفي القرآن حجة يعني
اطلاق الزيادة والنقص على الايمان بحسب زيادة الاعمال
ونقصها هو المذهب الصحيح وحجته من القرآن قوله تعالى واذا
تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقوله جل من قايل فامّا
الذين امنوا فزادتهم ايمانا **فصل** في لزوم طريق السلف
والحض على مجتنبهم حشرنا الله تعالى في زمرتهم بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
واعلم بان طريق الحق واحدة ، لاخير في غيرها من سائر السبل
طوبى لمتبع للحق مقتديا ، قد نال منه الذي يرجوه من امل
يقفوا الصحابة في هدى وفي سنن ، لانهم قدوة في القول والعمل
فهم بحور كما قال الرسول لنا ، فلتعتقد حبهم بالقلب وانتحل
لما ذكر المؤلف رضي الله تعالى عنه بعض الفروع التي علمت
من الدين ضرورة وكانت فروع الشريعة واحكامها كثيرة جدا
والتحسين العقلي وضده ليس طريقا لمعرفة شيء منها وانما
تعرف من قبل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذكر في
هذا الفصل الطريق الذي يرجع اليه في معرفتها بعد ثبوت
الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر انه طريق واحد وهو ما كان

شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه لسلف الصالح رضي الله تعالى عنهم ومراده بالسلف الصالح
علما القرون الثلاثة التي شهد النبي صلى الله عليه وسلم لها
بالخير فقال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
فقيل له فيما بعد القرون التي ذكرها فاومى بيده يعني لا شئ
وهذا منه صلى الله عليه وسلم بحسب الغالب في تلك القرون
والغالب فيما بعدها والا فقد وجد في تلك القرون الفاضلة
من ليس اهلا لان يقتدي به لكن بحسب لندور والقلة بالنسبة
الى كثرة ما يقتدي به ووجد فيما بعدها من العلما العاملين
والائمة المهتدين من هو اهل لان يقتدي به لكنهم بالنسبة
الى كثرة من وجد في ازمنتهم من المبتدعة وائمة الضلالة قليلون
ثم يزدادون قلة والجهل كثرة كلما بعد الزمان من زمان السلف
الصالح حتى انتهى الامر من كثرة الجهل في ازمنتنا وفيما قبلها بكثير
الى ان اعتقد في البدع انها من السنن وفي السنن انها من البدع
وقد اخبر بذلك عليه الصلاة والسلام فقد روى انه قال لحذيفة
اذا تركت بدعة قالوا تركت سنة وقد قال مالك رضي الله تعالى
عنه ورحمه قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ليس عام الا والذي
قبله خير منه قال مالك اراه منذ رمن النبي صلى الله عليه وسلم
قيل له يا ابا عبد الرحمن ان عامنا هذا اخصب وارخص سعرا
من العام الماضي فقال فاتهما اكثر فقهها وقراؤها احدث عهدا
بالنبوة فقالوا الذي مضى فقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
هو الذي اردت ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بدا
الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغربا من امتي
وقد قال ابو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه كان هشام
ابن عروة يقول للانسان لو هم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا
له جوابا ولكن اسالوهم عن السنن فانهم لا يعرفونها وكان

الشعبي

الشعبي اذا نظر الى ما احدث الناس من الراي والهوى يقول لقد
كان القعود في هذا المسجد احب الي مما اعدل به شيئا فقد صار
فيه هؤلاء القرادون فقد نهضوا الى الجلوس فيه ولان اجلس على
مزبلة احب الي من ان اجلس فيه قال ابو طالب المكي فقد صار
المعروف منكرا والمنكر معروفا وصارت السنة بدعة والبدعة
سنة ولما ان ذكر عليه الصلاة والسلام الفتن قال بعضهم ما
تامرني به يا رسول الله ان ادرك ذلك قال عليه الصلاة والسلام
كن حلسا من احلاس بيتك قال ابن الحاج في مدخله يعني انه
يتخذ بيته كانه ثوبه الذي يستر به عورته فيلازمه ولا يفارقه
اذا عمت الفتن وكثرت قال وهذا موجود مشاهد لان مواضع
العبادات جعلت للعبادات بل بعض العبادات قد صارت
اليوم وسايل للدخول في الدنيا واكلها وبعضهم يفعله للريا
والسمعة في الغالب فاذا كان الامر كذلك فالهرب من مواضع
العبادات المشتملة على هذه المفاسد العديدة بل قعود الانسان
في بيته اسلم له بل واجب عليه ان قدر وقد جمع الشيخ الولي
العارف بالله تعالى ابو محمد عبد الله بن ابي جمرة رضي الله تعالى
عنه بين الحديث السابق وبين قوله صلى الله عليه وسلم سيأتي
على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر من شاهق الى
شاهق كطاير فر باقراخه وتعلب باشباله او كما قال عليه الصلاة
والسلام بان هذا الحديث حديث الفرار محمول على زمان يكون
فيه بعض المواضع صالحا للاقامة فيها واخرى فاسدة فينبغي
للمومن حينيذ ان يفر بدينه من الموضع الفاسد الى الموضع
الصالح وحديث كن حلسا الخ على ما اذا استوى حال الزمان في
عموم مخالفة السنن وارتكاب البدع وغير ذلك فلا يبقى موضع
صالح يفر اليه فليكن المومن حينيذ حلسا من احلاس بيته م

وقد اشار الشيخ ابو عبد الله بن الحاج الى الحكمة اختصاص القرون
الثلاثة بمزيد الفضل على غيرهم وهي ان القرن الاول قد خصهم الله
عز وجل بخصوصية لا سبيل لاحد ان يلحق غبار احدهم فضلا
عن عمله وذلك ان الله عز وجل قد خصهم برؤية نبيه صلى الله
عليه وسلم ومشاهدته ونزول القرآن عليهم غضا طريا يتلقونه
من في رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يتلقاه من في جبريل عليه
الصلاة والسلام وخصهم بالقتال بين يدي نبيه صلى الله
عليه وسلم ونصرته وحمايته وازلال الكفر واخماده ورفع منار
الاسلام واعلانه واهلهم لحفظ القرآن الذي نزل نجوما
حتى لم يضع منه حرف واحد فجمعوه ويسروه لمن بعدهم وحفظوا
احاديث نبيهم صلى الله عليه وسلم في صدورهم واتبعوها على ما
ينبغي من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة وقد كان مالك
رضي الله تعالى عنه اذا شك في الحديث تركه البتة وهو ليس
من قرنهم فما بالك بهم ومن خيار الخيار ووصفهم في الحفظ
والضبط لا تمكن الاحاطة به ولا يصل احد اليه فجزاهم الله
تعالى عن امة نبيهم خيرا لقد اخلصوا لله الدعوة وذبوا
عن دينه بالحمية قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من
كان منكم متاسيا فليتاس باصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانهم كانوا ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها
تكلفا واقومها هديا واحسنها حالا اختارهم الله تعالى
لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه فاعرفوا لهم
فضلهم واتبعوهم في اثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم
انتهى فلما مضوا السبيلهم ظاهرين عفنهم التابعون لهم
رضي الله تعالى عنهم فجمعوا ما كان من الاحاديث مفترقا
وبقي احدهم يرحل في طلب الحديث والمسالة الواحدة الشهر

والشهرين

والشهرين وضبطوا امر الشريعة ثم ضبط وتلقوا الاحكام
والتفسير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم مثل علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه كان يقول سلوني ما دمت بين اظهركم
فاني اعرف بازقة السماء مما انا عارف بازقة الارض وقال
عليه الصلاة والسلام في ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ترجمان القرآن فمن لقي مولاء كيف يكون علمه وكيف حاله
وعمله فحصل للقرن الثاني نصيب وافر ايضا في اقامة الدين
برؤية من راى صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم فاولئك
كانوا خيرا من الذين بعدهم ثم عقبهم تابعوا التابعين رضي الله
تعالى عنهم فيهم حدث الفقهاء المقلدون المرجوع اليهم
في النوازل الكاشفون للكروب في معضلات المسايل فوجدوا
القرآن والحمد لله مجموعا ميسرا ووجدوا الاحاديث قد
ضبطت واحترزت فجمعوا ايضا منها ما بقي مفرقا وتفقهوا
في القرآن والاحاديث على مقتضى قواعد الشريعة
واستخرجوا فوايد القرآن والاحاديث واستنبطوا منها
فوايد واحكاما وبنوا على مقتضى الاصول والمعقول ودونوا
الدواوين ويسروا على الناس وازالوا المشكلات باستخراج
الفروع من الاصول ورد الفرع الى الاصل وتبيين الاصل من فروعه
فانتظم واستقر امر هذه الامة المحمدية بسببهم فحصلت
لهم في اقامة هذا الدين خصوصية ايضا بلقايهم عن راى
من راى صاحب العصمة ومع ذلك لم يبقوا لمن بعدهم شيا
يحتاج الى ان يقوم به بل كل امرئ بعدهم انما هو مقلد لهم
في الغالب وتابع لهم فانظم الفقه غير فقههم وفايدة
غير فايدتهم فمردود كل ذلك عليه اعني بذلك ان يزيد
في الاحكام التي تقررت بينهم او ينقص منها اما ما استخرجه

من بعدهم من القواعد غير المتعلقة بالاحكام فلا حرج فيه لقوله
صلى الله عليه وسلم في القرآن لا تنقضي عجائبه ولا لخلق على كثرة
التردد فعجائب القرآن والحديث لا تنقضي الى يوم القيامة كل
قرن لا بد له ان يأخذ فوائد جمة خصه الله تعالى بها وضمها
اليه لتكون بركة هذه الامة مستمرة الى قيام الساعة قال
عليه الصلاة والسلام امتي مثل المطر لا يدري اوله ينفع
او آخره او كما قال عليه الصلاة والسلام يعني في البركة والخير
والدعوة الى الله تعالى وتبيين الاحكام لانهم يحدثون حكما
من الاحكام اللهم الا ما يندر وقوعه مما لا يقع في زمن من
نقدم ذكرهم بالفعل ولا بالقول ولا بالبيان فيجب اذ ذاك
ان ينظر في الحكم على وفق مقتضى قواعدهم في الاحكام الثابتة
عنهم الصريحة فما كان مبنيا على اصولهم قبلناه وما خرج عن
ذلك فهو مردود على ما حبه فلما ان مضوا الى سبيلهم طامن
ثم اتى من بعدهم فوجد وا امر الدين على اكمل الحالات ولم
يبق في ذلك الدين وظيفة يقومون بها ويختصون بها فلم
يبق لمن بعدهم الا ان يحفظ ما دونوه واستنبطوه واستخرجوه
وافادوه ولا يحصل لمن بعد هذه القرون المشهود لهم بالخير
خير الا بالاتباع لمن شهد له صاحب العصمة صلوات الله
وسلامه عليه بالخير فيبقى كل من يأتي بعدهم في ميزانهم
ومن بعض حسناتهم فبان بهذا حكمة ما قال عليه الصلاة
والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الخ **قوله** يقفوا
الصحابة في هدي وفي سنن مراده بالهدي سيرة الصحابة
وما ثبت عنهم من اقوال وافعال وبالسنن ما نقلوه عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل وتقرير وتعيين المراد
هنا الصحابة للاتباع لا ينافي ما قلنا فيما سبق من ان

بينا

عنهم

مراده

مراده بالسلف الصالح علما القرون الثلاثة المشهود لهم
بالخيرية والفضل لان من اقتفى اثار التابعين وتابع التابعين
فقد اقتفى اثار الصحابة اذ هم اعرف الناس بسيرتهم وعلومهم
ومن اقتفى اثار الصحابة فقد اقتفى اثار النبي صلى الله عليه وسلم
اذ هم اعرف الناس باحواله وما بلغ عن الله تعالى وقد قال
فيهم صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
والى هذا الحديث ونحوه اشار المؤلف بقوله لانهم قدوة م
الى قوله كما قال الرسول لنا ويصح ان تتعلق لنا بقال او بقدوة
قوله فلتعتقد حقهم يعني لتوفر البواعث دينا ودنيا على
حقهم اما من جهة الدين فظاهر لان كل اية من كتاب الله
تعالى وكل قراءة من قراءته وكل حديث من احاديثه صلى الله عليه
وسلم وكل سنة من سننه وكل عبادة من فرض وسنة ونافلة
واسباب ذلك وشروطه وموانعه وكل منهي عنه من محرم م
ومكروه وكل مباح ووعد ووعيد وغير ذلك من كل ما يتعلق
بامور الاخرة جملة وتفصيلا انما عرف من نقلهم وعظيم ضبطهم
كما سبقت الاشارة اليه واما من جهة الدنيا فكل ما ترى
مما اتسع فيه المسلمون من مدينة وروض وغلا ارضين ومن
برا وبحر سهلا وجبلا انما هو على ايديهم وبركة فتحهم وقهرهم
للاعدا بالسيف قتلا وسبيا ونفيا الى الاطراف المعمور من
الارض ثم زهدهم في جميع ذلك واعتوابه من بعدهم وبالجملة
فكل المسلمين عيال دينا ودنيا للصحابة رضي الله تعالى عنهم
فبهدايتهم وارشادهم يهتدون ويتعبدون حتى كثر منهم
الاقطاب والاوتاد والابدال وفي ظلال سيوفهم وصدقاتهم
وفتوحاتهم يتمتعون ويمرحون ويسكنون حتى مدنوا المدن
وبنوا المساكن وانتجعوا بالاموال حيث شاؤا من الاوطنة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والصحاري والجزائر والجبال ولاخفاء ان حصول هذه الفوائد
العظيمة منهم رضي الله تعالى عنهم وجزاهم افضل الجزا يوجب
امتزاج محبتهم باللحم والدم وسويدا القلب هذا وقد اثنى الله
سبحانه وتعالى عليهم في آي كثيرة من كتابه العزيز منها قوله
تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء
بينهم الى آخر السورة وامر النبي صلى الله عليه وسلم باكرامهم
وحض على محبتهم في احاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه
وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقوله صلى الله عليه وسلم
اكرموا اصحابي فانهم خياركم الحديث وقوله صلى الله عليه
وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن
احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك
ان ياخذه احيانا الله تعالى واماتنا على حبهم وحشرنا
في زمرتهم ومتعنا في الجنان بمشاهدتهم والحلول بجوارهم
وقربهم بجاه نبيه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

والافضل الخلفا الراشدين فقد تفاضلوا بينهم فضل الجميع على

هذه المسالة قد اختلف الناس فيها فقالت طايفة لا
يتعرض للتفضيل بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقالوا
هم كالاصابع في الكف وقال الاكثر بالتفضيل ثم اختلفوا
فقال اهل السنة افضل الصحابة الخلفا الراشدون
الاربعة وافضلهم ابوبكر رضي الله تعالى عن جميعهم وقالت
الخطابية افضلهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقالت
الراوندية افضلهم العباس رضي الله تعالى عنه وقالت الشيعة
افضلهم علي رضي الله تعالى عنه قال القرطبي في شرح مسلم لم

يختلف

يختلف السلف والخلف في ان افضلهم ابوبكر ثم عمر ولا عبرة
بقول اهل الشيع والبدع وقال القاضي عياض في الاكمال قال
ابوبكر منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفا
الاربعة على ترتيبهم في الخلافة ثم تمام العشرة ثم اهل بدر ثم
اهل احد ثم اهل بيعة الرضوان ومن له مزية اهل العقبتين من
الانصار وكذلك السابقون الاولون واختلف فيهم فقيل هم من صلى
للقبلتين وقيل هم اهل بيعة الرضوان وقيل اهل بدر واختلف فيما
بين عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما فقيل بما على ترتيبهما في الخلافة
واليه مال الاشعري وقيل فيهما بالوقف واليه مال مالك
رحمه الله تعالى فقيل له في المدونة من افضل الناس بعد نبيهم
فقال ابوبكر ثم عمر او في ذلك شك وسقط عمر من بعض الروايات
فقيل فعلي وعثمان فقال ما ادركت احدا ممن يقتدى به
يفضل احدهما على صاحبه ولابي المعالي قريب منه وقال
ابن رشد احق ان افضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ابوبكر
ثم عمر ثم عثمان ثم علي وروى هذا عن مالك وروى عنه الوقف
عن تفضيل بعضهم على بعض والثالث ما في المدونة والاول
هو الذي يعتمد عليه من قوليه وقال ابن العربي قد كان شيخنا
الفهري يقدم عمر كثيرا ويقول لو قال احد بتقديمه على ابي بكر
لقلته ويرحم الله تعالى الفهري لم يصب وجه النظر بل غاب
عنه اذ لو راى ابابكر رضي الله تعالى عنه علم انه سيد الامة
من غير مدافع ثم اختلف في وقف مالك رضي الله تعالى عنه فقيل
هو وقف على ظاهره وقيل هو راجع للقول الاول انهم على ترتيبهم
في الخلافة ويحتمل وقفه ووقف من يقتدي به انه لما وقع
من الاختلاف والتعصب حتى صار الناس فرقتين علوية
وعثمانية وقد قيل ان بسبب قوله بالتفضيل بينهما طلبته

العلوية حتى المخبر رضي الله تعالى عنه ومعنى التفضيل كثرة
الثواب ورفع الدرجة وذلك لا يعرف بقياس وانما يثبت
بالنقل ولا يستدل عليه بكثرة الطاعات الظاهرة اذ قد
يكون على اليسير من عمل السر اكثر من الكثير الظاهر وان كانت
الاعمال الظاهرة فيها مجال لغلبة الظن بالتفضيل واختلف
القايلون بالتفضيل فقيل هو قطعي واليه مال الاشعري واليه
يشير قول مالك في المدونة في تفضيل ابي بكر اوفى ذلك شك
وقال القاضي هو ظني قال لان المسالة اجتهادية لو ترك احد
النظر فيها لم ياثم وكذا اختلف هل التفضيل في الظاهر
والباطن او في الظاهر خاصة والقاضي نصر كلا من القولين
واحتج له وتاويله على انه في الظاهر فقط قال لانه قد يكون في
الباطن على خلاف ما عندنا وذهبت طايفة الى ان من مات
في حياته صلى الله عليه وسلم افضل ممن بقي بعده واختاره ابن
عبد البر لحديث انا شهيد على هؤلاء وتزكية بعضهم وصلاته
عليهم وفي كون فاطمة افضل من عايشة رضي الله تعالى عنها
وعكسه ثالثها وقف الشيخ الاشعري وعزا لامدي الاول للشيعة
والثاني لاهل السنة وبالجملة فالمقطوع به ان الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم كلهم عدول سادات اجلة مختارون
عند الله تعالى على كل من بعدهم من غير تفصيل هذا هو الذي
عليه المحققون واجمع عليه كل من نعتد باجماعه نفعنا الله
تعالى بحبهم وحشرنا في زمرتهم واماتنا على محبتهم والاقتدا
بهم بجاه نبينا صلوات الله وسلامه عليه

والزم سبيلهم ان كنت متبعا ، من تابع الحق مضيا به يصل
ولتمسك القول عما كان بينهم ، ولتشتغل بالذي يغنيك من عمل
وابغض هديت جميع المبغضين لهم ، ولو احبوا امير المومنين على

فليس

فليس ينفعهم حبت له وهم ، لغيره من مساوي القول في خطل
والله سبحانه نرجوه يحشرنا ، عداد زمرتهم في الامن من رجل

اما التزام سبيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقد تقدم الوجه
فيه بما فيه كفاية واما امساك القول عما جرى بينهم من المنازعات
والمحاربات فلاخفاء في وجوبه لما عرف من عدالة جميعهم فيحمل
كل ما وقع منهم من قول او فعل على انهم قصدوا مقصدا صالحا
واختلافهم في بعض الامور انما هو لاختلاف اجتهادهم فمن اجتهد
منهم واصاب فله اجران ومن اجتهد فاخطا فله اجر واحد
والطاعن في واحد منهم بسبب ذلك فقد اهلك نفسه بتعرضها
للابعاد من رحمة الله تعالى ذنيا واخرى ففي الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من سب اصحابي فعليه لعنة الله
والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وحكم سبتهم وتنقيصهم انه ان كان بما يخالف الادلة القطعية
فكفر كقذف عايشة رضي الله تعالى عنها والا فبدعة وفسق
قوله وابغض هديت الخ يعني لان ذلك من لازم المحبة لهم
اذ كل من احب شيا حبا صادقا احب كل من احبه وابغض كل
من ابغضه والله تعالى الموفق **فصل في التحذير من اهل**
البدع البدعة التي اراد المولف هي كل ما خالف اصول الشريعة
وما عليه السلف الصالح وقد علمت فيما سبق تفسيرهم من اقوالهم
وافعالهم وسيرتهم واصولهم وقواعدهم سواء كانت المخالفة في
اصول الدين كمخالفة المعتزلة والحشوية واضرابهما او فروعه
كما هو مشاهد في ازمنتنا وفيما قبلها ولا حول ولا قوة الا
بالله واما البدعة التي تشهد اصول الشريعة بوجوبها او
ندبها او اباحتها فليس يحذر منها قال القرافي في كتابه الفروق
اعلم ان الصحابة فيما راينا متفقون على انكار البدع نص على ذلك

ابن ابي زيد وغيره والحق التفصيل وانها خمسة اقسام قسم واجب
وهو ما تناولته قواعد الشرع وادلته كتدوين القران والشرايع
اذا خيف عليها الضياع فان التبليغ لمن بعدنا من القرون واجب
اجماعا واهمال ذلك حرام اجماعا القسم الثاني محرم وهو كل بدعة
تناولتها قواعد التحريم وادلته كالمكوس والمحدثات من المظالم
وكتقديم الجهال على العلما وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح
لها بطريق التوارث وجعل المستند في ذلك كون المنصب كان
لابيه وهو في نفسه ليس باهل القسم الثالث مندوب اليه
وهو ما تناولته قواعد الندب وادلته كصلاة التراويح
واقامة صور الايمة والقضاة وولاة الامر على خلاف ما كان
عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بسبب ان المصالح
والمقاصد الشرعية لا تحصل الا بعظمة الولاة في نفوس الناس
وذلك في زمن الصحابة انما كان بالدين فقط وفيما بعدهم انما
يعظمون بالصور فيتعين تفخيمها حتى تصلح المصالح وقد كان
عمر رضي الله تعالى عنه ياكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله
نصف الشاة كل يوم لعلمه بان الحالة التي هو عليها لو علمها غيره
لهان في نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة
فاحتاج ان يمتنع غيره في صورة تحفظ النظام ولذلك لما
قدم الشام ووجد معاوية بن ابي سفيان قد اتخذ الحجاب
والمراكب النفيسة والثياب الهايلة العلية المرفعة وسلك
مسالكة الملوك فساله رضي الله تعالى عنهما عن ذلك هو
فقال له انا بارض نحن فيها محتاجون الى هذا فقال لا امرك
ولا انهاك ومعناه انت اعلم بحالك هل انت محتاج الى هذا
فيكون حسنا او غير محتاج فدل من قول عمر رضي الله تعالى عنه
ومن غيره ان احوال الايمة وولاة الامر تختلف باختلاف الاعصار

والاعصار

والاعصار والقرون والاحوال ولذلك يحتاجون الى تجديد
زخارف وسياسات لم تكن قديما وربما وجبت في بعض الاحوال
القسم الرابع بدعة مكروهة وهي ما تناولته ادلة الكراهة
وقواعدها كتخصيص الايام الفاضلة او غيرها بنوع من العبادة
وكزيادة في المندوب المحدود كالذكر بعد الصلاة ونحوها
لما في ذلك من سوء الادب اذ شان العظما اذا احدثوا شيا
وقف عنده والزيادة في الواجب شديدة في المنع من الزيادة
في المندوب لانه ذريعة الى اعتقاد وجوب الزيادة القسم
الخامس البدع المباحة وهي ما تناولته ادلة الاباحة وقواعدها
كاتخاذ المناخل للدقيق ففي الاثر اول شي احدثه الناس بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل لان تليين العيش
واصلاحه من المباحات فوسايله مباحة فالبدعة اذا عرضت
تعرض على قواعد الشرع وادلته فتلحق بمقتضاها وان نظر
اليها من حيث كونها بدعة مع قطع النظر عما يقتضاها هام
كرهت فان الخير كله في الاتباع وكان بعض السلف ثلاث لو كتبن
على الظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والاخرة اتبع ولا تبتدع
اتضع ولا ترتفع من ورع لا يتسع انتهى باختصار قلت ومن
اطلق ذم البدعة ولم يفصل راى ان البدعة على التحقيق
لا تطلق الا على القسم المحرم او المكروه وبالله تعالى التوفيق
وكل من رد ما قلنا فمبتدع فانبذه عنك ولا تسمع لقوله فكل ذي بدعة لو كان مدعيا في علمه انه يعلو على رجل
اعمى البصيرة ان يتردد ضلاله تراه للحق يبدو واغير منتحل
هذا ومذهب اهل الحق مختلف فيهم بكفرهم او فسقهم نقل
ليس الخلاف على الاطلاق بعضهم قد يا بالكفر قطعا غير محتمل
لانهم فريق جا الحديث بهم لم يتبعوا الحق في قوله لا عمل

أما الذي صار يدعونا لبدعته، مع القتال فضرب البيض والأسل
لاشك ان كل ما قرره المؤلف رضي الله تعالى عنه من اول قصيدته
الى هنا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة واجماع السلف
الصالح قبل ظهور البدع واجمعت عليه الاشاعرة اهل السنة
رضي الله تعالى عنهم فكل من رده او شيأ منه بان اعتقد خلافه
فهو مبتدع من اهل النار والعياذ بالله تعالى قال الامدي
بعد ان ذكر ملل الفرق الضالة وخصها بالمشبهة وهم القايلون
بالتجسيم والحركة والانتقال والحلول وطول الحوادث به تعالى
وغير ذلك مما لعوارض الجسمية تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا هذه الفرق هي المستوجبة للنار بنصه عليه الصلاة
والسلام ان بني اسرايل قد افترقت على اثنين وسبعين فرقة
وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار
الا واحدة قيل ومن هم يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي او
كما قال عليه الصلاة والسلام قال الامدي والاثنان وسبعون
فرقة عشرون منها معتزلة واثنان وعشرون شيعة وعشرو
خوارج وخمسة مرجئة وثلاثة نجارية وواحدة جبرية
وواحدة مشبهة قال وما سوى ذلك من ارباب البدع راجع
الى بعضها والناجية هي الثالثة والسبعون وهي التي على ما
كان صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى عنهم عليه وهم
اهل السنة الاشاعرة وكل الفرق غيرهم من اهل النار واختلف
هل حكمهم في الدنيا حكم الاسلام مع الفسق او الكفر فقيل
فساق ونقل عن الشيخ الاشعري وجماعة وقيل هم كفار ونقل
عن القاضي ومالك والشافعي ونقل عن الاستاذ التفصيل
بين المبتدع الذي يكفر اهل السنة فهذا كافر وبين المبتدع
الذي لا يكفرهم فهو فاسق ونقل التفصيل ايضا بين من

يدعوا

يدعو الناس الى بدعة فهو كافر بخلاف غير الداعية فهو فاسق
وقيل بالوقف عن الكفر وعدمه قال الشيخ ابن عرفة ظاهر
قول المدونة في اخر كتاب الجهاد ويستتاب اهل الاهواء من
القدرية وغيرهم فان تابوا والا قتلوا تكفيرهم ونحوه في كتاب
الجنايز ولا يصلى على احد من اهل الاهواء وخرج المازري الخلاف
في اعادة من صلى خلف مبتدع على الخلاف في تكفيرهم قال
واختلف فيه قول مالك وقول القاضي زاد ابن الحاجب
والشافعي ولم ينقل ابن شاس واكثر المتاخرين عدم التكفير
وقاله الغزالي وسحنون وحكاه عن اكثر اصحابنا قال وتكفير
الغزالي الفلاسفة بانكارهم حشر الاجساد والتنعم الحسي
وعلم الله تعالى بالجزئيات وحدوث العالم صواب والاقرب
تكفير المجسم وظاهر قول عز الدين في قواعده لا يكفر لعسر فهم
العوام نفي الجسمية وكفر من قال بالحلول لقلة عروضه في الاذهان
والاهواء قال وفي التكفير بوجوب الاصلح على الله تعالى نقل
الفهري عن الاستاذ من حيث عدم اعترافهم بان لله على عبيده
نعمة ونقل عز الدين بن عبد السلام قال لاعتقادهم ان
تركه نقص انتهى قلت ومنشا الخلاف ان من قال قولا يعتقد
فيه بزعمه انه كمال ولذلك القول لازم هو كفر من نقص او تكذيب
ونحوهما مما يعد قايلا بذلك اللازم اولا او يفصل بين اللازم
الجلي والخفي والاظهر الوقف اذ هو اسلم الا ان يرد نص قاطع
او اجماع بكفر احدهم فليتبع حينيذ **قوله** اعشى البصيرة
اي اعمى القلب وهو خبر عن كل في صدر البيت الذي قبله **قوله**
فقل ليس الخلاف على الاطلاق بعضهم قد باء بالكفر قطعا
يعني كالمنكرين لبعث الاجساد وكالقايلين بقدم العالم
ونفي ايجاد مولانا جل وعز للحوادث بالاختيار وكالقايلين

بان مولانا جل وعلا يعلم الكليات دون الجزئيات والشهاب القرافي في قواعده تقسيم الجهل بالله تعالى الى عشرة اقسام احدها لا يؤمر باز الته اصلا ولا يؤاخذ ببقائه لانه لازم لنا لا يمكن الانفكاك عنه وهو جلال الله تعالى وصفاته التي لم تدل عليها الصفة ولا يقدر العبد على تحصيلها بالنظر يعفى عنه للعجز عنه والبه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقول الصديق رضي الله تعالى عنه العجز عن الادراك ادراك الثاني اجمع المسلمون انه كفر كجحد ان الله تعالى عالما ومتكلما وقادرا ونحو ذلك من صفاته الذاتية فان جهل ذلك ولم يتفه كفره الطبري وغيره وقيل لا يكفر الثالث اختلف في التكفير به وهو من اثبت الاحكام بدون الصفات فقال الله تعالى عالم بغير علم قادر بغير قدرة وهكذا سائر احكامه المعنوية ومالك والشافعي والقاضي في تكفيرهم قولان الرابع اختلف فيه هل هو جهل يجب ازالته او هو حق يجب بقاؤه وعلى الاول فهو معصية ولم ار من كفر به وذلك كالقدم والبقاء فهما صفتا وجود يتان من صفات المعاني او منها صفتان سلبيتان وهو الاصح الذي يجب اعتقاده الخامس جهل يتعلق الصفات لا بالصفات كتخصيص المعتزلة الارادة والقدرة ببعض الممكنات وفي تكفيرهم بذلك قولان قال والاصح عدم تكفيرهم السادس جهل يتعلق بالذات العلية كاعتقاد الجسمية لها والمكان والجهة وفي كونه كفرا قولان قال والاصح عدم الكفر بخلاف اعتقاد البنوة والابوة والاتحاد والحلول فانه مجمع على كفره السابع الجهل بقدم الصفات مع الاعتراف بوجودها كقول الكرامية ان الارادة حادثة ونحوها وفي التكفير بذلك

قولان

قولان قال والصحيح عدم التكفير الثامن جهل ما وقع او يقع من متعلقات الصفات وقد قام الدليل القطعي الضروري على وقوعه وذلك كجهل ارادة الله تعالى بعثة الرسل وكجهل بعثة الخلق ونحو ذلك ولا خفاء ان ذلك كفر لانه جهل لما علم من الدين ضرورة التاسع الجهل بتعلق الصفات بايجاد ما لا مصلحة فيه للخلق هل يجوز هذا في حق الله تعالى او لا فاهل الحق والمعتزلة يحيلونه وفي تكفيرهم بذلك قولان العاشر الجهل بتعلق الصفات بايجاد حيوان او اجراء نهر او احياء او اماتة فهذا الجهل لا خلاف انه ليس بمعصية فضلا عن الكفر الا ان يكلف الشرع بمعرفة شيء من ذلك لحاجة الى معرفته في بعض الصور فحينئذ يتعين البحث عليه حتى يعلم ويكون الجهل به حينئذ معصية لمخالفة امر الشرع لا كفرا **قوله** فضرب البيض والاسل اراد بالبيض السيوف وبالاسل الرماح وظاهر كلامه ان غير مولانا لا يقاتلون ولا يقتلون وفيه خلاف وقد تقدم ما قاله مالك في المدونة من استتابة ذوي الاموال فان تابوا والا قتلوا

فصل ختم به هذا النظم وتمم وان لم يناسب ما تقدم، فقد حوى كلمات تحمد ولا تذم

يعني ان ما ذكر في هذا الفصل لم يناسب ما تقدم المناسبة الخاصة وهو ان يكون من الكلام في عقايد الايمان وان كان مناسبا له المناسبة العامة لانه تنبيه على بعض ما تثمره معرفة الله تعالى ومعرفة صدق رسله عليهم الصلاة والسلام لمن تامل واستبصر ومن ثم وجب ان يحمد ما ذكر فيه وكيف لا وهو قد نص فيه على روح ثمرات الايمان الذي به المومن ينتظم في سلك المتقين ذوي اليقظة والعرفان

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو التطهير من عيوب النفس المانعة من كل خير وعلى تقدير
ان يقع منها خير فهو مكسوف الانوار مملوء بالظلمات التي
تمنعه من الصعود الى منازل الابرار وبالجملة فبالعمل
بمقتضى ما ذكر في هذا الفصل يجتني المومن من ثمرات ما
حصل له فيما سبق من عقايد الايمان ويترقى بفضل الله
تعالى الى ذروة درجات اولياء الله تعالى الفايزين باعلا
مقامات الاسلام والايمان والاحسان وذلك يقطع
فروع الشرك والتكذيب واثارهما من ظاهره وباطنه
كما قطع بما سبق اصولهما من القلب واللسان والاركان
ان النواهي حالات غير واحدة ، كذا الاوامر لا تحصى لم تمثل
فلازم العلما العاملين به ، واسلك طريقهم وان جهلت سل
لاشك ان من حصل له الايمان بالله تعالى وبرسله عليهم
الصلاة والسلام وعرف مقدار مكثه صلى الله عليه وسلم
في الناس من مدة ثلاث وعشرين سنة بعد ان بعث الهم
يبلغهم في جميعها احكام الله تعالى بالقول والعمل والتقرير
وبلغهم كتاب الله تعالى العزيز الذي كل اية منه تتضمن
حكما من احكام الله تعالى اما بالتصريح او بالضمن فانه
يعرف من هذا كثرة التكاليف المتوجهة من مولانا جل وعلا
الى عبيده في ظواهرهم وبواطنهم فيما بينهم وبينه تعالى وفيما
بينهم وبين سايرالمخلوقات كثرة تخرج عن الحصر كما قال
الشيخ رضي الله تعالى عنه وذلك موجب لتشمير المومن ونهوضه
كل النهوض ليعرف تلك التكاليف ليعمل بمقتضاها ولا
يشغله عن ذلك شاغل لقطعه انه عن قريب سيموت
ويفارق الدنيا واهلها وجميع اعراضها وشواغلها
ويحيى للفتنة والسؤال في القبر ثم يبعث بعد ذلك ويسال

عن

عن جميع اعماله ظواهرها وبواطنها سرها وعلانيتها قال تعالى
فوربك لنسئالنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال جل من قايل
ليسئال الصادقين عن صدقهم واذا كان الصادقون لا يهملون
من السؤال فكيف بغيرهم وقال تعالى يوم تبلى السرايروقال
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
الى غير ذلك من الايات الدالة على عظيم اهوال ما هو قادم عليه
كل احد عن قريب وكيف يهنى العيش او يلذ قرار لمن يدين يديه
هذه العظايم ولو استعد لها بالعمل الصالح غاية الاستعداد
واجتهد في الخلاص فيها غاية الاجتهاد فكيف للمفرط الذي
اهمل نفسه في هذه اللحظة اليسيرة من العمر اهمال الانعام
والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله ولما عرف المومن
مما سبق ان احكام مولانا جل وعلا وتكاليفه لا مجال للعقول
في ادراكها بتحسين او تقبيح ولا طريق الى معرفتها الا من جهة
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم هي في ذلك كثيرة جدا لا يمكن
ان تحصل في يسير من الزمان على ما سبق تعين عليه لاجل ذلك
بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام ان يلازم ورثته
الحافظين لما بلغ عن الله عز وجل من الاحكام العارفين بوجوه
ذلك وهم العلما العاملون فلهذا قال المولف رضي الله تعالى
عنه فلازم العلما العاملين به اي بالعلم وانما شرط في العلما
العمل لاوجه احدها ان غير العامل لا يوثق بقوله اذ لعله
يكذب على الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام لان
من كان قايده في القول والعمل الهوى لا يبالي بما يقول ويعمل
الثاني ان غير العامل لا نصيحة فيه للمسلمين لانه كثيرا ما يعرض
عن ما يحتاجون اليه ويعلمهم ما لا حاجة لهم اليه في الحال لانه

تعاطى غير العامل للمعلوم كتعاطى ابناء الدنيا للتجارات فكما
انهم يتركون تعاطى التجر فى كل ما يكسد فى الحال عند ابناء الدنيا
كذلك غير العامل لا يتعاطى من العلوم الا ما هو نافق غير
كاسد فى الحال عند ابنا الدنيا وان كان هو النافق المضطر اليه
بالنسبة الى الاخرة الثالث ان غير العامل لا يتنزل فى التعبير
لافهام الضعفا بل يتعاطى فى غالب امره التفاصح والتهويل
فى الواضحات فضلا عن غيرها حتى يعميها باصطلاحات والفاظ
غريبة ليمدح بعلو العبارة والتحدث بدقايق العلوم الذى
لا يفهمها عنه الا الافراد وليلا يتجاسر عليه لعوام وسفلة
الناس الى غير ذلك من اغراضه الفاسدة الرابع ان غير العامل
لا بركة فى علمه وتعليمه لانه يبرز علمه وان كان حقا مكسوا
بكسوة خبايث قلبه مجاجا مظلما لا نور له بحيث تمجه
الاسماع ولا تسيغه الطبايع فهو كامراة فايقة الجمال
الا انها حمقا فهى لاجل حمقها تكسو اذانها ووجهها وجمالها
من عذراتها وبولها وساير الخبايث التى تجدها مما يوجب
نفرة الطباع والاعين عنها اكثر من نفرتها عن المراحيض
ونحوها والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث
لا يخرج الا نكدا وفى الحديث مثل ما بعثنى به من الهدى
والعلم كمثل غيث اصاب ارضا الحديث الخامس ان غير العامل
على تقدير ان يصلح الناس باقواله فهو يفسدهم اضعافا مضاعفة
باعماله لان اذعان النفس للعمل وسرقة الطبع له اكثر بكثير
من الاذعان للقول والعالم العامل على الضد من هذه
الاوجه الخمسة السادس ان غير العامل لا يعلم منه الا
اللسان والعامل يعلم منه اللسان واللحظ وساير الاطراف
والاركان بل يؤخذ العلم حتى من ثيابه ومسكنه وخادمه

ودابته

ودابته وكل ما اضيف اليه فى حضوره وغيبته فهو وان كان
بحسب الظاهر معلم واحد ففيه على الحقيقة اعداد كثيرة
من المعلمين يفيد كل واحد منها ما لا يفيده الاخر ويكرره
للمتعلم معلومه ويوكده ويامره وينهاه ويؤدبه ادبا يقصر
عنها التعبير بمداه فينشلج منه الصدر وينشرح لعدم رؤية
التنافى بين القول والفعل ويزول عنه كل شيطان يعتريه
فى اقوال اللسان لرؤية مدلولاتها فى جوارح العالم وفى
تصرفاته المنفصلة والمتصلة ولا خفاء ان الخبر ليس كالعيان
ولهذا قيل الولى من اذا رايته ذكرت الله تعالى لانه لا تقع
رويتك منه الا على مذكر بالله تعالى سابق بدلالة احاله
والمقال الى عظيم رضاه واذا كان العالم العامل تتضمن صحبته
هذه المصالح النفيسة وغيرها مما لا يقدر على حصره وجب
على المومن المحتاج للتعلم ان يبحث عليه غاية البحث فاذا
وجده فقد اتصل بمناه فليشد يده عليه ولا يتخطاه الى غيره
وكيف يتخطى معادن الذهب الابريز الى معادن الرصاص والنحاس
وغيرهما اللهم الا ان لا يجد المتعلم عالما عاملا اذ لعله
كالمتعذر او المتعسر فى زماننا فقد اضطر حينيذ الى اخذ
العلم من غيره فلينظر الى الامثل فالامثل فان لم يجد اخذ
العلم ممن عرفه او شيا منه وان لم يكن عاملا وتحرز غاية
جهده من مخالطته فى غير وقت اخذ العلم خوفا على طبعه ونفسه
من السرقة للشر والاحتقار للامر والنهى ويتضرع الى الله تعالى
خاليا فى ان يطوى له المسافة فى التعلم من مثل هولاء ليتمكن
من الهروب والعزلة بنفسه ولعموم الانتفاع بالعالم العامل
خص المولف رضى الله تعالى عنه على ملازمته بقوله فلازم العلما
العاملين به واسلك طريقهم اى لازمهم لتتعلم العلوم من

اقوالهم واعمالهم واسلك في اعمالك طريقتهم في تصرفاتهم
واقوالهم **قوله** وان جهلت سل يعني وان جهلت مع ملازمتهم
امرا لم يفدك لمعرفته اقوالهم ولا اعمالهم فسلهم عنه ۞
يفيدوك معرفته وبالله سبحانه وتعالى التوفيق ۞
وثق بمولاك لا تبغي به بدلا، فما عن الله جل الله من بدل
واضرع اليه يصدق فهو ذو كرم، هذا السبيل اليه قرب السبل
لما امر الشيخ بملازمة العلماء العاملين واتباع سنتهم في
الاقوال والافعال وكان ذلك مظنة للثقة به والاعتماد
عليه نبه هنا على ان الظفر بذلك ابتداء والانتفاع به انتهاء
موقوف على ارادته تعالى وخلقه اذ لا شريك معه تعالى في
فعل من الافعال على ما عرف فيما سبق فوجب اذن ان لا يثق
المومن بشيء من عمله ولا من علمه ولا مشايخه وان عظمها ووقف
عندها بحسب الظاهر ادبا وامتثالا ولا يكون اعتماده
ابدا في قلبه الا على مولاه تبارك وتعالى فهو القادر على ان
يبدل العلوم كلها في لحظة جهالات والاعمال كلها ظلمات
والاعمال الصالحات سيئات وهذا يوجب للمومن ان لا يفارق
شدة الخوف والافتقار الى مولاه جل وعلا وان بلغ غاية
المنى في صالح القول والعمل ولا ييأس من رحمة المولى تبارك
وتعالى وتسديده وان بلغ الغاية في الانحطاط في مهاوي
الزلل وبالجملة فمن عرف بما سبق عجز جميع الكائنات جملة
وتفصيلا عن ايجاد اثر ما من المنافع والمضار وغيرهما لم
يتعلق قلبه على سبيل الاعتماد بشيء منها دنيويا كان او
اخرويا وكان ملازمها المقام الاضطراري في جميع حالاته
الى المولاة المتفرد بالملك والتدبير بلا واسطة تبارك وتعالى
وانما امر الشيخ بما ذكره في هذين البيتين بعد ما امر

بملازمة

بملازمة العلماء العاملين اشارة الى انه لا بد للمومن من الجمع
في كل احواله بين الحقيقة والشريعة فامره اولا بملازمة
العلماء العاملين وسلوك طريقتهم في العمل من باب التمسك
بالشريعة الاسلامية في ملازمة الوقوف مع ابواب الله تعالى
التي اجرى العادة بمحض اختياره وعظيم فضله ان يخلق عندها
بلا واسطة ما شاء من المضار وامره بعد ذلك بالثقة به
تعالى والاعتماد عليه وحده دون ما سواه من عمل صالح او
غيره من باب التمسك بالحقيقة الايمانية المقتضية مزيد
الضراعة مع الوقوف عند الابواب الشرعية او العادية الى
المولى تبارك وتعالى الى ان ينيل الواقف عندها ما يرجى
منه تعالى عندها شرعا بحسب وعده الصادق او عادة من
اذ تلك الابواب لا تاثير لها ولا لغيرها في اثر ما البتة
لا بحسب العلية ولا بحسب الطبيعة ولا بحسب الاختيار
فالاعتماد عليها بالقلب في نيل شيء من الاعراض الدنيوية
او الاخروية اشراك بمولانا تبارك وتعالى كما ان رفض تلك
الابواب من الطاعات ونحوها مما نصبه الشرع علامة على
رجاء فضل الله تعالى لمن منّ عليه بتحصيلها والوقوف
عندها زندقة ومعاندة لاحكام الله تعالى وتكبر على
ملازمة الوقوف بابواب فضله التي نصبها مولانا جل وعلا
بنفسه على ذلك بمحض اختياره واعتنى اعتناء عظيما حتى
بعث سبحانه وتعالى الرسل الكثيرة لبيانها وايدهم ۞
بخوارق واحوال تزيل كل لبس في معرفة صدقهم فيما بلغوا
عنه جل وعلا من ذلك واهلك امما كثيرة هلاك استيصال
بسبب استهزائهم برسله عليهم الصلاة والسلام ونصبهم
العداوة لهم ورفضهم ما جاوا به من احكام الله تعالى والى جواب

لزوم هذين المقامين مقام الشريعة والحقيقة اشارت اية
الفاتحة وهي قوله تعالى على سبيل التعظيم للمكلفين اياك نعبد
واياك نستعين فقوله اياك نعبد تمسك بالشريعة
ظاهرا وقوله واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم
الى اخر السورة تمسك بالحقيقة باطنا **قوله** فما عن الله
جل الله من بدل يعني ليس عن الله تعالى عوض في انالة غرض
ما من الاغراض الدنيوية او الاخروية حتى يستغني به عن
مولانا جل وعلا **قوله** واضرع اليه بصدق يعني لازم السوال
منه بذل ومسكنة وهذا معنى الضراعة ومعنى الصدق هو
الوقوف مع ما قد حده الشرع قولا وعملا واعتقادا مع عدم
ملاحظة عمل من الاعمال او سبب من الاسباب في انالة
المطلوب حتى عين ضراعته وصدقه اذ لا اثر لهما كغيرهما
في اثر ما البتة وانما يقف المكلف معهما ومع سائر الاعمال
الصالحة التي حدها الشرع ادبا وامتثالا لا اعتمادا
عليها واتكالا فيكون حاله في شدة الافتقار والاضطرار
والذلة والمسكنة مع ملازمة الاعمال الصالحة والضراعة
الى الله تعالى والصدق كحاله لو لم يتصف بشيء من هذه
الاسباب الشرعية اصلا **قوله** هذا السبيل اليه اقرب
السبل يعني هذا الطريق اقرب الطرق اليه تعالى وهو
التقيد بقيود الشرع ظاهرا وباطنا مع عدم الاعتماد
بقلبه على شيء من ذلك بل انما اعتماده على المولى تبارك
وتعالى فهو اقرب الطرق الى نيل رضاه جل وعلا والفوز
ببلوغ امنيته منه دنيا واخرى وانما كان هذا الطريق
اقرب الطرق اليه تبارك وتعالى لاعتماد العبد الضعيف
الحقير المغمور بالجهل والعجز والعيب ظاهرا وباطنا في

قطع

قطع مفازة هذا الطريق البعيد المثال المملوء بكثرة الموانع
والقواطع والمتالف وما لا يقدر العبد الضعيف ان لا يحيط
به من عوارض واموال على مولاه الغني الكريم القوي الذي
وسع علمه وقدرته وارادته ما لا نهاية له وما من ممكن
من الممكنات الا وقد ذل واذعن وانقاد له فيصير العبد
الضعيف الذليل في هذه المفازة المهلكة باعتماده على
مولاه القوي المتين محمولا فيها من جهته تعالى لا حاملا لنفسه
ولا خفاء ان الضعيف الجاهل اذا اعتمد في قطع مفازة عظيمة
متسعة الارجاء كثيرة المعاطب والمهالك على قوته وعلمه
تلف في اول مرحلة من مراحلها اما ان نسلخ ذلك الضعيف
الجاهل من حوله وقوته اللذين علم يقينا انهما لا يغنيان عنه
في شيء من تلك المفازة ادنى غناء واستند في قطعها الى حاج
قوي عليها وعلى غيرها كريم عالم بما ظهر وما بطن من امرها
تذل لهيبته الموانع والقواطع ولا يعارضه في كل ما يريده
طالع ولا مانع فما اجدره ان يقطع تلك المسافة المهولة
المستطيلة في اقرب زمان ويرى في غمضة نفسه في اعلى
منازل الامان وحاصل الامر ان كل مطلب انت طالبه
بنفسك او بحادث من الحوادث مثلك على سبيل الاعتماد
فلست تظفر به ولا عليك بتيسير وكل مطلب انت طالبه
بمولاك المنفرد بالملك وحده صادقا في الاعتماد عليه
فانت جدير بالفوز به وليس بتعسر وبالله تعالى التوفيق

وقل اللهم يا من لا شريك له، ما لي سواك عليك اليوم متكلي
وامن علي بتوفيق ونيل تقي، منك الهداية للتوفيق للعمل

هذه مناجاة وضراعة حسنة تناسب ما سبق من الجمع بين
الشريعة والحقيقة فقوله فقل اي على اي حالة كنت عليه لان

تاب الضراعة والدعا اليه تعالى لاحجر فيها على احد صالحا
كان اوطالحا مرجوا نفعها من المومن والكافر وقد وبخ الله
تعالى الكفرة على عدم تضرعهم اليه تعالى عند ماجاهم العذا
فقال جل من قايل فلولا اذ جاهم باسنا تضرعوا ولكن قست
قلوبهم وقد سال مولانا جل وعلا الشيطان على ما هو عليه
من الكفر والتكبر على ما امره مولانا جل وعلا وتبارك وتعالى
فاجب دعاه كما قال تعالى حكاية عنه قال انظرني الى يوم
يبعثون قال انك من المنظرين ومن عظيم فضل الدعا
والتضرع الى المولى تبارك وتعالى ان ينتفع بهما المومن حتى
في الاخرة التي ينقطع فيها التكليف وينقطع فيها الانتفاع م
بكل عمل صالح يستدرك هناك وتفضل مولانا جل وعلا بقبول
الدعا والتضرع وحدهما هناك من المومن بدليل الخارج من النار
في سؤاله وتضرعه لمولانا الكريم تبارك وتعالى ان ينقله
الى الجنة منزلة بعد منزلة وهو جل وعلا في جميع ذلك يتنزل
معه ويتلطف به ويحبه بل ويذكره بطلب ما لا يعرفه ويدل
ايضا على الانتفاع بالدعا والتضرع من المومنين في الاخرة
قبول مولانا جل وعلا شفاعات الشافعين هناك واذا كان
الدعا والتضرع بهذه المثابة فعلى العاقل ان يكثر منهما م
ولا يفارقهما على جميع حالاته وقوله يا الهي معناه ما لكي
ومعبودي بحق وهو مناسب لمقام الشريعة والوقوف مع وظائف
عباداتها وعدم تعدي حدودها وابوابها المنضبطة على
سنة الرسل عليهم الصلاة والسلام **قوله** يا من لا شريك له
مناسب لمقام الحقيقة والوقوف بالقلب مع توحيد الله تعالى
وعدم اسناد نعمة او اثر من الاثار جملة وتفصيلا الى غيره
تبارك وتعالى سوا كان ذلك الغير دنيويا او اخرويا كان يكون

عملا

عملا او حالا **قوله** ما لي سواك هو ترق في مقام الحقيقة
من مقام العموم الذي في الاول الى الخصوص الذي في هذا فان
فيه التصريح بياسه من ذاته خصوصا من كل ما سواه تبارك
وتعالى ويدخل في لفظ سواك نفسه وعلمه ومقاله وحاله حتى
سؤاله وافتقاره وشدة اضطراره الى المولى تبارك وتعالى
كما تدخل سايرالكاينات جملة وتفصيلا لشموله العجز التام
الضروري عن انتال نفع ما او دفع ضرر ما جميعها على العموم
بلا تخصيص ولا استثنا البتة ما لا او ما لا **قوله** فامنن
علي بتوفيق يعني تفضل علي بخلق قدرة لي اكتسب بها فعل
الطاعات واكف بها نفسي عن الذنوب والسيات ومعنى
اكتساب هذه الامور بتلك القدرة مجرد تعلقها بها واقترانها
من غير تاثير لها في اثر ما البتة على ما سبق بيانه في معنى
الكسب وكون التوفيق عبارة عن خلق قدرة مقارنة للطاعات
وهو مذهب امام الحرمين وجماعة وقيل هو عبارة عن خلق الله
تعالى نفس الطاعة المقارنة للقدرة الحادثة وهذا القول
اظهر لان التوفيق ماخوذ من الوفاق فالتوفيق اذن خلق ما
يكون العبد به موافقا لما طلب منه الشرع والموافقة مباشرة
انما تكون بانفس الطاعات لا بالقدرة عليها والقول الاول
هو اظهر في حمل كلام المؤلف حفظه الله تعالى لسلامته به
من التكرار فيكون سال اولا التوفيق وهو خلق القدرة ٥
الاكتسابية لفعل المامورات واجتناب المنهيات ولما لم
يكن للقدرة الحادثة تاثير اصلا في شي من الافعال لم يقتصر
المؤلف على طلبها بل زاد بان طلب نيل التقي الذي هو فعل
النفس المامورات واجتناب المنهيات التي يدخل فيها الاعتما
على علمه او عمله او شي سوى مولانا تبارك وتعالى فان قلت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اذا لم يكن للقدرة الحادثة تاثير فلم لم يقتصر المؤلف في السؤال
على مجرد مطلب نيل التقى اذ وجود القدرة الحادثة وعدمها
بالنسبة اليه على حد السوا قلت انما لم يقتصر على ذلك لان
نيل التقى انما يعتد به شرعا اذا تعلقت به القدرة الحادثة
وقارنته وان لم تؤثر فيه اصلا قال تعالى لها ما كسبت ٥
وعليها ما اكتسبت اما لو خلق التقى في العبد اضطرارا من
غير ان يقارنه قدرة حادثة كما يكون عند الموت والمعاينة
لم يعتد به ولم يقبل من صاحبه قال تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الآن ويحتمل ان يكون المؤلف سلك في معنى التوفيق القول
الثاني وهو خلق انفس الطاعات ويكون عطف نيل تقى عليه وان
كان داخلا في الطاعة من عطف الخاص على العام بنا على ان
معنى التقى التحرز من المنهيات ويكون خصه بالذكر اعتناء به
لان الكف عن المنهيات لكونها مشتهيات للنفس صعب
جدا في غاية الصعوبة ولهذا تجد النفس تسمح بفعل المامورات
وان كان نفلا كصدقة اوحج اوجهاد متطوع بها او قيام ليل
او نحو ذلك مما يرتكب فيه كبير المشقات وقل ان تسمح بالكف
عن جميع المنهيات او بعضها من خوض فيما لا يعني ونحو مما
هو ادنى واعلى من كل ما للنفس فيه لذة او ضرب من مرغوب ٥
الاستراحات ولهذا من راقب الله سبحانه وتعالى في كفه من كل
ما نهاه عنه واقتصر في الاعمال على الفرايض وما تكمل به من
سننها وفضايلها فقد بلغ الغاية في الولاية والاجتهاد
في الطاعة وان قلت صلاته وصيامه وذكره اللساني وتلاوته
للقران وقيامه بالليل وفي الحديث من اطاع الله تعالى فقد
ذكر وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقران ومن عصاه

فقد

فقد نسيه وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقران او
كلام يقرب منه فكان الداعي على هذا يقول يا مولاي امتن علي
بتوفيق وهو خلق انفس الطاعات المقارنة للقدرة الحادثة
وخصوصا منها نيل التقى وهو كفي عن كل ما نهيتني عنه نهي
تحريم او كراهة فلتحرز حظي منه يا اكرم الاكرمين وملجاء
المضطرين **قوله** منك الهداية للتوفيق هو على حذف مضاف
والهداية هنا بمعنى الارشاد والتقدير منك وحدك يا مولاي
تباركت وتعالت الارشاد الى اسباب التوفيق وطرقها
العادية من ملازمة العلما العاملين وتحصيل العلوم النافعة
والتسلوك في منازل الولاية بتربية الوارثين المربين ونحو
ذلك مما جرت عادته تعالى ان يوفق العبد عندها وهذا اللفظ
من المولف اعانه الله تعالى وان كان بصورة الخبر فالمقصود
منه اللجا الى الله تعالى في ارشاده العبد الضعيف الى
هذه الاسباب ثم يمده مع ذلك بالانتفاع بها اذ كم من
عبد يمسي ويصبح بين علما عاملين واوتادا واقطاب الى
غير ذلك من اسباب التوفيق عادة وقدير يعبنه رسله
عليهم الصلاة والسلام ويريه معجزاتهم بل وقدير اشرف
خلقه واكرمهم عليه سبحانه سيدنا ومولانا محمدا صلى الله
عليه وسلم ثم مع ذلك كله لم ينتفع ولا نالته هداية م
لان يرد تلك الموارد العذبة ويروي بزلال مناهلها
المطردة المعينة ومات عطشا ولا حول ولا قوة الا بالله
ولقد صدق واحسن من قال

فيا عطشى والماء زلال اخوضه ٥ ويا وحشتي والمونسين حضور

والحاصل ان هذه المناجات الشريفة والضراعة التي ذكرها
المؤلف رضي الله تعالى عنه قد تضمنت اللجا الى المولى تبارك

تعالى في ثلاثة امور نفيسة جامعة لجميع الاغراض الدينية
احدها الهداية الى اسباب التوفيق وطرقه العادية التي تعبدنا
الشرع بطلبها واستنطاه الله تعالى عبدها من علوم واحوال
وتربية وغيرها الثاني التوفيق وهو في احد القولين خلق الله تعالى
للعبد قدرة اكتسابية تتعلق بنيل تقى لانها وان لم يكن لها
تاثير البتة فقد اختار مولانا تبارك وتعالى جعل مقارنتها وتعلقها
بالاعمال الصالحة شرطا في لاعتقاد بها فتعين التشوف لها
والاعتناء بطلبها الثالث نالة التقى وهو التحفظ والتحرز من
غضب الله تعالى الذي لاطاقة لمخلوق عليه بفعل ما امر به تبارك
وتعالى وترك ما نهى عنه والاول من هذه المطالب وسيلة للثاني
والثاني وسيلة للثالث وانما لم يزد المولف رضي الله تعالى عنه
في هذه الضراعة سؤال مطلب رابع وهو المقصود من التقى كالطمع
بدخول الجنة والامن من العذاب والفوز برضوان الله والتمتع
بما لا غاية فوقه من رؤيته تبارك وتعالى اكتفا منه في هذا
المطلب الشريف بوعد تعالى الصادق واهتماما ايضا منه
بالتضرع الى المولى الكريم جل وعلا ان يمن على العبد الضعيف
بالقيام بالوظايف التي كلفه تبارك وتعالى بها اذ الاقتصار
على طلب هذا النوع وعدم التطاول واظهار التشوف الى ما ليس
حقا على الله تعالى من الجزا على الاعمال وانما هو محض فضل منه
تبارك وتعالى هو ادخل في مقام العبودية واحقار النفس
وملاحظة قدرها الدني باظهار الاعراض عن طلب حظوظها
العاجلة والاجلة وهو انسب لحسن الادب بترك ما يوهم توقف
طاعته على ثواب ما واد على ان خوف العبد من التقصير فيما
كلفه به مولانا جل وعلا لكثرة عيوبه وتزاد في موانعه وقوا
انساه شوون نفسه وشغله ذلك عن كل مطلوب ولهذا اتى

المولف

المولف رضي الله تعالى عنه اثر هذا بذكر عيوب النفس التي
يتعذر معها النفوذ الى شي من الخيرات ان لم يكن للعبد الضعيف
تاييد وحراسة من جهة المولى تبارك وتعالى

واعلم ان عيوب النفس مهلكة، اقلها ميلها للعجز والكسل
وحالتا كلتا في النفس واحدة، لان علتها اربت على المعلل
فنسال الله عونا فهو ملجانا، على نفوس فتست للخير لم تمل

لاشك ان عيوب النفس وان كثرت فمرجعها الى ثلاثة انواع
الاول ان تحول بين العبد وبين العمل بما كلف به اما تشاغلا
بالاضداد من المعاصي والشهوات واما عجزا وتكاسلا ونفورا عما
اشتملت عليه التكاليف من المشقات وميلا الى جانب الدعة وركون
متون الراحات الثاني ذا غلب العبد النفس ودخل بها العمل
المكلف به طوعا او كرها مزجت له صاحب العمل الطيب من سموم
القاتلة او المعيبة ما يمنع ذلك العمل الصالح من الصحة او القبول
وربما يهلك العبد دنيا واخرى وينعكس عليه بسبب عيب نفسه
ما كان وثق به من الظفر بالمامول الثالث اذا غلبها العبد حتى
اتم العمل الصالح على الوجه الذي طلب منه سالما من العيوب
حاولت عليه بعد ذلك بتعظيم ذلك العمل في عينه حتى يعجب به
او ينسبه لحوله وقوته او يتكبر بسببه على من لم يتصف به او ينسيه
رؤية نفسه فيه ما يجب عليه من الشكر له تعالى عليه او يستطيل
بسببه لسانه او قلبه على غيره باذايته له بغيبته او نميمته
او سوء ظنه او حضور لذلك من غير تكبر منه بحيث ينتقل
بظلمة واحدة منها جميع اعماله عمره ان قدر قبولها الميزان
حسنات غيره فكيف بالكثير من تلك الاذايات والمظالم مع
قلة العمل المقبول او عدمه اصلا ويجب ان يعظه الناس
ويخدموه على ذلك العمل ويرى لنفسه حقا عليهم بسببه

شبكة الألوكة www.alukah.net

اويدلي به على الله تبارك وتعالى فيطلب منه خوارق العادات
التي يمن بها على خاصة اوليايه ويظن لجمقه انه دخل بسبب عمله
في وسطهم وانله بسبب ذلك استحقاقا على الله تعالى في انالة ما
يتمناه عليه الى غير ذلك من عظايم الخبايث وكبايم امراض القلوب
والجوارح التي لا تبقى ولا تذر وكل واحد من هذه الانواع الثلاثة
قد اشتمل على جزييات لا يمكن استيفاوها واذا كان العبد الضعيف
الجاهل معمورا من جميع جهاته بهذه المعايب والافات التي خرجت
عن حد الحصر في الكثرة ويخفى اكثرها على العقل الابارشاد الله تعالى
ثم يضم الى ذلك احاطة شياطين الجن والانس به المذنبين له كل
قبيح حتى يستخف شانه الشاغلين له على جميع مراشده حتى تتعذر
عليه او تثقل في نفسها او يفعلها اصلا فاني للعبد الضعيف
الحقير الجاهل العاجز بالنجاة من هذه المضايق الا بعون عزيز
من المولى العظيم الملك القادر لجميع الخلايق اذ منه جل وعلا
مبدوها واليه وحده مرجعها لا شريك له تبارك وتعالى
فلا حيلة اذن للعبد الضعيف الا بترك الحيلة والقا النفس
وجميع الاغراض تضرعا وابتها لا بين يدي خالقها ومدبر امرها
رب العالمين تبارك فلهذا التجا المؤلف رضي الله تعالى عنه
لما ذكر كثرة هذه الافات واستشعر العجز عن مقاومتها الى
المولى تبارك وتعالى وحده فقال فنسال الله عونا الخ **قوله**
على نفوس قست يعني لم تكن ولم تترجح غاية الانزعاج لاجابة
نداء الحق وتنفطر عند سماع امر خالقها ملك الاملاك وسماع
نهيه وتحذيره ووعده ووعيده وتقريبه وتبعيده بل بقيت
لجمقها الذي اعيا الاطبا علاجه على راحتها وثانيها كان
المقصود بتلك الاوامر والنواهي سواها وكانت تلك العظايم
والاهوال المستقبلة امنت هي منها بحيث لا تراها ولا تعشاها

فيا عجبا

فيا عجبا لنفس تتطاير ولا تملك صبرا على ما هو ادنى من تخس الابرة
وتشح باعطا الدنيا والاخرة وبكل شهوة قذا من ادنى الم يصيبها
مع ذلك بهذا الامر العظيم الذي لا يستطاع وصفه بمباشرته
وذوقه فتحامقت وتصاممت وتكاسلت وتجاهلت وتماوتت
كان الادراك منها قد سلب وكان لها قدرة على ان تصبر لمباشرة
ادنى هول من تلك الاهوال التي عن قريب ستراه او ترد عليه ٥
وتعرف حينيذ ان ادنى هول من اهوال الموت وما بعده يضمحل
فيه جميع اهوال الدنيا والاخرة وانواع عذابها وقد حكى سبحانه
وتعالى عما هو اجلد منها واقوى شديد الخوف من هذا الامر
والتصدع لاجله فقال جل من قايل لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال تعالى ثم قست
قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وقال
جل من قايل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان فهذا كله
يدل على ان السعادة والشقاوة امران حكم بهما مولانا جل
وعلا في الازل لا يتبدلان ونصب عليهما امارات لا بد من وقوعها
ومن يضلل الله فلا هادي له **قوله** للخير لم تمل هو بيان لما
انتجته قسوة النفس يعني انا النفس لاجل قسوتها لم تمل للخير
ميلا يقتضي النهوض لفعل الطاعات وترك المنهيات على
الوجه الذي طلب منها **قوله** اقلها ميلها للعجز والكسل
هو على حذف مضاف فين اي اقل عيوبها ميلها لاجابة داعي العجز والكسل والمراد بالعجز هنا التثاقل عن اداء الامر
المكلف به مع القدرة عليه لعذر او مرض ونحوه والكسل
التثاقل عنه لغير عذر اصلا بل لمجرد طلب الراحة ونحوها ولا

شك ان هذا العيب اذا عظم صاحبه واستمر به الى الهلاك
واجبات وتقاطع محرمات وربما يورى انه ممن يرخص له فيها
لاضطراره اليها وهو كاذب قد التبس عليه الكسل بالضرورة
والتعذر وانما كان الميل لهذين الغرضين من اقل عيوب النفس
لاجل غلبة هذين الغرضين للانفس حتى قل ان يسلم منهما احد
اذ لو سلم العبد منهما اضلا لكان لا يفتر عن السعي فيما يقربه
الى الله عز وجل ليلا ونهارا صحة وسقما ومرضا ويكون
عبادته حينئذ كعبادة الملايكة عليهم الصلاة والسلام
فيما حكى الله عز وجل عنهم فقال ومن عنده لا يستنكفون عن
عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ولا شك ان العيب الذي هو من طبع البشرية وملازم لها لا
ينقطع له الا اذا عظم وخرج عن المالوف فهو من اقل عيوبها
قوله وحالنا كله في النفس واحدة يعني انها واحدة في
مطلق عدم السلامة من معايبها وشرورها والا فمعلوم ان
الناس متفاوتون في تلك المعايب وبعض الشر اهون من بعض
قد قيل حسنات الابرار سيئات المقربين قوله لازعلتها
اربت عن العلل يحتمل ان يكون على حذف الصفة اي علتها
زادت على العلل المعروفة او المشهورة او المذكورة في الكتب
ونحو ذلك مما لا يقدر ولهذا كل عارف نحله سيتخرج من
معايبها ما لا يستخرجه غيره وينقطع لما لا ينقطع له سواه
كل على قدر معرفته وبحثه وتاييده في ذلك نبه المؤلف
على هذا ليلا يشق لعاقل بنفسه ويامن من جهتها اذا لم
يرفها العيوب المشهورة العامة ويحتمل ان يكون اراد
المؤلف بعلة النفس العلة المعنوية الدينية المهلكة
في الاخرة وبالعلل التي اربت عليها العلل الحسية

المهلكة

المهلكة في الدنيا من الامراض والاسقام وتكون زيادة
علل النفس على هذه العلل بحسب الكم والكيف اما بحسب الكم
فهي اكثر عددا منها بكثير اذ الامراض انما تكون في بعض الازمنة
وتلك العلل لا تفارقها في كل زمان وفي كل حركة
وسكون ولمحة وخطوة وطرفة حضرا وسفرا صحة ومرضا واما
بحسب الكيف فصفتها من الاضرار لصاحبها والاهلاك له
يرى باضعاف مضاعفة لا حصر لها على اضرار الامراض والاسقام
اذ ضرر الامراض والاسقام انما هو دنيوي فقط والدنيا لا
قيمة لها ولا قدر اصلا فما كدر امرها لاعظم له البتة ثم
كل ضرر يصيب منها فبازايه ثواب عظيم تفضل به مولانا جل
وعلا على من وفقه للصبر له والقيام بحقه في ذلك وفيه
من زيادة التعرف الى المولى جل وعلا والتضرع بين يديه
واللجا بالظاهر والباطن اليه والتنبه لدقايق الطافه
وعظيم قهره وسجن النفس للتامل في عظيم جرائها مع شدة
ضعفها وعدم قدرتها على مقاومة شئ من عذاب الله تعالى
وان قل جدا الى غير ذلك من الفوايد الكثيرة التي يستفيدها
المومن بامراضه واسقامه ما يزني على عبادة الثقلين
واين هذا من مصايب عيوب النفس وضررها الذي يحول
بين العبد وبين رضى مولاها تبارك وتعالى عوضا من كل هالك
ولا عوض عن رضى مولانا جل وعلا الذي لا يملك الصبر عنه
ولا عوض منه البتة ولا ثواب في مصيبته بل فيها مع ذلك
اشد العذاب واعظم الحجاب ولا خفا ان في رضى مولانا جل
وعلا عوضا من كل هالك ولا عوض عن رضى مولانا جل وعلا
فقد استبان بهذا ان علل النفس قد اربت على علل
الابدان كما وكيفا ويكون المؤلف رضي الله تعالى عنه اتى

بهذا الكلام على هذا الاحتمال لينهض الهمة الى تعريف عيوب
النفس والبحث على مداواتها وحمل النفس على شرب المر من ادويتها
او بذل الاموال وغيرها للظفر بالشفا منها وتحمل مشاق بعيد
الاسفار للقا الاطبا العارفين بها وبادويتها اكثر بكثير
من لهوضها المعاناة علل الابدان بمر الاشربة وبالكي والقطع
وغير ذلك وهذا الاحتمال الثاني اظهر في كلام المؤلف ويدل
عليه قوله اولا في عيوب النفس انها مهلكة فاراد بعد ذلك
ان يبين ان الهلاك الناشئ عنها اعظم بكثير من الهلاك الناشئ
عن علل الابدان فوجب لذلك ان يعتني العاقل بشان عيوب
نفسه ويخاف منها اشد واكثر بكثير من علل بدنه والله تعالى الهادي
وبه التوفيق لا رب غيره

جاهد بجد عسى بالله تغلبها الله در ان جاهد من رجل
يعني انه قد تقرر لك بما مضى شدة العداوة بينك وبين نفسك
لانها ابدا ساعية بتصرفاتها الشهوانية وخواطرها الوهمية
فيما يظلم قلبك ويحول بينك وبين مراشدك ويوجب هلاكك
دنيا واخرى وهلا هو نهاية العداوة التي لا يرضى بصحبة من اتصف
بها بل ولا بالتقصير بالتحرز منه الا من هو مسلوب العقل
فاقد الادراك واذا كان امر نفسك على هذه الصفة وجب
عليك شرعا وعقلا وعرفا ان لا ترضى عنها ولا تالو اجهدا
في جهادها واعداد كل قوة تمكنك لدفع مكايدها وحقيقة
مجاهدة النفس دوام لزوم مخالفتها فيما تهواه وتشتهيه
بمقتضى الطبع لا بمقتضى الشرع من الحظوظ الظاهرة الجلية
والباطنة الخفية من الشهوات والارادات ودواعي النفس
وامانيها واختياراتها الا ما لا بد من حظوظها طلبا للاستقامة
واستيفا وثباتا على المقامات **قوله** بجد يعني بتعب واجتهاد

والتنكير

والتنكير فيه اما للتعظيم اي بجد عظيم اعظم من الجد الذي يكون
في جهاد الكفار باضعاف مضاعفة بل ذلك الجهاد اعني جهاد
الكفار وما في معناه من المبتدعة والمحاربين لا ينتفع به
الا اذا كان معه هذا الجهاد الذي هو جهاد النفس واما
للتنويع اي بنوع من الجد مباين لغيره مما يكون في سايرانواع
الجهاد وذلك النوع هو تحمل مشاق التكاليف التي لا يشوبها
غرض النفس **قوله** عسى بالله الخ يعني انك ان جاهدت نفسك
وسلكت معها طريق الخلاف لكل ما تدعوا اليه بجد عظيم
لا توانى فيه ولا تقصير امتثالا لامر الله تعالى وطلبا لمرضاته
في نصب العداوة وعظيم المحاربة مع كل ما يعارضك في اخلاص
العبودية له تبارك وتعالى ويحول بينك وبين شريف رضاه
جل وعلا فانه يرجى لك من المولى الكريم ان يعينك على نفسك
ويذللها لك ويكفيك مضرتها ويكشف لك عن طرق الهداية
الى مواضع الامن من مكايدها قال تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وقد حض سبحانه في القران على ابلاغ الوسع في
الجهاد لاجله فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
واعبدوا ربكم الى ان قال وجاهدوا في الله حق جهاده ولهذا
قالوا ان من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه
الطريقة شمه وقال ابو عثمان المغربي من ظن ان يفتح الله تعالى
عليه بشيء من هذه الطريقة او يكشف له عن شيء منها بغير لزوم
المجاهدة فهو في غلط وقال الاستاذ ابو علي من لم تكن له في بدايته
قوة لم تكن له في نهايته جلسة **قوله** لله در ان جاهد
من رجل هو كلام يستعمل للتعجب واصله في التعجب من كثرة درناقة
ونحوها باللبن على خلاف المعتاد من نوعها واضافوا ذلك الى
الله تعالى تنبيها على انه لا يقدر على عظايم الامور الخارقة للعادة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سواه تبارك وتعالى ثم صار ذلك الكلام يتعجب به فى كل ما
يستغرب وانما تعجب المولف من الرجل الذى وفق لجهاد نفسه
واعتنايه بشان عيوبها لندور وجود مثله اذ الاكثر
فى العباد والزهاد فضلا عن غيرهم مبتلون بالرضى عن
انفسهم والمسالمة لها فى غير ما هم فيه من العبادات والزهد
حتى افسدت النفوس عليهم ما هم فيه مما ظنوه خيرا وعبادة
بادخال اغراض لها فيه وشهوات ومعائب جلية وخفية
ولا خفا ان كل من كانت همته كثرة الاعمال والدخول فيها
قبل ان يعرف مكايد النفس ويتطهر من معايبها كان فساد
فى اعماله اكثر من صلاحه بل لا تزيده تلك الاعمال الا قساوة
واختلالا اما من كانت همته اولا معرفة معايب نفسه
وافاتها ما دق منها وما جل ثم لما عرفها نهض مستعينا
بالله تعالى وممتثلا لامره جل وعلا الى جهادها ومحاولة
محوصفاتها الذميمة واستبدالها بالصفات المرضية
المستقيمة حتى يدخل العمل الصالح بنفس مهذبة مرضية
يرتجى خيرها ويؤمن شرها فهذا هو الحازم الذى اتى الامر
من بابه وتمسك فى بلوغ رضوان الله تعالى دنيا واخرى
باوثق عراه واقوى اسبابه وبالله تعالى التوفيق وهو
المستعان لا رب غيره ولا مامول الا خيره

فحظها غير ما يعنيك تتركه ... بذا استعان عليها كل ذى عمل

لا شك ان اصل المجاهدة وملاكها فطام النفس عن المالوفات
وحملها على خلاف هواها فى عموم الاوقات وللنفس صفتان
انهماك فى الشهوات وتمنع من الطاعات فاذا اجمحت
عند ركوب الهوى وجب ردها بلجام التقوى فاذا حرنت
عند القيام بالمامورات وجب سوقها على خلاف الهوى

ويجمع

ويجمع هذا عدم مساعدتها على اغراضها وترك متابعتها على
حظوظها والى ذلك اشار المولف فى هذا البيت وكانه قصد
ان يبين به كيفية جهاد النفس المامور به فى البيت السابق
وحاصل الامر فى النفس انها شيطانة فى حالها بالكافر الحربى
الذى يريد ان تكون كلمة الكفر هى العليا وكلمة التوحيد
هى السفلى وكذا النفس تريد ان تكون كلمة باطلها من الدعا
للحظوظ العاجلة المشتغلة عن اخلاص العبودية لمولانا
جل وعلا وعن القيام بوظايف تكاليفه على الوجه الذى امر به
تجى العليا النافذ امرها ونهيها فى مدالاجسام وما تعلق
بها بعد ان نزلت بساحة الابدان واتصلت بها اتصالا عظيما
لا انفكاك عنه الا بالموت فوجب بذلك على كل مومن يعظم
حرمات الله تعالى ان ينهض كل النهوض بغاية قواه العلمية
والعملية لجهادها وقتالها وفى مثل هذا القتال الذى
نزل العدو فيه بساحة الابدان واتصلت بها اتصالا عظيما
لا انفكاك عنه الا بالموت فوجب بذلك وهو فرض عين على كل
مومن يسقط به استيذان الابوين وغيرهما ويجب على المومن
ان ينوى فى هذا الجهاد ما ينويه فى جهاد الكفار فينوى فيه
امتثال امر الله تعالى بان يجاهد النفس حتى تكون كلمة الله
تعالى من الامر باخلاص العبودية له فى الظاهر والباطن
والسر والعلانية وعلى كل حال وفرض كل ما سواه فى ذلك
هى العليا النافذة عملا وامتثالا وتعظيما فى جميع اجزاء البدن
الظاهرة والباطنة وذلك لا يكون الا لقتال النفس حتى
تطمئن وتنقاد للحق طوعا وتغلب وتستسلم لاداء جزية الاستعباد
بها على الطاعة لله تعالى بشرط ان تنزل لموضع الذلة والهوان
حيث تنالها احكام الايمان وتنفذ فيها طوعا وكرها ويكون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اداوها الجزية الاستعانة بها على الطاعة عن يد لا تؤخر ولا
تقتل معها عذر ولا مماطلة وهي صاغرة لا تحمد على ما بذلت
من الاستعانة بها ولا ينظر الى جهتها ولا يعبأ بها في ذلك
ولا تنال بذلك البذل عزا ولا قدرا عند المومن اصلا وانما
يرى المنة في ذلك للمولى الكريم وحده اذ هو الذي ذللها له
ومكنه من الاستعانة بها على طاعته طوعا او كرها مع شدة
شكيمتها وعظيم كفرها ومعارضتها بهواها وشهواتها احكام
الله تعالى ولا يزال المومن ينظر بها مع هذا الذل العظيم لها
منه نظر عداوة اذ يعلم انها لو وجدت سبيلا الى خروجها
عن هذا الامر والذلة التي هي فيها ورجعت الى وطن اخلاقها
الذميمة لاهلكت الحرث والنسل وهذا تعرفه انه لا يتمكن
المومن من الاستعانة بالنفس على ما يعنيه من طاعة الله تعالى
الا ان يغلبها وتكون عنده في الذلة وعدم الاجابة الى حظ
من حظوظها بهذه المثابة التي ذكرنا واما من استعان بها على
ما يعنيه وهي عزيزة عنده وحظوظها قايمة واوامرها مطاعة
وشهواتها حية فانها تهلكه ولا ينتفع بشئ من اعماله في الغالب
ولتوقف الاستعانة بها في طاعة الله تعالى قدم المولف رضي الله
تعالى عنه المعمول الايذان بالحصر في قوله بذا استعان عليها الخ
اي بغلبتها وعدم اجابتها الى حظوظها استعان على الانتفاع
بها كل ذي عمل وفي رسالة القشيري عن ذي النون المصري قال
ما اعز الله تعالى عبدا بعز هو اعز من ان يذله على ذل نفسه وما
اذل الله تعالى عبدا يذل هو اذل من ان يحجبه عن ذل نفسه
وقال ابراهيم الخواص ما اهانني شيء الا ركبته وقال محمد
ابن الفضل الراحة هي الخلاص من امانى الشيطان وقال
ابو حفص النفس ظلمة كلها وسراجها سترها ونور سراجها التوفيق

فمن

فمن لم يصحبه في سره توفيق من ربه كانت ظلمة كلها واراد م
بسرها ما فيها من نور الايمان والتوحيد لكن لا ينفع ذلك في
الخلاص من شرور النفس الا بتوفيق الله تعالى وقال ابو عثمان
لا يرى احد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئا وانما يرى
عيوب نفسه من يتهمها في جميع الاحوال وقال ابو حفص ما اسرع
هلاك من لم يعرف عيب نفسه فان المعاصي يريد الكفر وقال
ابو سليمان ما استحسنت من نفسي شيئا فاحتسبته وقيل
اذا اراد الله تعالى ان ينقل العبد من ذل المعصية الى عز
الطاعة انسه بالوحدة واغناه بالقناعة وبصره بعيوب
نفسه فمن اعطي ذلك اعطي خير الدنيا والآخرة

فراقب الله في سرو في علن، تنل مقاما من الاحسان فيه على

لما حض الشيخ على مجاهدة النفس وبين ان ذلك الجهاد انما هو
بترك حظوظها ولا ان ذلك من اشد الامور وابعدها اذ هو اصعب
من جهاد الكفار بكثير لان جهادهم امر فيه باذلالهم ومحو كفرهم
بكل ما امكن ولو بالهلاك ذواتهم واعدامهم وجهاد النفس امر
فيه باذلال النفس ومحو صفاتها الذميمة الطبيعية لها بغير
اهلاكها واعدام ذاتها بل امر بالمحافظة على حياتها وجعلها
حقا يجب ان يوصل اليها ذكر في هذا البيت آلة عظيمة يتمكن
بها من غلبة النفس وتذليلها ولا بد لها البتة بمقاومتها
وتلك الالة هي مراقبة المولى تبارك وتعالى في كل حال وحقيقة
المراقبة دوام استحضار المومن اطلاع الله تبارك وتعالى
على جميع احواله ظاهرة كانت او باطنة كما قال جل من قايل
وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل
الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ولا يخفى ان لزوم المراقبة
يوجب خمود النفس بالكلية وحضور القلب بنفي الخواطر وضبط

شبكة الألوكة www.alukah.net

الجوارح والانفاس وعدم الغفلة عن حركاته وسكناته صلحا
لها بقوة الشوق والمحبة مطلعا على ان اطلاع الله تعالى على ظاهره
وباطنه اكثر مما لا ينحصر من اطلاع من تكون معه من المخلوقات
فحمله ذلك خاشعا من عظمة الله تعالى مخجلا من هيبته ومتلذذا
بمشاق الاعمال الظاهرة والباطنة وبفعلها بعلم ومرأى ومسمع
ممن بيده وحده ملك السموات والارض وما بينهما وما فيهما
من المخلوقات وبيده ملك الدنيا والاخرة وجميع منافعها ومضارها
لا شريك له ولا مدبر معه ولا يرجى كل خير دنيا واخرى الا منه ولا
يستدفع كل ضر دونها الا به ولا يرضى الا رضاه ولا يغضب الا غضبه
ولا عفو الا عفوه ولا عقوبة الا عقوبته ولا عز يدنيا واخرى
الا من اعزه ولا ذليل فيهما الا من اذله ولا قريب الا من قربه
ولا بعيد الا من ابعده فلا شك ان النفس تكون في هذه الحالة
غائبة عن جميع حظوظها متولهة في حضور كمال من تحيرت
العقول في كنه جلاله وجماله الا ترى اجناد الملوك وعبيدهم
اذا كانوا يفعلون الافعال التي يأمرها الملك بين يديه
ومرأى منه ومسمع وان كانوا هم محجوبين عن رؤية الملك كيف
يتلذذون بمشاق تلك الافعال بين يديه وكيف يتنافسون
ويتسابقون فيها الى نيل محبته ورضاه بل تجد الواحد منهم
يرمي بنفسه للموت والهلاك بين يدي الملك ولا يفرح على
نفسه ولا على ما يصيبه من الم ولا يتفكر فيما يفارق من مال
وعز واهل وولد كل ذلك اسكره عنه وغيبه حضور هيبة
الملك بقلبه ولذة مشاهدته لافعاله واذا كان هذا
في حضور مخلوق عاجز على الحقيقة كل العجز عن مصالح نفسه
ومصالح غيره فكيف يكون الحال فيمن يتصرف في الاعمال بين
يدي ملك الملوك وبمرأى منه ومسمع ولهذا قال بعض الصالحين

من

من راقب الله تعالى في خواطره عصمه الله تعالى في جوارحه ٥
وسئل ابو الحسن بن هند متى يهش الراعي غنمه بعصى الرعاية
عن مواقع الهلكة فقال اذا علم ان عليه رقيبا وقيل كان ابن
عمر رضي الله تعالى عنهما في سفر فرأى غلاما يرعى غنما فقال
ابتع من هذا الغنم واحدة فقال انها ليست لي فقال على سبيل
الاختبار قل لصاحبها ان الذيب اخذ منها فقال العبد فاين
الله تعالى فكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول بعد ذلك الى ثمدة
فاين الله عز وجل وقال ذو النون علامة المراقبة ايثار
ما اثر الله تعالى وتعظيم ما عظم الله تعالى وتصغير ما صغر الله
جل وعلا وقال النصرباذي الرجا يحركك الى الطاعات والخوف
يبعدك عن المعاصي والمراقبة تؤديك الى طرق الحقايق وقال
الجريري امرنا هذا مبني على فصلين وهما ان تلزم نفسك ٥
المراقبة به تعالى ويكون العمل على ظاهرك قائما وقال
ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه
الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال
ايضا قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك
ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك
والله تعالى رقيب على باطنك وفي رسالة القشيري في مناقب
سهل بن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه قال كنت ابن
ثلاث سنين وكنت اقوم الليل انظر الى صلاة خالي محمد بن
سوار وكان يقوم بالليل فربما كان يقول لي يا سهل اذهب فنم
فقد شغلت قلبي قال وقال لي يوما الا تذكر الله الذي
خلقك فقلت كيف اذكره فقال قل بقلبك على فواشك ثلاث
مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله
شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قلها في كل ليلة

سبع مرات فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قلها في كل ليلة
احدى عشر مرة فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة ه
قال لي احفظ ما علمتك ونم عليه الى ان تدخل القبر فانه
ينفعك في الدنيا والاخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت
لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله
تعالى معه وناظرا اليه وشاهده يعصيه اياك والمعصية
وبالجملة فمن اراد ان تسهل عليه مشاق الطاعات وتسمح نفسه
بترك ملاذ الشهوات وان عظمت فليلزم مقام المراقبة
الذي استفيد التصديق بعلمها مما سبق في العقايد **قوله**
في سر وفي علن يعني لما كانت الاعمال على ضربين ظاهرة وباطنة
وكان الكل مستويا في علم الله تعالى وسمعه وبصره وجب على
المومن ان يراقب الله تعالى فيما يريد الاقدام عليه من نوعي ه
الاعمال الظاهرة والباطنة **قوله** نزل مقاما من الاحسان
فيه على من للتبعيض يعني ان المراقبة هي اخر مقامات الاحسان
الثلاثة وهي المراقبة والمشاهدة والمعرفة ويجمع جميعها
قوله صلى الله عليه وسلم في تفسير الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولكل من تلك المقامات
شروط وآداب وعلامات وكرامات وعلل ونوصيات ليس
هذا موضع ذكرها وبالله تعالى التوفيق ه

وكر جزينا كسير لقلق اوجل، اياك والكبر فيه عظم الزلل
من نطفة يعلم الانسان مبداوه، وجيفة اخرا والبطن منه ملي
ترجو النجاة من المولى وتاملها، كيف النجاة وكبر القلب يزل

هذا ايضا من الالات العظيمة التي يستعين بها المكلف على
غلبة النفس وترك حظوظها وهو التزام مقام الحزن وهو تالم
النفس لما فاتها او تخشى فواته من حظوظها من المولى تبارك

وتعالى

وتعالى اذ ما جلب الحزن صاحب مصيبة او مصايب على قدرها
ليستحضر في حزنه من العظايم الذي يحزن عليها وشان النفس
انها تتغمر حظوظها وتموت شهواتها عند صدمات المصايب
وايلامها اياها واكتساب مقام الحزن هو بالتفكر في اسبابه
ولا شك ان اسباب الحزن متوفرة على العاقل لان احواله منحصرة
في الماضي والحال والمستقبل وانما تقلب بنظره في هذه الثلاثة
عظمت مصيبته واشتد حزنه لانه ان نظر فيما مضى وجده
قد ذهب سبيله بطايفة كثيرة من عمره لا تخلف ابدا وقد
احتوى على تفريط ومخالفات وخسارات وبقوات كل واحد
منها ينقطع عليها القلب حسرات وبعض على يده تلهفا على
الرمي بجواهر الاوقات واللحظات فيما لا قيمة له ولا بال له
من اللعب وما لا يعني بل منه ما هو سم قاتل ذهبت عوارض
لذاته وبقيت دواعي عقوباته من الاباطيل والترهات
وان نظر الى الحال وجد اعضاه ثقيلة غير مجيبة له ولا
ناصرة وهمة ردية فاترة وموانع قاطعة متصلة ه
ومنفصلة ممانعة عن بلوغ الامل بين يديه مايلة ولا تسمح
معه حاضرة ووجد بضاعات طاعاته فضلا عن معاصيه
معيبة كلها مغشوشة ولا تصلح للقبول بل هي كاسدة
لغشها مطروحة بايرة وان نظر الى المستقبل قوي فيه الخوف
من الداهية الدهيا والمصيبة العظمى وهي ان يسلب
جزاء على عمله الخبيث او تنفيذا لما جرى به الحكم الازلي اصل
المعرفة والايمان ويحق عليه كلمة العذاب بالياس من رحمة الله
تعالى والحلول مع اعدائه الكفرة ابد الاباد في دار الهوان
وفيما لا يطاق من غضبه تعالى والتبعيد عن لطفه والحجب عن
التمتع بشريف رويته وجوار في جنته وذلك غاية الحرمان

ثم يتامل العاقل ما هو قادم عليه عن قرب من عظايم واهوال
لا يستطاع سماعها فكيف بمباشرتها والاتصال بها وقد روى
ان في الاخرة عشر مايه الف هول لواحد منها اعظم من اهوال
الدنيا عشر مايه الف مرة هذا والسير به الى مباشرة تلك
الاهوال سريع حثيث ولعله في الحال على شفا جرف منها وهو
لا يشعر هذا مع جهل خاتمته وانطوا امر عاقبته فاني للعاقل
اني سرور او سلوة مع توفر هذه المصايب وكثرتها وعظمها
من غير معرفة ولا اعتقاد ولا ظن للخلاص منها فسبحان
الملك القهار الذي ثبت الارواح والابدان واضحك واسر
وسلى مع العلم اليقيني بهذه العظايم فقول الشيخ وكن حزينا
كسير القلب اوجل يحتمل ان يكون اشارة بهذه الثلاثة هي
التي امر بها الى احوال المكلف الثلاثة التي قدمناها فيرجع
قوله حزينا الى الماضي لان كثيرا ما يستعمل لفظ الحزن لما
ويرجع قوله كسير القلب للحال لانه كثيرا ما يقال انكسر
قلب فلان اذا لم يرض في نفسه وبين اقرانه ما يسره ويرجع
قوله ذا وجل اي ذا خوف للمستقبل لانا كثر ما يستعمل فيه
الخوف المستقبل وان كان سببه ماضيا ويحتمل ان يكون
الشيخ استعمل الحزن في الاحوال الثلاثة وما بعده مشيرا
للحزن مقوله او هو بيان لفايدته وبعض ثمراته ولا خفا
ان لمقام الحزن فوايد وثمرات كثيرة من اعظمها انعمار
حظوظ النفس كما تقدم ومنها قوة العزم ونهوض الاعضاء
بلا تثاقل للعمل ومنها اجتماع الفكر والهمة لاحسان ما ينتنا
من الافعال وكذا قال اهل التصوف الحزن يقبض القلب
عن التفرق في اودية الغفلة قال القشيري سمعت الاستاذ
ابا علي يقول صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعالى في شهر
ما لا

ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين وفي الخبر ان الله تعالى
يحب كل قلب حزين وفي التوراة اذا احب الله عبدا نصب
في قلبه نايحة فاذا ابغض عبدا جعل في قلبه مزمارا وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان
دايم الفكرة وقال بشر الحارث الحزن ملك فاذا سكن في
موضع لم يرض ان يساكنه احد وقيل القلب اذا لم يكن فيه حزن
يخرب كما ان الدار اذا لم يكن فيها ساكن تخرب وقال ابو سعيد
القرشي بكا الاحزان يعمي وبكا الشوق يغشى البصر ولا يعمي قال
تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وسمعت رابعة
العدوية رجلا يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو
كنت محزونا لم يتهنيا لك ان تتنفس وقال سفيان بن عيينة
لو ان محزونا بكى في امة لرحم الله تعالى تلك الامة ببكايه
وكان داود الطايي الغالب عليه الحزن وكان يقول يا ليل
الهي همك عطل علي الهموم وحال بيني وبين الرقاد وكان يقول
كيف يتسلى عن الحزن من تجدد عليه المصايب في كل وقت
وقيل الحزن يمنع من الطعام والخوف يمنع من الذنوب وقال
سري السقطي رضي الله تعالى عنه وددت ان حزن الناس
كلهم علي وتكلم الناس في الحزن فقالهم قالوا انما الحزن حزن
الاخرة فاما حزن الدنيا فهو غير محمود الا ابا عثمان فانه
قال الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمومن ما لم يكن بسبب
معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا فانه يوجب تمحيصا وعن
بعض المشايخ انه كان اذا سافر واحد من اصحابه يقول اذا
محزونا فاقرييه مني السلام قال القشيري سمعت الاستاذ
ابا علي يقول كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها ما كل طلعت
اليوم على محزون وكان الحسن لا يراه احد الا ظنه حديث عهد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمصيبة وقال وكيع لمامات الفضيل ذهب الحزن من الارض
وقال بعضهم اكثر ما يجده المومن في صحيفته من الحسنات
الهم والحزن وقال الفضيل بن عياض كان السلف يقولون لكل
شي زكاة وزكاة العقل طول الحزن وسئل ابو عثمان يوما عن
الحزن فقال الحزين لا يتفرغ عن الخوف فاجتهد في طلبه ثم سل
قوله اياك والكبر الخ تعرض الشيخ في هذه الابيات وفيما
بعدها لذكر بعض افات النفس وعيوبها على الخصوص بعد ما
اشار لها اولا على العموم وكانه قصد ان يذكر امهات عيوبها
وعظايم افاتها المهلكة دنيا واخرى قال الغزالي رضي الله تعالى
عنه في المنهاج ليست هذه الخصلة بمنزلة هذه الخصال التي
تقدح في عمل وتضر بفرع انما تضر بالاصل وتقدح في الدين
والاعتقاد اذا قويت وغلبت لا تتدارك والعياذ بالله تعالى
ثم اقل ما يصيب منها على صاحبها اربع افات احداها حرمان
الحق وعمى القلب عن معرفة ايات الله تعالى وفهم احكام الله
سبحانه قال الله تعالى سا صرف عن اياتي الذين يتكبرون في
الارض بغير الحق وقال تعالى فيطبع على كل قلب متكبر جبار والثانية المقت
والبغض من الله تعالى قال الله تعالى انه لا يحب المتكبرين
وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب من ابغض
خلقك اليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه
وبخلت يده وساء خلقه والثالثة الخزي والنكال في الدنيا
قال حاتم الاصم رضي الله تعالى عنه احببت الموت على ثلاثة
على الكبر والحرص والحيلا فان المتكبر لا يخرجه الله عز وجل
من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل املاكه وخدامه والحريص
لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يجوجه الى كسرة او شربة ولا يجد

لها

لها مساغا والمختال لا يخرجه الله عز وجل من الدنيا حتى يريه
بيوله وقذره وقيل من تكبر بغير حق اورثه الله تعالى ذلا
بحق والرابعة النار والعذاب في العقبى على ما روي ان الله
تعالى يقول الكبر بآئردآئي والعظمة ازاري فمن نازعني في
واحد منهما ادخلته نار جهنم والمعنى العظمة والكبرياء
من الصفات التي تختص بي ولا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان
وازاره يختص بهما لا يشاركه فيهما وان خصلة تفوتك عن معرفة
الحق وفهم ايات الله تعالى واحكامه التي هي اصل الامر كله بئس
ثمر تلك المقت من الله عز وجل والخزي في الدنيا والنار في الاخرة
لا يسع العاقل ان يغفل عن نفسه فلا يصلحها بازالتها
بالحذر والتحرز والاستعاذة بالله عز وجل من ذلك انتهى
قلت وحقيقة الكبر رؤية شفوف للنفس على شي من مخلوقات الله
تعالى ولو كلبا او عذرة ونحوهما ولهذا قالوا لو اكل من لم يقبل
الحق من الشريف والدني اورأى في الناس شرا منه فهو متكبر
قطعا ومن سمع كلمة حق لا توافق هواه فردها فقد رد على الله
عز وجل ثم ان تواضع ورأى انه قد تواضع فهو متكبر اذ رؤية
التواضع دليل على رؤية شفوف للنفس لكنه نزل في زعمه من مقام
الاعلى قال الفضيل بن عياض من رأى لنفسه قيمة فليس له
في التواضع نصيب وسئل عن التواضع فقال يخضع للحق
وينقاد له ويقبله ممن قاله وقيل لابي يزيد متى يكون الرجل
متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى ان
في الخلق من هو شر منه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل
النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فقال رجل يا رسول الله
ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا فقال ان الله جميل يحب الجمال

شبكة الألوكة www.alukah.net

الكبر بطر الحق وغمص الناس بطر الحق احتقارهم وقوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة من
في قلبه مثقال ذرة من كبر يحتمل ان يكون اراد الكبر عن الايمان
بدليل اخر الحديث ويحتمل ان يكون اراد انه لا يدخلها مع السابقين
بل حتى يذله الله تعالى بالهوال الموقف وكونه فيه كالذر
ويقتص فيه لوعيد ويكون اخر الحديث اشار الى انه وان نفذ
فيه لوعيد فلا بد له من الجنة ان مات ومعه اصل الايمان
فيكون اول الحديث يرد على المرجئة واخر الحديث يرد على الخوارج
والمعتزلة ويحتمل ان يكون المراد التحذير من الكبر وانه يخاف
على صاحبه من سوء الخاتمة وسلب اصل الايمان عند الموت فلا
يدخل الجنة اصلا اذ لا يدخلها اصل الايمان كما اشار اليه اخر
الحديث واعلم ان الكبر اصل خبيث في النفس تنشأ عنه خبائث
كثيرة يتعذر هنا استيفاؤها من جملتها الغضب ونتائجه
من سفك الدما والغضب والسب ونحوها ومنها الحسد والغيبة
والريا والسمعة وحب الجاه والمنزلة والتعنيف عند الموعظة
واظهار الشماتة والفضيحة وعدم الانصاف من نفسه وثقل
المونة على كل من لقيه او جالسه او احتاج اليه في امر من
الامور لانه يطلب بسبب تكبره كلاما خاصا ومجلسا خاصا
وفراشا خاصا فلا اثقل من المتكبر على النفوس ولا امقت منه
ولا احقر ولا اذل في قلوب الخلق كما ان المتواضع على الضد منه
في جميع ذلك وقد روي ان المومن سهل المونة طيب السريرة
وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب
الشاة وياكل مع الخادم ويطحن معه اذا اعيا وكان لا يمنعه
الحيا ان يحمل بضاعته من السوق الى اهله وكان يصافح الغني
والفقير

بتعين

والفقير ويسلم مبتديا ولا يحقر ما دعي اليه ولو الى حشف التمر
وكان هين المونة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق
الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوسة متواضعا من
غير مذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم لم
يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده الى طمع وعن انس بن مالك رضي الله
تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض
ويشيع الجنايز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني
قريظة والنضير على حمار مخطوف بحبل من ليف عليه كاف وعن
عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنه قال رايت عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه وعلى عاتقه قربة ماء فقلت يا امير المومنين
لا ينبغي لك هذا فقال لما اتاني الوفد سامعين مطيعين
دخلت نفسي نخوة فاحببت ان اكسرها ومضى بالقربة الى حجرة
امراة من الانصار فافرغها فيها وروى ابو هريرة رضي الله
تعالى عنه وهو امير بالمدينة يمشي فيها وعلى ظهره حزمة حطب
وروى انه تشاجر ابو ذر وبلال رضي الله تعالى عنهما فعير ابو ذر
بلالا بالسواد فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا اباذر انك امرؤ فيك جاهلية ما علمت انه بقي فيك من
امر الجاهلية شيء وكما قال صلى الله عليه وسلم فالقى ابو ذر نفسه
في الارض وحلف ان لا يرفع راسه حتى يطا بلال خده بقدميه
فلم يرفع حتى فعل بلال ذلك رضي الله تعالى عنهما وقال ابراهيم
ابن ادهم ما سررت في اسلامي الا ثلاث مرات كنت في سفينة
وفيها رجل مضحاك يقول كنا ناخذ العلج في بلاد الترك هكذا
وياخذ بشعر راسي ويهزني فسرني ذلك لانه لم يكن في تلك
السفينة احقر في عينه مني ولا اخرى كنت عليلا في مسجد
فدخل المؤذن وقال لي اخرج فلم اطق الخروج فاخذ برجلي وجرني الى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخارج والثالثة كنت بالشام وعلي فرو فنظرت فيه فلم
امتز بين شعره وبين القمل لكثرته فسترني ذلك وفي حكاية
اخرى عنه ما سررت بشيء كسروري يوما كنت جالسا فجاء
انسان فبال علي وقيل مشى عبد الله بن محمد بن واسع مشيا
لايحمد فقال له ابوه رضي الله تعالى عنه تدري بكم اشتريت
امك بثلاث مائة درهم وابوك لا اكثر الله في المسلمين مثله
وانت تمشي هذه المشية وقال الفضيل بن عياض لشعيب بن
حرب وهو في الطواف يا ابا صالح ان كنت تظن انه شهد الموسم
شرمني ومنك فبئس ما ظننت وعن سفيان الثوري رضي الله
تعالى عنه انه قال اعز الخلق خمسة انفس عالم زاهد وفقير صابر
وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني وقال يحيى بن معاذ
التواضع حسن في كل احد لكنه في الاغنيا احسن والتكبر سمج
في كل احد لكنه في الفقرا اسمج وقال الشبلي ذلي عطل ذل اليهود
وقال ابو سليمان من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من التواضع ان يشرب
من سؤر اخيه **قوله** من نطفة يعلم الانسان مبدؤه وحيفة
الخ هذا دواء ذكره الشيخ لعلة الكبر وهو دواء عادي صحيح
ودواه الشرعي ذكر عقوبة الله تعالى لصاحب الكبر ومقته
له وحرمانه من كل خير دنيا واخرى على ما تقدم بيانه ودواؤه
العقلي علمه بان الممكنات كلها على حد السوا ما يقبله ادناها
من الاعراض يقبله اعلاها لا فضل لشيء منها على غيره بحسب ذاته
وانما مولا ناجل وعلا يفضل ما شا بما شا من غير استحقاق شيء
لما من به تعالى عليه من الفضل ثم هو سبحانه قادر على ان
ينقل الادنى الى منزلة الاعلى والاعلى الى منزلة الادنى كما هو
واقع كثيرا بالمشاهدة فكم مومن اصبح كافرا وكم كافر اصبح مومنا

وكم

وكم عزيز اصبح ذليلا وكم ذليل اصبح عزيزا وكم غني اصبح فقيرا
وكم فقير اصبح غنيا وكم كاس اصبح عاريا وكم عار اصبح كاسيا
وكم جميل اصبح ذميما بمرض ونحوه وكم ذميم اصبح جميلا وكم مضئ
اصبح مظلما كالافاق والجو بالليل وكم مظلم اصبح مضيئا الى
غير ذلك مما لا ينحصر فالكبر اذن ردا ه في العقل يشهد بها العقل
المستقيم والشرع والعادة ولهذا قالوا لا يوجد عاقل لا قبل
الشرع ولا بعده متكبرا فان قلت اذا كان الواجب ان لا يرى العبد
لنفسه شفوفا ولو على الكافر والكلب والعذرة بل لا يرى شرا منه
فهذا وان حصل مقام التواضع والخلاص من آفة الكبر كما ذكرتم
فقد وقع بسببه في آفة عظيمة هي اكبر من الآفات وارذلها وهي
كفران النعم بعدم رويتها والشكر عليها وقد قال تعالى يا بني
اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
فقد حافظ المتواضع على الخلاص من آفة فوقع في مثلها او ما هو
شر منها قلت لا يخفى على كل عاقل بعد التامل ان مقام الكبر هو
المنافي للشكر وان مقام التواضع هو السابق له المستلزم
للاتصاف به وانه على قدر ما يحل القلب من الكبر ينتقص من
الشكر وعلى قدر ما يحل فيه من التواضع يعظم به من الشكر ووجه
ذلك ان المتكبر لما كان يتوهم في نفسه كمالا ويرى لها شفوفا
فهو اذا راى نعمة نسبها لذلك الكمال الذي يتوهم في نفسه
وجعلها مستحقة بسببه كان يرى مثلا زيادة في فطنته
في فهم علم ينسبها لما توهم في نفسه من ذكاء او تعب في درس
او سهر لمطالعة او سفر للقاء المشايخ ونحو ذلك مما هو كثير
مشاهد في اهل الدعوى والحمق ممن يتعاطى العلم وغيره ومن
كان على هذه الصفة كيف يقع منه شكر نعم الله تعالى على
الحقيقة بل هو في عدم شكرها كما حكى الله تعالى عن الكافر

شبكة الألوكة www.alukah.net

في قوله تعالى ولين اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي
اي بحسب الاهلية والاستحقاق اما المتواضع الذي لا يرى لنفسه
من حيث ذاته شفوفا على شيء ولو على الجمادات والعذرات ٥
ونحوها لاستوا جميع الممكنات بالنسبة الى عموم قدرة الله تعالى
وارادته فهو اذا رأى ادنى نعمة تفضل الله تعالى بها على بعض
الممكنات كحياة او سمع او بصر او علم او ايمان ونحوها عرف انها
بمحض خلق الله تعالى وجميل كرمه وفضله لا اهلية فيه لشيء منها
البتة وان قبوله لا يكون محالا لها او لاضدادها مثل قبول
سائر الممكنات لها من كفرة وجمادات وحيوانات بهيمية
وغيرها وانه ليس في الممكنات ما هو شر منه بان يستحق هو
من الكمال ما لا يستحقه ذلك الممكن وهذا المعنى الذي احضره
هذا المتواضع هو شكره في نفسه بل هو اعلاه وقد فات هذا
النوع من الشكر المتكبر اما اعتقادا فيكون كافرا او احضارا
فيكون فاسقا ضالا ثم يثمر للمتواضع تمكن ذلك المعنى من قلبه
ثمرات شريفة فات جميعها المتكبر كالحياء من الله تعالى والخوف
منه والاذعان لامتثال اوامره ونواهيه وترك الدعوى الى
غير ذلك مما يطول تفصيله الا ترى ان ابليس اللعين لما اتصف
بالكبر ورأى لنفسه شفوفا وكمالا اذا تيا على ادم عليه الصلاة
والسلام كفر بنعم الله تعالى عليه التي لا تحصر بتركه امتثال امره
تعالى له بالسجود لادم عليه السلام والملائكة الكرام عليهم
السلام لما اتصفوا بكمال المعرفة والتواضع ورأوا ان
لا كمال لهم من حيث ذواتهم على احد من المخلوقات كادم عليه
الصلاة والسلام وغيره ورأوا ان كل ما هم فيه من النعم فهو
مجتلب من جهة الله تعالى وبمحض فضله لا يستحقون على الله تعالى
شيئا وهو القادر سبحانه ان يرد ذواتهم المضيئة مظلمة بل

يعدمها

يعدمها البتة ويرد الذوات المظلمة مضيئة كل ذلك هين
في قدرته تعالى لا معارض له ولا حاكم عليه ولا حق لاحد قبله
ولا يسأل عما يفعل تبارك وتعالى انتهى والصلوات لله وسلامه
عليهم فرصة التقرب الى مولاهم المنعم عليهم تبارك وتعالى فوقعوا
كلهم سجدا لادم بنفس ما سمعوا لشريف امره جل وعلا وعلى خطابه
لهم بذلك ولهذا قال تعالى يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم فاضاف النعمة اليه تعالى في الموضعين اشارة الى مقام
التواضع وانه يجب ان لا يروا لتلك النعمة نسبة الى انفسهم
ولا استحقاقا منهم لها البتة بل هي مملوكة لله تعالى وحده
انعم بها تعالى عليهم بمحض فضله تبارك وتعالى امرهم ان يذكروا
تلك النعمة بتلك النسبة التي ذكرها الله تعالى وهي ان
نسبتها اليه تعالى وحده لا انفسهم ولهذا قال جل من قايل
ايضا واني فضلتكم ولم يقل فضلتم وقال ايضا على العالمين
اشارة الى انكم لا تستحقون شيئا من هذه النعم كسائر العوالم
اذ انتم من جملتها وعلى حد السوا معها ولهذا لما تكبرت اليهود
والنصارى بابائهم من ابنا الله تعالى وتوهموا ان لهم بذلك
شفوفا على غيرهم رد سبحانه ذلك عليهم وساواهم بغيرهم فقال
تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباؤه قل
فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشا ويعذب
من يشا وسا ضرب لك مثلا يكشف لك الغطا عن نفي ما يتوهم
من المنافاة بين مقام التواضع ومقام التكبر على النعم ويوضح
لك على الضرورة انهما متلازمان وذلك انا لو فرضنا
ملكا من الملوك وهب لعبده ارا ضي بشاسعها اذا بقيت لنفسها
لا ينبت فيها الا الشوك ولا يثمرها الا الافاعي ونحوها تما
يضر ومي مستوية في ذلك فعمد الملك بعد ذلك الى ارض منها

وجعل عليها حايطا عظيما عجيبا دايرا بجميعها ورواقا نفيسا
اعلاها ثم ملاها بانواع العود والزعفران وخلع نفيسة
الثياب ونحو ذلك واباح لعبده ان ينتفع بما هناك وعمد
الى ارض مماثلة لها او هي اشرف منها بحسب العادة فاختار ان
يجعلها محطا للاذيال والعذرات ونحوها مما تضربه صاحبها
الذى اعطيت له والفرض ان العبيد كلهم مستوون بالنسبة
الى الملك لا ينتفع بواحد منهم نفعا ما ولا يتضرر به ضررا ما
فان كان العبد الذى خصت ارضه بما خصت به من الفضايل
والنعم عاقلا لم يغلط فى نفسه ولا ارضه ورأى بروية ضرورية
انه لا شفوف لنفسه من حيث ذاته على سايرالعبيد اصلا
وليس فيهم من هو شر منه بل قد يرى نفسه شرا منهم لانه على
يقين من عيوبه ومعراته قد شاهدها وذاته بخلاف عيوب غيره
وكذا ارضه لا يرى فى نفسها شفوفا على سايرالاراضى اصلا
ويرى انه ليس فى سايرالارض ما هو شر منها بل قد تكون هى
ارذل من سايرالاراضى بحسب العادة فلا ينسب شيئا من تلك النعم
التى وصفها الملك بمحض الفضل فى ارضه الى نفسه ولا يتوهم
ان ارضه هى التى انبتتها او اعانت على وصفها فيها بوجه من
الوجوه وانما انباتها العادى بها الشوك والعوسج ونحوهما
فلا خفا ان هذه الروية والمعرفة تحمله على غاية الشكر
والمحبة للملك لرؤية النعم منه وحده بمحض التفضل بلا
سبب من الاسباب والاستحقاق البتة ثم يشتد خوفه من
سلب تلك النعم فى كل لحظة اذ هو وغيره ممن سلب تلك النعم
على حد السوا وان كان ذلك العبد الذى خص الملك ارضه
بما خصها به من الزينة والنعم الى ارضه وتوهم انها
اختصت وزادت على سايرالاراضى بكمال او خاصية من انبا

للعود والزعفران وغيرهما مما رمى على ظاهرها واخذ يعظم ارضه
ويحتقر سايرالاراضى المساوية لها اذ هى احسن منها بحسب
العادة او ينسب تلك النعم الى نفسه واستحقاقه لها على الملك
دون غيره ممن لم تعط له فلا خفا ان هذا الهوس والاختلال
الواقع من هذا العبد يصده عن اصل شكر الملك ومحبته او
كمالها بحسب قوة هذا الخلل فى قلبه او ضعفه وذلك يوجب
لمقت الملك له وتشديد العقوبة عليه وسلبه من تلك النعم
حتى يرى الاحمق بعينه ما يليق به او بارضه فالاول مثال
المتواضع والثانى مثال المتكبر والمطابقة جلية لا يخفى على
عاقل فافهم وبالله سبحانه وتعالى التوفيق

ولست تسلم من عجب ومن بطر وفيه هلاك بنص غير محتمل
وهلاك ذلك الذى قد نلت من عمل لعل نيل قبول منه لم تنل
ما للعباد سوى ذل ومسكنة والعز لله ثم العز للرسل
اذ كل عبد غدا لله عزته على العدو وذاك العز فليصل

جملة قوله ولست تسلم من عجب يحتمل ان تكون معطوفة على
الجملة الحالية التى قبلها وهى قوله وكبر القلب لم يزل فيكون
المعنى كيف تطمع بالنجاة حال كونك متصفا بكبر القلب وحال
كونك غير سالم من العجب والبطر وفى ذلك هلاك لمن اتصف
به بنص من الشارع غير محتمل ويحتمل ان تكون جملة استينافية
والخطاب فيها من الخطاب العام بحسب الغالب اى لست يا كل
من تسمع الخطاب تسلم بحسب ما جبلت عليه النفس فى الغالب
من عيب العجب والبطر وحقيقة العجب على ما ذكره القرافى فى
الفروق هو روية العبادة واستعظامها من العبد قال
وهو حرام غير مفسد للطاعة لانه يقع بعدها بخلاف الريا
فانه يقع معها فيفسدها قال وسر تحريم العجب انه سوء ادب

على الله تعالى فان العبد لا ينبغي له ان يستعظم ما يتقرب به
لسيده بل يستصغره بالنسبة الى عظمته لا سيما عظمة الله تعالى
ولذلك قال تعالى وما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق
تعظيمه فمن اعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه وهو مطلع
عليه وعرض نفسه لمقت الله تعالى وسخطه ونبه على ضد ذلك
قوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم
راجعون معناه يفعلون من الطاعة ما يفعلون وهم خايفون
من لقاء الله تعالى بتلك الطاعة اختيارا لها وهنا يدل على
طلب هذه الصفة والنهي عن ضدها والفرق بينه وبين الكبر
ان الكبر راجع للحق والعباد والعجب راجع للعباد والفرق
بينه وبين التسمع ان العجب بالقلب والسمع باللسان وكلاهما
بعد العبادة وقال بعضهم العجب هو ان ينسب ما يبدو منه
من علم او عمل او نية او صدق او اخلاص الى نفسه ويتفرع على
هذا الاصل المذموم ثلاث علل فقد الحزن والاعراض بالنعمة
عن المنعم بنسبتها الى النفس والسرور بالمدحة فان المسرور
بالمدحة معجب لا محالة ومن نسب الى نفسه هذه النعم فقد اعرض
بها عن المنعم لانه نسب النعمة واضافها الى غير اهلها اذ هي نعم
من الله تعالى من بها في الازل لا يضيفها لنفسه الا محجوب عن
الله تعالى وقال الغزالي العجب ذكر العبد حصول شرف العمل الصالح
لشيء دون الله تعالى كالنفس او الناس او لشيء ثم قد يكون مثلثا
بان يكون من هذه الثلاثة جميعا وقد يكون مثنى وموحدا
وضد العجب ذكر المنة وانه بمحض توفيق الله تعالى وحده
وانه هو الذي شرفه وعظم ثوابه وقدره وهذا الذي ذكر
فرض عند دواعي العجب نفل في سائر الاوقات قال والناس في العجب
على ثلاثة اقسام صنف هم المعجبون بكل حال وهم المعتزلة

والقدرية

والقدرية الذين لا يرون ان لله تعالى عليهم منة في افعالهم وصنف
هم الذاكرون المنة بكل حال وهم المستقيمون من اهل السنة
والصنف الثالث المخلطون وهم عامة اهل السنة فتارة يتنبهون
فيذكرون منة الله عز وجل وتارة يغفلون فيعجبون واما البطر
فالمراد به هنا شدة المرح والمرح شدة الفرح وهو من اسباب
العجب لانه اذا اشتد فرحه بالشيء من غير ان يتامل في عاقبة الامر
ولا ما على ذلك الشيء من وظايف الشكر ولعله لا يقي باداءها
نشا عن ذلك العجب **قوله** وفيه هلك بنص غير محتمل اشارة الى
ما ثبت في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه قال الغزالي يلزمك اجتناب
العجب لامرين احدهما انه يحجب عن التوفيق والتاييد من الله تعالى
فان المعجب مخذول فاذا انقطع عن العبد التاييد والتوفيق فما
اسرع ما يهلك ثم ساق الحديث قال والثاني انه يفسد العمل
الصالح وكذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام يا معشر الحواريين
كم من سراج قد اطفاته الريح وكم عبادة من عابد قد افسدها
العجب **قوله** وهبك تلك الذي قد نلت من عمل البيت هذا
مما يدفع العجب بالعمل الصالح والبطر به وذلك اذا المقصود من العمل
انما هو قبول المولى جل وعلا ورضاه عن صاحبه وذلك امر مجهول
لا يطلع عليه صلاحي هذه الدار ولو فرضنا العبد قد عمل من الاعمال
الصالحة قدر تراب الارض وعدد اجزائها ولم يجب الله تعالى
فيما يظهر لامكان ان يوافي الاخرة ولا يقبل منه شيء من ذلك بل
يحتمل ان يموت كافرا مخلدا ابدا الاباد لحكم ازلي مضى فيه بذلك
ولهذا قال عمر رضي الله تعالى عنه ان قبول التسبيحة الواحدة
علم على حسن الخاتمة فاذا كان العبد على هذه المثابة في الخطر
الشديد فاني له بالافتخار ومفارقة الحزن والخوف والبكا انا لله

شبكة الألوكة www.alukah.net

واطراف النهار وكيف يخطر له مع هذا الامر العظيم عجب وبطر بشئ
من الاعمال وانظر الى عدو الله تعالى ابليس وما كان من كثرة العبادة
منه وقد روى انه عبد الله ثمانين الف سنة فلم يترك فيما قيل
موضع قدم الا وسجد لله فيه سجدة ثم سبق فيه الحكم الازلى بختم
الشقاء فظهرت بعد ذلك كله امانة الطرد لعدم التوفيق ۞
لامتثال امر واحد امر به فطرده الله تعالى من بابه الاعلا وضرب
بوجهه عبادة ثمانين الف سنة واعد له عذابا اليما ابد الاباد
حتى روى انا لصادق الامين صلوات الله وسلامه عليه راى
جبريل عليه السلام متعلقا باستار الكعبة وهو يصرخ الهى لا
تغير اسمى ولا تبدل جسمى وقال بعضهم الغموم ثلاثة غم الطاعة
ان لا تقبل وغم المعاصى ان لا تغفر وغم المعرفة ان تسلب وقال
المخلصون بل الغم كله هو الغم الواحد بالحقيقة وهو غم سلب
المعرفة وكل غم دونه جلد اذله انقضا وقد حكى عن يوسف
ابن اسباط رضى الله تعالى عنه انه قال دخلت على سفيان الثورى
رضى الله تعالى عنه فبكى ليلته اجمع فقلت بكاوك هذا على الدنو
فاخذ تبنة من الارض وقال الدنو اهون على الله تعالى من هذا
انما اخشى ان يسلبنى الله تعالى الاسلام **قوله** ما للعبيد سوى
ذل ومسكنة يعنى ان الشان فى عبيد الملك الذين تناهوا
فى العجز والافتقار الضرورى اللازم الى الملك مع اليأس التام
عن احتياج الملك اليهم فى امر ما انه لا يمكنهم ان يتقربوا الى
الملك الا بالذلة والمسكنة واظهار كل الفاقة بين يديه
ويتسلمون من كل كمال عارض اذ هو فى غاية النقص بالنسبة
الى كمال الملك ولا غرض له فيه ولا لذة البتة ثم هو الذى
منحه ايضا لهم فى الادلاء على الملك بذلك الكمال الناقص
العرضى والاعتماد عليه سوء ادب واستهزاء عظيم بالملك من حيث

انزله

انزله منزلة من يميل الى ذلك الكمال الذى خرج من خزائنه ولا
نسبة له فيها بالكلية فكيف له نسبة الى كمال ذاته او صفاته
حتى يعجبه ذلك الكمال العرضى ويقرب صاحبه بتسببه وانما يتقرب
الناقص بذلك الكمال الناقص لمن هو مثله او دونه بحيث يعظم
عنده ذلك الكمال او يلتذ به او يحتاج بتسببه الى صاحبه ۞
فيقربه لذلك ويكرم منزله على ذلك الا ترى ان العبد المجذوم العاجز
الفقير اذا راى الملك او تعرض له عند باب من الابواب او طريق
من الطرق لا يمكنه ان يتقرب الى كسرة ياخذها من خزائن الملك
او ثوب يستر به عورته ونحو ذلك الا بالتطارح على التراب بين
يدى الملك وكثرة العويل والصراخ واظهار الفاقة والذلة
لا ان يدلى على الملك باظهار اعضايه المجذومة بين يديه ۞
واظهار المهنة بابراكسوته المشمئزة المعيبة كما يفعله
الوزراء فى اظهار اسلحتهم القوية ومراكبهم النفيسة بين يدى
الملك وكل ما لهم من قوة وعدة وكذلك اكابر الجند الذين
علموا احتياج الملك الى ذلك من جهتهم فهم يتقربون بذلك اليه
ويتعظمون به لديه اما ذلك المجذوم العاجز الفقير الذى
لا حاجة للملك فيه بوجه من الوجوه فلا يظفر عند خروجه عما
يليق به من الذلة الى الادلاء بما يستقذر النظر اليه وتغض
الاعين دونه وتشد الانوف عند القرب منه الا بالخيبة والحرمان
والضرب بالعصى بسوء ادبه على الملك ولهذا قيل لا يتقرب
الحقير الى العظيم الا بالذلة اما التقرب اليهم بشئ من العزة
التى لا نسبة لها الى عزتهم فهو ادعاء مشاركة لهم فيما اختصوا
به من العزة والشرف وذلك معاندة لهم ومضادة واحتقار
لهم بان جعلت عزتهم العليا من نوع هذه العزة الدنيا المتقرب
بها اليهم والى هذا الذى ذكرناه من ان التقرب الى الاعز انما

يكون بالذلة اشار ابن الفارض رضي الله تعالى عنه في قصيدته
التائية بقوله وحشر به نفسي الهي دلني على • هوى حسنت فيه
لعزك ذلتي • واذا عرفت هذا فلاخفا ان كل الخلايق هم في شدة
الفقر الى الله تعالى والتناهي في العجز والحقارة والنقص الضروري
اللازم مع غناه تعالى عن جميعهم لغنا المطلق الواجب له اكثر
مما لا ينحصر من شدة فقر هذا العبد المجذوم الحقير العاجز
الى الملك في المثال الذي ذكرناه فوجب اذن على جميع العبيد
ان لا يتعرضوا الا بصفة الذلة والاستمطار لما يحتاجون اليه
من الاعراض دنيا واخرى عند الابواب التي فتحها مولانا جل وعلا
لذلك بمحض اختياره اما عادة كالاطعمة والاشربة ونحوها
مما لا ينحصر واما شرعا كالاعمال الصالحة التي ارسل بها رسله
عليهم الصلاة والسلام ثم لا يكون الاعتماد بعد الوقوف عند
تلك الابواب بصفة الذلة والمسكنة والانسلاخ من الاد
بما هو غاية النقص والعيب بالنسبة الى عظمته تعالى الاعلى
محض فضله جل وعلا لاجل انهما يصلحان للاعتماد عليهما
في الاد لاء بهما على نيل غرض من الاغراض اذ هما من جملة الابواب
المخلوقة والممكنات الناقصة التي لا تاثير لها البتة **قوله**
والعز لله يعني بعزة الله تعالى العظمة او عدم المماثلة او
منع ان يصل اليه احد بنفع او ضر او القهر لجميع الخلايق اذ لا
يقع فيهم الا مراده ومخترعاته فقط يعني واذا عرفت ان العزة
لله تعالى وحده فكل ما سواه عبد ذليل وقد عرفت مما سبق
ان الذليل لا يتقرب الى العزيز الا بلزوم مقامه من الذلة
ثم الاعتماد معها على محض فضل العزيز وما الف من رفقه
وسيله الذي جل ان يوثر فيه سبب من الاسباب **قوله** ثم
العز للرسل اذ كل عبد غدت لله عزته عطف بثم للتنبيه

على

على عدم المشاركة بين هذه العزة التي اتصف بها المخلوق وبين
العزة التي اتصف بها الخالق تبارك وتعالى لان عزة الخالق
حقيقية واجبة وعزة المخلوق مجازية عارضية تفضل بها مولانا
جل وعلا عليه كسائر النعم التي تفضل بها جل وعلا على عبيده فاذا
راى العبد من مولاه تبارك وتعالى عزة اعزه بها كان يجعل كلمته
مسموعة وحزبه للاعداء غالبا منصورا ويؤيده بالهيبة في قلوب
المناوئين له الى غير ذلك مما يعز به المولى جل وعلا من شاء فليصرف
ذلك الى جهة طاعته تعالى والتقرب بما منه اليه جل وعلا فيصرف
ذلك الى جهاد اعدائه الكفرة الذين ياكلون رزقه ويعبدون
غيره المكذبين لسادة خلقه ورسله منهم المبلغين اوامره تعالى
ونواهيه وسائر احكامه عليهم الصلاة والسلام وينصر بتلك العزة
كل مظلوم ويغيث بها كل ملهوف ويغير بها كل منكر ويدفع بها
كل بدعة ويقيم بها كل سنة امتثالا لامره تعالى واقتدا برسله
تعالى صلوات الله وسلامه عليهم وهذه سيرة نبينا وسيدنا
ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام وسيرة الخلفا الراشدين
بعده وسيرة سائر الصحابة ومن تبعهم باحسان رضي الله تعالى
عن جميعهم وحشرنا في زمرتهم وقد وصفهم الله تعالى ومدحهم بما
تفضل به عليهم فقال جل من قايل محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة والى ما يجب ان
تتصرف فيه هذه العزة المخلوقة الذي من بها مولانا بمحض فضله
اشار المولف رضي الله تعالى عنه بقوله على العدو بذاك العز
فليصل ويدخل في العدو نفسه وشيطانه وقدم المعمول للايذان
بالحصر **قوله** غدت لله عزته اي صارت عزته مملوكة لله تعالى
من بها عليه وقدم هذا تهييجا وتقوية للباعث على امتثال
ما حض عليه بعد وموصوف تلك العزة في مرضات الرب لا في سخطه

الذي يؤول بصاحبه الى عظيم الذل والخسارة والهلاك دنيا
واخرى كان يصرف تلك الغرة الى احتقار اخوانه المومنين
وظلمهم والاستطالة عليهم بسلب الاموال والتعذيب والتخريب
وقطع السبل وترك الانصاف بعدم اعطاء ما عليه من الحق
وطلب ما ليس له من الحق وبالله تعالى التوفيق

وطهر القلب من غش ومن حسد، ولتستعذ منهما بالله وابتهل
سلامة الصدر عزت ان تكون لها، صدر وليست على غش بمشتمل
من بغي النوايا خصوصا وخوف خاتمة، قد خاف منها حول العلم والعمل

يعني ان من معاصي القلب المهلكة التي يجب تطهيره منها الغش
والحسد وحقيقة الغش اخفاء عيب او ضرر ديني او دنيوي مع العلم
به عمن جعله من المسلمين او من في معناهم من اهل الذمة
والمعاهدين وضده النصيحة وفي الحديث الصحيح من غشنا
فليس منا وفي رواية من غش فليس منا واما الحسد فحقيقته
تمني زوال النعمة الغير هكذا حده القرافي وكثير وقال الغزالي
مواراة زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح
فان لم تتردد زوالها ولكن تريد لنفسك مثلها فمي غبطة وعلى
هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين الخبر
اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعا
لمقاربتهما فان لم يكن فيها صلاح واردت زوالها عنه فذلك
غيرة قال ويكفي في معرفة كونها صلاحا غلبة ظن فان وقع
الشك فالتحريم احتياطا وقال بعضهم الحسد السرور بمصيبة
صابت مسلما والحزن على نعمة نالته قال القرافي ثم الحسد حسدان
تمني زوال النعمة ومحوها للحاسد وهو شر الحسدين لانه طلب
المفسدة الصرفة من غير معارض عادي طبيعي ثم حكم الحسد
في الشريعة التحريم وحكم الغبطة الاباحة لعدم تعلقها بمفسدة

البتة

٢٢٨

البتة ودليل تحريم الحسد الكتاب والسنة والاجماع فالكتاب
قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وقوله تعالى ام يحسدون الناس
على ما اتاهم الله من فضله وقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله
بعضكم على بعض اي لا تتمنوا زواله لان قرينة النهي تدل على هذا
الحذف واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا
تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا واجمعت الامة على تحريمه ويقال
ان الحسد اول معصية عصي الله تعالى بها حسدا بليس ادم عليه
الصلاة والسلام فلم يسجد له انتهى قلت وقد قيل في قوله تعالى
انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ان ما بطن هو الحسد
وفي بعض الكتب الحسد عدو نعمتي وقيل ان اثر الحسد يتبين فيك
قبل ان يتبين لك في عدوك وفي بعض الآثار ان في السماء الخامسة
ملكا يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول قف فانا ملك
الحسد اضرب به وجه صاحبه فانه حاسد وقال معاوية كل
انسان اقدر ان ارضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال
النعمة وقال عمر بن عبد العزيز ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من
الحاسد في غم دايم ونفس متتابع وقيل من علامات الحاسد ان
يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت
وقيل الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه وقيل
راى موسى عليه السلام رجلا عند العرش فغبطه فقال ما صفته
فقيل كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله **قوله**
ولتستعذ منهما بالله اي من الغش والحسد اذ بهما تمام الاعان
واشار الى امر الله تعالى بذلك في قوله تعالى قل اعوذ برب الفلق
الى قوله ومن شر حاسد اذا حسد **قوله** **سلامة الصدر عزت**
اي قلت ويعني بسلامة الصدر طهارته من الكبر والغش والحسد
وما ينشا عنها من غيبة ونميمة وحقد وبغضه ثابتة بحدها

العبد فى نفسه لاحد من المسلمين بغير موجب شرعى ومن العداوة
وهى نتيجة الحقد ومى المهاجرة والمتاركة بلا استحقاق لذلك
من جهة الشرع ولشرف سلامة الصدر وعزة وجودها قال عليه
الصلاة والسلام سلامة الصدر لا تدرك بعمل فاعظم لخصلة
تزيد بنص الحديث على عبادة الصيام والجهاد وقيام الليل وساير
النوافل والصدقات ولو بطول السنين **قوله** من ذى النواهى
خصوصا خوف خاتمة يعنى بالنواهى ما قدمه من الكبر والعجب
والبطر والغش والحسد وما ينشا عن ذلك من غيبة ونميمة
وحقد وعداوة وقد ذكر الغزالى ان تلميذ الفضل بن عياض
رضى الله تعالى عنه حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس
عند راسه وقرا سورة يس فقال التلميذ يا استاذ لا تقراهذه
فسكت ثم لقنه فقال قل لا اله الا الله فقال والعياذ بالله
تعالى لا اقولها لانى برئ منها ومات على ذلك فدخل الفضيل
منزله وجعل يبكى اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم راه فى النوم
وهو يسحب الى جهنم فقال باى شىء نزع الله تعالى المعرفة من قلبك
وكنت اعلم تلاميذى فقال بثلاثة اشياء اولها بالنميمة فانى
قلت لاصحابى بخلاف ما قلت لك والثانى بالحسد حسدت
اصحابى والثالث كانت بى علة فجئت الى طبيب وسالته عنها
فقال تشرب فى كل سنة قدحا خمرا فان لم تفعل يفنيك العلة
فكنت افعل ذلك نعوذ بالله تعالى من سخطه الذى لا قدرة لمخلوق
عليه **قوله** فقد خاف منها فحول العلم والعمل يعنى بفحول العلم
السالمين من بقايا الاعتقاد وبفحول العمل القايمين بحقوق الله
تعالى وحقوق العباد اى واذا خاف هؤلاء من سوء الخاتمة مع سلامتهم
من اسبابها فكيف بالمخلط الذى يقوم ويقعد فيها وفى اضرابها
وقد تقدم ما نقلناه عن سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه

فى بكايه

فى بكايه الليلة باجمعها الى الصباح خوفا من سوء الخاتمة وقد
بكى سفيان وغير سفيان وانه للامر الذى يحق ان يبكى عليه بالدمع
ثم بالدما اناء الليل واطراف النهار وقد حكى عن الحسن البصرى
رضى الله تعالى عنه انه لما سمع حديث اخر من يخرج من النار
بعد ان يمكث فيها الف سنة تمنى خوفا من سوء الخاتمة ان
يكون ذلك الرجل وقد تمنى ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
ان يكون طايرا يوكل لحمه ويحسى مرقته وتمنى عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه ان امه لم تلده وقال عند موته لو ان لى
ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع الى غير ذلك
مما ثبت عن السلف والخلف اللهم انا نسالك الختم باعلا
مراتب الايمان والاسلام والدخول دنيا واخرى فى زمرة الناجين
اهل سنة نبيك عليه افضل الصلاة وازكى السلام امين امين
امين يا ذا الجلال والاكرام

دع الرياسة لا تسلك مسالكها، اما الولاية فالبلوى لذى وجل

لما ذكر الشيخ من افات النفس المهلك امهاتها التى لا تبقى ولا
تذر ذكرها التحذير مما يبعث على تلك الامهات وعلى غيرها
فمن اقوى ما يبعث على تلك الآفات بل هو آفة عظمة فى نفسه
حب الرياسة والدخول فى طرفها وانما كانت الرياسة من اقوى
البواعث على الاتصاف بالمنهيات لاوجه الاول انها ملايمة
للنفس جدا اكثر من ملايمة ساير الشهوات لها بدليل ان
النفس تسمح بالصبر عن الشهوات وببذل الاموال لنيل الجاه
والرياسة بخلاف العكس ولهذا تجد كثيرا من المتعبدين على
غير حقيقة يصبر الواحد منهم على الصوم والتهجد ولبس الرث
من الثياب وترك المخالطة والتزوج حرصا على الرياسة
وتقبيل اليد والرجل ونفوذ الامر والنهى واذا كانت الرياسة

فى هذا الحد من الملايمة للنفس وقد عرفت ان النجاة دنيا واخرى
موقوفة على مجاهدة النفس بترك حظوظها والهرب من متابعة
اغراضها فالمتعلق بالرياسة قد سعى فى حتفه بظلفه لانه
قد انعش نفسه وقواها على هلاكه كالتقوية فما مثله الا
كمثل من معه تنين ضعيف واسد هزيل خاف منهما الهلاك
ثم اخذ بجمقه يسوق لهما من الماكول ما ينتعشان به كل الانتعاش
ويقويان به على اهلاكه كل القوة ولهذا قيل لا شئ اضل لفلوس
المريدين من حصول الجاه قيل خمود بشريتهم الثانى ان الرياسة
تشغل العقل عن تناول غصص الفكرة الخاصة التى بها يذود عن
جوارحه الظاهرة والباطنة ما يغتالها من الافات وبها يسوقها
الى ان ترتقى فى انواع الاستقامة وتلزم طريق النجاة وما جعل الله
لرجل من قلبين فى جوفه فحب الرياسة والشرف وحده من اعظم
الافات المهلكة للدين فقد اسند سفيان الثورى رضى الله تعالى
عنه حديثا مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ما ذئبان
ضاريان ارسلا فى غنم باسرع فسادا فيها من حب الشرف والمال
فى دين المرء المسلم نقله صاحب الحلية وغيره الثالث ان الرياسة
توجب للرئيس كثرة المخالطة بابناء الدنيا وقلة رؤية اهل
الصلاح اذ الرياسة لابناء الدنيا كالعسل للنحل والذباب
مهما شموها على انسان لازمه الليل والنهار الهيج ما لا ينحصر
وهى بالنسبة لابناء الاخرة كالحية او الاسد فمهما شموها فى
موضع هربوا منها كل الهرب وصار الرئيس فى محنة عظيمة
الهيج وابناء الدنيا اليه يهرعون وعليه يكثرون ويجتمعون فيثيرون
عليه بارائهم المحجوبة عن الحق ويسرق طبعه من طباعهم المختلفة
الردية ما جل منها ومادق واذا كان ابناء الدنيا يظلم
القلب ويضرب عليه الحجاب مجرد مشاهدتهم فكيف الحال بمن

ابتلى

ابتلى بصحبتهم ومعاشرتهم وقد روى عن ابى الدرداء رضى الله
تعالى عنه انه قال لان اخر من فوق قصر فانحطم احب الى من مجالسة
الغنى لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم ومجالسة
الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنيا قال ابن عطاء الله
اذا صحبت ابنا الدنيا جذبوك اليها واذا صحبت ابنا الاخرة جذبوك
الى الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل وفى كتاب القوت ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لعايشة رضى الله تعالى عنها ان اردت اللحوق بى فاياك
ومجالسة الاغنيا ولا تنزع عن ثوبا حتى ترقعيه واما ابنا الاخرة
فمنه يفرون وهم لحبل وصله يقطعون ومن مجلسه المظلم المخوف
يتعوذون فانتشع عليهم بحر الباطل والهلاك لا سفينة وبعد
منه ساحل الحق والنجاة ولم يبذله منه معلم ولا ظهر فيه امين
ولا امينة وما عسى ان يسبح الرئيس فى هذا البحر المتسع العميق
بعلمه او دينه او ورعه او فوته ان كان له شئ من ذلك لا بد ان
يغرق مع طول المدا الرابع ان يكثر مزاحموه على طلب ما هو فيه
من الرياسة لكثرة ابنا الدنيا الباحثين عليها وهو قد
ذاق مذاق بحيث لا صبر له على مفارقة ما استحل منها وقد
يتالم اشد التالم بالعزل فيكثر بينه وبينهم الهرج والغش
والحسد والغيبة والنميمة وانواع الفتن حتى ربما يؤول الامر
الى سعى بعضهم فى سفك دم بعضهم اما سرا او علانية فان قلت
كيف يحذر المولف من الرياسة وهى ضرورية لا بد للناس منها
شرعا وعرفا ولم تزل الناس رؤسا من الصحابة والتابعين
الى هلم جرا وقد تقدم وجوب نصب الائمة للمسلمين شرعا
قلت تحذير المولف رضى الله تعالى عنه من الرياسة يحتمل وجهين
احدهما ان يكون مراده التحذير من الرياسة التى يطلب بها مجرد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الترئيس والتقدم على ابنا الجنس والاستعلا بالكلمة عليهم لا
التى يطلب بها اغاثة الملهوف ونصر المظلوم واحيا السنن واخما
البدع ولاشك ان رياسة الصحابة ومن تبعهم باحسان انما كانت
لهذا الغرض الثانى لا الاول ولهذا كان الرئيس منهم اتقى لله واعلم
به وازهد فى الدنيا واخشى لربه وارحم بالمساكين واشد تواضعا
لهم واكثر عبادة لله تعالى من غيره واين مثل مولا السادة الكرام
الاقويا انما الناس عيال لهم طرحوا عن ظهورهم القوية المامونة
دينهم ودنياهم وبقوا مستترين ونهضوهم رضى الله تعالى عنهم
بمحض طلب مرضاته تعالى لكابدة تلك الهموم كلها زيادة على
ما قاموا به من وظائف العبادات التى فيما بينهم وبين مولاهم
تبارك وتعالى الثانى ان يكون مراد المؤلف التحذير منها على
سبيل النصيحة والاحتياط لقلة الناجين فيها لا على سبيل
تحريم اصلها كما قال عليه الصلاة والسلام لابد للناس من
العرفا والعرفا فى النار يعنى اكثرهم فى النار او يكون مراده
التحذير منها فى هذه الازمنة الفاسدة فانه على تقدير ان
تكون نية الرئيس فيها صالحة فلا ثبات لها ولا يجد لها معينا
عليها فهو يتنكس على وجهه فى اول يوم من ولايته فالاحق اليوم
من سولت له نفسه الامارة واوهمته ان له مصلحة دينية
فى شئ من ضروب الرياسة وقد ذهب زمان ذلك وانقضا
سبيله فلا مطمع فيه الآن الا فى زمن نزول عيسى عليه الصلاة
والسلام وفى الحديث الخلافة بعدى ثلاثون ثم تعود ملكا
عضوضا او يكون مراده تحذير المريد منها قبل خمود بشريته
وفراغه من قطع منازل السلوك فلا يتشوف اليها قبل
وصول الغاية ويهرب من جميع اسبابها ما دام لم يحط رحله
فى منازل ذوى النهاية اللهم الا ان يبتلى بها على وجه لم يجد معه

مهربا

مهربا ولا عادة فليصبر حينئذ وليستعن بالله تعالى
على القيام بحقه فيها وعلى ان يكفيه شرها وضررها دنيا واخرى
ويبذل جهده فى الصبر على امتثال ما امر به فى ذلك وليعلم انها
كالاسد لا يتشوف الى لقايه ويهرب من امكنه واسباب الاجتماع معه
غاية الهروب فاذا سبق القضا بان يبتلى بهجومه عليه مع شدة تحرزه
فليصبر ولا يجزع وليستعن عليه بحول الله تعالى وقوته فان المرجو من فضل الله
تعالى ان يعينه ويكفيه شره ولهذا قال عليه الصلاة والسلام يا عبد الرحمن
لا تسال الامارة فانك ان سالتها وكلت اليها وان اعطيتها من غير مسالة
اعنت عليها ولهذا قال المؤلف رضى الله تعالى عنه اما الولاية فالبلوى لذى جل
فجعلها بلوى ولم يجعلها حراما ولا مكروهة وشان البلوى يهرب منها بالقلب
والجوارح حتى اذا نزلت ولم يجد المومن للهروب منها مساغا من جهة الشرع
وجاز يتلقاها بالصبر والاستعانة بالله تعالى على اداء حقوقها والامن من
شرورها كما لو نزلت به الامراض فى بدنه او البوا فى موضع او العدو ونحو
ذلك فى المحال وهكذا كان اسلاف الصالح الماعدوا الولايات بلايا هربوا
منها ومن اسبابها غاية الهروب ولم يتشوفوا الى جهتها بالكلية حتى
اذا لم يجدوا عنها ممرا من جهة الشرع تلقوها بجميل الصبر واستعانوا
عليها بالمولى الكريم القادر العزيز الذى بيده النفع والضر وهو الموجد
لكل امر وبالله تعالى التوفيق

دع المطامع واعلم ان صاحبها ... من التملق فى ذل وفى خجل
قد قيل احرفه تندو ا مجوفة ... كجوف ذى طمع فى الشبه والمثل

لاشك ان الطمع من الافات المهلكة لصاحبها دينا ودنيا والموجبة له
الذل والهوان فى هذه الدار وفى الاخرى قال وهب بن منبه اربعة الكفر
الغضب والحرص والطمع والشهوة وعنه صلوات الله وسلامه عليه انه قال اياكم
والطمع فانه فقر حاضر وقد قيل فساد الدين وهلاكه الطمع وملاكه الورع
وقال ابو بكر الوراق رضى الله تعالى عنه لو قيل للطمع من ابوك لقال الشك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في المقدور ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل له ما غايتك لقال
الحرمان وقال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله تعالى وايم ما رأيت العزالا
في رفع الهمة عن المخلوقين وقال ابراهيم بن ادهم رضي الله تعالى عنه كثرة الحرص
والطمع يوجب الغم والجزع وقلة الحرص والطمع توجب الصدق والورع وقال لبان
الحمال رضي الله تعالى عنه العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقال بعضهم لولا الاطماع
الكاذبة ما استعبد الاحرار بكل ما لا خطر له وحقيقة الطمع على ما نقل الغزالي عن
بعضهم ملوا رادة الشيء المخاطر بالحكم يعني ارادة ما فيه خطر بان يكون او لا يكون وعلى
تقدير ان يكون فيحتمل ان يكون فيه صلاح للعبد او لا فيريد هذا الطامع بان يحكم
فيه مع هذه المخاطرة بانه فيه صلاحا ومنفعة اوله فيه فسادا او مضرة كالاسفار
لغير الواجبة والتجارات والصنايع ونوافل الطاعات فيستغرق في طلب
هذا المخاطر الحاجز فيه بالمصلحة لنفسه فيعطل بسبب ذلك واجبات عليه ويهلك
في دينه ودنياه او يترك اعمالا فيها مصلحة دينية او دنيوية مباحة فيهلك في دينه
ودنياه وضد الطمع التفويض وهو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المولى المختار
المدبر العالم بمصالح الخلق سبحانه العزيز الغفار وقال الغزالي الذي نقوله
ان التفويض ارادة ان يحفظ الله تعالى عليك صالحك فيما لا تامن فيه الخطر
قال والطمع في الجملة يجري على وجهين احدهما في معنى الرجا يريد شيا لا
خطر فيه او فيه مخاطرة بالاشيا وذلك ممدوح غير مذموم كما قال والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقال تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا
والثاني طمع مذموم وهو شيان سكون القلب الى منفعة مشكوكة والثاني
ارادة الشيء المخاطر بالحكم وهذه الارادة تقابل التفويض لا غير قال وحصن
التفويض ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد فيها وحصن حصنه
ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر والامتناع عن الوقوع فيها
بجهلك وعقلك وضعفك قال ثم اختلفت عبارات الايمة في الخطر
فعن بعضهم ان الخطر في الفعل هو احتمال ان يكون دونه نجاة ويمكن ان يجاب
ذب فالايمان والسنة والاستقامة لا خطر فيها اذ لا يمكن ان يكون دون الايمان

نجاة

نجاة والاستقامة لا يجامعها ذنب فاذن نفي ارادة الايمان والاستقامة بالحكم
وقال الاستاذ رحمه الله تعالى الخطر في الفعل ما يمكن ان يعترض فيه ما يكون
الاشتغال بالعارض اولى من الاقدام على ذلك الفعل ويقع في المباحات والسنن
والفرايض كمن عرض له في اثنا الصلاة انقاذ غريق ونحوه فلا تصح اذن ارادة
المباحات والنوافل والكثير من الفرايض بالحكم قال ولقد سمعت الامام رحمه الله
تعالى عليه في هذه المسالة يقول انما افترض الله تعالى على عباده من الصلاة والصوم
والحج ونحوه ففيه صلاح لا محالة للعبد وصحة ارادتها بالحكم فاتفق ابناء على
ذلك فبقيت المباحات والنوافل اذن في هذا الحكم الغالب ثم هل امن المفوض
الهلاك والفساد انما هو في الغالب دايما وانه لا يفعل به الا ما فيه صلاح محض
فضل الله تعالى قولان واختار الشيخ الغزالي الثاني منهما قال اذ لولاه لكان
قويت الباعثة على التفويض ولا يلزم ان يكون ذلك الصلاح مهولا افضل بل قد
يكون مفضولا لان المقصود للعبد مطلقا النجاة من الهلاك لا الفضل والنشر
وللمفوض ان يطلب من الله تعالى ان يجمع له بين الصلاح والافضل جميعا
واعلم ان صاحبها من النماق في ذل يعني والدليل على ذلك النصوص وقد قدمنا
منها ما يكفي والمشاهدة ولهذا قال ابن عطا الله في حكمه ما سبقت اعصان
ذل الا على بذر الطمع اي ما طالت وانتشرت في الجوع قال اثره انت حر
لما انت عنه آيس وعبد لما انت له طامع يعني لان الطمع يحمله على الاسترقاق
في طلب مطموعه وتحمل المون والتعب بتحصيله ومتد الرقبة ذلا للسبب الذي
رجا حصول ذلك من قبله وذلك غاية ما يفعله العبيد البارون بسادا تهم
والسبب الذي منه يتولد الطمع استرقاق النفس في اسناد الاثر للاسباب
العادية لما شاهدت ارتباطها بها كثيرا وعميت عن ادراك وجودها
بدونها كثيرا واسنادها تلك الاثار للاسباب العادية ان كان عن اعتقاد
تاثيرها فيها فهو بدعة وشرك وقد تقدم في العقايد وان كان يتوهم
ارتباطها وتوقفها عليها فهو جهل لما سبق انها توجد معها وبدونها
ومن اسباب الطمع الجهل بالمقدور وعدم الثقة بضمان الله تعالى وكفايته

شبكة الألوكة www.alukah.net

لمن فوض له وتوكل عليه ومن اسبابه ايضا جهله بقدر ما ملكه ورتبه وبقدر النعم
التي منحه الله تعالى من غير سؤال فاذا اهان نفسه بان اخرجها عن الانتساب
والعبودية لمولاها ملك الملوك تبارك وتعالى صار عبد المامور حادث عاجز
مثله **قوله** قد قل احرف تبد والجوفة يعني احرف كلمة الطمع واشار بهذا الى ما
قاله الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه الطمع ثلاثة احرف مجوفة فضاحها
ذو قبطن لا يشبع ابدا زاد بعضهم انها كلمها يا بسة كحال صاحبها فانه مبتلى
بالحرمان ويبس الاغراض وكيف لا وهو قد طلب الشيء من غير محله وعلى غير وجهه
فاعتمد على الاسباب وترك الاتيان الى رب الارباب وتوجه للخلق واعرض عن الملك
المعبود بحق فان قلت قد يجد الطامع بظفر بغرضه من الاسباب التي
تعلق بها واستغرق في خدمتها قلت كيف يظفر بغرضه اليسير الدنيوي
منها فقد تعب ظاهره وباطنه وفوتته من منازل الدين ودرجات الاخرة
والعز في الدارين ما لا نسبة لذلك الحظ اليسير الدنيوي المشوب بالهموم
والاحزان والذل والاهانة الى ادناه ومن قدر ان يكون عبدا للملك يخلع
عليه الخلع النفيسة ويركبه المراكب السنية ويخدمه الخيل والرجل فعدل عنه
ورضي ان يكون عبد التراب يذله بخدمة الارباب والعذرات ثم يسد جوعته
بكسرة ويستر عورته بخرقة افلا يكون محروما غاية الحرمان وابن هذا
ممن فوت لعبوديته للاسباب من مال وجاه وملك وتجارة وصناعة
وجمال امراة وخدمة ظلمة ونحو ذلك عن العبودية لمن انفرد بالملك
والعزة وحده وبيده خزائن النعم والمكارم في الدارين ما لا نهاية له
وهو تعالى المدخر في قواديس الخنان لعباده المقبلين على طاعته
وتعظيم جلاله ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولو ملك
الدنيا بحذافيرها مع فرض الامن والسلامة والعافية ابد الاباد لا قدر
له ولا قيمة بالنسبة الى تسبيحة واحدة يعرف العبد معناها ويذكر بها
مولاه العظيم مع حضور قلبه وفراغ سره فكيف بنسبة ما حصل للطامع خيم
الاسباب مع الغرض اليسير الحقير الى ما فاته من علوم نافعة وفكر

في جلال

في جلال المولى العظيم جليلة وحضور قلب في اداء فرايضه واوراد مما ندب اليه
من ذكره وانواع قربه واكثرة الصلاة والتسليم على مصطفاه من خلقه سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم نساله اللطف وان يلهمنا سبحانه رشدا نفسا
وان يعيننا الى الممات على ملازمة شكره وذكره وحسن عبادته يجاه اشرف خلقه
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

عليك بالجود لا تبخل بمكرمة ، فالبخل والجبن يسئ الوصف للرجل

حض الشيخ في هذا البيت على الاتصاف بفضيلتين وهما الكرم والشجاعة وانما
حض عليهما اثر نهيه عن رذيلة الطمع لانهما انما يتيسران بترك الطمع لان من ترك
الطمع برفض الاسباب من قلبه واوكل مولاه واستغنى به عن كل ما سواه سهل
عليه بذل المال لانه من جملة الاسباب التي رفضها من قلبه فليس له فيها حاجة ولا
غنا حتى يبخل به بل غناه انما هو بغنا مولاه وسيده الذي زكاه وهو بما
عنده تعالى اوفق مما بيده وغناوه بمولاه لا ينقص بانفاق ولا يخشى فيه ابد
الاباد عدم ولا املاق فهو لو ملك الدنيا والاخرة بحذافيرها الجاد بجميعها
ولا يرى مع ذلك انه جاد بشيء معتبر اضلالا ان المنافع المتوهمة فيها ليس لها
فيها اثر البتة وانما هي ملك لمولاه اجل وعلا وطوله وحده بخلقها معها ثم
وبدونها فلا حاجة للمومن فيهما اصلا وانما حاجته عند مولاه جل وعلا
وهو تعالى لا يعتريه تغير ولا نقص ولا زوال وايضا فالمنعم بتفضله
سبحانه بكشف الحجاب عن عبيده لمشاهدته جل وعلا يغنى عن كل نعيم
دون ذلك اذ في الله تعالى عوض من كل هلاك ولذلك يسهل عليه بذل
نفسه وحلوله في رمسه وزوال الخوف عليها في حقوق الله تعالى لعدم طمعه
ان يكتسب احيا او البقا او العافية من كل سبب سوى مولاه اجل وعلا وانما
حياته واجله بيد مولاه تبارك وتعالى وما كان بيده تعالى فقد غر
ان تصل اليه الاسباب باثبات او نفي قال تعالى لكل امة اجل فاذا
جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وحقيقة الجود ان
لا يصعب على العبد البذل والبخل ضده والشجاعة حيث يجد بذلها وهي

من باب الجود والسخاء وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال السخي قريب
من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس
قريب من النار ولجاهل السخي احب الى الله تعالى من العابد البخيل ومن
طالع سير اصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم في سخايهم
باموالهم وانفسهم لله راى العجب العجاب وكيف يخفى سخاوهم وشجاعتهم
وكل ما تراه من علم نافع وفرض وسنة وفضيلة ونافلة فهم الذين جادوا
بحمل المونة في حفظه وضبطه على اكمل وجه ثم سخوا بايصاله مصفى غاية
التصفية منقحا غاية التنقيح الى من بعدهم خالصا لوجه الله تعالى
لا لغرض دنيا لونه من قبل الناس وكذا كل ما تراه من معمور ارض الاسلام
من ارض وقرى وامصار متسعة وقناطير الجوائي المقنطرة وخزائن
ملك وافرة في مشارق الارض ومغاربها وبرها وبحرها وجوفها
وقبلتها انما حصل على ايديهم وقهرهم بسيوفهم وايمانهم العظيم
الوثيق ومعرفتهم الكاملة ونصيحتهم الشاملة الاكاسرة والروم
والجبابرة مع اتساع مملكتها وكثرة عددها وقوة عدتها ثم
لما حازوا ذلك كله وقهروا الاعداء عليه لم يميلوا الى جمعه
وزهدوه كالزهد في ناجيه ولم ياخذوا منه الا كزاد الضرورة
للمسافر وسخوا بجميعه لمن بعدهم من المسلمين فهم فيه يتسعون وفي
وافر ظله وغمايمه الباردة يمرحون ويتطاولون فاعظم بجود من
كل المسلمين عمن وجد ولمن في زمانهم ثم من بعدهم الى يوم القيامة
عيالهم دينا ودنيا والكل على العموم عيال لاشرف خلق الله تعالى
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ثم الكل من محض فضل الله
تعالى وواسع كرمه وقد اثنى مولانا جل وعلا في كتابه العزيز على
الانصار فقال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم
يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واثنى على اهل البيت المطهرين

زادهم

زادهم الله تعالى شرفا على وفاطمة رضي الله تعالى عنهما فقال جل من
قايل يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا
نريد منكم جزاء ولا شكورا الى اخر الاية وقد ورد ان الحسن بن علي رضي الله
تعالى عنهما سأله رجل شيئا فاعطاه خمسين الف درهم وخمسمائة دينار
وقال اتيت بجمال تحمله لك فاني بجمال فاعطاه طيلسانه وقال يكون
كراي الجمال من قبلي وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على
نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذا تى الغلام بقوته ودخل كلب
الحايط ودنى من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني
والثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رات
قال لما رات هذا الكلب قال لما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة
جايعا فكرهت رده فقال فما انت صانع اليوم فقال اطوي يومي هذا
فقال عبد الله بن جعفر للامر على السخي ان هذا لاسخى مني فاشترى
الحايط بما فيه من الالات والغلام واعتقه واوهبها له وقيل اراد
رجل بضارا بن عباس رضي الله تعالى عنهما فاتى وجوه البلد وقال
يقول لكم ابن عباس تغدوا عندي اليوم فاتوا فملؤا الدار فقال
ما هذا فاخبر الخبر فامر بشاة فشويت في الوقت وامر بالخبز والطبخ
واطعمهم فلما فرغوا قال لوكلايه تجد هذا في كل يوم قالوا لا والله نعم
قال فليتغد مولاء عندنا كل يوم وقيل لما قدم الشافعي رضي الله تعالى
عنه من صنعا الى مكة وكان معه عشرة الاف دينار فقيل له لم لا
تشتري بها قنية فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من
دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب
ولم يبق شيء وفي مناقب الليث بن سعد رضي الله تعالى عنه قال
منصور كنت عند الليث فاتته امراة بقدح فقالت له ان زوجي
قد تشكى وقد اشير اليه بالعسل فقال لوكيله اعطها مطرا من عسل

شبكة الألوكة www.alukah.net

والمطرمانية وعشرون رطلا وقال انما سالت بقدر همتها فاعطيتها
بقدر همتنا قال منصور بن عمار كان الليث بن سعد اذا سمع بقاص
اخرجه من مصر وكان شديدا عليهم فاتفق ان دخلها فوقفت في
المسجد وجعلت اقص فاذا رجلان دخلا وقالا جاء الامام فقمت فوقا
اقوم واسوتاه ابقي الساعة من مثل هذا البلد فلما دخلت على
الليث سلمت ووقفت فقال ايت المتكلم في المسجد قلت نعم فقال
اجلس واعد علي الكلام الذي قلته فسردت عليه الكلام سردا فوقع الشيخ
وبكى وسرى عني وبكى الشيخ حتى رحمته وقال لي ما اسمك فقلت منصور
ابن عمار فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى رايتك ثم قال يا مارية قومي
بين يديه فقال احبني بكيس فيه الف دينار فانت بكيس فيه الف دينار فقال
يا ابا السري خذ هذا اليك واحذر من هذا الكلام ان تقف به
بابواب السلاطين ولا يعدن احدا من المخلوقين بعد مدحك لرب
العالمين ولك علي في كل سنة مثلها فقلت رحمك الله لقد احسنت
فلا حاجة لي فيه فقال لا ترد علي شيا املك به فقبضتها فقال لا
تطا علي فلما كان في الجمعة الثانية اتيته فقال اذكر شيا فاخذت
في مجلس لي فكثر بكا الشيخ حتى رحمته فكففت فلما اردت الخروج
قال انظر في ثنى الوسادة فاذا فيه خمسمايه دينار فرفعتها فقال
متى اراك فقلت الجمعة الداخلة فاتيته فيها مودعا استحى
من المقام به فلما جئته فكلمته ايضا فكثر بكا الشيخ ثم قال انظر
ما في ثنى الوسادة فاذا فيه ثلثمايه دينار ثم قال يا جارية هات
ثياب احرام منصور فجات بازار فيه اربعون ثوبا فقلت رحمك الله
اكتفي بثوبين فقال انت رجل كريم يصحبك قومك فاعطهم
ثياب احرامهم وقال للجارية اذهبي بهذه الثياب مع ابي السري
ولا ترجعي فانك له وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه وصل
الليث بن سعد ثلاثة نفر بثلاثة الاف دينار واحترقت

دار

دار ابن لهيعة فبعث اليه الف دينار وقال لا يسمع بذلك ابني فتهون
عليه فبلغ ذلك ابنه سعيدا فوصله بالف الا دينارا وقال انما نقصتك
هذا الدينار ليلا تساوي الشيخ في عطيته وكتب له مالك رضي الله
تعالى عنهما في قليل من عصفر يصبغ به ثيابه صبيانه فانفذ اليه الليث
رضي الله تعالى عنه اوقارا صبغ بها ثيابا الصبيان واوصلوا بها
الجيران وبيع فضلها بالف دينار فانظر كيف كانت العلما وكيف كان
همهم وانظر نسبة زماننا الذي نشانا فيه وفيما اهتمامنا والله
المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله فنسالة سبحانه ان يمن علينا
بالخروج من الدنيا على السلامة في ديننا ودنيانا وان يكفينا
في هذا الزمان العسر وما بعده شر انفسنا وشر كل ذي شر بجاه
نبيه ومصطفاه من خلقه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل بكى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يوما فقيل له ما
يبكيك فقال لم ياتني ضيف من منذ سبعة ايام اخاف ان يكون
الله تعالى قد اهانني وروى عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه
قال زكاة الدار ان يتخذ فيها بيت للضيافة وقال ابراهيم
ابن الجنيد كان يقول اربع لا ينبغي للشريف ان يانف منهن
وان كان اميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته لضيفه وخدمته
لعالم يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم وقال عبد الله بن المبارك
رضي الله تعالى عنه سخا النفس عما في ايدي الناس افضل من سخا
النفس بالبذل وقال بعضهم دخلت على بشر بن الحارث في يوم
شديد البرد وقد نحى من الثياب وهو ينتفض من شدة البرد
فقلت يا ابا نصر الناس يزيدون في الثياب في مثل هذا اليوم
وانت قد نقصت فقال ذكرت الفقرا وما هم فيه ولم يكن لي
مال واسيهم به فاردت ان اواقفهم بنفسي في مقاساة البرد
وقال بعضهم البر السخا ان يعطي الواجد المعدم وانما السخا

ان يعطى المعدم الواجد اى ما وجده **قوله** يبس الوصف للرجل يحتمل
ان يريد وكذا المراة وخص الرجل بالذكر لانه المقصود بالسخا والشجاعة
فالجبن والبخل في حقه عيبان فاحشان جدا بخلاف المراة ويحتمل
ان يكون قصد اخراج المراة وان الممدوح في حقها غالبا البخل والجبن
اذ بهما انفع لها واصون واحفظ للزوج الكلهم الا ان يكون كرمها وشجاعتها
لله تعالى خالصا كما كان لام المومنين عايشة رضى الله تعالى عنها و
ومن حذا حذوها من الصحابيات والتابعيات لهن باحسان فلا
فرق بينهما وبين اوليا الله تعالى من الرجال وبالله تعالى التوفيق
امسك لسانك تسلم من غوايله ، بالصمت تم منى لم يمكن انعزل
قد جاء في اثر تشبهه سبعا ، مهما اعتد يلم يذر شيا ولم يقل
وليس يملك ذو التقوى جوارحه ، كالعين والسمع في صحة وفي اعتل
ان يصلح القلب فالاعضا صالحة ، لانه ملك مهما يملك تمل
لايخفى ان المكلف عليه من جهة الشرع وظايف تتعلق بباطنه وعليه
وظايف تتعلق بظاهره ولا يكون ممتثلا طيبا مستقيما حتى يقوم
بحقوق الله تعالى في ظاهره وفي باطنه وقد ذكر الشيخ فيما سبق
بعض الوظايف المتعلقة بالباطن ونعرض هنا لبعض ما يتعلق
بالظاهر ولاشك انه منقسم على الاعضا الظاهرة من اللسان
والعين والاذن والقلب واليد والرجل والبطن والفرج اما
اللسان فهو اشد الاعضا على الانسان واهلكه له وفي الحديث
وهل يكب الناس على وجوههم او على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم
وهو في الرتبة الثانية من القلب لانقسام الايمان بينهما شطرين
اذ لابد فيه من اعتقاد بالجنان واقرار باللسان وكذا الكفر
والردة يكون فيهما وحسبك ان فيه ربحك وكسبك وغنيمتك
وثمرة تعبك واجتهادك فكم تتلفظ عليك بلفظة واحدة
ما تتعب فيه سنين متطاولة بلد مرك وفي الحديث ان الرجل

ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها في النار
سبعين خريفا ولهذا قيل ما شي احق بطول السجن من اللسان قال
بعض السلف تعلمت الصمت بحصاة جعلتها في فمي ثلاثين سنة
كنت اذا هممت بكلمة تلجلجت بها لساني فسكت وروى نحوه عن ابي بكر
الصديق رضى الله تعالى عنه وقال بعضهم جعلت على نفسي بكل
كلمة اتكلم بها فيما لا يعنيني صلاة ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت
على نفسي بكل كلمة صوم يوم فسهل ذلك علي ولم اتنه حتى جعلت
على نفسي بكل كلمة صدقة درهم فصعب ذلك علي فانتهيت
وقال عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله فيما النجاة
قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وقيل من سره ان يسلم قلبه فليلزم الصمت واوصى صلى الله عليه وسلم
معاذا بالصلاة والصيام وغير ذلك ثم قال في اخر وصيته الا
انبيك بملاك ذلك كله امسك عليك هذا واومى الى لسانه
قال معاذ قلت يا رسول الله وانا مؤاخذون بما نتكلم به فقال
ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد
السنتهم انك ما سكت فانت سالم فاذا تكلمت فانما لك
او عليك وقال عبد الله بن شقيق عن ابيه انه قال يا رسول الله
اخبرني باضر شي علي فقال هذا واومى الى لسانه وفي لفظ اخر
لا يتقي العبد ربه حق تقاته حتى يحزن لسانه وفي الحديث لا يصلح
العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه
وقال بعض العلما ما استقام لسان عبد الا عرف الصلاح في
سايز عمله وما اختلف لسانه الا عرف الفساد في سايز عمله
وقال احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه علما الكلام زنادقة
يعني بعلما الكلام الذين يتعلمون حلاوة المنطق وضروب
الفصاحة ليتمشدقوا بها ويتفاصحوا بحضرة ابنا الدنيا

شبكة الألوكة www.alukah.net

والملوك وساير الناس ليستميلوا قلوبهم بذلك ويمدحوهم ويعلوا
اقدارهم وينشر ذكرهم ويرتفع صيتهم ويظفروا بما رتب عن الرياسة
اللهم اغفر لنا ما مضى واصلح لنا ما بقى الى الممات يا ارحم
الراحمين يا ذا الجلال والاكرام والطول والانعام بجاه نبيك
ومصطفاك سيد الانام سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى اله وصحبه اجمعين السادة الكرام وانما كان علما الكلام
زنادقة لان ظاهرهم يخالف باطنهم لان الظاهر منهم يقتضى
تعظيم قدر العلم والافصاح عن دقايقه وتقريبا ما اشكل منه
بالعبارة البليغة الرايقه والباطن انما ذلك كله منهم حيالة
وشرك يضبوه لنيل الرياسة وجيفة الدنيا وكثير منهم يتمشدق
ويتفاصح بما لم يحط علما بحقيقته وذلك كله غش ونفاق لا شك
فيه وقال بعض العارفين هذا العلم على قسمين نصفه السكوت
ونصفه ان تدري اين تضعه وقال الضحاك ادركتهم وهم يتعلمون
الصمت والورع وهم اليوم يتعلمون كثرة الكلام الحسن وقال
بعض السلف وقد سئل هل العلم اليوم اكثر او فيما سلف فقال
الكلام اليوم اكثر والعلم فيما تقدم اكثر وقيل كانوا ينتفعون
بصمت العلم اكثر مما ينتفعون بكلامه وقيل من لم ينتفع بسكوت
المتكلم لم ينتفع بكلامه وقيل لبعض العلما فلان اعلم عندك ام
فلان فقال فلان اعلم وفلان اكثر كلاما ففرق بين العلم والكلام
وقيل لبعض علما خراسان دلنا على رجل نجلس اليه بعدك ونسمع
منه فقال فلان وذكر لهم رجلا صموتا متعبدا لا يعرف كثير
العلم فقالوا ان فلانا ليس عنده من العلم ما يجيب به عن كل
ما يسال عنه فقال قد علمت ولكن عنده من الورع ما لم
يتكلم به الا بما يعلم فلذلك ارشدتكم اليه وكان في وقته
من المتكلمين في العلم كثير وقال بعض السلف تعلم الصمت

كما

كما تتعلم الكلام فان كان الكلام يهديك فان الصمت يقيك وفي
الصمت خصلتان تدفع بهما جهل من هو اجهل منك وتعلم بها
علم من هو اعلم منك وقال بعض العلما تعلم لا ادري ولا تتعلم ادري
فان قلت لا ادري علمت حتى تدري وان قلت ادري سألوك حتى لا
تدري وقال بعض العلما اذا اخطا العالم قول لا ادري اصيبت مقاتله
وفي الخبر ان فتنة العالم ان يكون كلامه اعجب اليه من الصمت وعن
جماعة من السلف ان تسعة اعشار السلامة في الصمت وقال بعض
السلف يا تى على الناس زمان يكون افضل اعمالهم النوم وافضل علومهم
الصمت يعني لفساد الاعمال واشتباه العلم وقال مع ذلك وحقه
ان يقول وافضل احوالهم الجوع لانتشار الحرام وغموض الحلال ويقال
كل كلمة فيما لا تعنى توقف عليها العبد في الاخرة خمس وقفات يطول
فيها حسابه ووقوفه وهوله ويذوب لحمه وقلبه وينقطع حسرات
اولها ان يقال له لم قلت كلمة كذا اكانت فيما يعنيك الثانية
هل نفعتك اذ قلتها الثالثة هل ضرتك لو لم تقلها الرابعة
هل لا سكت فربحت السلامة الخامسة هلا جعلت مكانها سبحان الله
والحمد لله والله اكبر فغنمت ثوابها وقد جاء في الخبر اكثر الناس
ذنوبا يوم القيامة اكثرهم خوضا فيما لا يعنيه وقال الحسن لسان
المومن من وراء قلبه اذا اراد ان يتكلم فكر فان كان له تكلم وان
كان عليه امسك وقيل لمنافق علم طرف لسانه اي شيء خطر بقلبه
تكلم به ولا يتوقف ولا ينثني والاخبار والاثار في امر اللسان
كثيرة جدا ومن لم يكتف بالقليل لم ينفعه الكثير **قوله** تسلم
من عوايله هو جمع غائلة وهي الافة المهلكة من قولهم غاله
واغتاله اذا اهلكه من حيث لا يدري ولا شك ان اللسان
كذلك لا ينفصل صاحبه اذا لم يشتد اعتناوه ومراقبته اياه
حتى يهلكه دنيا واخرى وفيهما جميعا من حيث لا يشعر ولهذا

شبه بالسبع الذي يغتال النفوس قهرا ولا يسلم منه الا قوي القلب
ثابت الجاش شاك السلاح **قوله** بالصمت يحتمل ان يكون متعلقا
بامسك او بتسلم **قوله** متى لم يمكن ان تعزل يعني متى لم تقدر على الصمت
والسلامة من غائلة اللسان تعينت عليك العزلة ح وصارت
فرض عين لانها لا يتوصل الى الواجب الذي هو ترك المحرمات المتعلقة
باللسان الا بها وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وقد
روي في الخبر العزلة عن الناس عافية وروي عنه عليه الصلاة والسلام
من طريق عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال بينما نحن جلوس
حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا
رايتم الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك
بين اصابعه فقلت ما اصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال
الزم بيتك وامسك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وفي خبر اخر انه عليه
الصلاة والسلام قال ذلك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج ٥
قال حين لا يامن الرجل جليسه وذكر ابن مسعود في خبر اخر للحارث
ابن عميرة انه قال ان يرفع من عمرك فسيأتي عليك زمان كثير
خطاوه قليل علماوه كثير سؤاله قليل معطوه الهوي فيه قايد
العلم قال عمر ومتى ذلك قال اذا اميتت السنة وقبلت الرشا
وبيع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجاة ويحك ثم النجاة ثم
قال الغزالي رضي الله تعالى عنه وجميع ما ذكر في هذه الاخبار
تراه بعينك في زمانك واهله فانظر لنفسك ثم ان السلف الكما
رضوان الله تعالى عليهم اجمعوا على التحذير من زمانهم واهله
واثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا به ولا شك انهم كانوا
ابصر وانصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل اشر وامر
وذلك عن يوسف بن اسباط قال سمعت الثوري يقول والله الذي

لا اله

لا اله الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان قال الغزالي قلت انا
واين حلت في زماننا فقد زماننا هذا قد وجبت وافترضت وعن
سفيان الثوري انه كتب الى عباد الخواص اما بعد فانك في زمان كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون بالله تعالى ان يدركوه
فيما بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على قلة
علم وقلة صبر وقلة اعوان وكدر من الدنيا وفساد من الناس وان
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال في العزلة راحة من خلطا
السوء ونقل عن سفيان بن عيينة قال قلت للثوري اوصني قال
اقلل من معرفة الناس قلت يرحمك الله ليس قد جاء في الخبر اكثر وا من
معرفة الناس فان الكمو من شفاعة قال لا احسبك رايت قط
ما تكره الا من تعرف قلت احل ثمرات فرايته بعد موته في المنام تج
فقلت يا عبد الله اوصني قال اقلل من معرفة الناس فان التخلص
منهم شديد وقال الفضيل رضي الله تعالى عنه هذا زمان احفظ
فيه لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
وعن داود الطائي رحمه الله تعالى قال صم عن الدنيا واجعل فطرك
الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وكان سهل يقول اجتمع الخير
كله في هذه الاربع خصال وبها صارت الابدال اخماص البطون
والصمت واعتزال الناس وسهر الليل وقال ايضا مخالطة الولي
للناس ذل وتفرده عنهم عز وقل ما رايت وليا لله تعالى الا منفردا
ولقد ذكر ان هرم بن حيان رضي الله تعالى عنه قال لاويس القرني
رضي الله تعالى عنه صلنا بالزيارة واللقا فقال اويس رضي الله
تعالى عنه قد وصلتك بما هو انفع لك منهما وهو الدعا على اظهر
الغيب لان الزيارة واللقا قد يعرض فيهما التزين والرياء ٥
وقيل لسليمان الخواص لما قدم ابراهيم بن ادهم رضي الله تعالى عنه
افلا تاتيه فقال القى شيطانا مارد احب الي من لقايه فاستكروا

ذلك من قوله فاني اذا القيته اخاف ان اتزين له واذا القيت شيطانا
امتنع منه قال الغزالي فهذا حال اهل الزهد والرياضة في ملاقاتهم
فكيف حال اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر والجهالة قال
واعلم ان الزمان قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس في ضرر كبير
فانهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى حتى لا يكاد يحصل لك منها
شيء ثم يفسدون عليك ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك منها شيء
فلزمتك العزلة والتفرد عن الناس والاستعاذة بالله تعالى من شر
هذا الزمان واهله والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته انتهى
قلت وهذه العزلة انما هي في حق من لم يحتج الى غيره من ضرورة علم
نافع ونحوه ولم يحتج اليه هو ايضا في ذلك الزمان اما ان وجد احد
الامرين تعين عليه الاحتياط فيمن يخالط لذلك بمقدار الضرورة
وتحتمت العزلة عموما فيما فضل عن ذلك ولينو بعزلته سلامته
هو خصوصا وسلامة الناس عموما من شر نفسه لا الترفع عن
مخالطتهم والسلامة بزعمه من شرهم فان ذلك كبر وترفع على
الناس بالانفراد عنهم والانفراد حذرا من ابتذاله واهانته بكثرة
الملاقاة وطلبا للمحبة والتعظيم بطول الغيبة في الخلوات فان ذلك
طلب للرياسة وهي من اكبر الافات وانما الواجب ان يرى نفسه حية
او كلبا عقورا او نجاسة يهرب بها سترا بعيبها وكفاية للمسلمين
من شرها ثم اذا رأى الناس تقطنوا له انه ممن يجب العزلة ويلزم
وخاف على نفسه الفتنة في ذلك فليدفع ببعض المخالطة التي
تدفع الفتنة ولا تضر ان تمكن من ذلك كالخروج للسوق لقضاء حوائجه
بيده ونحو ذلك بعض المباحات التي تصرف عنه ما يخشاه على نفسه
والله ولي التوفيق بفضله واما العين ففي سهم قاتل يجلب للقلب
والجوارح كل فتنة وبلية فيجب غضها عن المحرم وعن كل ما يخشى ان
يجر اليها من المباحات وبالجملة فليصنها عن كل ما لا يعنيه النظر

اليه

اليه امتثالا لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا ابصارهم ويحفظوا
فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون فاذن سبحانه
وتعالى في هذه الاية بالامر وبنه على المصلحة في ذلك بقوله ذلك
ازكى لهم اي اطهر لقلوبهم من الفتن ووساوس الشيطان وانمى لاعمالهم
الصالحة واكثر وهدد بقوله ان الله خبير بما يصنعون وقال تعالى
يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكفى بهذا تحذيرا لمن خاف مقام
ربه ولا خفاء في عظم مفسدة فضول النظر فكم من حرم بنظرة واحدة
من كبار المتعبدين حضور قلبه في ورده السنين المتطاولة
كاربعين سنة واكثر منها بل وعمره وروي ان العبد ليطرف النظرة
ينقل بها قلبه كما ينقل الاديم في الدباغ لا ينتفع به ابدا وروي
عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان النظر الى محاسن المراة سهم
مسموم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله تعالى طعم عبادة
تسره قلت واذا كان سهما فهو اما ان يهلك او يبقي علة الى
الممات او هرا طويلا وليذكر العبد المومن في بواعث صيانة
هذا العضو الشريف عن ما لا يعني ما يرجوا له ان يخلقه الله تعالى
فيه بمحض فضله مروية لذاته العلية جل وعلا في الاخرة وحق
العضو ترجمة هذه الفضيلة التي ليس فيها فضيلة ان يصان
كل الصون ويحرس غاية الحرس عن اهانته بارساله حيث لا يرضى الرب
تبارك وتعالى ولقد احسن الشيخ ابن عطا الله رضي الله تعالى
عنه في قوله في كتابه المسمى بالطريق الجادة الى نيل السعادة
بعد كلام له قال في اخره فيا ليت بصرا نظرت به محاسن غيره تعالى
عوضت عنه بالعما وقال رضي الله تعالى عنه فغض الابصار
عن المستحسنات والقلوب عن ميلها الى الشهوات فليس قلبك
معمورا على الدوام فالحق سبحانه اختار لحضرته من يصلح لها ومن
لا يصلح لها رماه للكائنات فمثالهم كالعبيد يعرضون على الملك

فمن صلح اخذه الملك ومن لا يصلح بقي للرعية وقال ايضا رضي الله
تعالى عنه القلب الحسن هو الذي لا يشغله عن الله تعالى حسن
انتهى واما الاذن فعليك بصيانتها عن سماع كل قبيح او ما يؤول
اليه بل ينبغي ان تصونها عن كل ما لا يعنيك وان كان غير قبيح لان
قوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
عام في جميع اعضاء الانسان الظاهرة والباطنة اما القبيح فيتعين
صيانة الاذن عنه لما ورد ان المستمع شريك المتكلم في الاثم واما
ما لا يعني من المباحات فلانه يوثر في القلب وساوس وخواطر
مشغلة له عن الحضور في فرضه ونفله ولا يامن ان يحمله على بلية
يهلك بها في دينه او دنياه وينبغي ايضا ان يعز هذا السمع ويعظمه
ويصونه حتى لا يسمع به الا احسن القول لما يرجاله من شرفه سماع
كلام الله تعالى الذي هو صفة من صفاته واما اليد والرجل والفرج
فالامر فيها ظاهر ومعاصيها وما لا يعني فيها تابع لسائر الاعضاء
التي ذكرناها فتعين الاجتزاء بالكلام فيها واما البطن فهو اشق
الاعضاء اضلاعا على المجتهد واكبرها مونة وشغلا واعظمها ضررا
واشدها اثرا لانه المنبع والمعدن ومنه يهيج الامور في الاعضاء
من قوة وضعف وعفة وجماع فتعين اذن على المومن ان يصرف
اليه وجه اعتنايه واجتهاده فيصونه عن الحرام والشبهة اولا
ثم عن فضول الحلال ثانيا ان كانت له همة في عبادة الله تعالى
اما الحرام والشبهة فيحذر منهما لثلاث افات مهلكات تذكرها
الغزالي رضي الله تعالى عنه الاولى دخول النار قال عليه الصلاة
والسلام كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به الثانية ان اكل
الحرام والشبهة مطرود لا يوفق لعبادة اذ لا يصح لعبادة الله
تعالى على وجهها الاكل طاهر مطهر واذا كان المحدث ممنوع من مس
كتابه والجنب منه ومن دخول بيته مع انهما اثر مباح فكيف

بمن

بمن هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة مع يدعى
الى خدمة الله تعالى العزيزة وذكره الشريف كلا لا يكون ذلك ابدا
وقال غير الغزالي صاحب المحرمات لا يفعل الا المحرمات وصاحب الشبهة
مخلط للطاعات بالسيئات وصاحب فضول الحلال واقع في الغفلات
والفترات وقلة بضاعة الطاعات وانتهاب العمر العزيز بتضييع
الاوقات الثالثة ان اكل الحرام والشبهة محروم وان تقوله فعل
خير فهو عليه مردود غير مقبول منه فاذا لا يكون له من ذلك الا العنا
والكد والشقا وشغل الوقت فيما ليس له بقا قال صلى الله عليه وسلم
كم من قايم ليس له من قيامه الا التسهر وكم من صايم ليس له من صيامه
الا الجوع والظما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا يقبل الله
صلاة امرء في جوفه حرام واما فضول الحلال فانه آفة العباد
ويليه هل الاجتهاد وذكر فيه الغزالي رضي الله تعالى عنه عشر
افات الاولى قسوة القلب وذهابه بالنور وقد روي في الحديث لا
تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع
اذا كثر عليه الماء الثانية ثقلة الاعضاء وانبعاثها للفضول
والفساد قال الاستاذ ابو جعفر البطن عضو ان جاع جاع بسببه
سائر الاعضاء وان شبع هو جاع سائر الاعضاء الثالثة قلة الفهم
والعلم فان البطنة تذهب الفطنة الرابعة قلة العبادة
لثقل الاعضاء وكثرة النوم ولقد قيل اذا كنت بطنا فعد نفسك
زمنا الخامسة فقد حلاوة العبادة قال ابو بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه ما شبعت منذ اسلمت لاجل حلاوة عبادة ربي وما
رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء ربي وقال الداراني
احلاما تكون العبادة اذا التصق ظهري ببطني السادسة
خطر الوقوع في الحرام والشبهة لان الحلال قل ان ياتي الا قوتا
السادسة كثرة شغل القلب والبدن بتحصيله اولا ثم

تهيئه ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بافراغه وتخليص البطن منه
رابعا ثم بالسلامة من افاته وعلله الدينية والدنيوية خا
وكل واحد من هذه تطلب زمانا طويلا ومعاناة وتعلقا بالدنيا
واهلها وطمعا وهلعا وتخوذلك من المفاسد ويفوت بذلك
من العبادات وخيرات الاخرة ما لا يمكن ان يعد ويحصى الثا
شدة سكرات الموت على قدر لذات الحياة التاسعة تقصان
الثواب فانه بقدر ما ياخذ من لذات الدنيا ينقص له من ثواب
الاخرة روى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عطش يوما
فدعا بماء فاعطاه رجل اداوة فيها ماء نبذ فيه ثمرات فلما
قربها عمر رضى الله تعالى عنه من فيه وجد الماء باردا حلوا امسك
وقال اوه اوه فقال الرجل والله ما الركوة حلاوة يا امير المؤمنين
فقال عمر رضى الله تعالى عنه ذلك الذى منعنى منه ويحك لك
الاخرة لشاركناكم فى عيشكم العاشرة الحبس وطول الموقف وعظائم
تلك الاهوال والحساب واللوم والتعبير فى ترك الاداب فى اخذ
الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها حساب وحرامها
عقاب وزينتها الى ثبات قال تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم
وفى الحديث يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو
خمسمائة عام وبالله تعالى التوفيق واما القلب فهو اعظم هذه
الاعضاء كلها خطرا واكثرها اثرا واد قها امرا واشدها ضررا
فان القلب محل العقل وهو ملك مطاع ورئيس متبوع والاعضاء كلها
تابعة له ففى الحديث ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب وهذا بين فيه
بالمشاهدة وقد سمعت ما يقع لاولياء الله تعالى من مكابدة
العبادات ومحاربتها من العبادات حتى بلغ كثير منهم
رتبة الملائكة فى عدم الشهوة والنوم والاكل والشرب ومداومة

العبادة فى كل وقت من غير تخلل شئ من الفترات ولم يزيد واعلى الناس
بقوة بدن ولا كبر اضلاع لكن زاد وا بطهارة القلب من كل دنس
وامتلا يه بجواهر المعارف الربانية والمواهب القدسية النورانية
فانتفضوا بذلك عن جميع الرسوم الجسمانية وطاروا بقلوبهم
الى العالم الملكوتى واتسعوا فى صحرائه اى اتساع ثم صاروا بعد ذلك
غيبا عن الكل وعن انفسهم وعن غيبتهم عن انفسهم فى شهوده تعالى
وارتفعوا فى ذلك عن جميع العوالم اى ارتفاع ثم من عليهم بالبقاء به
جل وعلا بعد ذلك الغنا ومنعوا بمواهب لطايف كرمه وطرايف حكمه
التى لا نهاية لها ولا وصول للعبادة الى اد ناها غاية الامتناع اللهم
انا نسالك يا ارحم الراحمين يا ذا الجلال والاكرام ان تحشرنا فى زمرتهم
وان تمتعنا فى الدنيا بالصدق فى محبتهم وفى الاخرة بقربهم ومحبتهم
ومجاورتهم فانا يا اكرم الاكرمين وان لم نكن منهم فطعا فنحن نحبهم
لاجلك طبعا وشرعا وقد وعدت على لسان رسولك الصادق
المصدوق صلوات الله وسلامه عليه بالحاق كل محب بمحبوبه
والضرب له على سبيل التفضل والكرم بسهم وافر من سهمان من
انتما اليه وتعلق بسبب من اسبابه والمملكة يا من خزاين نعمه
لا تفاد لها وبحار كرمه لا ساحل لها متسعة لا تنقص فيها ولا ضيق
ولا فراغ ولا ضجر فما ضر الطفيلى لما شم اكرام الرب لبعض عبيده
فى دار ضيافته ان يتطفل ويمد يد الضراعة للدخول معهم الى
الرب المتفضل عند باب من ابوابه

ولترضوا ولتصبرن مما ابتليت به رضى الاله والاحبة لم تزل

لما خص الشيخ فيما سبق على امور وحذر من امور وقد اشتمل جميع
ذلك على عقبات صعبة من المشاق وقد يعرض مع ذلك للعامل
عوايق تعوقه عن الوفا بما عزم عليه كالفقر ووقوع الامراض
ومشاهدة المصايب فى النفس والاقارب والاموال والاولاد امر

فى هذا البيت بشيئين من التزامهما بلغ المقصود ولم يقطعه عقبة
ولا عاقته عن مراده محنة ولا مصيبة وبهما التزام مقامى الرضى
والصبر ولا بد منهما لكل مومن لان الدار دار محنة وتكاليف وعوائق
وهموم واحزان ليس للراحة ولا للفرج فيها للعقلا سبيل فبالتزام
هذين المقامين وتوطين النفس عليهما توطينا صادقا تقع الراحة
للمومن من كل ما يشوش عليه فى قلبه وعمله ويظفر مع سلامته من غضب الله
تعالى وعقابه بخيرى الدنيا والاخرة ومن ضعف عن حمل هذين المقامين
والتزامهما هلك دنيا واخرى وكان محروما من خير الدنيا والاخرة
وراحتيهما اما الرضى فحقيقته عدم الاعتراض بالباطن والظاهر
على الرب المولى ملك الملوك ومدبر العوالم كلها بلا واسطة
فى كل ما يصدر منه تبارك وتعالى من فعل او ترك لا يم النفس او
لم يلايمها نفعها ذلك او ضرها وان لا يتوجه العبد الحقير فى جميع
ذلك باطنا وظاهرا الى المولى العظيم الا بما يحب له تبارك
وتعالى من التعظيم والتوقير والثنا بجميل الاوصاف وكماله
العدل والتنزه عن ترتب حق عليه عموما وان حضرة ربوبيته
لا يطرقها ظلم ولا جور ولا تجويز ولا شك ان هذا المقام سهل
لمن حقق بما سبق فى العقايد انه لا يجب عليه تعالى شرعا ولا
عقلا ولا عرفا فعل شيء من الممكنات ولا تركه ولا مراعاة صلاح
ولا اصلح لشيء من مخلوقاته بل كل نعمة منه محض فضل وكل نقمة
منه تعالى فهى صواب وحسن وعدل ولا تعلل افعاله جل وعلا
بالاغراض ولا يستحق عليه شيء من الثواب ولا عوض من الاعواض
وللقوم فى تفسير معنى الرضى عبارات منها ما هو تفسير لاصله
الواجب المكتسب ومرجعه لما ذكرناه الآن فى تفسيره ومنها
ما هو لكماله وما ليس مكتسبا منه ومنها ما هو تفسير له بذكر
حقيقته ومنها ما هو تفسير له بذكر لوازمه فقال المحاسبى

الرضى

الرضى سكون القلب تحت مجارى الاحكام وقال الجنيد الرضى
رفض الاختيار وقال ابن عطا الله الرضى نظر القلب الى قديم
اختيار الله تعالى للعبد وموترك السخط وقال رويم الرضى
استقبال الاحكام بالفرح وقال الثورى سرور القلب بمر القضا
وسئلت رابعة متى يكون العبد راضيا فقالت اذا سرته المصيبة كما
سرته النعمة وعن احمد بن ابى الحوارى قال سمعت ابا سليمان يقول
ارجو ان اكون عرفت طرفا من الرضى لو انه ادخلنى النار لكنت
بذلك راضيا وقال ابو عمرو الدمشقى الرضى ارتفاع الجزع فى اى
حكم كان وسئل ابو عثمان عن قول النبى صلى الله عليه وسلم اسالك
الرضى بعد القضا فقال لان الرضى قبل الحكم عزم على الرضى والرضى
بعد القضا هو الرضى وقيل ان عتبة الغلام بات ليلة الى الصباح
وهو يقول ان تعذبنى فانا لك محب وان ترحمنى فانا لك عبد
وقال ابو عثمان منذ اربعين سنة ما اقامنى الله تعالى فى حال
فكرهته وما نقلنى الى غيره فسخطته وقال القرافى فى الفروق
اعلم ان السخط بالقضا حرام اجماعا والرضى بالقضا واجب اجماعا
بخلاف المقضى قال والفرق بين الرضى بالقضا والمقضى والتقدير
والمقدور اذا الطبيب اذا وصف للعليل دوا او قطع يده لتاكلة
فان قال ليس تزييل الطبيب ومعالجته حسنة وكان غير هذا
يقوم مقامه بما هو ايسر منه فهو يسخط بقضا الطبيب بحيث
لو سمعه الطبيب لكره ذلك وشوفا اليه وان قال هذا دوا وامر
قاسيت منه شدة وقطع اليد حصل منه الم عظيم مبرح فهذا
سخط بالمقضى الذى هو الدوا والقطع لا بالقضا الذى هو ترتيب
الطبيب ولا يلومه الطبيب اذا سمع ذلك منه بل يقول له صدقت
الامر كذلك فعلى هذا اذا ابتلى الانسان بمرض فتالم من المرض
لمقتضى طبعه فهذا ليس عدم رضا بالقضا بل عدم رضا بالمقضى

شبكة الألوكة www.alukah.net

وان قال اى شئ عملت حتى اصابنى مثل هذا او صادفنى وما كنت
استاهل هذا فهذا عدم الرضا بالقضا فنحن مامورون بالرضى
بالقضا ولا نتعرض لحكمة ربنا الا بالاجلال والتعظيم ولا يعترض
عليه فى ملكه واما انا امرنا بان نطيب لنا البلايا والرزايا
وموالات الحوادث فليس كذلك ولم ترد الشريعة بتكليف احد
بما ليس من طبعه بل ذم الله تعالى قوما لا يتالمون ولا يجدون
للباس موقعا قدمهم بقوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما
استكانوا لربهم وما يتضرعون فمن لم يتمسكن للمولمات ويذل
ويظهر الجزع منها ويسال ربه اقالة العثرة منها فهو جبار عنيد
بعيد عن طريق الخير فالمقضى والمقدور اثر القضا والقدر اما
المقضى فقد يكون الرضا به واجبا كالايمان والواجبات اذ
قدرها الله تعالى للانسان وقد يكون مندوبا فى المندوبات
وحراما فى المحرمات والرضا بالكفر كفر ومباحا فى المباحات
واما القضا فالرضى به واجب على الاطلاق من غير تفصيل فمن
قضى عليه بالمعصية او الكفر فالواجب عليه ان يلاحظ جهة المعصية
والكفر فيكرههما وما قدر الله تعالى فيهما فالرضى ليس الا من
سخط وسقه الربوبية فى ذلك كان ذلك معصية وكفرا
منضما الى معصيته وكفره فتامل هذه الفروق فاذا اوضحت
لك فاعلم ان كثيرا من الناس يعتقدان الرضا بالقضا انما
يحصل من الاولياء وخاصة عباد الله تعالى وانه العزيز الوجود
وليس كذلك بل اكثر العوام من المومنين انما يتالمون من المقضى
فقط واما التوجه الى جهة الربوبية بالتجويز والقضا بغير
العدل فهو لا يكاد يوجد الا نادرا من الفجار المردة قلت
ويقع من النسا وكثير ممن جمع بين الجهل وضيق الخلق قال وانما
بعثت هؤلاء على قولهم ان الرضا بالقضا انما يكون من خاصة الاو

الفهم

انهم يعتقدون الرضا بالقضا هو الرضا بالمقضى وعلى هذا
التفسير فهو عزيز الوجود بل كالمعتذر وهذا التفسير غلط
بل الحق ما تقدم وهو متيسر على اكثر عوام المسلمين فضلا عن الاتقيا
والصالحين انتهى واما الصبر فهو مقام عظيم يحتاج اليه كل المقامات
ودوا مر وشريعة كريمة مباركة يحلب بها كل منفعة وتدفع بها
كل جميع المضرات قال على رضى الله تعالى عنه الصبر من الايمان
بمنزلة الراس من البدن وفى خبر ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل
عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقيل اوحى الله الى داود عليه السلام
تخلق باخلاقى وان من اخلاقى انى انا الصبور وقيل تجرع الصبر
فان قتلك قتلت شهيدا وان احياك احياك عزيزا وفى بعض
الاخبار الفقرا الصبر هم جلسا الله يوم القيامة وقال ابن عيينة
فى معنى قوله تعالى وجعلنا هم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
قال لما اخذوا براس الامر جعلناهم رؤسا انتهى وحقيقة الصبر
الواجب هو حبس النفس والحواس عن الجزع والضجر الموجبين
سوء الادب على الله تعالى عند النالم بصدمة المصيبات
والتقصير عما يجب فرارا من ثقل المشاق والمكرهات وميلا
الى جانب الراحات والشهوات قال القشيرى سمعت الاستاذ ابا على
يقول فاز الصابرون بخير الدارين لانهم نالوا من الله تعالى
معينه قال الله تعالى انا الله مع الصابرين والصبر على اقسام
صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب له ثم الصبر
على المكتسب على قسمين صبر على ما امر الله تعالى به وصبر على ما
نهى الله سبحانه عنه اما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد فصبره
على مقاسات ما ينفصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة ○
كالامراض والاحزان والهموم ونحو ذلك وبه يحصل الثواب
ورفع الدرجات فى هذا القسم اما المصيبة التى لا كسب للعبد

فيها

فانما يحصل بها التكفير للذنوب فقط واذا اطلق عليها الثواب
فتسامح لانه باعتبار ما قارنها من الصبر والرضا لان حصل عليها
الثواب من حيث انها مصيبة والفرق ان سبب نيل المثوبات
ورفع الدرجات في الاخرة يشترط فيها ان يكون مكتسبا للمكلف
مامورا به من جهة الشرع فما ليس مامورا به وان كان مكتسبا
كالافعال المباحة فلا ثواب فيه واحرى ان يكون غير مامور به ولا
مكتسبا كالامراض ونحوها واما سبب التكفير فلا يشترط فيه شئ
من ذلك بل قد يكون مكتسبا من باب الحسنات لقوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيات وقد يكون غير مكتسب كالمصائب المولمة
لقوله عليه الصلاة والسلام لا يصيب المومن وصب ولا نصب
حتى الشوكة يشاكها الا كفر بها من ذنوبه ومن ذلك ما في مسلم
من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابا من النار قيل
يا رسول واثنان قال واثنان قال القرافي الحجاب راجع
الى معنى التكفير اى تكفر مصيبته فقط فقد الولد ذنوبا
كان شانها ان يدخل بها النار فلما كفرت تلك الذنوب بطل
دخول النار بسببها فصارت المصيبة كالحجاب المانع من
دخول النار من جهة مجازا التشبيه قال واعلم ان التكفير
في موت الاولاد ونحوهم انما هو بسبب الالم الداخل على القلب
من فقد المحبوب فان كثر كثر التكفير وان قل قل التكفير ولا جرم
يكون التكفير على قدر نفاسة الولد وصفاته ونفاسته في بره
واحواله فان الولد مكروها يستتر يفقده فلا كفارة بفقده
البتة قال وانما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
التكفير بموت الاولاد بناء على الغالب انه يولم فظهر لك بهذا
الفرق بين المكفرات واسباب المثوبات وبالله تعالى التوفيق

ولتخلص السعي في قوال وفي عمل، وكن باخراك عن ذه نياك في شغل

فان

فان تاركها ناتيه راغمة، وان تتمنها لغير الرزق لم تصل
فان يكن من حلال ثلثه فلقد، اصبحت من ملبس التوفيق في حلل

يعني انك وان امتثلت جميع ما سبق قولا وعملا لم تنتفع ولم يقع
به اعتداد حتى يصحبه الاخلاص قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين حنفاء وقال سبحانه فاعبد الله مخلصا له
الدين الا لله الدين الخالص وفي الحديث الصحيح انما الاعمال بالنيات
الخبر الخ والاجماع على وجوبه وان كل عمل خلا عنه فهو مردود على
صاحبه غير متقبل عنه وحقيقة الاخلاص الواجب افراد الحق
تعالى بالطاعة بالقصد ويصح ان يقال هو تصفية الفعل عن ملاحظة
الخلق وفي الخبر عنه عليه الصلاة والسلام عن جبريل عليه السلام عن الله
تعالى قال الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي
قال ذا النون المصري الاخلاص لا يتم الا بالصدق فيه والصبر عليه
والصدق لا يتم الا بالاخلاص فيه والمداومة عليه وقال ابو يعقوب
متى شهد واني اخلاصهم الاخلاص احتاج اخلاصهم الى اخلاص وقال
القشيري سمعت الاستاذ ابا علي يقول قال الاخلاص التري عن ملاحظة
الخلق والصدق التوفي عن مطالعة النفس فالمخلص لا رياء له والصادق
لا اعجاب له قال وسمعت الشيخ ابا عبد الله السلمي يقول سمعت ابا
عثمان المغربي يقول الاخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا
اخلاص العوام واخلاص ما يجري عليهم لا بهم فتبد وامنهم الطاعات
وهم عنها بمعزل ولا تقع لهم عليها رويه ولا بها اعتداد فذلك
اخلاص الخواص وقال ابو بكر الرقاق نقصان كل مخلص في اخلاصه
رويه اخلاصه فاذا اراد الله تعالى ان يخلص اخلاصه اسقط عن
اخلاصه رويه اخلاصه فيكون مخلصا لا مخلصا وقال ابو سعيد
الخواز رياء العارفين افضل من اخلاص رياء المريدين وقال الفضيل
ابن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك

كان ع

والاخلاص ان يعافيك الله تعالى منهما وقال رويم الاخلاص هو الذي
لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وقال بعضهم دخلت على
سهل بن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه يوم الجمعة قبل
الصلاة فرايت في البيت حنشا فجعلت اقدم رجلا واوخر اخرى
فقال ادخل لا يبلغ احد حقيقة الايمان وعلى وجه الارض شيء يخافه
ثم قال هل لك في صلاة الجمعة في المسجد الحرام فقلت بيننا
وبين المسجد الحرام يوم وليلة فاخذ بيدي فما كان الا قليل
حتى رايت المسجد فدخلنا المسجد وصلينا الجمعة ثم خرجنا
فوقف ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال هؤلاء اهل لا اله
الا الله كثير والمخلصون منهم قليل وعن اسماعيل بن خالد عن
مكحول قال ما اخلص عبد قط اربعين يوما الا ظهرت ينابيع
الحكمة من قلبه على لسانه وعن عمر الرازي قال سمعت يوسف
ابن الحسين يقول اعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم اجتهدت
في اسقاط الرياء عن قلبي فكانه ينبت فيه على كون اخر قوله
وكن باخراك عن دنياك في شغل اشار بهذا الى ان منبع كل
خلق ذميم واصل كل شر حب الدنيا والميل الى شيء منها بطريق الاحتباس
والمراد بالدنيا كل ما يشغل عن طاعة الله تعالى وفي الحديث
حب الدنيا راس كل خطيئة قال الغزالي الرغبة في الدنيا تشغلك
اما ظاهرك فبالطلب واما باطنك فبالارادة وحديث النفس
وكلاهما يمنع عن العبادة فان النفس واحدة والقلب واحد فاذا
اشتغل بشيء انقطع عن ضده وان مثل الدنيا والاخرة كمثل
ضرتين وكمثل المشرق والمغرب ما شغلها في الظاهر فقد
روينا عن ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه انه قال حاولت بين
العبادة والتجارة فلم يجتمعا فاقبلت على العبادة وتركت التجارة
وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال لو كانتا مجتمعتين لاحد غيري

لاجتمعتا لي

لاجتمعتا لي اما اعطاني الله سبحانه من القوت واللبس فاذا
كان الامر هكذا فسلم في الفانية والسلام واما شغلها
الباطن فلما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه
فاثروا ما يبقى على ما يفنى فقد استبان بهذا ان العبادة
لا تتاتى على وجهها الا بالزهد وهو على ضربين فرض ونفل
فالفرض هو ترك كل ما يعطل عن الواجبات ويوقع في فعل
المحرمات والنفل كل ما زاد على مقدار الضرورة والاول مطلوب
واجب في حق جميع المكلفين والثاني يختلف باختلاف الناس
والمقامات وقال بعض المشايخ الزهد له اول واخر اما
اوله فهو ترك كل ما يشغل المريد عن الطريق من الاسباب
والاشياء والاشخاص والخروج عما يملكه الا ما لا بد منه من
سد الجوعة وستر العورة في الوقت من غير ذخيرة للعيد
باعتماده على الله وذلك يوجب التوكل على الله تعالى فان
الزهد لا يمكن الصبر عليه الا بقوت التوكل وترك الاشخاص
يوجب العزلة والانفراد عن الناس الا من يعينه على الطريق
من شيخ كامل ورفيق موافق او صحبة صالحة او كلام شاف
وذلك يوجب الصمت الا قدر الضرورة واما اخره فهو ترك
كل ما يشغله عن الله تعالى بالاعراض عما سواه من العلوم
والاحوال والكرامات وما في معناها وثمرة الزهد الواجب
التمكن من ايقاع الواجبات على وجهها والتحصن من الوقوع
في شبكة المحرمات باسرها وثمرة الزهد النافلة استنارة
القلب بالحكم وتعاون الاعضاء على العبادة وكثرة قيمة العمل
ومضاعفة ثوابه وعظم قدره وشرف محله قال الشيخ ابن
عطاء الله ما يطلع على الاسرار الا امين وانت تعطي نفسك

شبكة الألوكة www.alukah.net

حظها من المآكل والمشارب حتى تبقى بيت خلا ويكفيك
حب الدنيا ومن احبها فقد خان ومن خان فهل يطلعه الملك
على اسراره وقال ايضا من احب الدنيا بقلبه كان كبنا
حسن بنى فوقه مرحاض فوضع عليه فلا يزال كذلك حتى
يرى ظاهره كباطنه وروى عن سليمان الفارسى رضى الله
تعالى عنه انه قال ان العبد اذا زهد فى الدنيا استنار قلبه
بالحكمة وتعاونت اعضاوه بالعبادة وروى مسروق عن
ابن مسعود رضى الله تعالى عنه واسنده الغزالى الى النبى
صلى الله عليه وسلم قال ركعتان من رجل زاهد قلبه خير له
واحب الى الله تعالى من عبادة المتعبدين المجتهدين الى
اخر الدهر ابدا سرمدا قلت ولهذا لا ينبغى للمعرض عن الدنيا
ان يقول انا متالم بالصبر عنها بل يقول انا شاكر متلذذ
بالنعم الدنيوية والاخروية التى انا متقلب فيها من وجود
الراحة فى الظاهر والباطن من معاشرة الاضداد ومشاهدة
اهل الغفلة والبعاد والتفرغ بالكلية لزيادة المعارف
واليقين والترقى بادمان العبادة الى اعلا درجات
المتقين وايضا فان تالم الزاهد فى الدنيا بالصبر على
لذايذها فان المقبل عليها متالم ايضا بالصبر عليها
وحفظها وتحصيلها ودفع الافات الكثيرة عنها يفضى
به قريبا الى لذايذ عظيمة فى الاخرة وتالم المقبل يفضى
به الى اموال ومقاسات شدايد واخران وهموم لا تنحصر
فليقوى المعرض عن الدنيا الزاهد فيها عند توقان نفسه
الى شهواتها الضعيفة الوهمية على سبيل الاقتباس ولا
تهنوا فى ابتغا القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون
وترجون من الله ما لا يرجون واعلم ان الزهد على ضربين

زهد

زهد مكتسب وهو ما تقدم تفسيره وزهد غير مكتسب وهو
برودة الدنيا من قلب الزاهد حتى تكون كالميتة والنار
وترك ارادتها بالقلب واختيارها ثم الزهد المكتسب مقدمة
وسبب لغير المكتسب وذلك هو نهاية المطلوب وبه تقع الراحة
وتنقطع الوساوس وتنال درجات الاخرة قال تعالى تلك
الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا
فسادا والعاقبة للمتقين وقال جل من قايل من كان يريد
حرث الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نوته منها وما له فى الاخرة من نصيب وقال تعالى من كان
يريد العاجلة عجلنا له ما نشا لمن نريد وجعلنا له جهنم
يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها
وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا وسبب برودة
الدنيا من القلب المواظبة على الزهد المكتسب وادامة
ذكر افات الدنيا وما يفوت بسبب شهواتها المنقضية
عن قريب من الخيرات الاخروية فيوازن نعيمها ولذاتها
الناقصة الفانية بنعيم الاخرة ولذاتها الكاملة الباقية
فتصير نسيا منسيا ويوازن اهوالها ومحنها التى لا دوام
لها باهوال الاخرة ومحنها فيغلب جميع اهوالها ومحنها فى ادنى
هول من اهوال الاخرة ولهذا اشار الشيخ رضى الله تعالى عنه
بقوله وكن باخراك عن دنياك فى شغل يعنى لان التشاغل
بالادنى فى غاية ما يكون عما هو اعلى فى غاية ما يكون لبس
من شيم العقلا قال الشيخ ابن عطا الله رضى الله تعالى عنه
من فرح بالدنيا اذ جاته فقد ثبت حمقه واحمق منه من
اذا فارقته حزن عليها فمثاله كمن جاته حية لتلدغه
ثم مضت وسلمه الله تعالى منها فحزن عليها اذ لم تضره ثم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال من علامات الغفلة وصغر العقل ان تعول لهما هل يقع
أم لا وتترك ان تعول لهما لابد من وقوعه فتضيع تقول كيف يكون
التسعر غدا وكيف يكون في هذا السنة والطاف الله تعالى تاتي
من حيث لا تعلم والشك في الرزق شك في الرازق وما سرق
السارق وما غصب الغاصب لا يرزقه فما دمت حيا لا ينقص
من رزقك شيء كفريك جهلا ان تعول الهم الصغير وتترك الهم
الكبير على هم هل تموت مسلما او كافرا على هم هل انت شقي ام
سعيد على هم النار الموصوفة بالابدية التي لا انتهاء لها على
هم اخذ الكتاب باليمين او بالشمال هذا هو الهم الذي يعال
لا تعل هم لقمة تاكلها او شربة تشربها ايستحد ملك الملك ولا
يطعمك اتكون في دار الضيافة وتضيع يا من لا ياكل الخطة
الا مغربلة لابد ان يغربل عمرك فلا يبقى لك منه الا ما
اخلصت فيه وما عدا ذلك يرمى ومثال الهموم بدنياه الغافل
عن التزود لاخراه كمثل انسان فاجاه سبع وهو يريد ان يفر منه
ووقع على باب فاشتغل بذب الذباب ودفعه عن التحرز
من السبع فهذا عبد احمق فاقد وجود العقل لشغله عن
امر الاسد وصولته وهجومه عليه بالفكرة بالذباب كذلك
المهتم بامر دنياه عن التزود للاخرة دل ذلك منه على
وجوب حمقه اذ لو كان فهما عاقلا لتاهب للدار الاخرة
التي هو مسئول عنها وموقوف فيها ولا يشتغل بامر الرزق
فان الاهتمام به بالنسبة للاخرة نسبة الذباب الى معالجة
الاسد وهجومه وقال الغزالي رضي الله تعالى عنه فان قلت
كيف يمكن ان تصير الدنيا في شهواتها ولذاتها المحبوبة
المطلوبة عند انسان بمنزلة النار وبمنزلة الجيفة ٥
المستحيلة والبنية بنيتنا والطبع طبعنا فاعلم ان من

وفق

وفق التوفيق الخاص وعلم افاتها وقدرها في اصلها فتصير
عنده لذلك وانما يتعجب من هذا الراغبون العميان عن عيب
الدنيا وافاتها المغترون بظاهرها وزينتها ومما ضرب لك
مثلا الحرام بمثل بانسان صنع خبيصا بشرايطه من السكر وغيره
ثم طرح فيه قطرة سم قاتل وابصر ذلك رجل ولم يبصره اخر ووضع
الخبيص بين ايديهما مزينا مزخرفا فالرجل الذي ابصر ما جعل
فيه من السم يكون زاهدا في ذلك الخبيص لا يخطر بباله ان
يتناول منه بحال البتة ويكون عنده بمنزلة النار بل اصعب
لمكان ما يعلم من السم ولا يغتر بظاهره المزخرف وزينته واما
الرجل الاخر الذي لم يبصر ما جعل فيه فاغتر بظاهره المزخرف
وحرص عليه ولم يبصر عنه واخذ يتعجب من صاحبه الزاهد فيه
وربما يسفهه في ذلك مثل الحرام مع اهل العصر المستقيمين
والجهال الراغبين فان لم يطرح فيه السم لكن يصنع فيه وانتخط في
طبخه وزينه فالرجل الذي شاهد منه ذلك الفعل يكون مستقذرا
لذلك الخبيص نافرا عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة
الحاجة والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل بما فيه مغتر بظاهره
حريص عليه مكب معجب فهذا مثل حال الدين مع الفريقين اهل
البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف
حال الرجلين مع تساويهما في البنية والطبع ببصارة هذا وعلم
كان لاحدهما وجهل وخفا كان للاخر فلو علم الراغب وابصر
ما علمه الزاهد لكان زاهدا مثله ولو جهل الزاهد وعمي فيما
عمي الراغب لكان راغبا مثله فعلمت بذلك ان هذا المكان
البصائر دون الطبايع وهذا اصل سديد وكلام مفيد اعترف
به من عقل وانصف قلت وفي معنى هذا ما ذكره الغزالي من المثال
للدنيا ما ذكره الشيخ ابن عطاالله قال مثال الدنيا كعجوز جد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

برصا سترت بثوب حرير فالمومن نافر ومتقرعنها لانكشافها له

قوله فان تركها تانيه راغمة يدل عليه الشرع والمشاهدة اما الشرع ففقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله جل من قايل ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا وقوله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله تبارك وتعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وفي الحديث يا دنيا اخدمي من خدمني وانغصي من خدمك واما المشاهدة فلا تخفى تواترا وعيانا ما يسر الله تعالى لاوليايه مما يحتاجون اليه بلا موت وكم خرق لهم من العوايد في ذلك حتى انه سبحانه اعطى لهم في الدنيا بمحض فضله ملك التكوين كاهل الجنة مهما اراد واشيا حضر واحكام ان في ذلك عنهم مشهورة كثيرة جدا لا تحصى كثرة فلا نحتاج ان نطيل بذكر شي منها **قوله** وانت فيها لغير الرزق لم تفل لبته الشيخ بهذا على ان الرغبة في الدنيا والحرص على جمعها لا جدوى له ولا فايدة البتة لان رزقه من ذلك كله انما هو ما ينتفع في اقامة البنية باعتبار المآكل والملبس وذلك امر خصه الله تعالى بمحض فضله لكل احد مادام حيا لا سيما ان اوى الى طاعته وتوكل عليه واتقاه قال تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقال سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين اي ما اطلب منهم واكلفهم بطلب رزق ولا الى امتا لانفسهم فانا الرزاق لهم فلا حاجة لهم بطلب مضمون يشغلهم عما يعنيهم من العبادة واما لي فانا القوي لذاتي الغني الغنا المطلق عن الطعام والشراب وجميع الاغراض والاعراض فاذا الزايد على

الرزق المضمون ليس فيه الا التعب في الدنيا والشغل بطلبه والعمل القصير على كل خير وشدة العذاب وطول الحساب في الاخرة فمن قوي على التجرد لعبادة الله تعالى ولاحب له اعلام ذلك بتعطل الاسباب عليه ما شرعا او عادة فليغتنم الفرصة لعبادة الله تعالى انا الليل واطراف النهار ومن لم يقو على ذلك واقيم في الاسباب العادية بان لم يتعذر عليه ثمراتها من جهة العادة ولا تعذرة من جهة الشرع لكونها لم تشغله عن واجب ولا اوقعته في محرم فليلزمها بظاهره بلا حرص ولا لهف من غير ان يعول عليها في باطنه ولا يعتمد عليها ولا يرى لها اثرا البتة وانما هي من ابواب الله تعالى اقيم فيه فوقف عند ادبا يطلب من الله تعالى حاجته لا من الباب ومهما لاح في الباب شي مما لا يرضاه الرب تبارك وتعالى وجب الهروب منه الى باب اخر فان تعذرت الابواب كلها فان لم يخرج له معروف الرزق عندها او خرج عندها ولو بكثرة الا ان عندها مساخط للرب تبارك وتعالى فليهرب منها كلها ولا ياسف على شي منها اذ ليس في شي منها رزقه ولا حاجته ويفرح بما سيق اليه من مقام التجريد عن كل مشغل عن العبادة ظاهرا وباطنا وينتهز الفرصة في اغتنام العمر قبل ان يفوت عن قريب ولا يتلخلخ ضميره ولا يتوسوس في امر الرزق اصلا ثقة بفضل الله تعالى ووعده الصادق وهروبا من الشك والشرك ولقد قال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اقيم فاومى بيده الى الشام فقال كيف المعيشة بها قال واسع رضي الله تعالى عنه اف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وروي ان نباشا تاب على يدي بزيد رضي الله تعالى عنه فساله عن حاله فقال نبشت الف قبر فلم اجد وجوههم الى القبلة الا رجلين فقال ابو يزيد رضي الله تعالى عنه مساكين اوليكفهم الرزق

حولت وجوههم عن القبلة قال الشيخ ابن عطا الله ينبغي للمتسبين
تلزموا امورا الاول ربط العزم مع الله تعالى قبل الخروج من المنزل
على العفو عن المسيئين لان الاسواق محل المخاصمة والمقاولة
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون
كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال كان رجل فيمن قبلكم اذا خرج
من بيته يقول اللهم اني تصدقت بعرضي على المسلمين فمن سبه
اوشتمه لا يرد عليه شيا الثاني ان يتوضا قبل خروجه ويسال الله
تعالى السلامة من مخرجه ذلك فانه لا يدري ما يقض عليه وان
الخارج الى الاسواق كالخارج الى المصاب فينبغي للمومن ان
يلبس من الاعتصام والتوكل على الله دروعا مافيات سابغات
تقيه سهام الاعداء ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط
مستقيم الثالث ينبغي اذا خرج من منزله ان يستودع الله تعالى
اهله ومسكنه ومافيه فيحفظ ذلك عليه كما قال صلى الله عليه
وسلم اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل فانه
اذا استودع الله تعالى فحري ان يجدهم كما يحب ويجون الرابع
ان يستحب له اذا خرج ان يقول بسم الله امنت بالله توكلت
على الله ولا حول ولا قوة الا بالله فان ذلك مؤيس للشيطان
الخامس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليذكر قوله تعالى الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور فمن امكنه الامر بالمعروف
بحيث لا يصل اليه اذى في نفسه او عرضه او ماله فهو ممكن
في الارض فالوجوب متعلق به فان كان لا يتوصل الى الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر الا بالاذى قبل ذلك او يغلب على
ظنه وقوع ذلك سقط عنه الوجوب والانكار حج جايز السادس
ان يكون مشيه بالسكينة والوقار لقوله تعالى وعباد الرحمن

الذين

الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
وليس ذلك خاص بالمشي بل المطلوب منه ذلك وجميع احواله
السابع ان يذكر الله تعالى في سوقه فانه جاء عنه عليه الصلاة
والسلام ذاكر الله في السوق كالحي بين الموتى الثامن ان لا يهتم
بشغله ما هو فيه من البيع والشراء ان ينهوض الى الصلاة في اوقاتها
جماعة لانه ان ضيعها اشتغالا بسببه استوجب المقت من ربه
وارتفعت البركة من كسبه وليستحي ان يراه الحق مشغولا هو
بحظوظ نفسه عن حقوق ربه وقد كان بعض السلف رضي الله
تعالى عنهم رجما رفع لمطرقة فسمع المؤذن فرماها خلفه ليلا
يكون ذلك شغلا بعد ان دعي الى ربه وليذكر قوله تعالى يا قومنا
اجيبوا داعي الله التاسع ترك الحلف والاطراء للسلعة فقد
جاء في ذلك الوعيد بقوله عليه الصلاة والسلام الا ان التجار
هم الفجار الا من بر وصدق العاشر كف اللسان عن الغيبة وليذكر
قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا فكرهتموه وليعلم ان السامع للغيبة احد المغتابين فان
اغتيب بحضرته فلينكر فان لم يسمع منه فليقم ولا يمنعه الحيا
من الخلق القيام بحق الملك الحق والله ورسوله احق ان يرضوه
ان كانوا مومنين وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام الغيبة
اشد من ستة وثلاثين زنية في الاسلام وقد قال الشيخ
ابو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه اربعة اذا خلا الفقير
منهن فلا يعبا به وان كان اعلم البرية مجانبة الظلمة وايثار
اهل الاخرة ومواساة ذوي الفاقة وملازمة الخمسة في الجماعة
وصدق رضي الله تعالى عنه فان بمجانبة الظلمة تقع السلامة
في الدين لان صحبة الظالم تكسف نور الايمان فبمجانبتهم تكون
النجاة قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قوله وايثار اهل الاخرة ان يكون الغالب عليه لتردد الى مولاه
تعالى والاقتباس منهم ليتقوى بذلك الى كدورة الاسباب
فتنفح عليه نفحاتهم وتظهر عليه بركاتهم وقوله ومواساة ذوى
الفاقة وذلك انه يجب على العبد ان يشكر الله تعالى على نعمه
ويذكر من انغلقت عليه الاسباب واعلم ان الله تعالى قد ابتلى
الاغنيا بوجود الفقرا كما ابتلى اهل الفاقة بوجود الاغنيا
قال الله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك
بصيرا او وجودا اهل الفاقة نعمة من الله تعالى على اهل الغنا
اذ وجدوا من اذا اخذ منهم اخذ الله منهم والله هو الغنى
الحميد فلو لم يخلق الفقرا فكيف كان يقبل منك صدقاتك
ومن كنت تجد من ياخذ منك هباتك ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا
طيبا كان كانما يضعها فى كف الرحمن يربيها له كما يربى احدكم
فلوه او فصيله حتى ان اللقمة لتعود مثل جبل احد قوله
وملازمة الخمسة فى الجماعة لان الفقر المتسبب لما فاته
التخلى والتجرد لعبادة الله تعالى فيتدخل مدخل الخصوص
بدوام الخدمة وملازمة الموافقة فينبغى ان لا يفوته
ملازمة الخمسة فى الجماعة لتكون ملازمته لها سببا
لتجريد الانوار وموجبا لوجود الاستبصار وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ
بخمس وعشرين درجة وفى الحديث الاخر بسبع وعشرين جزا
ولو شرع للعباد ان يصلوا كل منهم فى حانوته او داره
لتعطلت المساجد التى قال فيها الحق سبحانه فى بيوت
اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو
والاصال رجال ولان فى ملازمتها الصلاة فى الجماعة

اجتماع

اجتماع القلوب وتناصرها وقد قال عليه الصلاة والسلام
يد الله مع الجماعة ولان الجماعة اذا اجتمعت انبسطت بركات
قلوبهم على من حضرهم واستمدت انوارهم لمن شاهدهم قوله
وان يكن من حلال بلتة اخا اشار الشيخ بهذا الى ان الموفق ليس
من تجرد فقط للعبادة وترك الدنيا واسبابها ثم صار رزقه
ياتيه على وجه محرم كان يكتسبه بجاهه او بالانتماء الى الظلمة
ونحو ذلك مما هو موجود مشاهد فى كثير من المتجردين فى زماننا
لاسيما اهل البادية حتى انهم اكتسبوا بذلك الاموال الكثيرة
ولبسوا الثياب الرفيعة واتخذوا المراكب البهية العديدة
وتزوجوا النزوجات الفاخرات ونشروا بالسريات العاليات
ونافسوا فى الدنيا مع اتيانها بمجرد الدعاوى الكاذبات
والخيالات والخرافات وما هو محض الجهالات بل الموفق انما هو
من تجرد للعبادات مع تيسير الله تعالى له معاشه من وجه حلال
لاحجاب معه ولا عقوبة ولا تباعة اذ بطيب الكسب يستنير قلبه
ويكثر توفيقه ويقوى بفضل الله تعالى على ما تجرد له من امر
العبادة ونيل مراتب السعادة ولهذا قال الشيخ فقد اصبحت
من ملبس التوفيق فى حلل وهذا من الشيخ حفظه الله تعالى
تنبيه حسن واشارة لطيفة الى كثرة المفاسد التى دخلت
فى ازمنتنا فى كل مقامى التجريد والتسبب ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم نساله سبحانه ان يغفر لنا ما مضى
ويسلك بنا فيما بقى الى الممات الطريق المستقيم بجاه نبيه
ومصطفاه من خلقه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى اله وصحبه الطاهرين من كل وصف ذميم

لا تخل وقتك ان وفقت من عمل، على الدوام على رفق ولا ملل
اذ لم تزد بعد فرض فضل نافلة، فاكفف عن الشر لا تخرج الى زلل

فذاك يكفي ولكن من يطيق له، حتى يجانب سوء القول والعمل
تعرض الشيخ هنا لفايدة التجرد عن الدنيا واسبابها يعني ان
من وفق لمقام التجريد وقوى عليه واقيم فيه بان يسرت عليه اسبابه
من سهولة كسب طيب يستعين به على طاعة الله تعالى ونحو
ذلك فليجتهد في المداومة على طاعة الله تعالى انا الليل واطراف
النهار وليغتنم غنيمة الفراغ من كل مشغل فانها فضيلة لم تقط
على شروطها الا النادون الناس ولعلها لا تدوم له وان دامت
فالموت القريب يهدم كل عمر ويقطع كل تقرب وفي الحديث اغتنم
خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك وصحتك
قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال ابراهيم
ابن ادهم رضي الله تعالى عنه لن ينال احد درجة الصالحين
حتى يجوز ست عقبات اولها يغلق باب النعمة ويفتح باب
الشدة والثاني يغلق باب العز ويفتح باب الذل الثالث يغلق
باب الراحة ويفتح باب الجهد الرابع يغلق باب النوم ويفتح باب
السهر والخامس يغلق باب الغنا ويفتح باب الفقر والسادس يغلق
باب الامر ويفتح باب الاستعداد للموت **قوله** على رفق ويلا على يعني
ان المواظبة على العبادة وان طلبت على الدوام فلتكن على
وجه لا يودي الى ملل النفس وذهاب لذتها في العبادة وانشراحها
للعمل وليظر الى العبادات احبها اليه والذها في قلبه
وازيدها في حاله فليواظب عليه ولا يترك مواصلة طاعة الله
تعالى باي وجه امكنت قال الغزالي والاصل في هذا الباب
ان الله تعالى خلق العبد لعبادته وهو عبد الله من كل وجه
فحق العبد ان يعبد الله تعالى من كل وجه يمكنه ويجعل
افعاله كلها عبادة من اي وجه امكنه وان لم يفعل ذلك
وآثر شهوة نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه

من ذلك

من ذلك من غير تعذر والدار دار خدمة وعبادة لا دار تنعم وشهوة
استحق اللوم من ذلك والتعنيف من سيده ثم قال واعلم ان من عرف
ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن طاب له شيء ورغب فيه حق الرغبة
احتمل شدته ولم يبال بما يلقى من مونته الا ترى مشتاق العسل لا
يفكر بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل والاجير لا يعبا بارتقا
السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار الصايف الحريص لما يتذكر
من اخذ الدراهم يعبا العشي وان الفالح لا يفكر في مقاسات الحر والبرد
ومباشرة الشقا والكد طول السنة لما يتذكر من البذر وان الغلة
وكذلك يا اخي العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة
في طيب مقيلها وانواع نعيمها من قصورها وحورها وطعامها وشرابها
وحليها وحالها وسايرما اعد الله لاهلها هان عليهم ما احتملوه من
تعب في اوقات لذة ونعمة اونالهم في الدنيا من مذلة ونقمة اونالهم
من ضرورة ومشقة ولقد حكي ان اصحاب سفيان الثوري رضي الله تعالى
عنهم كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله فقالوا
يا استاذ لو نقصت من هذا الجهد فلت مرادك ايضا ان شا الله
تعالى فقال سفيان رضي الله تعالى عنه كيف لا اجتهد وقد بلغني
ان اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور تضيء له الجنات
الثمانية فيظنون ان ذلك النور من جهة الرب سبحانه وتعالى
فيخرون ساجدين فنودوا ان ارفعوا رؤوسكم ليس الذي تظنون انما
هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها ثم انشا يقول

ماضر من كانت الفردوس مسكنه ماذا تحمل من بوس واقتار
تراه يبكي كيئيبا خايفا وجلا الى المساجد يخطو بين اطمار
يا نفس مالك من صبر على النار قد آن ان تقبلي من بعد ادبار

قلت ويتاكد مزيد الاجتهاد وهجر البطالة والرقاد بحسب
الامكان على من وصل سن الاربعين او جاورها لانه قد انعم عليه

يبلوغ الاشد وقرب منه او ان الرجل بالممات لاسيما ان كان ممن تلف
شبابه في البطالة وفيما لا يعني قال مالك بن انس رضي الله تعالى
عنه ادركتهم يعلمون ويتعلمون ويخالطون الناس فاذا وصل احدهم
اربعين سنة طوى فراشه وترك الناس وانفرد للعبادة قال الشيخ
ابن عطا الله انشد انسان

اذا العشرون من شعبان ولت ، فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار ، فقد ضاق الزمان على الصغار

ومعناه عندهم اذا مضت العشرون من شهر شعبان فقد قرب رمضان
يقطع علينا الشرب ومعناه عند اهل الطريق اذا خلفت اربعين
سنة وراظهرك فواصل العمل الصالح بالليل والنهار لان الوقت
قد قرب الى لقاء الله عز وجل فليس عمل كعمل من كان شابا ولم يضيع
شيأ من شبابه ونشاطه وانت قد ضيعت شبابك ونشاطك هب
انك تريد الجدوى لكن لا تساعدك القوى فاعمل على قدر ذلك ورقع
الباقي بالذكر فانه لا شئ اسهل منه يمكنك في القيام والقعود
والمرض والاضطجاع فهو اسهل العبادات ولهذا قال فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليكن لسانك رطبا بذكر الله تعالى واي دعا
وذكر سهل عليك فواظب عليه فان مدده من الله عز وجل فما ذكرته
الا سره ومحض فضله وما اعرضت عنه الا بسطوته وقهره فاعمل
واجتهد فالغفلة في العمل خير من الغفلة عنه وقال ايضا ما اكثر
تردد الخلق وما قل تودد الحق لو فتح لك باب التودد مع الله
لرايت العجائب ركعتان في جوف الليل تودد عبادتك للمريض
تودد صلاتك على الجنازة تودد صدقتك على المسكين تودد
اعانتك لاخيك المسلم تودد ولا عبادة انفع لك من الذكر
لانه يمكن الشيخ الكبير والمريض الذي لا يستطيع القيام
والركوع والسجود وقال ايضا رضي الله تعالى عنه من قارب فروغ

عمره

عمره واراد ان يستدرك ما فاته فليذكر بالاذكار الجامعة فانه
اذا فعل ذلك صار العمر القصير طويلا كقوله سبحان الله العظيم
وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وكذلك
من فاته كثرة الصيام والقيام فليشغل نفسه بالتصلية على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك لو فعلت في عمرك كل طاعة
ثم صلى الله عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة كل
ما عملت في عمرك كله من جميع الطاعات لانك تصلي على قدر وسعك
وهو يصلي عليك على حسب ربوبيته هذا اذا كانت صلاة واحدة
فكيف اذا صلى عليك عشرا بكل صلاة كما جا في الحديث الصحيح فما
احسن العيش اذا طعت الله تعالى او صليت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم روي انه ما من مصيد يصاد ولا من شجرة تقطع الا
بغفلتها عن ذكر الله تعالى لان السارق لا يسرق بيتا واهله ايقاظ
بل على غفلة او نوم من علم قرب رحيله اسرع في تحصيل الزاد
ومن علم ان احسان غيره لا ينفعه جد في الاحسان وان علم ان عمرا
ضيع اوله حري ان يحفظ اخره كامراة لها عشرة اولاد مات منهم
تسعة وبقي واحدا ليست ترد وجدها على ذلك الواحد وانت
قد ضيعت عمرك فاحفظ بقيته وهو صبابة يسيرة والله ما
عمرك من اول يوم ولدت بل عمرك من اول يوم عرفت الله قوله
ان لم ترد بعد فرض فضل نافلة فاكفف عن الشريعني انها اذا كان
من حق العبد الحقير الضعيف ان لا يقتصر على مجرد اداء الفرائض
لان الموت الذي امامه وسيحل به عن قريب سفر بعيد وموطن
جسيم يحتاج الى زاد كثير من الاعمال الصالحة التي هي نوافل
وتطوعات لبعد اداء الفرايض لان التزود بمجرد الفرايض لذلك
السفر البعيد قد لا يكفي لاحتمال ان يكون فيها نقص فيحتاج ان
تكمل بالنوافل كما ورد في الحديث الكريم ويدل على هذا قوله

صلى الله عليه وسلم للذى قال لا ازيد على هذا ولا انقص يعنى
على الفرايض افلح ان صدق لانه قال لا انقص وانما اتى عليه الصلا
والسلام بان الموضوعة للدخول فى المشكوك فيه وتنادر
الوقوع والمستقبل فى قوله ان صدق تنبيها على ان الاخلال
بالنوافل يستلزم عادة الاخلال بشئ من الفرايض فالاتيان
بجميع الفرايض على وجهها مع الاخلال نادر ومعتذر وروى
ان كعب الاحبار قال لعمر بن الخطاب لو لقيت الله بعمل سبعين
نبيا لخشيت ان لا تنجو من هول ذلك اليوم قال بعض السلف
لو ان لعبد كان تجر على وجهه من اول الدنيا الى قيام الساعة
فى طاعة الله وعبادته لاحتقره يوم القيامة لما يرى من البلاء
والاهوال وفى الحديث الموت اشد من الف ضربة بالسيف
وان الرشعرة من الموت لو وضع على جميع الخلايق لماتوا وان
بين الموت ودخول الجنة مايتى الف هول كل هول منها يزيد
على الم الموت مايتى الف ضعف ولا ينجو العبد من كل هول منها
الا برحمة الله تعالى فاذا لم يعتق العبد الضعيف لذى استقبلته
هذه الاهوال وسيباشرها عن قريب بكثرة التقرب الى الله تعالى
بعد اداء الفرايض بنوافل الطاعات انا الليل واطراف النهار
حتى يحبه الله تعالى كما ثبت فى الحديث الصحيح ومن احبه الله
تعالى نجاه من كل هول وانعم عليه بكل طول فلا اقل من ان يكيف نفسه
وجوارحه كما ثبت فى الحديث وغنيمة عظمى لكن اين من يطيق
ذلك كما اشار اليه المولف حفظه الله تعالى لا سيما هذا الذى
لم ينعش ايمانه بكثرة النوافل وفرط فى جميعها لان ذلك لا
يكون الا ممن حييت شجرة الايمان فى قلبه وسبقت واثمرت حتى
خرجت اغصانها وثمارها من كل جزء من اجزاء البدن والحياة
كشجرة الايمان الا بان تسقى على الدوام بمياه الطاعات على

التمام

التمام فمن فرط فى الطاعات واعرض عن التقرب الى الله تعالى
والتفرغ اليه على ممر الازمان والساعات يبست منه
شجرة ايمانه او قلت ثمارها فلم تنفذ الا الجوارح واذا كانت الجوارح
عرية عن ثمرات الايمان صارت اما وى لافات المعاصى وحياتها
وعقاربها ولهذا قيل من وفق فى نهار ووفق فى ليله وبالعكس وان
خلط فى احدهما ابتلى بالتخليط فى الاخر الا ان يعفو الله تعالى
فقول المولف رضى الله تعالى عنه فذاك يكفى اشارة الى قوله صلى الله
عليه وسلم افلح فى حديث الاعرابى الذى قال له لا ازيد على هذا
ولا انقص قوله ولكن من يطيق له اشارة لقوله صلى الله عليه
وسلم فى الحديث افلح ان صدق على ما تقدم بيانه وبالله التوفيق
والتكثر الذكر للمولى وصل على خير الورى المصطفى من خيرة الرسل

لما حض الشيخ حفظه الله تعالى فيما تقدم على ادامة العمل الصالح
بلا ملل وكان كثير من الاعمال الصالحة يعرض لكثير من الناس الملل
فى القليل منها فكيف بالكثير اما لاحتياجها الى مشقة تصرف
ومعاناة او مزيد قوة فى البدن تحمل ما اشتملت عليه من المكابدات
قرب الامر على المومن فى هذا البيت فحض فيه على عملين هما من اشرف
الاعمال ويبلغان من وفق لهما الى سنى المراتب والاحوال ثمرهما مع
عظيم شرفهما يسهل على كل مومن مقتفى الايمان استدامتهما
ولا يجد فى الاتيان بهما ملالا بل تتقوى وتتزايد مع الاكثار
والدوام استطابتهما وحلاوتهما وهما ذكر المولى العظيم خلاق
العوالم كلها المنعم على جميعها بنعمتى الايجاد والامداد المخص
المخصص كل فرد منها بما جرى على وفق المشيئة والمراد وذكر
اشرف خلقه عنده واحبهم اليه صلى الله عليه وسلم بكثرة الصلا
والتسليم عليه والتوسل للمولى الكريم تبارك وتعالى بذلك
بين يديه وسبب سهولة هذين العملين واستحلا استدامتهما

وارتفاع الملك لزوم ساحتهما ان الايمان الحقيقي يغرس
على القطع في سويدا القلب وباطنه عظيم الحب للرب الكريم المتفرد
بصفات الجلال والجمال المولى العظيم الملك الرؤوف الرحيم تبارك
وتعالى ومحبته جل وعلا توجب استحلاا كثرة ذكره وادامة الجولان
في عظيم بره وقهره وعزيز حكمه لاسيما شريف وعده ووعيده
ونهيه وامره لان كل من احب شيا اكثر من ذكره بل لا راحة للمحب
ولا لذة الا بحضور محبوبه عنده اما بالذات وهو غاية الاماني
والمنى واما بالذكر وعمارة الباطن بمحاسنه التي تستر الظاهر
والباطن عن كل ما سواه لاسيما من لا مثل له ولا جمال الا جماله ولا
كمال الا كماله الاسنى وذلك مما يتسلى به المحب الكئيب وتتغذا به
الروح وتشفى به من بعض الضنا وايضا فكل فقير الى شئ يلزمه ان
يكون ذكره لذلك الشئ على حسب افتقاره اليه وقد علم كل مؤمن
حقيقي الايمان وجوب افتقاره وافتقار كل ما سواه من العالم جملة
وتفصيلا الى المولى العظيم تبارك وتعالى افتقارا دايما عاما لجميع
الذوات والصفات دنيا واخرى ابتداء ودواما وانتهاء فتعين ان
يكون ذكره جل وعلا دايما حسب وجوب افتقاره دايما كما ذكرنا
واذا عرفت توافر اسباب المحبة عقلا ونقلا للمولى العظيم جل وعلا
عرفت وجوب افتقار الكاينات كلها اليه على الدوام وان ذلك
كله مما يقتضي استحلاا ذكره وادامة الفكرة في عجايب ملكه
ولزوم احضار عظيم وعده ووعيده وعزيز امره ونهيه عرفت
من ذلك لزوم الاستحلاا لادامة ذكر اشرف خلقه ومصطفاه
من عبيده ومن لا وصول الى رضى مولانا تبارك وتعالى الا
من جهته سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم من اوجه
الاول ان عظيم الحب لمولانا جل وعلا يحمل ضرورة على حب كل من
احبه المولى تبارك وتعالى وشرفه واصطفاه ولا خفا ان احب

خلقه

خلقه اليه وافضلهم على الجملة والتفصيل هذا النبي الشريف
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فتعين على كل مؤمن اذن ان
يكون هذا السيد احب الخلق اليه وفي الحديث لا يبلغ احدكم حقيقة
الايمان حتى اكون احب اليه من نفسه ووالده وولده والناس اجمعين
وقد عرفت فيما سبق ان مطلق المحبة تستلزم سهولة دوام الذكر
للمحبوب والسعي فيما يرضيه فكيف بالاحبية فاذن ذكره عليه الصلاة
والسلام بكثرة الصلاة والتسليم عليه اسهل شئ واحلاه واعذبه
لكل مؤمن حقيقي الايمان الثاني ان عظيم حبه جل وعلا يبعث على
التشفع بما يوصل اليه ولزوم التعلق بالوسايل التي تنيل الحظوة
لديه ولا خفا ان اعظم الوسايل دنيا واخرى الى مولانا تبارك وتعالى
هو نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الشفيع المشفع
عند المولى تبارك وتعالى هو الذي يقال له واحد عند شفاعته
وسجوده في اليوم العظيم الصعيب الطايل والموقف الفظيع الهايل
مجمع الاولين والاخرين ومحشر انواع العوالم على اختلافها وعدم
اطاقة المخلوقين حصر اعدادها حتى الملايكة على عظيم كثرتها وسناء
المقربين وجميع النبيين والمرسلين وقد اشتد الامر وعظم الخطب
ارفع راسك يا محمد وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه وانما ذا
الرب تبارك وتعالى باسمه العلم ولم يناده باسمه النبي والرسول
ونحوهما على عادة نداية بذلك في القران تنبيها على اختصامه
بتلك المراتب السنية التي اعطيت له بعد النداء وقطع الشركة
اذ لو رتبت تلك المراتب المعطاة على وصف النبوة والرسالة
لاقتضى ذلك الترتيب بطريق الايما على ما تقرر في الاصول ان
ذلك الوصف هو السبب في نيل تلك المراتب وهو وصف مشترك
فيشاركه فيها كل من شاركه في ذلك الوصف الذي هو سببها
من سايرالانبيا والمرسلين والملايكة المقربين فلم يعد ذا عن

نذايه بتلك الاوصاف المشتركة ورتب تلك المراتب المتشبثة على
اسمه العلم الذى هو جزى لا يقبل الشركة ولا المزاحمة عقلا واذا
كان قدر هذا النبى الشريف صلى الله عليه وسلم عند المولى العظيم
تبارك وتعالى بهذه المثابة التى لا مطمع لمخلوق غيره فيها على التعيين
تعين على كل مومن امتلا ظاهره وباطنه بالمحبة والتعظيم بهذا
النبى الشريف وادامة ذكره ولزوم التعلق باذيال حرمه المنيع
وعزه الرفيع وكثرة الصلاة والتسليم عليه دايما الثالث دوام
الافتقار الى الرب تبارك وتعالى يقتضى لزوم التعلق فى نيل
المفتقر اليه من جنبته تعالى بمن هو اقرب الوسايل اليه واشرفها لديه
وليس ذلك الا لنبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتعين اذا
على كل مومن ادامة حبه وذكره والتوسل الى المولى العظيم بكثرة
الصلاة والتسليم على اشرف خلقه حبا له صلى الله عليه وسلم وامتثالا
لشرف امره تبارك وتعالى الرابع لما تقرر عند المومن الحقيقى
الايمان عظيم جلال وجمال المولى الكريم وكمال ذاته وصفاته
وانفراده تعالى بملك الدارين وغيرهما ورسخ عظيم حبه فى صميم
قلبه صار فى كل لحظة من لحظاته بعد ان اتصف بهذا المعنى
يرغب شد الرغبة بظاهره وباطنه وكليته ان يعمر تلك اللحظة
بما يرضى به عنه مولاه مالكه وخالقه رب جميع العوالم وموجدها
ومدبر جميع شوونها اذ لا قرة عين ولا نعيم ولا راحة الا فى رضاه
تبارك وتعالى ولا حزن ولا عذاب ولا شقا الا فى سخطه جل وعلا
والعمل الذى ينال به رضى مولانا جل وعلا لا يدرك من جهة
العقل وناحية التحسين والتقبيح والضوابط العادية فانسدت
على العبد المسالك فى الوصول الى ما اضطر اليه من الظفر برضى
مولانا تبارك وتعالى والبعد مما لا يطاق من سخطه ففرج الله تعالى
هذه الكربة على العباد بان بعث لهم هذا النبى الشريف رحمة

مهداة

مهداة صلوات الله وسلامه عليه فعرفهم اولا بمولاهم العظيم الذى
بيده الملك والنفع والضر وحده لا شريك له واعتقهم بهذا من ارقهم
للكاينات المساوية لهم فى كمال الفقر والعجز ولزوم الحاجة الى الرب
تبارك وتعالى من غير ان يكون فيها على العموم نفع ولا ضرر لا بطبعها
ولا بقوة اودعت فيها ثم بين لهم بعد ذلك الاعمال الفاضلة التى بها
يتقرب الى المولى العظيم وينال رضاه واسسها واوضح مرانيها وضبط
منتشرها بحسب الاعصار والسنين والشهور والايام والساعات
واللحظات والليل والنهار والحياة والموت والرضى والتعب والامن
والخوف والصحة والمرض والحضر والسفر والاجتماع والانفراد فما من
لحظة وحالة يريد العبد المومن ان يذكر فيها مولاه جل وعلا ويتقرب
اليه بفريه يرجو بها رضاه الا ويذكر فيها هذا السيد صلوات
الله وسلامه عليه اذ هو دليله فى ذلك الذكر وفى تلك القربة
وقد حجر سبحانه خيرات الدنيا والاخرة ان تخرج من باب من الابواب
الا من باب هذا النبى الشريف صلوات الله وسلامه عليه فما من
قطب ولا بدل ولا ولى الا وهو مرتبة عند الله تعالى كاينا من كان
الا ودليله فيما ظفر به من تلك المرتبة ووسيلته فى نيلها
من المولى الكريم تبارك وتعالى انما هو سيد الاولين والاخرين ومن
خلق الكونان من اجله وفضله الرب تبارك وتعالى على جميع
العالمين فقد بان بهذا انه كما احتاج المومن الى ذكر الله مولاه
جل وعلا على الدوام احتاج الى ذكر دليله من خلقه وافضلهم
عنده كذلك على الدوام هذا وقد ورد الامر من مولانا جل
وعلا فى كتابه العزيز بالصلاة والتسليم على نبيه صلوات الله
وسلامه عليه بعد ان شا الله تعالى الى عظيم قدره عنده حتى
انه تبارك وتعالى لعظيم جماله وكماله يديم الصلاة عليه وملايكته
الكرام على ما هم عليه من الشرف والعظمة التامة يتقربون الى الله تعالى

بكثرة الصلاة على مصطفاه من خلقه صلوات الله وسلامه عليه
فقال جل من قايل ان الله وملايكته يصلون على النبى يايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما فعبر سبحانه وتعالى بلفظ المضارع فى صلا
وصلاة ملايكته الكرام للدلالة على الاستمرار والتصوير حالة
هذه الصلاة واحضار السامع لهذا ذهنه لشبهه على جلالة قدر
هذا النبى الشريف عند المولى العظيم تبارك وتعالى بحيث لامزاحم له
فيها ولولم يرد فى فاقة قدر هذا النبى الشريف واعلامر تبته م
على جميع المراتب والحض على التقرب الى الله تعالى بكثرة الصلاة
والتسليم عليه لاهذه الاية الكريمة لكانت كافية كيف وقد ورد
الصلاة والتسليم على هذا النبى احاديث كثيرة تحتاج الى ديوان
مستقل وقد الف فى ذلك مصنفات مشهورة وايضا فكل دليل
يقتضى الحض على ذكر الله تعالى فهو بعينه دليل على الحض على ذكر
مصطفاه من خلقه صلوات الله وسلامه عليه اذ ذكره عليه
الصلاة والسلام بالصلاة والتسليم عليه ذكر الله تعالى قطعا
بامتثال امره وشكر اشرف نعمه والتقرب اليه باعظم وسايله
وكما ان ذكر الله تعالى يستلزم ذكره عليه الصلاة والسلام اذهو
دليل ذلك الذكر ومنه عرف ولا اعتداد الامن جهة الاقتداء به
ولنشر على سبيل الاختصار والتبرك الى بعض ادلة الحض على
ذكر الله تعالى فانها مستلزمة الحض على ذكر نبيه صلوات الله
وسلامه عليه واستيفا جميعها متعذر فمنها قوله تعالى فاذكرونى
اذكركم الاية وقال تعالى واذكر ربك فى نفسك الاية وقال
تعالى ولذكر الله اكبر وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا
الله الاية وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله الاية
وقال جل وعلا الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
وقال تعالى يايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا الاية

وقال

وقال جل من قايل والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلوا
الله وسلامه عليه سبق المفردون قالوا ومن المفردون يارسول الله
قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم والترمذى وفيه
قالوا يارسول الله ومن المفردون قال المشتهرون فى ذكر الله تعالى
يضع الذكر عنهم اوزارهم فياتون يوم القيامة خفافا وروى
المفردون بتخفيف الراء وتشديدها اكثر قال ابن عباس الذاكرون
الله كثيرا الذين يذكرون الله تعالى فى ادبار الصلوات وغدوا
وعشيا وفى المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا اوراح
من منزله ذكر الله وقال مجاهد لايكون منهم حتى يذكر الله قايما
وقاعدا ومضطجعا وقال عطا من صلى الصلوات الخمس يحقوقها
فهو داخل فى قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا وفى حديث ابى سعيد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ايقظ الرجل اهله من
الليل فصليا اوصلى ركعتين جميعا كتب فى الذاكرين والذاكرات
رواه ابوداود والنساى وابن ماجة وسيل ابو الصلاح عن
القدر الذى يعد به العبد من الذاكرين الله كثيرا فقال اذا واظب
على الاذكار المذكورة صباحا ومساى فى الاوقات والاحوال
المختلفة ليلا ونهارا وهى مبينة فى عمل اليوم والليلة كان
من الذاكرين الله كثيرا وفى المستدرك عن ابن ابى اوفى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خير عباد الله الذين
يراعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة لذكر الله تعالى وقال
رجل يارسول الله ان شرايع الاسلام قد كثرت على فاخبرنى بشى
اتشبث به قال لايزال لسانك رطبا من ذكر الله تعالى اخرجه
الترمذى من رواية عبد الله بن بسر بضم الباء الموحدة واسكان
السين المهملة وقال حديث حسن واخرجه ايضا ابن ماجة
وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد واتشبث بتا مثناة

فوق ثم شين معجمة ثم با موحدة مفتوحات ثم ثا مثلثة ٥
ومعناه اتعلق به وا تمسك وفي ابن حبان عن معاذ سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاعمال افضل الى الله تعالى
قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله وقال ابو سعيد الخدري
سئل صلوات الله وسلامه عليه اى العباد افضل درجة عند
الله قال الذاكرون الله كثيرا قال قلت يا رسول الله ومن الغازي
في سبيل الله قال ولو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى
ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه
اخرجه الترمذي وفي صحيح ابن حبان عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثر من ذكر الله
حتى يقولوا مجنون وقال صلوات الله وسلامه عليه الا انبئكم
بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم
من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا
اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله اخرجه الترمذي
وابن ماجة والحاكم في مستدركه من رواية ابي الدرداء
وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد وروى انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله بالغداة والعشي خير
من حمل السيوف في سبيل الله عز وجل وفي الصحيح عنه عليه
الصلاة والسلام يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا
معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني
في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملايه وان تقرب مني شبرا تقربت
منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني
يمشي اتيته هرولة وتقربه تعالى لمن تقرب اليه بالذراع
والباع والاتيان هرولة ليس على ظاهره وانما هو استعارة
تمثيلية شبه فيها المتقرب الطالب لنيل رتبة عند الله تعالى

قد

قد شغف بها ولا يملك الصبر عنها مع ضعفه عن الوصول اليه
وشبه تفضل مولانا جل وعلا عليه بانالة تلك الرتبة التي قصدها
بغير كبير مونة عليه بما اذا قرب ذلك المحبوب المقصود بالمشي
اليه لمسافة على من قصده بان يسير اليه ويقرب منه اكثر مما
يسير المحب اليه ويقرب منه رفقا به وشفقة على ضعفه فاستعيرت
العبارة الموضوعة للمشبه به في المشبه تقريبا للمعاني
واحضارا للرحمة الالهية وابرازا للمعاني في قالب المحسوس المالوف
ليشتد حرص المومن على النهوض الى معالي الامور ويعظم حبه في
الرب الكريم تبارك وتعالى ويحتمل ان يكون الشيخ اتى بهذا البيت
للتشبيه على ما يبعث المومن على ما حضه عليه فيما سبق من
اجتناب الشر ويسهله عليه بعد ان استصعبه واستبعده بقوله
فذاك يكفي ولكن من يطيق له حتى يجانب سوء القول والعمل ولا شك
ان المداومة على ذكر الله تعالى بحضور قلب تستلزم تعظيمه وهيبته
والحياء منه وذلك يوجب الهروب من سخطه الى رضاه تعالى
ولما كان ما فيه التسخط وما فيه الرضى لا يعرفان الا من قبله عليه
الصلاة والسلام حض المومن على كثرة ذكره عليه الصلاة والسلام
بالصلاة والتسليم عليه فان ذلك يقتضي دوام محبته ٥
المستلزمة البحث عما جاء به والعمل بمقتضاه ويحتمل ان يكون
اتى بهذا البيت لذكر ما يحمل على العمل بجميع ما حض عليه في هذا
الباب من واجب ومندوب بسهولة وهو المواظبة على ذكر
المولى تبارك وتعالى بالقلب واللسان وذكر رسوله ومصطفاه
من خلقه صلوات الله وسلامه عليه بكثرة الصلاة والتسليم
عليه لينال بذلك من الله تعالى الرحمة وتشريف الرضوان ٥
ويجمع بين الحقيقة والشريعة المتوقف على الجمع بينهما جميع
منازل اهل العرفان وعلى هذا يحتمل ان يكون هذا البيت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فذلكت لهذا الباب وجامعا لجميع اغراضه فانها كلها دايرة على
الحقيقة والشريعة ولهذا ختم اغراض هذا الباب بهذا البيت والله تعالى
اعلم وبه التوفيق

اقول هذا ونفسي غير عاملة بكل ما قلت لبت القول لم اقل
الومها فعسى مولاي يرحمها قد يرحم الله افضلا بلا عمل
فهو الموفق للاعمال يخلقها لمن يشا عن التخصيص لا تسل

لما حذر الشيخ رضي الله تعالى عنه من غوايل النفس وامر بصرف الهوى
عنها ومخالفتها وغير ذلك مما مض عليه رجع على سبيل التواضع والحيا
من الله تعالى الى نفسه فاخذ يغض منها ويستقصرها فاخبر عن نفسه
انه ممن لم يعمل بمقتضى ما وعظ به غيره وتمنى انه لم يصدر منه ذلك
الوعظ يعني على الصفة التي اعتقدها في نفسه وهي عدم مطابقة
القول للعمل وفي ضمن ذلك ان المتصفر له ان يكون ذلك القول
مطابقا للعمل ليحصل الصدق فيه ويرجى قبوله وكثرة الانتفاع به
ولا خفا ان احتقار المرء نفسه اجل شيء له ذخرا وارفع شيء له ذكرا عن
خالد بن معدان رضي الله تعالى عنه قال لا يفقه الرجل كل الفقه
حتى يرى الناس في جنب الله تعالى امثال الاباعر ثم يرجع الى
نفسه فيكون احقر حاقر لها وقال غيلان بن جرير اقبل علينا مطرف
يوما فقال لوكنت راضيا عن نفسي لقليتكم ولكني لست عنها براض

قوله الومها يعني على مخالفة قولها لعملها ولا شك ان ذلك
مما تستحق النفس عليه التوبيخ واللوم والرجوع الى الله تعالى
بصدق التوبة فعن قيس بن رافع قال اجتمع نفر من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم عند ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما فتذاكروا وبقوا ووفد ابن الحارث ساكت فقالوا الا تتكلم
فقال تكلمتم كفيتم اسمع قول خايف وانظر فعل امن وقال ابن
سعيد رضي الله تعالى عنه كل الناس احسن القول فمن وافق فعله

قوله

قوله اصاب حفظه ومن خالف وبخ نفسه وقال الحسن رضي الله تعالى
عنه اعتبروا الناس باعمالهم ودعوا قولهم ولم يدع الله تعالى قولا
لا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه او يكذبه فمن وافق قوله
حسن عمله فاحه واحبه وكفى بقوله تعالى اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم ذما لمن خالف قوله فعله وكذا ما اخبر عنه صلى الله
عليه وسلم في الصحيح من عقوبة من يامر بالخير ويخالفه ومن معنى ما
اشار اليه المولف رضي الله تعالى عنه في ذم مخالفة القول الفعل
قول عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه في بعض خطبه بعد ما
امر فيها ونهى وحذر واعوذ بالله ان امركم بما انهى عنه نفسي فتخسر
صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو امسكتني في يوم لا ينفع الا الحق والصدق
زودنا الله تعالى اياهما لذلك اليوم بمنه وكرمه **قوله** فعسى مولاي
يرحمها يعني ارجو بلومي نفسي على سبيل الذم والتوبة والبعض لما
صدر مني ان يرحمني مولاي اي ينعم علي بالمغفرة والنجاة مما اخاف
لانه وعد سبحانه بذلك التايبين وتفضل عليهم بانالة رضاه
ومحبته فقال جل من قايل ان الله يحب التوابين وقال تعالى حكاية عن
نوح فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا وقال ومن يعمل سوءا او
يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال تعالى والذين
اذ ظلموا انفسهم الاية وفي الصحيح في حديث النزول في الثلث
الاخر من الليل قول الله تعالى من يستغفرني فاغفر له وعن طلق بن
حبيب قال حقوق الله تعالى اعظم من ان تقوم بها العباد ونعمة اكثر
من ان تحصى ولكن اصبحوا تايبين وامسوا تايبين **قوله** قد يرحم الله
افضلا بلا عمل يعني بلا عمل زايد على الايمان يدل على ما ذكره حديث
القبضة التي يخرج الله تعالى فيها من النار عدد لا يحصى بلا عمل عملوه
ولا خير قدموه اي ليس معهم الا مجرد الايمان بحسب الزايد عليه
اما ان يكون ليس بواقع اصلا وكان الا انه لم يقبل او قبل الا انه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذهب في التبعات **قوله** فهو الموفق للاعمال بخلقها يعني انك اذا نظرت العامل على سبيل الحقيقة التوحيدية وجدته مسلوبا لم يعمل اذ عمله بمحض خلق الله تعالى ولا اثر له في شئ منه البتة على ما سبق تحقيقه في العقايد فهو اذن انما جاز وفاز ونجا بمحض رحمة الله تعالى لا بعمله اذ لا عمل له على الحقيقة فهو اذن جل وعلا المختص بمحض فضله من شاء بما شاء من رحمته لا علة لشئ من تخصيصه ولا غرض وليس الا بمحض الكرم ولا نجاة الا بمحض الفضل فقط واذا لم يكن الا بمحض الكرم والفضل وجبان يطمع في نيله كل موحد من لعدم وجود علامة الايأس التي هي الكفر والاشراك والعياذ بالله تعالى فهم وساق المولف هذا الكلام تقوية منه لباعث حسن الظن بالمولى الكريم جل وعلا ليختم به هذا النظم المبارك ليكون حسن الخاتمة فيه عنوانا على حسن الخاتمة عند الموت بفضل الله تعالى وفي الحديث لا يموت احدكم الا وهو حسن الظن بالله وبالله تعالى التوفيق

قدم ما رمت من ذا الباب من غرض فاقبله وتدع لي بالخير واتهم
ولتصلح الذي تلفاه ذا خلل بنية الخير للاصلاح للخلل

مراده بالباب هذا الفصل الذي ذكر في ترجمته انه به ختام هذا النظم واذا كان هو الخاتمة للنظم فبتمامه تم النظم كله ○ ولدلالة تمامه على اتمام النظم اعاد الشيخ رضي الله تعالى عنه الضمير في قوله فاقبله اي اقبل مني ايها المخاطب المحتاج لتعلم عقايد واصول دينه ولتعليمها لغيره هذا النظم قبول حفظ وتفهم او قبول وتعليم تفهيم لما فيه لمن احتاج الى ذلك فهو الكفيل ○ بتحصيل الغرض على اكمل وجه **قوله** ولتدع لي بالخير جزاء على ما انتفعت به في نفسك او نفعت به غيرك من قبلي واشكر نعمة الله تعالى على ما فتح عند باب من ابوابه اذ شكر باب فضله التي فتحها وفضلها بان اخرج عندها نغما للطالبين وتعظيما بالخدمة

والمحبة

والمحبة والدعا شكر له تعالى وتعظيم له لما فيه من تعظيم ما عظم المولى الكريم جل وعلا في الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ○ واذا كان هذا في مطلق من اخرج الله تعالى على يده اعلى النعم كلها بل لا نعمة في الحقيقة دونه وهو نعمة تعلم عقايد الايمان وما تقع به النجاة من الخلود ابد الاباد في اليم النيران ثم تاييد ذلك ○ وتشييده في القلب بواضح البرهان حتى انتقت على الحقيقة التوحيدية كل ريبة وصارت البصاير بحكم الشهود والعيان مبصرة ولا شك ولا خفا ان من اخرج الله تعالى على يده هذه النعمة العظمى لو اعطيت له الدنيا والاخرة بحذافيرها لم يصلح ذلك قبالة لما تفضل الله تعالى على يده ولهذا ما ثبت التعجز الكلي على مكافاة هذه النعمة بكل وجه من الوجوه لم يبق الا الفرار الى المولى الكريم القادر الذي لا نهاية لمقدوراته ولا تفاد لخزاين عطاياه ونعمه بالدعا والتضرع على مر الاوقات بين يديه ان يمن بما هو اهله على صاحب تلك النعمة اذ هو سبحانه هو الذي عظم تلك النعمة بمحض اختياره وعظم ابوابها التي من باخراج تلك النعمة عندها وهو الذي يمن بالمجازاة عليها من غير استحقاق وهو الذي امر بشكر تلك الابواب وتعظيمها وان لم يكن لها تاثير البتة في شئ من النعم التي اوصلها تعالى وحده بمحض فضله واختياره من ناحية تلك الابواب **قوله** ولتصلح الذي تلفيه ذا خلل اي تصلحه بحسن تاويله واخراجه على وجه يصح بزيادة قيد فيه او معنى يكمله ولا يبقى معه نقص في اللفظ لان النقص وان كان في ظاهره قليس يكون في باطنه وان كان فيه على وجه فقد ينتفى منه على وجه اخر وليس مراد المولف والله تعالى اعلم اصلاح الخلل بتبديل الكلام بكلام اخر في مكانه لان ذلك يودي الى التخليط لاختلاف انظار الناظرين وتفاوت قرايح المجتهدين فيبدل كل بحسب ما ظهر له

فيؤول الامر اخرا الى تبديل الفاظ الكتاب كلها او معظمها بالفاظ
اخر ولعل ما كان من اضل الكتاب باحسن واصح مما يدل اليه ثم
ينسب ذلك الى لفظ المبدل الى المولف وهو بري منه وقد منع
المحدثون اصلاح ما يوجد في الاصول من تصحيف الاحاديث او
غلط في اسنادها ونحو ذلك واختلفوا في اصلاح ما يوجد فيها
من غلط في الايات القرآنية كتبا والظاهر اصلاحه للامن من المفسدة
في هذا النوع **قوله** بنية الخير يعني بقصد الخير وهو الاعانة على
اظهار الحق وتكميله على وجه يتم النفع به لا بقصد الاعتراض
واظهار العلو في الفهم والفطنة فان ذلك لا ينفع الله تعالى به
ولا يجعل فيه بركة وقل ان يوفق صاحب هذا القصد للاطلاع على
الحقايق لانه متكبر طالب رياسة والمتكبر ممنوع من كل خير
قال الشيخ ابن عطا الله لا يدفع المدد الهابط مثل الكبر لان
الغيث لا يقر الا في الارض المنخفضة لا فوق رؤس الجبال فكذلك
قلوب المتكبرين تنتقل عنها الرحمة وتنزل الى قلوب المتواضعين
قال ولا نعتقد ان الكبر لا يكون الا في وزير او طالب نيابل قد
يكون في من لا يملك عشا ليلة وهو يفسد ولا يصلح لانه متكبر
على خلق الله تعالى ثم قال واذا اردت ان تختبر عقل الرجل
فانظر اليه اذا ذكرت له شخصا قلت وفي معناه اذا ذكرت له
كلاما فان وجدته يطرف على محمل سوء حتى يقول لك خلنا منه
ذلك فعل كذا وكذا فاعلم ان باطنه خراب وليس فيه معرفة
واذا رايته يذكره بخير واذا ذكر له ما يوصف بالذم يجمله محملا
حسنا ويقول لعله سهى او له عذر وما اشبه ذلك فاعلم ان
باطنه معمور فان المومن يعمل على سلامة عرض اخيه المسلم
انتهى وقال الشيخ ابو مدين رضي الله تعالى عنه العلو عن الناس
سبب الانتكاس ولقد صدق الامام الشاطبي رضي الله تعالى عنه اذ قال

ومن

ومن يعن بالعلم وجه الله تعالى فليعن عليه وان عنا به خانه الجد
واحسن في قوله ومن يعن بالعلم وجه الله تعالى فليعز عليه
نساله سبحانه ان يعرفنا قدر انفسنا وان يمن علينا بالنجاة
من اسباب العطب وموانع نزول الرحمة في الدنيا والاخرة
بجاه اشرف الخلق عنده سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

وعند ختمي ادعو الله مرتجيا عساه مولاي بالامان يختم لي
فاغفر الهي ما اسلفت من زلل وتب علي فان الظلم من قبلي
واقبل دعا كسير القلب ذي وجل من قلة الزاد في حل ومرتحل
وهب لقارئه عفوا ومغفرة فاقبله مني فدا سري وذا عملي
بجاه خير الورى اقوى وسائلنا وجاه كل ولي
عليه زكي صلاة الله ثم على كل النبيين
والال والصحب ثم التابعين لهم ممن عن الحق والاحسان لم

انما رجا رضي الله تعالى عنه قبول دعايه عند ختم لاوجه الاول
دعا وقع بعد تمام عبادة شريفة ويرجا منها رضى الرب تبارك
وتعالى ومن رضي عنه المولى الكريم جل وعلا فليطلب ما شاء
منه الا ترى الرجل الذي من الله تعالى عليه بالخروج من النار
اخر صار يتضرع الى المولى الكريم جل وعلا ويساله في مطالب
حتى يضحك منه اي يرضى عنه فلما رضي تعالى عنه اعطاه
بفضله ما سال ثم ذكره بطوله ورحمته امور البرزخ
وينيله اياها ثم بعد وقوع ذلك كله مكنه من جميع ذلك
ثم ضعفه له بمحض كرمه اضعافا مضاعفة اللهم من علينا
بشريف رضاك عنا في الدنيا والاخرة بجاه مصطفاك من خلقك
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الثاني ان الدعا منا جاة
للرب الكريم تبارك وتعالى وبث شكوى بين يديه وذلك انما
يرجى له الرفع لمحل قبوله تعالى واجابته اذا جعل تابعا لعمل صالح

قد اذن الله تعالى له في الصعود الى محل رضاه وقبوله ووكلت
الحفظة الكرام على الذهاب به اليه غدوة وعشية وشان
اهل الشكر انما هو فيمن اراد وا ان يبثوا شكواهم بين يدي
الملوك ان يتعلقوا في الدخول الى الملك باهل الدولة عنده
الذين لا حجر عليهم في الدخول عليه وقد حكي ان رجلا بعث الى الشيخ
ابن ابي زيد يطلبه في الدعا منه فبعث اليه الشيخ رضي الله تعالى
عنه يقول له هب اني دعوت لك فاين لي عمل صالح يرفع دعائي الله
تعالى يعني الى قبوله واجابته ويدل على ذلك قوله تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقد قيل ان الضمير
المنصوب في يرفعه يعود على الكلم الطيب الثالث انه لما من
المولى الكريم بمحض فضله على المؤلف حفظه الله تعالى بان
اعطاه ما طلبه منه من اتمام غرضه من هذا النظم وهذا
احسان جل وعلا قوي منه الرجا ان ينيله لذلك بمحض كرمه
كما ما يسأل منه تبارك وتعالى لانا المولى الكريم اذا فتح
باب العطى والكرم والرضى لشخص فلا نهاية حينئذ لما يمنحه
ولا غاية اذ ذاك لما يهبه من ذخاير الهبات ودقايق
النعم ويفتحه ولا يليق بالعبد الضعيف المحتاج المضطر اذا
شم شيئا من فتح باب عطاله من جهة مولاه الكريم الا ان يغتنم
فرصة كثيرة السؤال ولا ينقص من خزاين نعمه وكرمه شيئا
البتة كل ما يفيضه من عظيم النوال وفي دعوي المؤلف
رضي الله تعالى عنه بعد ختمه المقصود من هذا النظم الشريف
فوايد الاولى ان تكون خاتمته من جنس مبديه وهو الثنا
على الله تعالى والصلاة على اشرف خلقه سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم لان في الدعا ثنا على الله تعالى وحمدا
له بكمال القدرة وافتقار كل ما عداه اليه تبارك وتعالى

ولا شك

ولا شك ان ذلك مطلوب في الاواخر والمناهي كما هو مطلوب في
الاوايل والمبادي قال تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
هي ايضا من حمد الله تعالى والثنا عليه بجميل فعله وعظيم انعامه
وطوله اذ هو اجل لنعم الله تعالى على خلقه صلى الله عليه وسلم وفيه
ايضا ثنا على الله تعالى بعظيم ملكه ووحدانيته وقهره وابطال
عبادة غيره تعالى وتاييد رسله عليهم الصلاة والسلام ونصره
اياهم حتى بلغوا عنه احكامه وما يجب امتثاله من عظيم نهيه تبارك
وتعالى وعلى امره وبسبب هذا وقعت مقاصد التاليف محصنة
بالطرفين محفوفة بالمحاسن من كلا الجانبين وجدير لمقصد وقع
بين ثنائين على الله تعالى وصلاتين على رسوله سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم ان يعظم عند الله تبارك وتعالى مقدارهما ويرتفع
في الدارين بمحض فضل الله تعالى منارهما الثانية ان فيه كمال
التواضع والتبري من الحول والقوة والانسلاخ عن رؤية ما صدر
منه من هذا العمل الشريف فلجا الى الله تعالى لجا من لم يعمل عملا
اصلا وصار يتضرع الى الله تعالى في الختم بالايمان خايفا على نفسه
سلبه عند الممات كما نجا به من لا عمل له ولا تحقيق وفي المغفرة
للذنوب وفي التوفيق للتوبة والتزود للمعاد والحاصل انه اقتصر
في دعايه على الاقوات الضروريات وما لا يقابله الا الدواهي
المهلكات واغمض الطرف عن سؤال التفكهات كاعالي الفردوس
وشريف الرؤية وعظيم الرضوان وزيادة الدرجات حيا من الله
تعالى وتواضعا لجلاله وهروبا من آفة رؤية العمل لان
الدعا بهذه الامور اثر الفراغ من تلك الطاعة الشريفة
مظنة رؤيتها والالتفات الى توهم استحقاق نائله ذلك
المدعو والمطلوب من ناحيتها ووجود الدلالة على الله تبارك

وتعالى من جهتها اذ لو فرضنا شخصا فرغ من كبيرة من الكبائر ۞
لاحتقر نفسه ولم يتجاسر ان يدعو لهذه الامور وانما يتضرع الى الله
تعالى في طلب العفو والتوفيق للتوبة والانقاذ من المهالك الخ
اوتيت في اسبابها فدعى الشيخ رضي الله تعالى عنه واجاب سبحانه
دعاءه بفضله عند ختمه هذه العبادة الشريفة التي لا اشرف
منها لما تجاسر ان يدعو بها الداعي اذا فرغ من كبيرة من الكبائر
ولا شك ان من علامة التسديد وعظيم الانعام ان يمن الله تعالى
على العبد بالاعمال الصالحة مع عدم رويته لها ولا التفات
الى ناحيتها في نيل النجاة فضلا عن ان يعول عليها في رفع الدرجات
كثير من اولياء الله تعالى اذا طاعوا يكونون اخوف منهم اذا
عصوا الفايدة الثالثة ان الدعاء والتضرع الى الله تبارك
وتعالى واظهار الفاقة والمسكنة بين يديه هو مخ العبادة
ولبها ولب الشيء هو اشرف ما فيه وهو المتحصل منه اخرا ۞
وينقطع البحث بعد النظر به فلهذا ختم الشيخ رضي الله تعالى
عنه نظمه بما هو المقصود من كل العبادات ولا يطلب بعده
مطلب فهو قد اتى في خاتمته ببراعة الختام وسماه بعض
البيانيين حسن المقطع وبعضهم حسن الخاتمة وهو في الشعر
عبارة عن ختم القصيدة باجود بيت يحسن السكوت عليه
لانه اخر ما يبقى في الاسماع وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به
فان كان مختارا حيرما عسى ان يقع قبله من التقصير وان
كان غير مختار كان يخالف ذلك بما انس محاسن ما قبله والاعمال
بالخواتيم ختم الله تعالى لنا بخاتمة السعداء بمنه وطوله
فكان الشيخ رضي الله تعالى عنه قد اشتغل فيما سبق بكلام ونظم
نسبته باعتبارا التعبد به الى المولى العظيم الى ما ختم به
من التطارح بين يدي مولاه معتبرا من رؤية الاعمال ومن الحول

والقوة

والقوة والاستحقاق لشيء من النعم مظهرا للفاقة والذلة ۞
والمسكنة مقرا بالتورط في اسباب الهلاك مستشفعا في نيل
النجاة من المخلوقات باعظم الوسايل عنده الشفيع المشفع
التي لا ترد شفاعته سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم نسبة
القشر الى اللباب والبدن الى المخ الذي به كمال القوة والطحنة فهو
حفظه الله تعالى وانا له سؤله ختم باحسن المقامات واشرفها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة والمخ كما عرفت
هو اللب من كل شيء وهو اخر كل مطلوب من الاشيا المحبوبة فاذا
انتهى المتعبد الى لب العبادة ولم يبق له منها مطلب فقد انتهى
وايضا المخ دليل على قوة صاحبه ومن لا مخ له لا قوة له فالعبادة
ان خلت من الدعا خلت من المخ فضعفت وكانت بصدد السقوط
وان اشتملت عليه كانت قوية قال سهل بن عبد الله رضي الله
تعالى عنه خلق الله الخلق وقال ناجوني فان لم تفعلوا فانظروا
الي فان لم تفعلوا فاسمعوا مني فان لم تفعلوا فانزلوا حاجتكم بي
وقال سهل ايضا اقرب الدعا الى الاجابة دعا الحال وهو ان يكون
صاحبه مضطرا لا بد له مما يدعو لاجله وهذا كله يدل على ان
الدعا افضل من السكوت ما عليه المحققون قل ما يعباء بكم ربي
لولا دعاؤكم وقال قوم السكوت افضل وانه من الرضى بالقضا
وقال قوم يجب ان يكون العبد صاحب دعا بلسانه صاحب رضى بقلبه
ليأتي بالامرين جميعا وقال قوم بحسب الاوقات فقد يكون الدعا
في وقت افضل وقد يكون السكوت في وقت افضل ويعرف ذلك بعلم
الوقت فان وجد بقلبه اشارة الى الدعا فالدعا وان وجد فيه
اشارة الى السكوت سكت وقيل ما كان للمسلمين فيه نصيب او
للحق سبحانه فيه حق فالدعا اولى وما كان لنفسه فيه حظ فالسكوت
اتم وهذا القول احسن وبالله تعالى التوفيق وهذا اواخر ما

قصدناه من الشرح وبالله تعالى التوفيق لا رب غيره ولا خير
الا خيره نساله سبحانه ان ينفع به وباصله وان يجعله لوجهه خالصا
وسببا في حصول رضوانه دنيا واخرى بجميل كرمه وعظيم طوله ٥
اللهم انا نتوسل اليك باشرف الخلق عندك سيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم ان تمنحنا الى الممات توبة صادقة تسطع على
ظواهرنا وبواطننا في الدنيا والآخرة انوارها وتذهب عنا
من المعاصي قيودها وحجبها واغيارها واثارها بفضلك وجودك
يا اكرم الاكرمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد
وعلى اله عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
ورضي الله تعالى عن اصحاب رسول الله اجمعين
وعن التابعين لهم باحسان
الى يوم الدين

والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى من انبيا الله تعالى
والمرسلين والملايكة الكرام المقربين من اهل السموات والارضين

للعلامة الزمخشري

سهى لتنقيح العلوم الذهول
من لثم غانية وطيب عناق
وتمايلي طربا لحمل عويلة
اشهى الي من مدامة ساقي
وصفير اقلامي على اوراقها
خير من الدوكا والعاقي
يا من يحاول بالامانى رتبتي
كم بين منسنفل واخرى راقي
ابيت ليلى ساهرا وتبيته
نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة
الألوكة
www.alukah.net